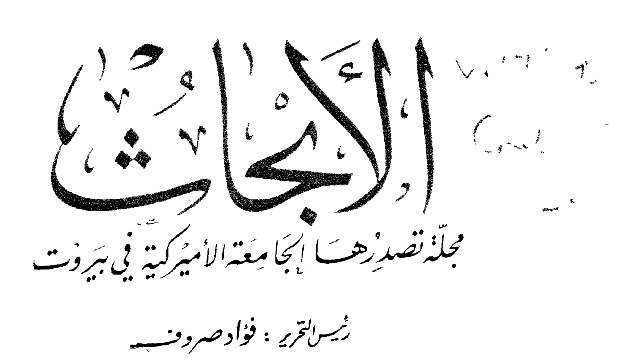
السنة ١٧ — الجزء ١



مكتبة الابحاث



الأبحاث

محلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

«الابحاث» محلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت اربع مرّات في السنة ، وهي منبر حرّ لاهل الفكر ولكنها لا تتحمل تبعة الآراء التي تنطوي عليها بحوثهم ، وهي تدعو الباحثين والكتّاب الى التعاون معها في خدمة البحث العلمي والمعرفة الصحيحة وبخاصة في شؤون الشرق العربي .

بدل الاشتراك في السنة : تسع ليرات لبنانية او ما يعادلها تدفع عند طلب الاشتراك او تجديده لأمر رئيس التحرير . جميع المراسلات الخاصة بالتحرير والادارة ترسل الى مكتب رئيس تحرير «الابحاث» ، الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ، لبنان .



مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

السنة ١٧ – الجزء ١ رئيس التحرير : فؤاد صروف أذار سنة ١٩٦٤

رسائل ابن باجة الفلسفية

ماجد فخري

ابو بكر بن الصائغ الملقب بابن باجه (توفي ١١٣٨ م) علم من اعلام الفلسفة العربية المغمورين . فعلى الرغم مما كان له من شأن في الترويج للفلسفة المشائية في الاندلس ، فلم يترجم له إلا نفر قليل من اصحاب كتب التراجم ولم ينشر من رسائله إلا النزر اليسير . وكان العلماء قد درجوا منذ ظهور كتاب مونك المشهور « في الفلسفة العربية واليهودية » سنة ١٨٥٩ [١] ، على اعتبار مصنفاته عامة ، وكتاب « تدبير المتوحد» بوجه خاص ، مفقودة ، والاقتصار على ما ورد من خبر صاحبها في شروح لاحقيه . وهو ما فعله مونك في معرض الكلام على فلسفة ابن باجه . فقد استند في عرضه لها إلى تلخيص لتدبير المتوحد يرد في شرح عبري

شهد ظهور ابن رشد، (توفي ١١٩٨م) اعظم شراح ارسطو العرب ، على مسرح الفكر الفلسفي في الاندلس .

ومما يزيد من شأن هذه المجموعة انهـــا المجموعة الوحيدة فيما نعلم لرسائل ابن باجة الفلسفية، اذا استثنينا ثلاث رسائل منطقية ترد ضمن مجموعة منطقية، جلها للفارابي وهي : تعاليق لابي بكر محمد بن يحيى بن الصائغ على كتاب ابي نصر في المدخل والفصول من ايساغوجي وتعاليق على كتابي باري ارمينيـــاس و كتاب المقولات لابي نصر ايضاً [٦] ورقم هذه المخطوطة المحفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا هو ٦١٢ وتاريخها ١٢٦٩ م او ٦٦٧ هـ .

اما المجموعة الاخرى التي كانت محفوظة في المكتبة الملكية ببرلين (ورقمها ٥٠٦٠) والتي كانت تمتاز عن مخطوطة اكسفورد من بعض الوجوه فقد اختفت اثناء الحرب العالمية الثانية ، ولا سبيل الى التحقق من تلفها او عدمه .

وقبل ان ندرج لائحة برسائل هاتين المجموعتين ينبغي الاشارة الى ما اخرج منها مطبوعا ، وهو قليل . فبالاضافة الى تدبير المتوحد اخرج ميكال آسين ما يلي في مجلة الاندلس Al Andalus مع ترجمات اسبانية .

في النبات	الاندلس سنة	١٩٤٠
اتصال العقل بالانسان	« «	١٩٤٢ [٧]
رسالة الوداع	« «	١٩٤٣

واخرج المعصومي كتـــاب النفس في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٨ عن نسخة اكسفورد.

امـــا سائر الرسائل التي تحتوي عليها نسخة اكسفورد مع عدد ورقاتها فهي التالية :

ص* من قوله على مقالات السماع (ورقة ٥ — ١٥)

* ص : ذكرها ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء .

لكتاب حيّ بن يقظان، وضعه موسى النربوني في القرن الرابع عشر. وعلى منوال مونك نسج سائر المعلقين والمؤرخين في القرن العشرين، حتى ظهور فصول من هذه الرسالة سنة ١٩٤٥ في مجلة الجمعية الملكية الاسيوية، مشفوعة بترجمة انكليزية من وضع د. م. دنلوب. (٢) وفي السنة التالية اصدر ميكال آسين الرسالة بكاملها مع ترجمة اسبانية(٣). وفي كلتا هاتين النشرتين استند المحققان إلى النص الوارد في مجموعة بوكوك Pockocke (٣) المحفوظة في مكتبة بودليانا باكسفورد (رقم بوكوك ٢٠٦) والذي لا تربي ورقاته على الـ١٤ ورقة . وهو يبتدىء بهذه العبارة:

« ومن كلامه رضي الله عنه في تدبير المتوحد

« قال ابو بكر بن الصائغ رحمه الله : لفظة التدبير في لسان العرب تقال على معانٍ كثيرة قد احصاها أهل لسانهم .. »

وتنتهي بالعبارة .

« انتهى ما وجد من هذا القول »، مشفوعة بالحمدلة – مما يدل على أن هذه الرسالة ناقصة ، كما يستدل من البينات الداخلية من جهة ، والبينات الخارجية القليلة المتوافرة لدينا ، من جهة ثانية .

وتحتوي هذه المجموعة، وتاريخها ٥٤٧ هـ أو ١١٥٢ م ، على عدد من الرسائل في الفلسفة الطبيعية والالهية لا يزيد معظمها على العشر ورقات ، وتكثر الاحالة فيها على ما جاء في موضع آخر او على ما قاله أرسطو في كتبه ، الخ . وهو ما يبرر قول ابن طفيل (توفي ١١٨٥ م) في مطلع حيّ بن يقظان ، في معرض الكلام على صاحبها : « إن اكثر ما يوجد له من التآليف انما هي (غير) كاملة ومخرومة من أواخرها» (٥) . إلا أنها مع ذلك ذات شأن كبير في اطلاعنا على النتاج الفلسفي الأول في الاندلس ، قبل بلوغه مرحلة النضج ، ان في الشكل او المحتوى ، في اواخر القرن الثاني عشر ، الذي

	من قوله في صدر ايساغوجي	(ورقة ١٨٩ — ١٩١)
	من كلامه في لواحق المقولات	(« ١٩٢ — ١٩٦)
	من قوله على كتاب العبارة	(« ١٩٦ — ٢٠٣)
	كلامه في القياس	(« ٢٠٣ — ٢٠٥)
ص	كلامه في البرهان	(« ٢٠٥ — ٢١٢)
	وكتب الى ابي الحسين الامام (الوزير)	(« ٢١٣ — ٢١٥)
صم	كلامه في اتصال العقل بالانسان	(« ٢١٦ — ٢٢٠)
	قول له يتلو رسالة الوداع[٨]	(« ٢٢٠ — ٢٢٢)
	كلامه في الالحان	(« ٢٢٢ — ٢٢٢)
	كلامه في النيلوفر	(« ٢٢٢ — ٢٢٣)

ومع ان مخطوطة مكتبة برلين الملكية وتاريخها ٦٧٠هـ او ١٣٧١م قد فقدت، فاننا نورد محتوياتها هنا كما وردت في فهرست المكتبة المذكورة الصادر سنة ١٨٩٢ عن برلين تكملة للفائدة، لا سيما وان عدداً من الرسائل الفلسفية، ناهيك بالطبية، تختلف عن الرسائل الواردة في مجموعة اكسفورد، كما يستدل من عناوينها.

	في شرح كتاب السماع
ص	في الاسطقسات
ص	في المزاج
	في الفصول (لابقراط)
ص	تعاليق في الادوية المفردة (لجالينوس)
	المقالة في الحمّيات (ت)
ص	في الكون والفساد
	المقالة الاولى من الآثار العلوية
صم	في النبات
	في الحيوان
	في معاني كتاب الحيوان

من قوله على المقالة الخامسة (من السماع) (ورقة ١٥ — ٢٣)

« « على المقالة السادسة (« «) (« ٢٣ — ٣٢)

« « على المقالة السابعة (« «) (« ٣٢ — ٤٣)

« « على المقالة الثامنة (« «) (« ٤٣ — ٥١)

اقوال تقدمت له في معاني السابعة والثامنة (« ٥١ — ٥٥)

ومما تقدم قوله في معاني الثامنة خاصة (« ٥٥ — ٦٧)

ص قوله في شرح الآثار العلوية (« ٦٧ — ٨٠)

ص من قوله في الكون والفساد (« ٨٠ — ٨٨)

ص من قوله على بعض مقالات كتاب الحيوان الاخيرة (« ٨٨ — ١٠٩)

من قوله على كتاب الحيوان (« ١٠٩ — ١١١)

ص م* كلامه في النبات (« ١١١ — ١١٦)

ص من كلامه في ماهية الشوق الطبيعي (« ١١٦ — ١١٨)

ص كلام بعث به لابي جعفر يوسف بن حسداي (« ١١٨ — ١٢٠)

ص ومن كلامه في ابانة فصل عبد الرحمن بن سيد المهندس (« ١٢٠ — ١٢١)

ومن كلامه بنظر آخر (« ١٢١ — ١٢٨)

ص من الامور التي يمكن بها الوقوف على العقل الفعال (« ١٢٨ — ١٢٩)

ص من كلامه في البحث عن النفس النزوعية (« ١٢٩ — ١٣٨)

ص م من كلامه في النفس (« ١٣٨ — ١٦٥)

ص م من كلامه في تدبير المتوحد (« ١٦٥ — ١٦٨)

م القول في الصور الروحانية (« ١٦٨ — ١٨٢)

ص ومن قوله في الغاية الانسانية (« ١٨٢ — ١٨٤)

ومن قوله في العرض (« ١٨٤ — ١٨٧)

من قوله على الثانية في السماع (« ١٨٧ — ١٨٧)

من الاقاويل المنسوبة اليه (« ١٨٧ — ١٨٩)

---

* م : منشورة .

يتنكب عن التهـادة بفضله وتقدمه ، حيث قـال : « ثم خلف هؤلاء (أي المشتغلين بالتعاليم والمنطق من متفلسفة الاندلس الاول)، خلف آخر احذق منهم نظراً واقرب الى الحقيقة . ولم يكن فيهم اثقب ذهنا ولا اصح نظراً ولا اصدق روّية من ابي بكر بن الصائغ »[١١] ، يعني ابن باجة .

وهـذه الرسالة هي خاتمة المجموعة التي نحن بصددها ، اذا استثنينـا كلامه في الالحان ، وكلامه في النيلوفر – في ورقة واحدة . وكاتب هذه الاسطر عاكف على تحقيق سائر الرسائل، وهو يأمل اخراجها كاملة في المستقبل القريب .

« قول له يتلو رسالة الوداع »

قال ابو بكر رضي الله عنه :

وقد لخصنا في رسالة الوداع القول في المحرك الاول في الانسان على طريق الاجمال . واما كيف وجوده في انسان انسان مشار اليه ، فنحن نلخص القول فيه الآن فنقول : ان ما ينسب الى الجسم لا[١٢] يخلو اما ان يكون جوهراً لذلك الجسم او عرضا فيه . وظاهر ان ما كان منه عرضـا في الجسم انه لا قوام له الا بذلك الجسم وذلك الجسم يجري مجرى المادة لذلك العرض . وبذلك يصير العرض شخصا ما يشار اليه . وقد قيل في هذا في غير موضع . فاما مـا هو جوهر لذلك الجسم المشار اليه وبه قوام ذلك الجسم، فهو صورة او مادة كما تبين في غير هذا الموضع .

واعني بقولي صورة على العموم واريتَ بجسمهـا النفسَ والصورةَ الطبيعية . وليكن « أب » جسما مشاراً اليه ، وليكن مـا عليه «أ» الصورة وما عليه «ب» المادة، وليكن «أب» ناراً وارضا او ما جانسها من الاجنـاس الطبيعية . فبيّن ان «أ» لا وجود له الا في «ب» ، لانه ان كان «أ» موجوداً دون «ب» موجوداً او كان «ب» ذا صورة ، وهو

ص في النفس

صم رسالة اتصال العقل بالانسان

في الدوام وهو ما يتعلق بالكلام في العقل

في العرض

في الوحدة والواحد

ص في الفحص عن القوة النزوعية

صم رسالة الوداع

ص في الهيئة

في فنون شتى

مقالة الاسكندر في الرد على من يقول ان الابصار يكون بالشعاعات الخارجة من البصر (٩)

مقالة الاسكندر في اللون (١٠)

ويلاحظ ان هذه المخطوطة تحتوي على بعض رسائل ابن باجة الطبية خلافاً لمخطوطة اكسفورد ، وتحتوي بالاضافة الى الرسائل الفلسفية الواردة في تلك المخطوطة على رسائل اخرى ذكرها ابن ابي اصيبعة واشرنا اليها بالحرف ص اعلاه. الا ان اهم رسائل ابن باجة الفلسفية وهي تدبير المتوحد قد سقطت منها، بينما جاءت رسالة الوداع كاملة فيها، وناقصة في مخطوطة اكسفورد .

ونختم هذا الثبت بآثار ابن باجة المخطوطة والمطبوعة « بقول له يتلو رسالة الوداع » ويدور شيمة تلك الرسالة الهامة على موضوع النفس الحيوانية والعاقلة واثرها في تحريك الحيوان وفي الاختيار والادراك الح . ونرجو ان تقوم هذه الرسالة شاهداً على ما اسلفناه من اقتصار ابن باجة في معظم رسائله على القول الجامع الذي يعوزه الاستقصاء والاحاطة وعلى الاكتفاء بالاشارة العابرة الى ما « لخصه ارسطو » في كتبه او ما ذكره ابن باجه في « غير ما موضع » . وقد نبّه الى ذلك ، كما مر ، خلفه ابن طفيل في كتاب حي بن يقظان ، دون ان

الاخير امور غير محدودة ، بل هي بالذات غير متناهية، وربما تتناهى بالعرض .ولذلك لا يوجد للنبـــات القوى التي بعد الحس ، كالتخيل والتذكر وغير ذلك .

والنبات فليس من الموجودات لذاتها ، بل من الموجودات لغيرها من الاجسام الموجودات . وظاهر ان نفوسهـا لا تمكن الا في الاجسام . وسنبين بعد هذا ان نفوسها غير روحانية ، ولا يتصل بها امر روحاني كالتخيل وما شاكله. فنفوس النبات توجد مقترنة باجسامها ويوجد نوعها في البزر . ولذلك يرى ارسطو في البزر حساً ابدياً مجانساً لاسطقسات الكواكب ، لأن جوهره بالفعل عقـــل . وقد تلخص أمره في كتاب الحيوان ، اذ أن الاثر في الحيوان أظهر والقوة فيه مقترنة بالفعـــل ، وكذلك في النفس الغاذية في الحيوان . ولذلك حدّ ارسطو النفس بأنها استكمال الجسم ذي الحياة لنعم الاستكمالات كلهـا الاولى والآخرة . ويدخل تحت حده جميع انواع النفس . والنبات فليس يوجد له الا ثلاثة اصناف من النفس: اولهـــا الغاذية والثانية المنمية والثالثة المولدة . فاما الغاذية فهي توجد دائماً وعلى كل حال على كمالها الأخير في كل مـا يوجد دائماً ، وعلى كل حال على كمالهـا الاخير في كل ما توجد له . وقد تشكك في انواع كثيرة ان نفوسها الغاذية قد تكون في القوة في بعض الاوقات، كالحيات وكثير من اصناف الحيوانات التي لا تظهر في الشتاء وكاليمام عند القائها الريش. وقد تبين امر هذه كلها في مواضع اخر، ومما تبين به انها تفتدي السمين على التمام كراً (١٤) في ذلك الوقت .

واما الصنفان الآخران فليس يوجدان دائماً، بل النفس المنمية توجد في اول العمر وتنحل من بعد ذلك ، والنفس المولدة لا توجد في اول عمر الجسم الحي ، ثم توجد بعد ولا تعدم الا بعرض . وقـــد شوهد شيوخ أنسلوا بعد الثمانين . ولذلك بقي بزرهـا وبالجملة فاعلها ، أعني الحار

المادة الاولى ، وهذا ما لا يمكن ، فاذن لا يمكن ان تكون صور الامور الطبيعية اموراً منتهية . فاذه يتبين بمثل هذا البيان مـا كان ممكنا ان يكون صورة طبيعية لها قوام ووجود لا في مادة . والمادة اذن ذات صورة . وقد لخصنا في كتابنا في النفس السبب في وجود الصور الطبيعية صوراً في مواد . ولذلك لا يمكن ان تكون الصور الطبيعية مؤلفة من اكثر من قوة واحدة متضادة، كما يمكن ذلك في النفس ، فان الخفة مثلا تحرك الى فوق فقط. فاما النفس فهي تحرك الى المواضع المتضادة ، وهي واحدة، ويتحرك بها الجسم الى المواضع المتضادة . ولذلك عدّت الغاذية في النفوس ولم تعدّ في القوى الطبيعية، لانها تعمل اعمالا كثيرة[١٣] بعضها متقابلة. ولذلك صارت احق قوة للنفس وجوداً حتى ظن بها من ظن انها طبيعية . ومن لم يجعل النبات حيا فهو يعدها من الصور الطبيعية .

وكما قلنا مراراً ان الطبيعة لا تفعل ما تفعله دفعة ، بل انما بتدريج، فكذلك النبات يشبه الاجسام المتنفّسة ، قد أخذ من كل بقسط . وقد بيّنا ذلك فيما كتبناه في النبات. ولما كان النبات يفعل ما يفعله لا لنظار يطرأ عليه ، لذلك لم يفتقر الى قوة تدرك الطوارىء والنواشىء ، لأنه مربوط بالارض. (و)* لأن غذاه موجود فيها فلا يحتاج الى طلب، لذلك اعطي جميع ما يحتاج اليه دفعة، اذ كان ذلك محصوراً محدوداً . ولذلك فيه تشوق على وجه آخر غير الذي يقال في الحيوان متشوق ، بل انما ذلك على الجهة التي تقال في القوى الفاعلة انها تشوّق الى الفعل ، كالحرارة الى الاحراق مثلاً (٢١٨ أ) فان النفس قوة فاعلة . وذلك لان النفس تقال على نحوين ، كما تلخص فيما كتبناه في النفس . فالنفس اذا قيلت على الكمال الاول كانت قوة منفعلة ، واذا قيلت على الكمال الاخير كانت قوة فاعلة. الا ان النبات أعطي كماله الاخير ولم يعط الكمال الاول مفرداً ، ولذلك لم يوجد للنبـــات حس . فان الحس كمال اول ، وكماله

* : تشير الى زيادة يقتضيها السياق .

روحانيات . ولذلك يقول ارسطو في اول كتابه في السماء والعالم أن الأولين رأوا ان السماء مسكن الروحانيين .

وأنفس الحيوان تتقدم بالزمان الجواهر المعقولة في الاسم . والجواهر المعقولة هي أخلق في الوجود بهذا الاسم . وقد عرض لهذا ما عرض للقياس ، فان المثال هو أخلق بهذا الاسم من جهة المشهور ، واشكال القياس أحلق به في الوجود . وأمثال هذه كثير . لأن المعنى الذي له خصت هذه بهذا الاسم هو في تلك (التي) هي اكمل . فتلك أخلق بهذا وأشد تقدماً عند الطبيعة . وقد تبين أن هذه لا توجد لجسم ما الا بفاعلين، أحدهما هو المكوّن والآخر هو المحسوس . والصورة الروحانية انما توجد بهذين ، وهذان هما اللذان بيّناهما في المادة وفيما كتبناه في رسالة الوداع، ان المحرك القريب هو المتخيل وآلته هو الشوق، والتخيل لا يوجد الا بعد وجود هذين الفاعلين . وفيما كتبناه هناك ان المحرك الانساني هو الرأي ، فانه متى تحرك عن الخيال فقط كانت حركاته حيوانية كما قلناه .

واما الحركة الانسانية فهي الحركة الكائنة عن الرأي صواباً كان ام خطأ . فاذا تقدم الرأي تحركت الخيالية لتدرك ما أوجه الراي وأحضر الحس المشترك ضمن ذلك الرأي وحصر الاشتياق له وتحرك الجسد . فلذلك كلما احتاج فيه المحرك الأول الانساني الى آلة جسمانية احتاج فيه ضرورة الى التخيل . وسائر القوى الروحانية الموجودة في الجسم تتحرك . وبيّن أن هذه انما هي بأجسام وقوى لها ، وليست موجودة لذاتها ، ولذلك لا توجد مفارقة . ولو وجدت مفارقة للزم أحد أمرين : اما أن تكون أجساماً ولذلك تتصل بالأجسام ، وكونها اجساماً [١٥] محال . وأيضاً فلو كانت موجودة مفارقة للزم من ذلك أيضاً محالات كثيرة . وهي اما ان تكون متباينة حتى تكون لكل جسم نفس (٢١٩ أ) كما هو في الوجود ، فيلزم من ذلك وجود ما لا نهاية له معاً وهذا محال ، أو

النفساني ، سواء كان في برد او في الهواء او الماء مبثوثاً للنوع ، وفيه ما فيه نوع نفس النبات معقولا . وجوهر هذا الفاعل عقل آلهي ، كما يقوله أرسطو في السادسة عشر من كتاب الحيوان. ولدلك لا يحتاج الى محرك آخر. وليس كذلك الحيوان، بل في مني الحيوان حوهر الهي هو عقل. والذي يعقله هو نفس القوى الانسانية التي هي كمالات أولى . واما الكمالات الأحيرة فلا . ولدلك يحتاج الحيوان في الكمالات الاخيرة الى فاعل آحر كالحس والتخيل . فان هذين لا يوحدان الا بوحود المحسوس . فادا وحد المحسوس محسوساً بالفعل وحدت القوى حساً بالفعل .

فاداً انما يعطي المني المادة قوة الحس المشترك فيما له دلك، وليس هو في نفسه شيئاً موحوداً . واذا أحس صار شيئاً مشاراً اليه وأحد موحودات العالم . واذا كان بحيث يبقى فيه رسوم ما أحس بعد غيبة المحسوس صار بالفعل شيئاً مشاراً اليه وصار أحد الموحودات في العالم . ولدلك هي اول الموحودات الروحانية روحانية لانها تحرك الاجسام (٢١٨ ب) وهي ارواح الاحسام . وبعضها كالارواح لها . فان القوى صنفان . حسمانية وهي التي تنقسم بأقسام الحسم ، كالتقل والحفة ، والصنف الآخر ليس كذلك ، كأصناف من الاصناف وكقوى للنفس. فما كان من هده يمكن ان يكون صوراً لأحسام سميت روحانية ، وما لم يكن كذلك سميت قوى . ولدلك يقول آرسطو في أمثال هذه ان لها روحانية ما . وهده الصور فلا تتحرك لأنها ليست أجساماً ، بل ان تحركت فبالعرض ، كما نقول في النحو أنه يتحرك ادا تحرك النحوي . فلدلك لا يقال انها ساكنة لانها لا تتحرك ، بل تعدم بتوحد لا تتغير داتها (و) لا بكون ولا فساد . وقد ذكر ذلك أرسطو في الثانية من السماع الطبيعي . فهي تحرك ولا تتحرك . وصور الاجسام المستديرة كذلك ، ولذلك سمّيت روحانية . ولدلك يقال في الملائكة انها

المراجع

(١) راجع . S. Munk, Mélanges de philosophie juive et arabe ، باريس ١٨٥٩

(٢) راجع : Journal of Royal Asiatic Society سنة ١٩٤٥ ص ٦٣ — ٧٢ .

(٣) راجع . M. Asin Palacios, El regimen del solitario, Madrid - Granada, 1946

(٤) Edward Pockocke مستشرق بريطاني درّس العبرانية والعربية في اكسفورد ، كان من اصدقاء جون لوك الفيلسوف البريطاني المعروف . وقـــد اصدر سنة ١٦٧١ ترجمة لاتينية لتدبير المتوحد بعنوان Philosophus autodidactus . وقد صدرت حديثاً ترجمة انكليزية لفصول من هذا الكتاب في Medieval Political Philosophy (ص ١٢٢ — ١٣٤) من وضع Lawrence Berman.

(٥) في النص الذي نشره الدكتور جميل صليبـــا سنة ١٩٣٩ في دمشق : « انمــا هي كاملة ومخرومة من اواخرها » ، وهو خلف كما يبدو. راجع : حيّ بن يقظان ، ص ٦٦ .

(٦) ذكر ابن ابي اصيبعة في عدة مؤلفات ابن باجة . تعاليق على كتاب ابي نصر في الصناعة الذهنية لعلها اشارة الى هذه الرسائل المنطقية ، ويشير الدكتور عمر فروخ، في تاريخ الفكر العربي ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٤٩٩ . الى مخطوطة لتدبير المتوحد محفوظة في القاهرة ، نشرها في كتابه ابن باجة ، ولم نتمكن من الاطلاع عليها .

(٧) ظهرت هذه الرسالة ايضاً في تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، نشر احمد فؤاد الاهواني، مصر ١٩٥٠ ، ص ١٠٢ — ١١٨ .

(٨) الرسالة الملحقة بآخر هذه الكلمة ، وهي آخر الرسائل الفلسفية .

(٩) في مخطوطة الاسكوريال (رقم ٧٩٨ الورقات ٧١ — ٧٤) رسالة موسومة بهذا العنوان من ترجمة اسحق بن حنين .

(١٠) وردت هذه الرسالة في المخطوطة الآنفة الذكر بترجمة ابي عثمان الدمشقي ، راجع الورقات ٦٩ — ٧١ .

(١١) راجع حي بن يقظان ، ص ٦٦ .

(١٢) في الاصل . فلا .

(١٣) في الاصل : كثيراً.

(١٤) كذا في الاصل ، كما يبدو ، الا ان المعنى غير مستقيم.

(١٥) في الاصل : اجسام.

تكون محصورة العدد فيكون التناسح. فيلرم من ذلك محالات أخر، وهو وجود أشخاص الاعراض مفارقة . لأن هذه الاعراض هي التي تحرك ، فيلزم ما يلزم وهو وجود الاشخاص قبل وجودها. فيلرم من ذلك التكرير والترداد ويرتفع الكون والفساد . وقد لخص أرسطو في أي شيء يكون الترداد وفي اي الاشياء يكون التردد واحداً بالنوع في آخر المقالة الثانية من كتاب الكون والفساد، الى ساير ما يلرم من المحالات في دلك. ودلك متى كانت الصورة الروحانية الموحودة في النفس واحدة بالعدد ، ولم يمكن فيها أن تكون واحدة بالنوع أصلاً . فان تلك الصورة الروحانية موجودة أبداً ، وكانت غير كائنة ولا فاسدة بل ساكنة ، كما تبين دلك في العقل المستفاد وحده . فبيّن أن دلك العقل الدي لا يدركه البلى ولا السنّ وسائر ما كتب في النفس وما ارشدت اليه في رسالة الوداع . واذا كان كذلك لا يمكن الحسم قبوله الا بعد وحود هده القوى فيه، فان المدرك لدلك هي هذه القوى. فان دلك ليس على أن كل واحدة من هذه القوى تترتب فيها قبلها، حتى يكون الاول مادة والثاني صورة، بل دلك انحاء من الوجود متفاصلة متباينة . فلدلك لا يفسد بفساد ما قبله .

فقد تبين بهذا القول ما قصدنا اليه وهو كيف يختصّ هذا المحرك الانساني لجسم جسم ولمَ يحرك هذا الجسم في هذا الوقت دون ان يحرك ذلك الآخر، ادا كانت نسبته اليهما واحدة . فان القول في الرسالة انما كان في المحرك من حيث هو ما هو . فأما كيف وحوده لهذا الجسم فقد تبين بهذا القول ، واما الصور الروحانية فيتلخص القول فيها فيما نكتبه في تدبير المتوحد. فان ذلك القول أخلق بذلك ، وفيما قلناه كفاية . تم الغرض المقصود من ذلك .

(الحمد لله على احسانه وصلواته على محمد النبي وآله وهو خير من توكل عليه . نسأل الله خاتمة خير في عافية .)

العلم والثقـــافة . فاصبح لنا في لبنان جهـاز تعليمي حكومي يكاد يواري في ضخامته الجهار التعليمي الخاص ، ولا سيما على الصعيد الابتدائي .

ونتيجة لهذا التوسع ، لم تر الدولة اللبنانيـة موجبا لاعتماد مبدأ الالزام في التعليم ، يقينا منها بأن الاقبال التلقائي على العلم متوفر ، فاية حـاجة تبقى الى جعل التعليم الزاميا والدولة غير مؤهلة لتحمل اعبائه المالية ؟

غير انه ينبغي بعد ان قطعنا هذا الشوط في نشر التعليم ، ان نقوّم اثره وجدواه في رفع مستوى كل مواطن ، فنثير من بين الاسئـلة الكثيرة التي يمكن ان تثار ، من يتعلم في لبنان، والى اي مدى يعم التعليم طبقات المجتمع المختلفة ؟ ذلك أن العامل المادي يبقى عائقا اساسيا لفئة كبيرة من الناس عن الاقبال على العلم، وإنْ توافر التعليم المجاني بفتح المدارس الحكومية، كما ان الاستعداد النفسي – الاجتماعي لتقبل العلم من حيث هو قيمة اجتماعية يختلف من طبقة الى طبقة.

وهكذا فان نهضة المجتمع عن طريق التربية مرتبطة بعاملين رئيسيين،العامل الاقتصادي والعامل النفسي – الاجتماعي. فينبغي اولا ان تتوافر القدرة على تحمل النفقات المادية والتضحية بدخل الاحداث في اثناء دراستهم . وثانيا ، ان عملية التعلم طويلة ، فلا نلمس جدواها في المدى القصير لما تتطلبه من تضحيات بانتظار الموعد الذي يتسنى فيه للدارس ان يستخدم علمه في العمل وكسب الرزق. ولذلك فلكي ينجح المجهود التربوي على صعيد عام ، ينبغي ان يتوافر الحافز على ضبط النفس والتضحية بالمتعة الهينـة المباشرة ، او تأجيلها على امل التنعم بمتعة اعمق واتم في المستقبل . وانما يبدو ان الاستعداد لمثـــل هذه التضحية والايمان بجدوى التربيـة في تحسين الحياة مرتبطان الى حد كبير بوضع المرء في سلم الطبقات الاجتماعية . ولذلك كان الوضع الطبقي ، كما اظهرت كثير من الدراسات في اميركا واوروبا ، عاملا رئيسيا في تقرير نسبـة الاقبال على العلم ، وبالتالي في مستقبل البنية الاجتماعية .

ويشيع الاعتقاد بان التربية في لبنان قيمة عامـــة ، تجمع الهيئات المختلفة

المكانة الطبقية والاقبال على العلم في لبنان

نعيم ن. عطية

منذ مطلع الاستقلال اللبناني عام ١٩٤٣ والدولة اللبنانية مجدة ، على الرغم من العوائق الاقتصادية والسياسية، في نشر التعليم ورفع مستواه في انحاء الوطن المختلفة ، موقنة ان التربية من الوسائل الرئيسية للاصلاح الاجتماعي ، على ان تقصد الى تعزيز الشخصية وبنـــاء الشعور بالكرامـــة الفردية ، عن طريق الثقافة وتنمية القدرة على الانتاج الاقتصادي والاهلية للحياة الاجتماعية الطيبة. فالنهضة الاجتماعية السليمة لا تقتصر على طائفــة معينة، او نخبة تدّعي الأهلية للقيادة ، بل تمتد في ثنايا المجتمع متخطية الحواجز التقليدية . ولا شك في ان النظرة التي تكمن وراء هذا الاتجاه نظرة اجتماعية تقدمية ، ترمي الى الارتقاء بالمواطنين في عامتهم ، وتحريرهم من مساوىء الاقطـاع الاقتصادي والسياسي ، ورفعهم بالتالي الى مستوى كرامة المواطنة .

ولقد توافر جو نفسي – اجتماعي صالح في مطلع الاستقلال في لبنـان لتقبل العلم ، فاقبل اللبنانيون عليه اقبالا لم يسبق له مثيل ، تدفعهم الى ذلك عوامل مختلفة ، من اهمها الرغبة في بلوغ الاهلية لتسلم الوظائف الحكومية العامة وتولي الأعمال التجارية الخاصة ، وبالتالي تحسين وضعهم المادي والاجتماعي .

واستجابت الحكومات المتتالية لاقبال المواطنين على العلم ، فاتبعت سياسة رحبة في اقامة المدارس على نطـاق واسع ، وسهلت بذلك على الالوف اكتساب

بيان «١» المستوى الثقافي ومعدل الدخل للذكور الذين يتفاوت سنهم بين ٢٢ و ٢٤ في سنة ١٩٤٩

مستوى الثقافة	الدخل الحاصل
لا دراسة	١٣٥٩ دولاراً
١–٤ سنوات في الابتدائية	١٦٢٥ »
٥–٧ سنوات في الابتدائية	٢١٣٥ »
٧ سنوات في الابتدائية	٢٦٨٥ »
١–٣ سنوات في الثانوية	٣١٠٣ »
٤ سنوات في الثانوية	٣١٥٦ »
١–٣ سنوات في الكلية	٣٨٧٨ »
٤ سنوات او اكثر في الكلية	٥٧٢٤ »

فيبدو جليا في هذا البيان ان الدخل يرتفع طرداً بارتفاع المستوى الثقافي. وطبعا، من المفيد جدا ان نكوّن فكرة عن مستوى الدخل العالي في الفئات غير المتعلمة، لنكون على بينة من عوامله. وفي مجتمع يقوم اقتصاده على المجهود الحر كالمجتمع الاميركي، قد نجد ان اكثر هؤلاء يزاولون الاعمال التجارية حيث يدخل الاقدام وعامل المصادفة والفرصة المؤاتية في بلوغ مراتبهم، او انهم قد ورثوا ثروة كبيرة اتاحت لهم ان ينطلقوا في اعمال تجارية او صناعية كبيرة. وانما نجد في البيان المثبت اعلاه ان النسبة العليا من الفئة غير المتعلمة تقع في المستوى الادنى من الدخل.

وليس هناك دراسة مماثلة عن الوضع في لبنان، غير انه من المحتمل جدا الا نجد مثل هذه العلاقة بين المستوى الثقافي والدخل، لانه ليس للكثيرين من اصحاب الدخول الكبرى ثقافة عالية. وانما نلحظ ان العلم يصبح تدريجيا في لبنان بابا جديدا لتحسين المستوى المالي، وبالتالي لرفع المكانة الاجتماعية. فاذا ما اخذنا فئة المتعلمين وحدهم، ربما وجدنا ان الثقافة قد اتاحت لهم فرصة الارتقاء المالي والاجتماعي وان مستوى هذا الارتقاء متلازم مع مستوى الثقافة.

عليها كوسيلة ناجعـــة لتحسين الحياة ، وذلك بدليل الاقبال التلقائي على العلم دون اي ضغط او الزام . كما يشيع الاعتقاد بان التعليم يعم الطبقـات المختلفة ، فيتيح بالتالي الفرصة للارتقاء الاجتماعي وتخطي الجمود الطبقي وحواجره . على ان معظم البحوث في هذا الحقل ، في بلدان سبقت لبنان في تطورها ، تعاكس هذا الاعتقـاد وتثبت وجود علاقة بين الاقبـــال على العلم والوضع الطبقي في المجتمع .

ولذلك فمن المفيد لنا في لبنان ان نتبين حقيقة الواقع ، بطريقة موضوعية ، فنرى الى اي مدى يقبل اللبنانيون على العلم في نظامنا الحالي الحر ، والى أي مدى يجتذب التعليم في مستوييه الابتـدائي والثانوي الطبقـــات الاجتماعية — الاقتصادية المختلفة ، ويساعد بالتالي على تجاوز الحدود الطبقية التقليدية .

لمحة تاريخيـــة عن بعض البحوث في هذا الحقل

ليس في لبنان اية دراسة علمية ماضيـة عن وضع التعليم بالنسبـة الى التوزع الطبقي فيه . ومن الاسبـاب الرئيسية لذلك انه لم يكن لدينـــا وسيلة علمية جاهزة لدراسة التوزع الطبقي . لكننا على سبيل المثـــال نود ان نعرض بعض هذه الدراسات في المجتمعـــات الاخرى ، لنقرر ما لها من شأن في التخطيط التربوي .

ففي دراسة للبرفسور « كورت مـاير » في اميركا عن العلاقة بين المستوى الثقافي الحاصل وتنوع المهنة التي يزاولها الفرد ، نجد ان حوالي ٩٥٪ من الذين نالوا خمس سنوات من الدراسة او اقـــل ، و ٨٣٪ من الذين اقتصروا على المدرسة الابتدائية يزاولون اعمالا لا تحتاج الى حذق خاص . اما خريجو المدرسة الثانوية فتتفاوت وظائفهم بين الاعمال اليدوية والاعمال المكتبية . والذين دخلوا الكلية دون ان يتخرجوا يملأون في الغالب الوظائف السكرتيرية او الادارية ، بينما يملأ خريجو الكليات المناصب المهنية الحرة والوظائف الفنية التقنية .

ونرى في الدراسة نفسها العلاقة بين دخول افراد هذه الفئـــات ومستوى ثقافتهم ، كما يدل البيان التالي :

اي ان نسبة الملتحقين منهم بالجامعات تزيد او تنقص وفقاً للدخل العائلي.

وفي دراسة اخرى ، على صعيد التعليم الثانوي ، قامت بها دائرة المعارف في ولاية بنسلفانيا على فئة مؤلفة من ٩١٠ طلاب ، يفوق حاصل ذكائهم ١١٠ ، وينتمون الى طبقتين اجتماعيتين ، طبقة عليا وطبقة دنيا ، ظهرت النتائج التالية :

بيان «٣» الطبقة الاجتماعية ونسبة التخرج من المدرسة الثانوية ومتابعة التعليم العالي

الطبقة الاجتماعية	النسبة المئوية لخريجي الثانوية	النسبة المئوية للذين تابعوا التعليم العالي
العليا	٩٢ ٪	٥٧ ٪
الدنيا	٧٢ ٪	١٣ ٪

فيبدو من هذه الدراسة ايضا ان هناك تلازما بارزا بين المستوى الثقافي الحاصل والطبقة الاجتماعية ، اذ ان نسبة الطلاب الملتحقين بالدراسة الثانوية هي اقل في الطبقات الدنيا منها في الطبقات العليا ، وكذلك في التعليم العالي .

ويمكننا ان نستخرج من هذه الدراسات نتيجتين : اولا ان درجة الثقافة تؤثر في الدخل الفردي العام، فيحصل اصحاب الدرجات العلمية العالية، ولا سيما الجامعية منها ، على دخول اعلى ، وثانيا ، ان القدرة على متابعة التعلم تتأثر كثيرا بمستوى الدخل العائلي ومستوى الطبقة الاجتماعية . ومعنى ذلك ان ابناء الطبقات الدنيا يظلون متخلفين في تدرجهم الاجتماعي من طبقتهم الى طبقة اعلى، لان تنمية الدخل تحتاج الى ثقافة ، وتنمية الثقافة بدورها تتطلب مسبقا توافر دخل عالٍ .

ولا يقتصر اثر الوضع الطبقي على عدد السنوات التي يقضيها الطالب في المدرسة ، بل يتعدى ذلك الى نوع الدراسة التي يختارها ونوع اهتمامه بالقضايا العلمية . وذلك ان النفسية التي يربى عليها الاولاد تختلف من طبقة الى طبقة .

ولكننا نشك في ان يصح هذا التلازم على الصعيد العام، لان كثيرين من اصحاب الدخول الكبيرة لا يتمتعون بثقافة عالية . وطبعا يبقى هذا الوصف من باب الرأي والافتراض ، ما لم نحاول اثباته بالكشف عن الوضع القائم .

أثر الدخل العائلي في المستوى الثقافي : ونتيجة للتلازم بين المستوى الثقافي والدخل الفردي ، لا بد من ان نجد رغبة عامة لدى صفوف الشعب في التعلّم ومتابعة الدراسات العالية . وطبيعي ان يكون الذكاء الفطري ، او الطاقة العقلية على متابعة الدراسة، من العوامل التي تؤثر في المستوى الذي يتاح للفرد ان يبلغه ، ولكن نجد ان القدرة على متابعة الدراسة العالية حتى في المجتمع الاميركي تتأثر بدخل العائلة واستطاعتها في تحمل المسؤوليات المالية التي تترتب عن ذلك. واثباتا لذلك ، قامت دراسة في ميلواكي ، من اعمال اميركا ، عن العلاقة بين الدراسة العالية والدخل العائلي ، فلاحق القائمون على هذه الدراسة فئة تتألف من ١٠٢٣ خريجا ثانويا ، يتمتعون بحاصل ذكاء يتراوح بين ١١٧ و ١٤٠ ، اي ان مستوى الذكاء فيها يؤهلها فكريا ، بلا شك ، لمتابعة الدراسة العالية ، فكانت نسبة المتابعة كما يلي :

بيان «٢» النسبة المئوية للطلاب الذين تابعوا الدراسة الجامعية والدخل العائلي

الدخل العائلي	النسبة المئوية للطلاب
٨٠٠٠ دولار وما فوق	١٠٠ ٪
٥٠٠٠ — ٧٩٩٩	٩٢ ٪
٣٠٠٠ — ٤٩٩٩	٧٣ ٪
٢٠٠٠ — ٢٩٩٩	٤٤ ٪
١٥٠٠ — ١٩٩٩	٢٩ ٪
١٠٠٠ — ١٤٩٩	٢٥،٥ ٪
٥٠٠ — ٩٩٩	٢٢ ٪
اقل من ٥٠٠ دولار	٢٠ ٪

اهمها ان يكون هذا الجمهور ممثلا للوضع اللبناني العام من حيث تركيب السكان ، وطوائفهم ، وامكانياتهم الاقتصادية . كما ينبغي ان يكون صغيرا نسبيا حتى لا يصعب تصنيفه الى طبقات اجتماعية متمايزة ، وان يكون التعليم المجاني موفوراً فيه لمن يريد ، حتى نستطيع ان نكشف نسبة التخلف عن الدراسة اذا كان هناك من تخلف ، على الرغم من توافر التعليم المجاني .

ولكنه يصعب العثور على بلدة تمثل الوضع العام في لبنان من حيث التركيب الطائفي ، او نوع الاقتصاد السائد . فتقسم تجمعات السكان في لبنان الى فئات عدة ، منها ما يشمل مسيحيين فقط ومنها ما يشمل مسلمين فقط ، ومنها ما يشمل دروزا فقط ، ومنها ما يضم مزيجا من هؤلاء ، مع اكثرية مسيحية تارة او اكثرية مسلمة او درزية طورا .

ومن الوجهة الاقتصادية ، يقوم بعض هذه التجمعات على الزراعة ، ومنها ما يقوم على التجارة ، او الصناعات الصغيرة ، ومنها ما يشمل مزيجا منها . كما ان منها ما هو مدني ، ومنها ما هو ريفي ، ومنها ما هو بين بين . فتم الرأي على ان تقوم الدراسة على عدة قرى او بلدان يمثل كل منها فريقا من هذه التجمعات، اذ يتعذر ان نجد تجمعا منفردا يختصر المميزات الرئيسية للمجتمع اللبناني عامة ويشملها . وكخطوة اولى ، وقع الاختيار على بلدة في شمال لبنان ، اطلق عليها اسم « كفر أرز » ، كاسم مستعار يخفي هوية البلدة الحقيقية . وهي بلدة ريفية، اكسبها قربها من مدينة طرابلس طابعا شبه مدني ، لسهولة الانتقال وقيام علاقات تجارية بينهما . فهي اذن لا ريفية ، ولا مدنية ، بل بين بين . وانما من الجدير ان نذكر ان معظم سكان « كفر أرز » من المسيحيين الارثوذكس .

ولا يهمنا في هذا المقال ان نفصّل تفصيلاً اوفى شؤون « كفرأرز » فاننا نحفظه لمقال آخر نأمل ان يصدر فيما بعد . وانما يهمنا ان « كفرأرز » تضم عدة مدارس ابتدائية حكومية وخاصة ، ومدرسة تكميلية حكومية ومدرسة تكميلية خاصة ومدرسة ثانوية خاصة . وفي القرى المجاورة بعض المدارس الابتدائية والثانوية التي يدرس فيها عدد من طلاب هذه البلدة .

الوضع الطبقي والاقبال على العلم في لبنان

تنطلق هده الدراسة من مسلمّة اساسية ، وهي ان الوضع الطبقي ، من اجتماعي واقتصادي ، عامل رئيسي في مدى اقبال اللنانيين على التعلم المدرسي وعرمهم على متابعته في المراحل المتتالية . ولما كان الوصع الطبقي غير متكافيء في المجتمع اللنناني ، فلا بد من ان يقوم تلازم وثيق بين المرتبة الطبقية ومتابعة الدراسة ، اي ان اولاد الطبقات الاجتماعية المختلفة لا يقبلون على العلم بالنسبة نفسها ، وان مدة الدراسة تتأثر بالمكانة الطبقية . وقد يصعب ان نقرر السبب في ذلك . أهو الموقف النفسي في كل طبقة تجاه العلم ، ام هو العامل المالي الدي لا يتوافر بنسبة متكافئة في مجتمعنا .

ولكي نتمكن من اثبات العلاقة بين المرتبة الاجتماعية والمتابعة الدراسية ، يجب ان نجمع معلومات اساسية في ضوء السؤال التالي : [١]

من جمهور التلاميذ المؤهلين سنا للدراسة ، ماهي نسبة الدين ينتسبون من كل طبقة اجتماعية : (أ) الى مدرسة ابتدائية ، (ب) الى مدرسة ثانوية ؟

ولما كان للمرأة وضع خاص في المجتمعات الشرقية ، فيمكننا ان نسأل السؤال نفسه بالنسبة الى الذكور والاناث ، فنرى أهناك فرق في موقف الاهل من تعليم كل من الفتى والفتاة . ويمكن ان نصوغ السؤال كما يلي :

من جمهور الذكور والاناث المؤهلين سناً للدراسة ، ما هي نسبة الدين ينتسبون في كل طبقة اجتماعية (أ). الى مدرسة ابتدائية ، (ب) الى مدرسة ثانوية ؟

اسلوب الدراسة

في دراسة كهده ترمي الى استخراج نتائج قابلة للتعميم ، ينبغي ان يتم اختيار الجمهور الدي تجري الدراسة عليه (جمهور الدراسة) في ضوء اعتبارات عديدة ،

١) لقدتمت هده الدراسة بفضل منحة من مؤسسة الاخوان روكفلر (Rockfeller Brothers Fund) ، عائدة الى دائرة التربية في الجامعة الاميركية ، وقد قام بها باشراف كاتب هدا المقال الاستاد فؤاد خوري . كجزء من رسالته للحصول على ماجيستر في التربية في سنة ١٩٦١ – ١٩٦٢ .

فالفئة ١٨ وما فوق تضم الطلاب الذين يفوق عمرهم الثامنة عشرة وما زالوا في التعليم الثانوي ، كما ان الذين يفوق عمرهم الحـــادية عشرة وما زالوا في التعليم الابتدائي ، ضموا الى الجمهور الابتدائي . ويجدر بالذكر انه في الوقت الذي تمت فيه الدراسة لم يكن احد من الجمهور الابتدائي تحت السادسة .

التصنيف الطبقي :

اعتمدت هذه الدراسة في تصنيف الـ ١٨٠ عـــائلة ، طبقيا ، طريقة تسمى « طريقة توافق الحكام » ؛ وهي تعتمد على تحكيم عـدد يوازي ٢٠ ./١ من جمهور العائلات المشمولة ، في عدد الطبقات الاجتماعية ومرتبة كل منها . فيكتب اسم كل عائلة على بطاقة منفردة ، وتعطى مجموعة البطاقات الى كل حاكم ويطلب اليه ان يصنفها الى فئات، جامعا في كل منها الاسماء التي يعتقد انها متساوية في المكانة فقد يقسمهـا بعضهم الى ثلاث فئات ، وبعضهم الى خمس فئات او ست ، ولكن العدد الذي يعتمد نهائيا هو العدد الذي يحظى باجمـــاع الحكام او بأكثريتهم الغالبة، فيكوّن عدد الطبقات في هذا الجمهور . ومن ثم تعاد مجموعة الاسماء الى الحكام ، ويطلب اليهم ان يوزعوا الاسماء الى مجموعـــات توازي عدد الطبقات المعتمد نهائيـــا ، وان يعينوا مرتبة كل مجموعـــة بالنسبـة الى الاخرى ، كي تقرر في ضوء ذلك سلم المراتب الاجتماعية في جمهور الدراسة . وطبعا سيختلف الحكام فيما بينهم على تصنيف اسم من الاسماء ، فيلحق ذلك الاسم بالطبقة التي تجمع عليها غالبية الحكام . ونتيجة لذلك ، حصل التوزيع الطبقي التالي :[١]

بيان «٥» التوزع الطبقي في « كفرأرر » بحسب تقديرات عشرة حكام بالعلامات

العلامة	الطبقة	عدد العائلات
١٠٠٠ — ١٠٥٠	اولى	٨
١٠٥١ — ٢٠٥٠	ثانية	٣٩
٢٠٥١ — ٣٠٥٠	ثالثة	٨٦
٣٠٥١ — ٤٠٠٠	رابعة	٤٧

١) ان التفاصيل لطريقة التوزيع الطبقي ستظهر في مقال آخر ، هو في طور الاعداد ، حيث يمكن للقارىء ان يدقق في المسلمات التي ترتكز عليها هذه الطريقة وفي صحة النتائج .

جمهور الدراسة :

يضم جمهور هذه الدراسة جميع الاولاد الدين يفترض فيهم بحكم السن ان يكونوا في المدارس ، بحسب التحديد القـــانوني لسن التعليم ، فيتراوح جمهور الدين يخولهم سنهم دخول المدرسة الابتدائية بين الســـادسة والحادية عشرة ، ويتراوح الجمهور الثانوي بين الثانية عشرة والثامنة عشرة ، كما شملت الدراسة الطلاب المنتسبين عندئد ، وان تجاوزت سنهم الحدود الموضوعة او تدنت عنها . اما الاولاد الدين لا يسكنون في « كفرأرر » مند مدة طويلة ولا يدرسون فيها ، فلم تشملهم الدراسة ، لانه يصعب تحديد وضعهم الاجتماعي بالنسبة الى البلدة .

فبعد هذه الاعتبارات تكوّن جمهور الدراسة من ٥٨٨ طالبا ينتمون الى ١٧٠ عائلة ، وينقسمون بالنسبة الى السن والجنس كما يلي .

بيان« ٤ » جمهور طلاب « كفرأرر » المؤهلين للتعليم الابتدائي والثانوي بحسب السن والجنس

السن	الذكور	الاناث	المجموع
٦	١٧	١٩	٣٦
٧	٢١	١٥	٣٦
٨	١٨	٢١	٣٩
٩	٢٨	١٣	٤١
١٠	٢٦	٢١	٤٧
١١	٣٤	١٥	٤٩
١٢	٣١	٢٤	٥٥
١٣	٢٦	٢٧	٥٣
١٤	١٨	٢٠	٣٨
١٥	٢٠	٢٥	٤٥
١٦	٢٦	١٣	٣٩
١٧	١٥	١٤	٢٩
١٨	١٨	٢٩	٤٧
فوق ١٨	١٨	١٦	٣٤
	٣١٦	٢٧٢	٥٨٨

فهو يخرج عن حدود السلامة للاحتمال الاتفاقي بمستوى ١٪ .[١]

ومعنى ذلك ان ١٧ ٪ من مجموع الجمهور الابتدائي لا يحظون بتعليم ابتدائي ، او انهم ينالون جزءا ضئيلا منه، و ٣٨٪ من مجموع الثانوي، لا ينتسبون الى مدرسة ثانوية ، او انهم ينتسبون اليها مدة قصيرة وحسب .

وبالنسبة الى الوضع الطبقي ، نجد ان اولاد الطبقات الثلاث العليا ينتسبون الى المدرسة الابتدائية بنسبة تقرب من ٩٠ ٪ وما فوق ، بينما الطبقة الرابعة والدنيا لا تتجاوز نسبة الـ ٧٤ ٪. والفرق بين نسبة هذه الطبقة ونسبة الطبقة الثالثة يفوق الفرق الاتفاقي الذي يمكن ان يحدث مصادفة، فهو يخرج عن حدود السلامه للاحتمال الاتفاقي بمستوى ٥ ٪ ، فنرجح انه فرق حقيقي .

كما ان الفرق بين الطبقة الرابعة والطبقتين الاولى والثانية معا يخرج عن حدود السلامة للاحتمال الاتفاقي بمستوى ١ ٪ ولذلك نرجح كثيرا ان الفرق بين الطبقة الدنيا والطبقات العليا فرق حقيقي .

اما في المستوى الثانوي ، فان الطبقتين الاولى والثانية متقاربتان في النسبة، ولكنهما يفوقان بمستوى ١ ٪ نسبة الطبقة الثالثة ونسبة الطبقة الرابعة ، كما ان الطبقة الثالثة تفوق الرابعة بمستوى ١ ٪ ايضا . فهنالك فروق واضحة اذن في

١) تم امتحان جميع الفروق في هذه الدراسة بتطبيق امتحان (t) للنسب بمستوى ٥ ٪ للسلامة. وامتحان (t) هو طريقة احصائية تستند الى نظرية الاحتمال، غرضها ان تبين النسبة المئوية لامكان اختلاف كمية ما عن الصفر بعامل المصادفة ، فيقرر الباحث في ضوء ذلك هل يحتمل ان يكون الفرق الذي حصل عليه في دراسته فرقاً اتفاقياً او يرجح انه فرق فعلي يرد الى سبب ما . ويتفق علماء الاحصاء على جعل ٥ ٪ حداً لسلامة الاحتمال الاتفاقي ، اي اذا كان مثل الفرق الحاصل في الدراسة قد يحدث بنسبة ٥ ٪ او اقل اتفاقاً ، يرجح انه فرق فعلي ، لان عامل المصادفة يكون ضعيفا ، مع الادراك بان هذا الاستنتاج قد يكون مخطئاً بنسبة ٥ ٪ او اقل. واذا كانت هذه النسبة تفوق ٥ ٪ يتحذر الباحث من رد الفرق الى سبب فعلي، متخوفاً من احتمال حدوثه بعامل المصادفة. وعندما يخرج الفرق عن حدود السلامة للاحتمال الاتفاقي بمستوى ٥ ٪ او ١ ٪ ، نقبل به كفرق فعلي عن الصفر ، على ان مثل هذا الفرق قد يحدث ، بحسب نظرية الاحتمال ، بنسبة ٥ ٪ او ١ ٪ بعامل المصادفة .

فيبدو ان في « كفرأرر » اربع طبقات اجتماعيــة ـ اقتصادية ، تختلف في المرتبة ، وتمثل الاولى العائلات النـــافذة في البلدة، جامعة الى ذلك التاريخ العائلي ، وتمثل الثانية اصحاب المهن الحرة وكبار الملاكين والتجــار وخريجي المعاهد العالية ، وتمثل الثالثـــة عامة الملاكين واصحاب التجارات الصغيرة ، والرابعة صغار الملاكين واصحاب الحرف .

الانتساب المدرسي والمرتبة الطبقية :

ومن ثم احصي الطلاب المؤهلون للدراسة في كل طبقة احتماعية ، والمنتسون منهم فعليا ، فكانت النتائح كما يلي

بيان «٦» النسبة المئوية للطلاب المنتسبين للتعليم الابتدائي والثانوي
في كل طبقة اجتماعية من « كفرأرر »

الطبقة الاحتماعية	المدرسة الابتدائية			المدرسة الثانوية		
	المؤهلون سناً	المنتسبون	٪	المؤهلون سناً	المنتسبون	٪
اولى	٩	٩	١٠٠	٧	٦	٨٦
ثانية	٥٦	٤٨	٨٦	٦٧	٦٠	٨٩
ثالثة	١١٠	٩٦	٨٧	١٦٧	١١١	٦٦
رابعة	٧٢	٥٣	٧٤	٩٨	٣٥	٣٦
المجموع	٢٤٧	٢٠٦	٪٨٣	٣٣٩	٢	٪٦٢

فيظهر من هذا البيان ان ٨٣٪ من الذين هم في سن الدراسة الابتدائية ينتسبون لمدرسة ابتدائيـــة ، و٦٢ ٪ فقط من الذين هم في سن الدراسة الثانوية ينتسبون لمدرسة ثانوية . والفرق بين النسبتين يفوق الفرق الذي يمكن ان يحدث مصادفة ،

بيان «٧» النسبة المئوية للدكور والاناث الدين يلتحقون من كل طبقة احتماعية في « كفرأرز » بالتعليم الابتدائي

الطبقة الاحتماعية	الدكور المحولون	الدكور المتسمون	النسبة المئوية	الاناث المحولات	الاناث المتسمات	النسبة المئوية
اولى	٥	٥	١٠٠٪	٤	٤	١٠٠٪
ثانية	٣٢	٢٥	٧٨	٢٤	٢٣	٩٦
ثالثة	٥٨	٥٠	٨٦	٥٢	٤٦	٨٨
رابعة	٤٧	٤٠	٨٥	٢٥	١٣	٥٢

فالفروق بين نسب الدكور من طبقة الى طبقة لا تخرج عن حدود السلامة للاحتمال الاتفاقي ، كما يبين امتحان « ت » الاحصائى ، اي ان الفروق بينهـــا في الارجح فروق ناتجة بعـــامل المصادفة ، فيمكن اهمالها . والفروق بين نسب الاناث في الطبقات العليا ايضا فروق يمكن اهمالها، اما الفرق بين كل منها ونسبة الطبقة الرابعة فيخرج عن حدود السلامة للاحتمال الاتفاقي ، اي انه فرق قلمــا حدث اتفاقا . فهو فرق فعلي بمستوى ١ ٪ . اي ان آباء الطبقة الرابعة لا يميلون الى تعليم بناتهم كآباء الطبقات الاخرى .

وكذلك فان الفرق بين نسبة الدكور ونسبة الاناث في الطبقة الرابعة هو فرق قلما حدث بعامل الاتفاق ، فهو فرق فعلي بمستوى ١ ٪ ، ويدل في الارجح على ميل آباء الطبقة الرابعة الى تعليم الدكور من اولادهم في المدرسة الابتدائية اكثر من الاناث .

وبالنسبة الى التعليم الثانوي ، كان التوزع كما يلي :

بيان «٨» النسبة المئوية للدكور والاناث الدين يلتحقون من كل طبقة اجتماعية في « كفرأرز » بالتعليم الثانوي

الطبقة الاحتماعية	الدكور المحولون	الدكور المتسمون	النسبة المئوية	الاناث المحولات	الاناث المتسمات	النسبة المئوية
اولى	٤	٣	٧٥٪	٣	٣	١٠٠٪
ثانية	٣٨	٣٥	٩٢	٣١	٢٥	٨١
ثالثة	٨٢	٥٧	٦٩	٨٥	٥٤	٦٣
رابعة	٥٣	٢٢	٤١	٤٥	١٣	٢٩

نسبة الانتساب من طبقة الى طبقة ، لمصلحة العليا منها في المرتبة .

واذا ما قارنا هذه النتيجة بالنسبة العامة للانتساب الثانوي وجدنا ان التدني في هذه النسبة عما كانت عليه في الانتساب الابتدائي يتم على حساب الطبقات التي في الجزء الادنى من السلم ، ولا سيما الطبقة الرابعة .

وقد يعزى هذا التدني العام في الانتساب الثانوي ، وخصوصا انه متلازم مع المرتبة الطبقية ، الى عدم وجود مدرسة ثانوية حكومية في « كفرأرر » توفر التعليم المجاني . ولذلك فلا ينبغي ان نفسر هذا التدني على انه دلالة على عدم اكتراث الطبقات الدنيا بالعلوم العالية . فلكي تدل نسبة الانتساب على الموقف النفسي تجاه العلم ، يجب ان يزاح العبء المالي الذي تتطلبه الدراسة ، او ان يخفف على الاقل .

ومهما يكن من امر ، فيمكننا ان نقرر ، مع التحفظات الضرورية ، ١ً ان الاقبال على المدرسة الابتدائية في « كفرأرر » ليس متساويا بين جميع الطبقات ، ٢ً وان ابناء الطبقة الرابعة اقل اقبالا من غيرهم ، على الرغم من أن التعليم المجاني متاح . كما يمكننا ان نقرر ٣ً ان الاقبال على المدرسة الثانوية اقل منه على المدرسة الابتدائية ، رغم توافر مناخ اجتماعي صالح في « كفر أرر » ، ٤ً وان نسبة الاقبال تختلف من طبقة الى طبقة وانها مرتبطة بمرتبة الطبقة ، اي ان نسبة الاقبال على العلم تزداد بارتفاع مكانة الطبقة ، وتتدنى بتدنيها .

نسبة الذكور والاناث :

ومن المفيد ان ندرس نصيب كل من الذكور والاناث في الطبقات المختلفة من التعليم الابتدائي والثانوي . ففي التعليم الابتدائي ، نجد ان الذكور والاناث يتوزعون كما يلي :

فبقدر ما يبعد العلم عن مواطن الحاجة وامكان اشباعها، يعظم الشعور بالتضحية التي يتطلبها ، وتخف الرغبة في طلبه .

ولذلك فاذا كنا لا نزال حريصين على اعداد اللبنانيين لحياة اجتماعية راقية ، تقوم على عزة الشخصية وكرامة الفرد ، كما ينص منهاج التعليم في لبنان ، ينبغي ان نساعد الطبقات التي يقل استعدادها لطلب العلم على تحويل موقفها ، اولا ، باعتماد التعليم الاحباري، مبدأ وفعلا ، ثانيا ، بربط المدرسة والمجتمع ، فلا يشعر التلميذ بالتفاهة وعدم الجدوى فيما يتعلم، بل ينصرف لبناء نفسه عن طريق الخبرة الفعلية الحية .

ويبقى ان « كفرأرر » لا تمثل المجتمع اللبناني ككل ، وان كانت تمثل المجتمع الريفي المتطور منه ، بما فيه قرى جبل لبنان وبعض قرى الشمال . فهي على وجه العموم منطقة متقدمة ، آخذة بالتطور والازدهار . ولذلك فان نسبة التعليم في المناطق التي تقل عنها تطورا ، وهي كثيرة ، نسبة ادنى ؛ واكبر الظن ان الطبقات دون الوسطى اقل حظا بكثير منها في «كفرأرر» في الحصول على ثقافة مؤهلة لحياة افضل. ويمكننا ان نرجح، في ضوء ذلك، ان البنية الاجتماعية في لبنان، وان شهدنا تقدما في المستوى العام بالنسبة الى الماضي، ستبقى هي هي لسنوات طويلة . فالانتقال من طبقة الى طبقة ، ولا سيما من الطبقات الدنيا الى الطبقات العليا ، ما يزال محدودا .

ومن الطريف ان التربية في لبنان تستهدف بناء الشخصية العزيزة ، فتجعل كرامة الفرد اللبناني مبدأ رئيساً في التخطيط النظري لتطوير التعليم . اي انها تجعل نمو الفرد المحك الاعلى للتنظيم الاجتماعي وصلاحه ، واحدى غايات التربية الخطيرة فيه . ولكننا نلحظ لسوء الحظ ، وذلك لضرورة التدرج في النمو الحضاري ، ان التعليم الابتدائي ، وهو التعليم المعد لرفع العامة الى مستوى المواطن المتنور الكريم ، مؤتمن لما يسمى ، صوابا ، معلمي الضرورة ، وهم في جملتهم فئة تخضع لتدريب مهني مستعجل ، لا يتجاوز مستوى التعليم الثانوي ،

ان امتحان « t » الاحصائي اظهر ان الفروق في نسبة الذكور والاناث في الطبقات الاربع فروق لا تخرج عن حدود السلامة للاحتمال الاتفاقي ، اي انه يحتمل ان تحدث بعامل المصادفة ، فيمكن اهمالها . وذلك يعني ان الطبقات الاربع لا تقدّم تعليم الذكور في المستوى الثانوي على تعليم الاناث او العكس ، بل تعلمهم بالنسبة نفسها .

تعليق

قد لا نحتاج الى دراسة احصائية كي نتحقق من ان عدداً كبيرا من جمهور الاحداث في لبنان لا يدخل المدرسة . فهذا امر معروف لدى المهتمين بقضايا التربية ، ويقدر عدد المتخلفين عن الدراسة الابتدائية في هذه الفترة بستين الفا ، رغم الجهود الجبارة التي تبذل لتعميم التعليم . اما ما يهمنا في الامر فهو ان ندرس استعداد الطبقات المختلفة للاقبال على العلم في بيئة تتوافر فيها تسهيلات جمّة ، من وجود المدارس الحكومية والخاصة الى توافر المناخ الاجتماعي الصالح والتهيوء النفسي لتقبل العلم. وقد تبين لنا انه لا يمكننا ان نركن كثيراً الى فكرة الاستعداد التلقائي ، فالطبقات الدنيا، كما هي الحال في «كمرآرز »، لا تقبل على العلم بنسبة الطبقات العليا ، وإن اتيح التعليم المجاني لها . فهناك عوامل اخرى ، غير القسط المدرسي ، تؤثر في موقفها من اكتساب العلم . اولا ، قد يحتاج آباء الطبقات الدنيا الى مساعدة اولادهم لهم في رفع مستوى المعيشة في الأسرة ، فيلزمونهم بالعمل لكسب الرزق. كما تلزم الامهات بناتهن بالبقاء في البيت من اجل المساعدة في الاعمال المنزلية .

ويجب ألا نغفل الموقف النفسي العام الذي قد يسيطر في هذه الطبقات ؛ ان مستوى الثقافة فيها ضعيف ، فلا يشعر الولد بالحافز القوي للدراسة ، واذا توفر الحافز لديه، فقلما ينال تشجيعا كافيا من ذويه ، فلا يلبث العلم ان يفقد مكانته في نظره، ويسقط من سلم قيمه. ومهما قوي الحافز على طلب العلم، فان طول الزمن قبل التمكن من الارتواء والاستفادة من نتائجه ، يحد من الرغبة في الاقبال عليه . وعدا ذلك، فمن يكفل النجاح في الامتحانات الرسمية، بعد كل الجهد والتضحية؟

Hollingshead. A B. *Elmtown's Youth* New York. John Siley & Sons. Inc. 1949

Khuri, Fuad, *Education As a Function of Social Stratification in Cedarstown.* Unpublished M.A. Thesis. Department of Education, American University of Beirut.

Mayer, Kurt, *Class and Society*, New York. Random House Inc., 1955.

Warner, L.W., *Who Shall Be Educated ?* New York. Harper & Brothers, 1944.

فيتخرجون للاضطلاع بمسؤوليات التعليم الابتدائي ولم يتعدوا سن العشرين ، دون ان تكون لهم الخبرة الكافية والنضج الراسخ ، لتعهد الاجيال الناشئة بالعناية والارشاد والتوجيه ، وبث روح العزة وبنائها فيهم .

كما انهم لا يقوون لحداثة سنهم وموقف الرأي العام من مهنة المعلم الابتدائي ، على القيام بما يطلب اليهم من تأثير في البيئة التي يعملون فيها وخلق الاتجاهات الفكرية السليمة .

واكبر الظن ان معظم معلمي المدرسة الابتدائية هم من الطبقات الاجتماعية دون الوسطى ، التي لا تحمل في سرها صورة ايجابية عن ذاتها ، بل تشعر بشيء من الضعة ، ويعوزها الشعور بالثقة بالنفس والاطمئنان لمقامها الاجتماعي ، رغم الديمقراطية التي قد تسود محيطها في الظاهر . فلن تستطيع هذه الفئة من المعلمين ان تبني العزة النفسية التي ينشدها منهاج التعليم في لبنان ، او ان تقوم بدور القائد في مجتمع ما يزال يعطي المكانة الاجتماعية - الاقتصادية ، لا الافكار في ذاتها ، الاهتمام الاول .

ان بناء الديمقراطية يتطلب جعل الفرد ، كل فرد ، غاية في ذاته ، وتركيز العمل الاجتماعي - السياسي عليه ، وذلك باعطائه الفرصة للنمو الذاتي المستقل ، واشعاره بقيمة وجوده تجاه نفسه وتجاه المجتمع . وليس القصد هنا العمل على ازالة الطبقات الاجتماعية ، فستبقى الطبقات ما دامت الفروق الفردية في المؤهلات والمواهب سنة طبيعية ، انما يجب ان توجه التنظيمات الاجتماعية نحو ازالة الحواجز بين الطبقات وتسهيل العبور فيما بينها ، فلا تبقى فرص الحياة الطيبة وقفا على اصحاب المكانة الموروثة ، بل تمتد في المجتمع بلا حدود تقليدية ، لتصيب اصحاب الكفاءات وتمهد لتوزع اجتماعي متجدد في الاجيال المتعاقبة .

المراجع والمصادر

Davis, Allison, *Social - Class Influences Upon Learning*. Cambridge. Harvard University Press, 1952.

محشوة بالعلماء ومملؤة بأهل الفضل والثراء وقد اصابها الزمان ونكتها طوارق الحدثان وجاءها الكفار من التتر فخربوها حتى ادخلوها في خبر كان فانا لله وانا اليه راجعون ، وذلك في سنة ٦١٨ .

ولم نعد نرى في فارس في اوائل القرن الثالث عشر امثال ابن سينا والرازي وعلى أن السمرقندي لم يتمكن من ان يصل الى مرتبتهما فانه كان طبيبا بارعا ومؤلفا مشهورا والف كتبا جليلة وتصانيف مشهورة .

وبقيت بلاد فارس في حالة الانحطاط حتى اواخر ذلك القرن حيث تمركز التتر وانصهروا في الحضارة التي سعوا الى تقويضها فاخذوا بتشجيع الثقافة ودعم الروح العلمية .

السمرقندي

كان ابو حامد محمد بن علي بن عمر نجيب الدين السمرقندي معاصرا لفخر الدين الرازي (١١٤٨ – ١٢٠٩) فيلسوفا وعالما موسوعيا واكثر ما اشتهر به كتابه **الاسباب والعلاقات** . ولهذا الكتاب الذي عرف وذاعت شهرته مخطوطات كثيرة وخاصة في شرح نفيس بن عوض الكرماني (المتوفي عام ١٤٤٩) ، شرح الاسباب والعلاقات .[١] وبعد ذلك كتب م . ارزاني مؤلفا اضخم عن الشرح وسماه **طبي اكبر** في ١٧٠٠ أو ١٧٠١ [٢]. واليك مؤلفات السمرقندي الاخرى الموجودة وكلها في الطب وفي علم خواص الادوية :

غاية الغرض في معالجة المرض

اصول تركيب الادوية

الادوية المفردة

في مداواة وجع المفاصل

في الطب

الكيمياء في أقراباذين السمرقندي

مارتن ليفي ونوري الخالدي

ابتدأت الامبراطورية السلجوقية بالانحطاط في اوائل القرن الثاني عشر بعد ان كانت قد قضت على سلطة الخليفة العباسي وجعلت منه آلة في قبضة ملوكها كما ان السلاجقة انصهروا انصهاراً كاملاً في حضارة ايران المسلمة وقد امتدت امبراطورية طغرل بك (١٠٣٨ – ١٠٦٣) من بلاد ما وراء النهر حتى سورية وشرقي الاناضول كما ان الاتراك السلاجقة واتباعهم التركمان وصلوا الى شواطىء البوسفور فكان استيلاؤهم على الاماكن المقدسة المسيحية احد اسباب الحروب الصليبية. وجاءت حملات تتر جنكيزخان (١٢٠٦ – ١٢٢٧) من الشرق فأثرت تأثيرا خطيرا في انحطاط الحضارة في بلاد فارس . وفي عام ١٢٥٨ استولى هولاكو نائب خان المغول على بغداد وقضت جيوشه على المكاتب ورمت الكتب والمخطوطات الثمينة في نهر دجلة وقيل انه كان باستطاعة الانسان ان يقطع النهر سيرا من جانب الى آخر من كثرة الكتب التي القيت فيه .

انحطت الحضارة الاسلامية في الشرق على اثر هذه الحملات واصيبت فارس بأعظم كارثة في تاريخها ، فقد قتل في هرات وحدها عندما دخلها المغول الالاف من البشر ولم يكن نصيب المدن الاخرى من الخراب والدمار والقتل اقل مما اصاب هرات، والجدير بالذكر ان **نجيب الدين السمرقندي** كان من بين هؤلاء القتلى الذين قضوا نحبهم على ايدي التتر في عام ١٢٢٢. اما ياقوت (١١٧٩ - ١٢٢٩) الذي عاصر هذه الحوادث فقد قال في « معجم البلدان » عن هرات إنها

المعلومات عن عقاقير الفرس وغيرها من المركبات الكيميائية التي كانت معروفة في الشرق العربي .

ومع ان السمرقندي يأتي على ذكر الاخلاط بين حين وآخر فانه يشدد على ان الخـــاصة العلاجية لدواء معين عندما تفعل في احد اعضاء الجسم هي الشيء المهم في المعالجة الدوائية (العلاج بالادوية) وكان مسلموا القرون الوسطى يعتبرون هذا الفعل، خاصة معينة للمادة وبالتالي للجزء او الذرة التي تتركب منها المادة . وهذه الخواص كانت تدعى عرض الذرات [٧]. هناك اصلا نظريتان او فكرتان اساسيتان لفعل الكيمياء وعلم الصيدلة الذي اصطلحوا عليه بعلم خواص الادوية، الاولى تقوم على المعطيات التجريبية والثانية تعتمد على نظرية الاخلاط التي قلمـا استعملت في حدود الامر الراهن ولكنهـــا استعملت بعده من قبيل التفسير المدرسي (السكولاستيكي) . ان طريقة العمل هذه للعلوم الكيميائية الاقراباذينية في الاسلام قد غــابت عن نظر الكثيرين من المشتغلين في هذا المضمار وان احد اسباب هذا الارتباك في الماضي هو أن كثيرا ما كان يختلط عليهم الامر بين جزء من نظرية الاخلاط وحـــالات الحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة الموجودة احيانا بالفعل كالتعرق الكثير والحمى والاعراض المشابهة . وعلى الرغم من ان هذه دائما وعلى الاغلب ما هي الا عبارة عن اعراض فأنها لا تزال تعالج طبيا في العصر الحاضر كما كان في السابق بازالتها بدون حاجة الى نظرية الاخلاط او غيرها من النظريات وبعبارة اخرى يعتبر انه لا ضرورة الى اية نظرية ما طالما انهـا مجرد عملية اختبارية لتعيد الامور الى حالتهـــا الطبيعية ، وهذا هو الواقع في اكثر الاعمال الكيميائية في مؤلفات السمرقندي وغيره .

يقول السمرقندي في مقدمته « فقد معظم الادوية الشريفة فمـــا بقيت الا اسماؤها » [٨] ومن البديهي ان الانحطاط في العلوم الكيميائية والاقراباذينية كان آخذا مجراه منذ مدة غير قصيرة .

ان طريقة التفكير هذه في النصوص الطبية نفسها موجودة في المركبات

في كيفية تركيب طبقات العين

نبذة عن العقاقير السهلة التداول (٣)

اقراباذين

في علاج من سُقي السموم أو نهشه الهوام وغيرها في الادوية المستعملة عند الصيادلة .

في اتخاذ ماء الجبن ومنافعه وكيفية استعماله .(٤)

الاقراباذين

ان معظم مؤلفات السمرقندي المذكورة تتعلق بالعقاقير المفردة وكيفية تحضيرها مفردةاومجتمعة . يسمى **الاقراباذين** ايضا **بالقراباذين** او **كتاب القراباذين على ترتيب العلل** . ان المخطوطات الاساسية التي استعملت في هذه الدراسة هي ايا صوفيا ٣٥٥٥ وليدن ١٣٥٣ والمخطوطة الاولى افضل من الثانية . فالمخطوطة التي ترجمت هي مخطوطة ايا صوفيا وتحتوي على احدى واربعين ورقة(٥) وفي كل صفحة سبعة عشر سطرا .

ان من يبحث في الكيمياء عند العرب في القرن الثالث عشر يجد اقراباذين السمرقندي غنيا جدا بأسماء المواد والخلائط الكيميائية من نباتية وحيوانية ومعدنية. والكتاب نفيس وذو شأن خاص لمقدمته التي وان كانت تستند كثيرا الى النظرية العربية القائمة فأنها ايضا تعتمد نوعا ما على نظرية المركبات الكيميائية وتفاعلاتها في الكيمياء المعاصرة .

لقد ثبت للباحثين انه لايمكن فصل الكيمياء العربية وعلم الصيدلة العربي احدهما عن الآخر فحسب بل ان بقاء أكثر العلوم الكيميائية واستمرارها اعتمدا على الادب الاقراباذيني(٦)

ان مؤلفات السمرقندي الذي عاش في هرات قد حفظت لنا الكثير من

عولج السقيم الى ان يذهب سقمه ويرجع الى الصحة عاد الى اكمل مـــاهيته الصحية . »

يظهر من هذا النص الذى يستشهد به المؤلف ان الحرارة والبرودة تحددان « العوارض » التي هي خواص الجسم الكيميائية والفيزيائية وبالتالي يعينان نوع من المعادن الستة هي . وزيادة على ذلك لم تنقطع العلاقة الوثيقة في هذا النص وغيره من النصوص بـــين الكيمياء والطب في القرن الاسلامي المتوسط ، ولم تفقد « العوارض » الطبيعية قط طوال انشغال الكيميائيين بالاكسير منذ العهد الصيني الاول .

ونتيجة لهذه العلاقة في هذين العلمين كان هناك اتجاه نحو تطور النظرية التي اعتمد عليها في الكيمياء والطب .

كان التقسيم الشائع في المواد الكيمياوية والمواد الطبية عند العرب يستند الى اصولهـــا في عالم النباتات والحيوانات والمعادن . ان اكثر المواد الكيميائية والمفردات تحدرت من النباتات . والمواد التي اصلهـــا من الحيوان تشمل بياض وصفار البيض والقندس وبراز الوطواط والفــأر والحليب واللبن وحليب الام ومرق اللحم والعسل والسكنجبين والسمك والزبدة وشحم سنام الجمل والبط والدجاج وشمع العسل والصدف والعنبر وماء الجبن وصفراء البقر والطيور .

ان معظم المواد المعدنية هي من اصل فارسي ومن بينها الرصاص المحرق [١٢] والنحاس والاثمد والقيروطي والاشنان والتنكار والشادنج وتوبال الحديدوالنحاس والتوتياء والاقليميا أو الحديد والذهب والفضة والملح الدراني وملح العجـــين والملح النفطي والملح الهندي والدهنج والزاج الاحمر والزرنيخ والزرنيخ الاحمر والطين الارمني والزفت والزنجار والزنجفر والزئبق والسرطان البحري وهو حجر هندي والشب والطين الاصفهـاني والطين الحد والطين المختوم والكبريت واللازورد والمرتك والمرقسيثا والنورة والنوشادر .

واما النباتية فتشمل الباقي من المواد الطبية .

الكيميائية. نجد مثلا جيداً على هذه الطريقة في مؤلف ابي القاسم (القرن الثالث عشر) . في بحثه عن الهيولي المتقوم منها صورة الاكسير [٩]

«وكذلك الزيبق مع النحاس فانه يمازحه ويصبغه لكن يعجز عن الصبر والتتميم فكان المطلوب في العقاقير البسيطة ممتنعا فوجب أن يكون مركباً وان يكون فيه القوى المذكورة فبحثنا في العقاقير المعدنية الموافقة لهذا المعنى فلم نجد فيها جوهرا يصلح ان يركب منه الاكسير غير الذهب وذلك انه دائب ممازح صابغ ليس بالفعل لكن بالقوة صابر متمم لان الفاعل اولى بالتتميم من غيره ....

« وليس فيه حرارة زائدة تسخن الفضة وتلززهـا وتجعل للنار قوة على تعجيل الفعل بهـا فاحتجنا الى تغذيته برطوبة مشاكلة متحدة بيبوسة مشاكلة حتى زادت فيها الحرارة انعقدت معه واحالها هو الى جوهره وكان هو علة ثباتها على النار وكانت هي علة صبغه ومزمزته فصار حارا يابسا احمر سريع الذوب اذا القي على الفضة صبغها .... »

ثم يمضي ابو القاسم مقاربا القوى في النبات والحيوان والمعدن . وفي الحقيقة انه يتبع هذا الاسلوب في القياس ويتوسع فيه في معظم اجزاء الكتاب .

وفي الكتاب نفسه الذي يدعى **كتاب العلم المكتسب في زراعة الذهب** هذا المقطع [١٠] الذي له شأن كبير فقد تبين « ان هذه الصور الستة — وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير [١١] — كلها نوع واحد وانهـا يتميز بعضها من بعض بأعراض مفارقة وكان غايتها ان تصير ذهبا فمـا سلم من العرض كان ذهبا وما اعترضه عرض اما من كيفية باردة فيصير اما فضة وامـا رصاصين واما من كيفية حارة فيصير اما نحاسا واما حديدا وانمـا مثل هذه الستة الصورية الواحدة النوعية كمثل الصحيح الماهية في الانسان والسقيم فمتى

« واما الشيافات فاللينة منهـا تتخذ من اسفيداج الرصاص والصمغ العربي والكثيرا والنشادر والعنزروت المربى وربـــد البحر وبعر الضب والماميثـــا والزعفران والكافور والورد والافيون والقليا .

«واما الشياف الحادة تتخذ من مثل الراح والفلفل والزنجبار والدمنح والشادنج والزنجار والنوشادر وزبـــد البحر والمورق والاشق والزنجرف والسكبينج والفرفيون وشحم الحنظل والدار فلفل والزنجبيل والسادنج والاقليما والملح الهندي والشنج المحرق [١٥] استعمل للطلاء وبعر الضب وخرؤ الخطـــاطيف وقشور البيض المدبرة والمرارات ولا ينبغي ان تخلو الادوية الحادة من اللينة المسكنة للحدة مثل النشا والكثيرا والصمغ واسفيداج الرصاص بمقدار الحـاجة الى تسكين حدتها وحفظ العين من حرارتها ونكايتها فلان تبلد فعلها وبطوء اثرها ويطول زمان استعمالها اولى الى السلامة من تهيج العين وايجاعها شديدا يصير بذلك عرضة لانصباب المواد اليها واما الشيافات المستعملة في قروح العين فهي المتخذة من غير لذع لحاجة القروح الى ذلك ولذكاء حاسة العين ولما كانت قروحها لا تنجو من ورم وشدة وجع فتحتاج مع ذلك الى المسكنات والمغريات اما الاولى اعني الذي تجلو وتجفف من غير لذع مثل التوتيا والرصاص المحرق والاثار المحرق والقليما والشنج والســـادنج واللؤلوء مغسولة والكحل والكندر المصطكى وغير المصطكى والانزروت المربى ودم الاخوين وامـــا الاخرى اي المسكنات المغريات فمثل الماميثا والنشا والكثيرا والصمغ وبزر الورد والزعفران والافيون والبنج واليبروح وعلى الطبيب التركيب بحسب حالات القروح واوقاتها على التدرج والترتيب والجمع بين الشيافات اللينة والحـادة على

لقد استعمل السمرقندي من العوالم الثلاثة ما يريد عن الستمائة مادة كيميائية المعلومة حواصها لديه . وهذا مـــا يدل على اطلاع واسع ومعرفة شاملة للعلوم الكيميائية ولا سيما اذا أخذنا بعين الاعتبار ان كل واحدة منها يجب ان تحصر في اصفى حالة ممكنة ويجب استنباط الطرق لاختيار الصماء لكل من هذه العناصر لاحتساب المواد التي يمكن ان يعوض عنها لمشاركتها في العمل [١٣] . ولقد اعتبر السمرقندي ان إعمال القياس قد كان كافيا في الادوية المركبة التي لم تختبر او تستعمل من قبل .

> « وطريق القياس مأمون مستعمل معتمد عليه في جميع التدابير الطبية وعسره لا يوجب تركه فأن الاوائل ركبوا جميع ما ركبوا بطريق القياس فوجدوها بعد التجربة على غاية مـــا أملوا منها حتى دعاهم الى ان دونوها وخلدوها في الكتب فيجب ان تكون اسوة لنا في اتخاذ المركبات على انحاء التركيب بحسب ضروب الحاجات وكفاء المصالح الا في مركبات علمنا قوانينها واغراضهم في تركيبها ان اتفق ان سنح لنا اعراض مثل اعراضهم فيتفق الخاطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر واما اثبت من ذلك القبيل بعض ما تداولته ايدي التجارب وابرزته عن القوة الى الفعل على طريق المثل حتى ينتفع به عند اصابته موضعه واستعمالة في مستحقه » [١٤] .

ان الاقراباذين مقسم الى تسعة عشر بابا يحتوي على مختلف المستحضرات الصيدلية كالاشربة والمعجونات والحبوبات والتحاميل والشيافات والمضغوطات اللسانية والغراغر والمعطسات وغيرها .

ان العقاقير والمواد الكيميائية أتت من اطراف العالم كله المعروف آنذاك وكان يحصل على المواد البسيطة من عالم الحيوان والنبات والمعادن . في الباب عن شياف العين مثلا يقدم لنا السمرقندي مـــادة طبية مهمة استعملت في هذا الاختصاص .

ان المصطلحـــات الكيميائية اليونانية قليلة جدا في هذه المخطوطة لان السمرقندي عاش في بلاد الافغان وهذا مـــا جعل ورود الاسمـــاء الفارسية للادوية بكثرة، هذا وان هرات التي عاش فيها ومات كانت ملتقى طرق القوافل بين الصين والهند والعالم العربي .

وفي الاقراباذين ان ثلث اسماء المواد الطبية قد اتت من ما بين النهرين .

اذا اخذ المرء بعين الاعتبار العلاقة بين اشتقاق هذه الاسماء والاماكن التي نشأت فيهـــا معرفة هذه المواد يستنتج ان الكيمياء العربية اتت من اماكن متعددة وفي ازمنة مختلفة لتبني صرحا شاملا من الحقائق التي انتهت الى مستوى جديد في الفهم الكيميائي . وهذا ما حدث ايضـــا في وقت متأخر في علم الكيمياء لدى الغربيين الذين كانوا ورثة الحضارة العربية .

المراجع

(١) عوستاف فلوجل (حقق وترجم الى اللاتينية) ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١٦٠٨ – ١٦٥٧) ، ليبزك ١٨٣٥ – ١٨٥٨، ل. لوكليرك تاريخ الطب العربي ، باريس ١٨٧٦ ، المجلد الثاني ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(٢) فارن ف. فوستنفلد ، تاريخ الطب العربي ، كوتينكن ١٨٤١ ، ص ١١٩ ، اوجست مولر (حقق) ابن ابي اصيبعة (١٢٠٣ – ١٢٦٩) طبقات الاطباء ، كونيكزبرج ١٨٨٤ المجلد الثاني ص ٣١ .

(٣) ترجمت من اللاتينية TRACTATUS DE MEDICAMENTIS REPERTU FACILIB US

(٤) قارن C. Brockelmann. *Gesch d. arab., Lit*, Leiden, 1943. vol. I, p. 49. 1937, S. Vol. I pp. 895 - 896

(٥) FOLIO

(٦) قارن Martin Levey, *Mediaeval Arabic Bookmaking and Its Relation to Early Chemistry and Pharmacology*, Philadelphia, 1962. *idem, The Medical Formulary of al-Kindi with a Study of its Materia* medica, Madison (تحت الطبع)

المساواة او على التغليب وتداف الشياف في اوائل الرمد والبثور في اللبن للتسكين وتعديل ماعسى يقع فيها من الافيون والكافور وفي اواخره في الماء لئلا تنكسر وتتبلد قواهـــا في التلطيف والتحليل لبقايا الرمد . » [١٦].

ومثـــال آخر لاستعمال انواع كيميائية مختلفة ذكرت في مكان آخر.

« واما الملحمة فهي التي فيهـــا عروية ولصوق بعيد الدم الوارد قواما والتراقا مثل دم الاخوين والراتنج والقنة والمقل والمصطكي والاشق وعلك البطم والحـاوشير والصبر والكندر والمر وامـــا المدمّلة فهي التي تصلب لحم القرحة وهي المجففة باعتدال والخاتمة هي المجففه القوية تجفف سطحها الذي قد ساوى سطح الجلد وتجعله كالجلد في اليبوسة ولذلك سميت خاتمة .

« والادوية التي تفعل هذين الفعلين كل دواء قـــابض قليل القبض او كثيره مثل الجلنار والورد وبرره وقشر الرمان وورق السوس والعفص والشبت والقلقطار المحرق والكحل والزنجار والنحاس المحرق المغسول والصبر والروسختج [١٧] »

ان النحاس الاصفر المحروق هو احمر ويظهر كالزنجفر . أما النحـــاس الاحمر المحروق فيصنع من مسامير البواخر مع الكبريت والملح ويحرق في اناء لعدة ايام ويمكن الاستعاضة عن الكبريت والملح بالشب . وذكر ديوسقوريدس طرقـــا اخرى ايضا . الفرق بين النحاسين المحروقين غير معروف . وقال عمر بن يوسف بن رسول (١٢٩٥) في **المعتمد في الادوية المفردة** ، مخطوطـــة **برلين ٦٤٢٦ . ان افضل النحاس المحروق هو الاحمر الذي هو روسختج .**

وأما الاكالة للحم الزائد المجففة للقروح العتيقة فهي مثل الزنجار والنوشادر والزرنيخ والنورة الحية اذا اتخذت مرهمـــا ومثل الادوية المجففة من غير قبض كالمرد اسنج والصدف المحرق اذا استعملت نثورا [١٨]

تعمير الريف في العراق

عبد الرزاق الهلالي

١

تعريف

يقتضينا بحت « تعمير الريف » ان نعرف المقصود باصطلاح (الريف) لنخلص منه الى البحت في وسائل تعميره وتنميته .

فما هو الريف اذن ؟

ان هذا التساؤل يقودنا الى الاستعانة بما توصلت اليه الدول المختلفة من مقاييس تفرق بها بين الريف والمدينة ، ومن دراسة تلك المقاييس يظهر لنا ان اكثر الدول تجعل من عدد السكان الاساس الذي تفرق به الريف عن المدينة ، غير ان النقد الذي يوجه الى هذا المقياس هو كونه يتجاهل فعالية السكان الاقتصادية ، ولذلك نجد بعض الكتاب التعاونيين يقترحون جعل المظهر التعاوني في الحياة مقياسا لذلك ، فحيثما يعيش المواطنون متعاونين في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، ويعتمد بعضهم على البعض الآخر اعتمادا كليا فهناك المدينة ، امـــا الريف فهو المجتمع الذي يسود فيه نظام الاكتفاء الذاتي .

ومن المقاييس ايضـــا المقياس المستند الى الضرائب ، فكل مجتمع بشري يدفع اهله الضرائب على الابنية والعقارات وما اليها فهو مدينة ، اما سكان الريف فلا يؤدون سوى ضريبة الانتاج الزراعي .

وثمة المقياس المستند الى التنظيم الاداري ، فالمدينة هي تلك التي يتألف فيها

(٧) قارن M. Levey, *Studies in the Development of Atomic Theory*, Chymia. VII (1961) 40 - 56.

(٨) مخطوطة ايا صوفيا ٥٥٥٥ ، صفحة ٤ آ .

(٩) E. J. Holmyard (ed.) abu al-Qasim Muhammad ibn Ahmad al-'Iraqi's *Kitab al-'ilm al-muktasab fi zira'at al-dhahab*, Paris. 1423 pp 14 - 15 كتاب العلم المكتسب في زراعة الذهب لابي القاسم محمد بن احمد العراقي ، تحقيق هوليارد باريس ١٩٢٣ ص ١٤ و ١٥ .

(١٠) المرجع نفسه ص ٨ .

(١١) المرجع نفسه ص ٧ .

(١٢) هكذا وردت في المخطوطة .

(١٣) R. Levey (ed.) ibn al-Ukhuwwa's Ma'alim al-Qurba, London, 1938, p. 150 ff.

(١٤) مخطوطة ايا صوفيا ٥٥٥٥ ص ٦ آ

(١٥) الصدف المحرق .

(١٦) مخطوطة ايا صوفيا ص ٣٢ — ٣٣ آ

(١٧) روستحح يقول ابن البيطار ان الاصطلاحيين للنحاس المحرق هما مرادفان . الاحمر وهو الافضل والاسود له قيمة ضئيلة . ترجمة لوكليرك رقم ١٠٧١
Traite des simpes par ibn el-Beithar. Paris 1877, 1881, 1883.
وحسب ديوسقوريدس (الجزء الخامس ، ٧٦ في
M. Wellmann, *Pegdanii Dioscufidis Anazarbei de matdria medica, Berolini, 1907 - 1914*

(١٨) مخطوطة ايا صوفيا ، ٥٥٥٥ ص ٣٤ آ

نسمة ، وان هؤلاء الريفيين يعيشون في قرى يبلغ تعدادهـا (١٤٢٨٨) قرية . ومن هذا المجموع حوالي (٧١٥٥) قرية تتوزع في الالوية الشمالية الاربعة (الموصل . كركوك . اربيل . السليمانية) وسكان هذه المناطق الريفية عامة عشائريون لا فرق في ان يكونوا منضوين تحت الوية العشائر العربية في الوسط والجنوب او تحت الوية العشائر الكردية في الشمال ، اذ يبلغ عدد العشائرالعراقية بموجب الاحصاء العام المذكور (١٧٤٦) عشيرة منها (٢٤٩) عشيرة رحالة والباقي عشائر متوطنة استقرت كل واحدة منها في ارض معينة لها هي (ديرة) العشيرة ومنطقة نفوذها ، ومن هذه العشائر المتوطنة (٦٨) عشيرة كردية يعيش افرادها في ريف (كركوك واربيل والسليمانية والموصل) .

ان هذا العرض البسيط يوضح لنا معالم الصورة ويعين لنا بجلاء تغلب الصفة العشائرية على سكان الريف العراقي ، ومن ثم تتبين لنا آثار هذه الصفة وجذورها العميقة في حياتهم وفي تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية فيما بينهم .

فما هو التطور الذي حدث في حياة العشيرة خلال المئة السنة الاخيرة، وما أثر ذلك في حياة سكان الريف العراقي في يومنا هذا ؟ ان أخذ فكرة موجزة عن هذا التطور سيساعدنا ولا شك في التوصل الى معرفة اسباب تردي الحياة في الريف ومن ثم سيسهل علينا تلمس الحلول المناسبة لمعالجة مشكلات الحياة فيه (على قدر المستطاع) . ولذلك نقول باختصار ان تفسخ الحكم العثماني الذي ظل جاثماً بكلكله على العراق اكثر من ثلاثة قرون قد جعل الحياة في المناطق الريفية حياة عشائرية صرفة ليس للدولة فيها الا الاسم ، فالعشيرة في ذلك العهد وحدة قائمة بنفسها ذات تنظيم سياسي تمارس فيه اعمال الدولة في مجال مصغر ، شيخها هو رئيسها المطاع ولسانها المعبر عنها في المخاصمات والمنازعات وغير ذلك من الامور التي تمس حياة العشيرة وتؤثر في علاقاتها بالآخرين . وللتقاليد والسنن في مجتمعها حكم القانون ، يعيش افرادها في (ديرتهم) متعاونين يزرعون ارضهم على اسس اشتراكية تعاونية ، اذ كانت ارض العشيرة كلها لابنائها كافة دون ان يكون في داخل ذلك التنظيم تحديد ظاهر لحقوق الافراد في ملكية تلك الارض.

مجلس بلدي ومجلس ادارة ولها موطف اداري وحاكم وطبيب .. الخ وعندما لا تتوفر هذه الصفات في مجتمع بشري او منطقة فهو ريف :

ان معظم الاقطار العربية تأخذ بالمقياس الخاص بعدد السكان للتفريق بين المدينة والريف . اما اقرب المقاييس للتفريق بينهما فهو الدي يجعل من فعالية السكان الاقتصادية بالاضافة الى عدد السكان اساسا لدلك ، فالمدينة في نطر اصحاب هذا الرأي هي التي يشتغل حوالي (٨٠ ٪) من سكانها بالاعمال الصناعية والتجارية ويعيشون من مواردها ، بينما يعتمد معظم سكان الريف على رراعة الارض وما يتصل بها من اعمال .

الريف

من هذا العرض الموجز يمكن ان نتخذ من المقياس الاخير الاساس الدي سنسير عليه في تحديد المفهوم العام لمصطلح (الريف) في بحثنا هذا .

ولما كان اساس بحثنا سيدور حول (تعمير الريف في العراق) فأن الواجب يحتم علينا ايضا ان نقف اولا على (واقع) الريف وحقيقة الاوصاع فيه ، ونكشف عن العوامل الخفية التي ادت وما زالت تؤدي الى تدهور الحياة فيه كي يتسنى لنا بعد ذلك رسم خطة لتعمير الريف وتطويره وتنمية الحياة فيه بغية الوصول الى الحياة الفضلى ، فما هي صورة هذا الواقع ؟

٢

واقع الريف العراقي

لقد اظهرت نتائج احصاء النفوس العام الدي جرى في العراق ، عام ١٩٥٧ ان هناك (١٧) مدينة يزيد تعداد نفوس كل واحدة منهاعن (٢٠ الف) نسمة، ونحو (٧٠) مدينة اخرى يتفاوت عدد سكان كل واحدة منها بين (٢٠٠٠ — ٣٠٠٠) نسمة ، ويشير هذا الاحصاء ايضا الىان عدد سكان (الحضر) في العراق هو (٢و٤٨٦و٤٤٣) نسمة، بينما ظهر ان عدد سكان الريف هو (١،٣٨٥،٣١٧

فيما بينهم بسبب « عائدية » الارض ، اصدرت الحكومة قانون تسوية حقوق الاراضي وقانون منح « اللزمة » [٣] ، وكانت نتيجته مع الاسف ان تسجلت الارض التي تشمل (ديرة العشيرة) بكاملها باسم الشيخ نفسه في كثير من المناطق واصبح افراد العشيرة حينذاك اشبه بالاجراء او الملتزمين الثانويين بعد ان كانوا اعضاء متعاونين في هيئة اجتماعية واحدة ، ولما اخذ الاستقرار والامن ينشر ألويته على كثير من مناطق الريف وزاد الاتصال بالمدينة وكثر الطلب على الحاصلات الزراعية فيها تغيرت نظرة الشيخ (الذي اصبح مالكاً للارض او متصرفاً بها) نحو الاقتصاد ، اذ تحولت من مبدأ (الاكتفاء الذاتي) الى مبدأ (الاقتصاد النقدي) ، وهكذا كلما زاد طلب السوق الداخلية والخارجية على الحاصلات الزراعية زاد اندفاع الشيوخ والمتنفذين من الملاك ورجال السياسة من ابناء المدن في ادعاء ملكية مساحات واسعة من الارض الزراعية ، كما قويت رغبتهم في مضاعفة دخولهم من استغلال الارض فراحوا يستعينون باستخدام المضخات العالية الثمن لري اكبر مساحة منها او لبيع المياه الى صغار الملاكين او المتصرفين بالاراضي الاميرية بشروط قاسية انتهت في كثير من الحالات الى استيلائهم على هذه الاراضي بسبب عجز اصحابها عن وفاء ما ركبهم من ديون . وهكذا اخذ الفرد العشائري خلال هذه الفترة من حياة العراق يفقد قيمته الحربية ومنزلته في ذلك الوسط ، واصبح دوره كمنتج للحاصلات اكثر قيمة من دوره كمحارب ، وتحول (الشيخ) في كثير من المناطق من رئيس متضامن مع افراد عشيرته ، الى مالك لديرة العشيرة مستغل لجهود الافراد فيها اشد انواع الاستغلال ، وهكذا بنتيجة تزايد اعتماد الحكومات العراقية المتعاقبة على رجال الاقطاع اصبح الفلاح في تلك الاصقاع اشبه بالقن [٤] ، اذ ضغطت عليه ظروف الحياة القاسية من كل جانب حتى بات يعتقد ان الدنيا حظ ونصيب وذاك هو نصيبه في هذه الحياة !!

ومما أكد له هذه النظرة موقف الحكومة منه ، فقد نظرت اليه (كمنتج ومكلف وتجاهلته كأنسان وأهملته كمواطن) . وقد كانت هناك بعض المحاولات

ونظرا لانعزال الريف عن المدينة آنذاك بسبب سوء العلاقة بينه وبين الدولة الممثلة بالولاة ، في الاعم الاغلب، فقد كانت نظرة العشائر بين الاقتصادية في ذلك المحيط الانعزالي تسير على مبدأ (الاكتفاء الذاتي) والاقتصار على زراعة المحاصيل الضرورية لاعاشة العشيرة وحدها ليس غير .

وفي ظل هذا النظام الذي لم يكن للدولة او لمرافقها او مؤسساتها العامة فيه أثر ، كان الجهل والفقر والمرض هي المعالم المميزة لسكان هذه الاصقاع ، ولم تكن الحياة فيها الا حياة بدائية ساذجة تسيطر عليها الخرافات وتحكمها التقاليد والسنن المتوارثة، ومستوى المعيشة فيها منخفض الى ادنى الدركات ، ومع ذلك كان الجميع قانعين بتلك الحياة ما داموا يستظلون براية العشيرة لائذين بحماها ، آمنين من جور الولاة وارلامهم وظلم الجندرمة وتعديات جنود « الهايته » [1] ، لا سيما عندما كان (الرجل المريض) في نزعه الاخير .

فلما اعلنت الحرب العالمية الاولى ودخل العراق تحت حكم الاحتلال والانتداب البريطاني شاءت تلك السلطة ان تتبع ما كانت سلكته في الهند من سياسة تجاه العشائر، اذ راحت تولي هذه المناطق عنايتها وتجعل من السنن والتقاليد العشائرية السائدة ، النظام الذي يحكم تلك الاصقاع، كما اخذت ، ولا سيما بعد ثورة العشرين تشد ازر اولئك الشيوخ « والسراكيل » [2] الذين وقفوا الى جانبها عند المحنة ، ورغبة منها في تعزيز مكانتهم جعلت تشركهم في الحكم ولتنفيذ ذلك اعترفت رسمياً بهم وعززت مكانتهم بكل الوسائل ، فاناطت بهم مسؤولية المحافظة على الامن والقبض على المجرمين وحماية طرق المواصلات وجباية الضرائب ، كما منحتهم الهبات وزودتهم بالسلاح، وفوضت اليهم الاراضي التي كانت تتصرف بها العشيرة كلها ، حتى اذا قامت الدولة العراقية الجديدة وبدأت معالم الحياة في البلاد عامة تتغير شيئاً فشيئاً وتولدت الرغبة في توطين هذه العشائر وفض المنازعات القائمة

---

١) راجع الثبت الملحق بآخر هذه الدراسة وهو يحتوي على معاني الكلمات والمصطلحات الواردة فيها بحسب تسلسلها المرقوم .

وكيف باتت الكثرة الغالبة من هؤلاء المواطنين تحت رحمة عدد ضئيل من المالكين او المتصرفين بالاراضي الذين لا يمتلكون في الواقع الا نسبة صغيرة جداً لم تكن لتزيد عن (٢٪) من مجموع السكان . وان دراسة هذه الارض من حيث صلاحها للزراعة وموقعها الطبيعي وكثرة الاملاح فيها وتوفر مياه الري او عدمه او اعتماد الزراعة فيها على الامطار او على ينابيع العيون والمياه الجوفية او من حيث وجود مصارف الري والمبازل فيها ، ان دراسة هذه الموضوعات وغيرها مما له اثر مباشر او غير مباشر في النشاط الاقتصادي في الريف خليقة ان تنتهي بنا الى معرفة اسباب تردي الوضع الاقتصادي في تلك الاصقاع وعلى هذا الاساس يمكن القول ان المشكلات الاقتصادية بالنسبة للارض تكمن فيما يلي : —

(أ) سوء توزيع الملكية الزراعية في الريف .

(ب) سوء استغلال الارض الزراعية .

(ج) عدم العناية بالارض واهمال مشروعات الري والمبازل وما الى ذلك .

ولما كانت الدعوة الى وضع حد للتفاوت في الملكيات الزراعية وتوزيع الارض على العاملين فيها توزيعاً عادلا ، قد نادى بها المخلصون منذ امد بعيد وانها قد بلغت هدفها بعد ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨) حينما اصدرت الحكومة قانون الاصلاح الزراعي رقم (٣٠ لسنة ١٩٥٨) فماذا كان يهدف ذلك القانون وماذا كانت الغاية منه ؟

ان الغاية من ذلك القانون كان قد وضحها وزير الاصلاح الزراعي في الخطاب الذي القاه عشية يوم اصداره وهي تتلخص بالاهداف الآتية : —

اولا — القضاء على الاقطاع كاسلوب للانتاج وكرصيد استعماري وازالة النفوذ السياسي الذي يتمتع به الاقطاعيون نتيجة لملكياتهم الكبيرة في توجيههم غير السليم لجهاز الدولة والجهاز السياسي الخ ...

ثانياً — رفع مستوى طبقة كبيرة من المواطنين وهم الفلاحون واتاحة الفرص الكافية لرفع مستواهم الاجتماعي بصورة عامة .

قامت بها الحكومات العراقية قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ للتخفيف من حدة هذا الاستغلال ولرفع مستوى حياة هؤلاء المواطنين ، ولكنها في الواقع لم تكن الا محاولات طفيفة لا تمس جوهر الموضوع او تشخص مصدر الداء في ذلك التردي والانحطاط ...

نخلص مما سبق الى القول بان الاطار الذي يحيط بـــالريف العراقي في شتى جهـــاته واطرافه نتيجة لتلك التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي رسخت جذورها منذ القدم في حياة ذلك المجتمع يتألف من مشكلات خطيرة ، ينبغي لنا تقديرها كي نتمكن بعدها من تلمس الحلول الناجعة لها ؟ .

– ٣ –

المشكلات الفعالة في الريف

ان مهمة تطوير الريف حيث ينتشر الجهل والفقر والمرض انتشاراً مريعـــاً ، مهمة صعبة محفوفة بمصاعب ومشكلات متعددة تتجلى خطورتها اذا ما علمنا ان المجتمع الريفي يشكل زهاء الـ (٧٠ ٪) من مجموع السكان . فكيف نلخص هذه المشكلات ؟ لسهولة البحث رأينا تقسيمها الى ما يأتي : --

اولا . المشكلات الاقتصادية

وتكمن هذه المشكلات في اساس المساوىء التي يعانيهـــا الريف وهي على نوعين :

(أ) ما هو متعلق بالارض .

(ب) ما هو متعلق بالفلاح نفسه .

أ – المشكلات المتعلقة بالارض :

اما بالنسبة للارض فقد عرفنا تطور علاقة الفلاح بها وما ينتج عن ذلك من تردٍ وانحطاط في حياة اكثرية سكان الريف بسببها ، وبسبب ما ينظمها من قوانين ،

لحياته يجدر بنا ان نكشف عن اسباب فقر الفلاح وتدني مستوى حياته الى هذا الدرك من مستويات المعيشة وعلى هذا يمكن ان نوجزها فيما يلي . —

١) الحصة الزهيدة التافهة التي كان ينالها بعد ذلك الكد والعناء من انتاجه وهي في احسن الاحوال لا تغني ولا تسمن من جوع ، فدخل الفلاح لا يزيد على المعدل على ٣٠ الى ٥٠ ديناراً في السنة .

٢) الامية المتفشية (انظر الفقرة الثالثة تحت عنوان «المشكلات الاجتماعية ص ٥٨) والجهل المطبق والجمود المسيطر على عقليته واثرها في الحد من نشاطه وجعله تحت رحمة الاوهام والخرافات في اعماله وتصرفاته .

٣) ضعف الطرق المتبعة في الزراعة والابتعاد عن اتباع الطرق الفنية والاعتماد على زراعة محصول واحد طول العام وعدم استعمال البذور المحسنة والاسمدة والدورة الزراعية .

٤) عدم استغلال اوقات الفراغ المتزايدة في الريف او القيام باعمال تعود عليه بالنفع والفائدة كالصناعات الريفية او المنزلية وغيرها من وسائل الكسب الجديدة الاخرى، واذا تحرينا عن غير ذلك من اسباب وجدنا ان هنالك عناصر اخرى تؤدي هي الاخرى الى التقليل من حصيلة جهوده ومن ثم تزيد في فقره . اما هذه فاهمها ما يلي : —

أ — سوء المواصلات التي تربط الريف بالمدينة يزيد من تعذر نقل الحاصلات ويزيد في تكاليف النقل.

ب — سوء تسويق الحاصلات وعدم وجود تسهيلات لبيع المنتوج ، الامر الذي يضطر معه الفلاح لبيع حاصلاته لوسيط يبتز نسبة عالية من ارباحه .

ج — حاجة الفلاح الى المال واستغلال المرابين لهذه الحاجة وفرضهم فوائد عالية جدا ، تتفاوت في معظم المناطق الزراعية من ٣٠ الى ٦٠ بالمئة في السنة .

ثالثاً – رفع مستوى الانتاج الزراعي في البلد بحيث يسهم اسهاماً فعالاً في رفع الدخل القومي وترصين [٥] الاقتصاد الوطني ولتحقيق هذه الاهداف نص القانون على اتباع الاساليب الآتية :

١) تحديد حد اعلى لاصحاب الارض [٦] .

٢) توزيع الارض على الفلاحين بحد ادنى اقتصادي يؤمن معيشة العائلة الفلاحية بشكل مناسب .

٣) انشاء نظام تعاوني للانتاج في جميع مراحله ضمن ادخال الوسائل العلمية والفنية الحديثة في الانتاج .

٤) تحديد العلاقة الزراعية بين ذوي العلاقة بشكل عادل على اساس حصة مناسبة لكل عامل من عوامل الانتاج

واستناداً الى احكام المادة الثانية من قانون الاصلاح الزراعي هذا اصدرت الهيئة العليا للاصلاح الزراعي بتاريخ ١٩٥٨/١١/٢٤ التعليمات رقم (١) داعية فيها الخاضعين للاستيلاء الى ضرورة تقديم اقرار بما هو موجود تحت تصرفهم او في حوزتهم من اراض زراعية وذلك خلال (١٢٥) يوماً من تاريخ صدور هذه التعليمات ، فظهر بعد ذلك ان عدد المقرين الذين يملكون اكثر من الحد الاعلى للملكية الزراعية في العراق لغاية يوم ١٩٦٢/٨/٣١ هو (٣٢٩٨) شخصاً ، فاذا ما علمنا ان الاراضي الخاضعة للتوزيع في العراق تشمل بالاضافة الى اراضي هؤلاء المقرين ، الاراضي الاميرية الصرفة والاراضي المحلولة [٧] والاراضي التي ستؤول الى الهيئة العليا للاصلاح الزراعي واراضي الحد الاعلى [٨] التي يطلب اصحابها الاستيلاء عليها ثم ما زاد عن (١٥٠) دونم (الدونم العراقي مساحته ٢٥٠٠ متر مربعاً والفدان العراقي ٢٠ دونماً او ٥٠٠٠٠ متر مربع) في الاراضي المروية و (٣٠٠

لحياته بجدر بنا ان نكشف عن اسباب فقر الفلاح وتدني مستوى حياته الى هذا الدرك من مستويات المعيشة وعلى هذا يمكن ان نوجزها فيما يلي . —

١) الحصة الزهيدة التافهة التي كان ينالها بعد ذلك الكد والعناء من انتاجه وهي في احسن الاحوال لا تغني ولا تسمن من جوع ، فدخل الفلاح لا يزيد على المعدل على ٣٠ الى ٥٠ ديناراً في السنة .

٢) الامية المتفشية (انظر الفقرة الثالثة تحت عنوان « المشكلات الاجتماعية ص ٥٨) والجهل المطبق والجمود المسيطر على عقليته واثرها في الحد من نشاطه وجعله تحت رحمة الاوهام والخرافات في اعماله وتصرفاته .

٣) ضعف الطرق المتبعة في الزراعة والابتعاد عن اتباع الطرق الفنية والاعتماد على زراعة محصول واحد طول العام وعدم استعمال البذور المحسنة والاسمدة والدورة الزراعية .

٤ عدم استغلال اوقات الفراغ المتزايدة في الريف او القيام باعمال تعود عليه بالنفع والفائدة كالصناعات الريفية او المنزلية وغيرها من وسائل الكسب الجديدة الاخرى، واذا تحرينا عن غير ذلك من اسباب وجدنا ان هنالك عناصر اخرى تؤدي هي الاخرى الى التقليل من حصيلة جهوده ومن ثم تزيد في فقره . اما هذه فاهمها ما يلي : —

أ — سوء المواصلات التي تربط الريف بالمدينة يزيد من تعذر نقل الحاصلات ويزيد في تكاليف النقل.

ب — سوء تسويق الحاصلات وعدم وجود تسهيلات لبيع المنتوج ، الامر الذي يضطر معه الفلاح لبيع حاصلاته لوسيط يبتز نسبة عالية من ارباحه .

ج — حاجة الفلاح الى المال واستغلال المرابين لهذه الحاجة وفرضهم فوائد عالية جدا ، تتفاوت في معظم المناطق الزراعية من ٣٠ الى ٦٠ بالمئة في السنة .

د — فقدان العمل التعاوني في الريف وحرمان الفلاح من فوائده .

هـ — سيطرة العادات والتقاليد العشائرية واثرها في رسم الحياة الاقتصادية في الريف .

و — كثرة التكاليف والرسوم والرواتيل [١٢] التي تفرض على حاصلاته حسب العرف المحلي في منطقته (كالكتابية [١٣] والشوباصية [١٤] وحصة المضيف والقهوة جيه [١٦] الخ ...)

ز — كثرة افراد العائلة وبروز ظاهرة البطالة المقنعة في الريف واثر هذه الكثرة في حرمان الفلاح الاستفادة من محصوله .

ح — هجرة ذوي الكفايات من الريف [١٨] الى المدينة وحرمان الفلاح نشاط اولاده الشبان وما يتبع هذا الحرمان من نقص في الانتاج ومن ثم من تأثير في المورد المعاشي ؟

ط — عدم توفر الاجهزة والموظفين الذين يرشدونه الى اتباع احسن الاساليب في العمل الزراعي .

ي — فقدان الامن والاستقرار واضطراره الى اتخاذ الوسائل التي يحافظ بها على ماله وعرضه في ذلك الوسط واثر ذلك في استنفاد بعض اتعابه .

ك — تردي قابليته الجسمية بسبب انحطاط مستوى معيشته وانتشار الامراض [١٩] في محيطه يؤدي الى قلة كفائته الانتاجية ومن ثم قلة محصوله .

المشكلات المتعلقة بالصحة

ان الصورة التي اخذناها عن حالة سكان الريف الاقتصادية وما يتفرع او يتشعب عنها كفيلة بان ترسم لنا الصورة الواضحة عن تردي الوضع الصحي في تلك الاصقاع ، ومن ثم عن تردي مستوى الحياة فيها ، لان مجتمعاً يسيطر

عليه الفقر والجهل والمرض وتترر فيه ابشع صور الاستغلال ويحرم كلّ ما يؤدي الى رفع مستوى حياة اكثرية ساكنيه الى الحد الذي يفوق فيه مستوى الحيوان على الاقل ، لا بد ان تكون فيه الحياة متردية واثار سوء التغذية بارزة للعيان في نوع الغذاء الذي يأكله سكان تلك الاصقاع ، وفي انحطاط قابلياتهم الجسميـــة والنفسيه والروحية . لان الغذاء الذي لا تتوافر فيه المواد التي يحتاج اليها الجسم الحصول على الطاقة الضرورية لاداء الواجبات العملية والذي يعوزه الكثير من العناصر والمقومات التي تكسب الجسم مناعة تقيه شر الامراض، كفيل بان يجعل اجسام اولئك المواطنين هزيلة متداعية لا تقوى على مغالبة مصاعب الحياة، تقع منهارة بسرعة امام ابسط المشكلات والمتاعب، غير قادرة على اداء واجباتهـــا الاجتماعية والقومية وتكون نهب الجوع والمرض والتعاسة والشقاء . وليس من شك في ان للصحة اثراً قوياً في ازدهار كيان الامة واستمرارها واذا كانت الصلة بين الصحة والحالة الاقتصادية وثيقة قوية فان واقع الحياة في الريف يكشف لمـــا بوضوح عنها، فالامراض منتشرة في ربوعه ولا نريد هنـــا ان نعطي قائمة بتلك الامراض لانها معروفة لجميع المعنيين بشؤون الحياة بالريف (راجع رقم ١٩ في الثبت الملحق) وهذا الواقع المرير يوضح لنا سبب الزيادة في كثرة الوفيات ،ولو تحرينا عن اسباب ذلك لامكننا حصرها بعاملين رئيسيين هما كما قلنا سوء التغذية وضآلة الجهود المبذولة للعناية بالصحة هناك فضلا عن مساعدة الجهل في تعقيـد هذه المشكلة وزياة تفاعلاتها . واستكمالاً للصورة نضيف بعض العوامل الاخرى التي تزيد من سوء الصحة العامة في الريف وهي :-

١) سوء تخطيط بيوت القرويين وتلاصق بعضها ببعض بازقتهـــا الضيقة المليئة بالاقذار والاوساخ والميـــاه النتنة وخلو تلك البيوت من المرافق الصحية كالمراحيض والمغـــاسل واشتراك الحيوانات معهم بالسكن وهذه امور ولا شك تشكل بيئة خصبة لانتشار الامراض والجراثيم .

٢) عدم توفر مياه الشرب النقية في معظم تلك الاصقاع واثره في

د – فقدان العمل التعاوني في الريف وحرمان الفلاح من فوائده .

هـ – سيطرة العادات والتقاليد العشائرية واثرها في رسم الحياة الاقتصادية في الريف .

و – كثرة التكاليف والرسوم والتراتيل[١٢] التي تفرض على حاصلاته حسب العرف المحلي في منطقته (كالكتابية[١٣] والشوباصية[١٤] وحصة المضيف والقهوة جيه[١٦] الخ ...)

ز – كثرة افراد العائلة وبروز ظاهرة البطالة المقنعة في الريف واثر هذه الكثرة في حرمان الفلاح الاستفادة من محصوله .

ح – هجرة ذوي الكفايات من الريف[١٨] الى المدينة وحرمان الفلاح نشاط اولاده الشبان وما يتبع هذا الحرمان من نقص في الانتاج ومن ثم من تأثير في المورد المعاشي ؟

ط – عدم توفر الاجهزة والموظفين الذين يرشدونه الى اتباع احسن الاساليب في العمل الزراعي .

ي – فقدان الامن والاستقرار واضطراره الى اتخاذ الوسائل التي يحافظ بها على ماله وعرضه في ذلك الوسط واثر ذلك في استنفاد بعض اتعابه .

ك – تردي قابليتـه الجسمية بسبب انحطـاط مستوى معيشته وانتشار الامراض[١٩] في محيطه يؤدي الى قلة كفائته الانتـاجية ومن ثم قلة محصوله .

المشكلات المتعلقة بالصحة

ان الصورة التي اخذناها عن حالة سكان الريف الاقتصادية وما يتفرع او يتشعب عنها كفيلة بان ترسم لنـا الصورة الواضحة عن تردي الوضع الصحي في تلك الاصقاع ، ومن ثم عن تردي مستوى الحياة فيها ، لان مجتمعـاً يسيطر

عليه الفقر والجهل والمرض وتمرر فيه ابشع صور الاستغلال ويحرم كلّ ما يؤدي الى رفع مستوى حياة اكثرية ساكنيه الى الحد الذي يفوق فيه مستوى الحيوان على الاقل ، لا بد ان تكون فيه الحياة متردية واثار سوء التغذية بارزة للعيان في نوع الغذاء الذي يأكله سكان تلك الاصقاع ، وفي انحطاط قابلياتهم الجسميـــة والنفسيه والروحية . لان الغذاء الذي لا تتوافر فيه المواد التي يحتاج اليها الجسم للحصول على الطاقة الضرورية لاداء الواجبات العملية والذي يعوزه الكثير من العناصر والمقومات التي تكسب الجسم مناعة تقيه شر الامراض، كفيل بان يجعل اجسام اولئك المواطنين هزيلة متداعية لا تقوى على معالجة مصاعب الحياة، تقع مهازة بسرعة امام ابسط المشكلات والمتاعب، غير قادرة على اداء واجباتهـــا الاجتماعية والقومية وتكون نهب الجوع والمرض والتعاسة والشقاء . وليس من شك في ان للصحة اثراً قوياً في ازدهار كيان الامة واستمرارها واذا كانت الصلة بين الصحة والحالة الاقتصادية وثيقة قوية فان واقع الحياة في الريف يكشف لنـــا بوضوح عنها، فالامراض منتشرة في ربوعه ولا نريد هنـــا ان نعطي قائمة بتلك الامراض لانها معروفة لجميع المعنيين بشؤون الحياة بالريف (راجع رقم ١٩ في الثبت الملحق) وهذا الواقع المرير يوضح لنا سبب الزيادة في كثرة الوفيات ،ولو تحرينا عن اسباب ذلك لامكننا حصرها بعاملين رئيسيين هما كما قلنا سوء التغذية وضآلة الجهود المبذولة للعناية بالصحة هناك فضلا عن مساعدة الجهل في تعقيـد هذه المشكلة وزيادة تفاعلاتها . واستكمالاً للصورة نضيف بعض العوامل الاخرى التي تزيد من سوء الصحة العامة في الريف وهي :--

١) سوء تخطيط بيوت القرويين وتلاصق بعضها ببعض بازقتهـــا الضيقة المليئة بالاقذار والاوساخ والميـــاه النتنة وخلو تلك البيوت من المرافق الصحية كالمراحيض والمغـــاسل واشتراك الحيوانات معهم بالسكن وهذه امور ولا شك تشكل بيئة خصبة لانتشار الامراض والجراثيم .

٢) عدم توفر مياه الشرب النقية في معظم تلك الاصقاع واثره في

تردي الوضع الصحي فلقد كان الريفيون ولا يزالون يشربون من الترع والسواقي او المياه الراكدة كما تشرب البهم والدواب وليس من شك في ان هذه المياه الملوثة بالجراثيم تكون سببا مباشرا من اسباب انتشار الامراض في الريف .

٣) ضآلة الاهتمام بالارشاد الصحي ومكافحة الامراض والوقاية منها.

٤) ضآلة الجهود المبذولة لايصال النور الكهربائي الى تلك الاصقاع واقامة مشروعات المياه النقية بسبب انتشار مساكن الريفيين في جهات متناثرة متباعدة .

المشكلات الاجتماعية

ومن الوقوف على تلـــك المشكلات نفهم الدوافع الحقيقية التي جعلت من المواطن الريفي شخصا بعيدا عن هذا العالم لا ينبثق في قلبه شعور بانسانيته ، خاضعا للقيود الاقتصادية والصحية والاجتماعية غير قادر على الافلات من هذه الحلقة فيعجز عن انشاء روابط اجتماعية راقية لان ذلك يتطلب الحرية فاين تلك هي الحرية التي يفتقر اليها افتقارا شديدا .

ان الهدف الاخير لاي عمل اصلاحي في الريف هو تهيئة الحياة الجيدة للسكان وجوهر الحياة الجيدة يكمن في ممارسة الشعائر الدمقراطية حيث يكون الانسان كل انسان ، غاية بحد ذاته وليس وسيلة لاي شيء اخر ، وليس من شك ان المواطن الريفي كان ولا يزال في معظم المناطق بعيدا عن جوهر الحياة الجيدة وان امراضاً اجتماعية عديدة لا تزال تنخر في جسم المجتمع الريفي ومن اهم تلك الامراض ولعل هو اساسها جميعا ، عدم تحسس ذلك الريفي بضرورة تحسين احواله واحوال بيئته فهو كما نعرف يشكو نقصـــاً فادحاً في الطموح ، وبسبب افتقاره للحيوية العقلية والجسمانية يفضل غالباً ان يسلك سبلاً سهلة مطروقة تحاشياً للصعوبات التي يمكن ان تجابهه في السبل الجديدة غير المألوفة لديه .

العـامة لمجتمع اخر وعلى هدا الاساس لا بد ان تبنى برامج الاصلاح وفي ضوئها يجري التخطيط .

هدا هو واقع الريف العراقي وتلك هي مشكلاته عرضناهـا عرصا بسيطا موحرا لكي نتخذ منها الاساس الدي نستند اليه في تلمس الطريق الذي يوصلنا الى تعمير الريف والاخذ نناصر ساكنيه الى ما فيه الحير والعرة والكرامة .

— ٤ —

ماذا نريد باصطلاح التعمير

بعد أن كشفنا فيه عن واقع الريف العراقي وعن المشكلات التي تحيط به وبساكنيه والتي كانت ولا ترال تؤثر تأثيرا فعالا في تدهور حيـاتهم الصحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وقبل ان نتقدم الى البحث في موضوع (تعمير الريف) او تطويره وتنميته يجدر بنا ان نحدد المفهوم العام والمقصود من اصطلاح (تعمير) فنتساءل قائلين هل يقصد به المعنى اللغوي فنقول انه مصدر فعل (عمّر) فاذا قلنا عمّر المنزل فانمـا نعني جعله آهلاً ؟ ومن ثم نستبعد عنه صفة الخراب ؟ ام المقصود من هذا الاصطلاح اعم من ذلك اي انه يشمل كل ما يؤدي الى تطوير المجتمع في المجالين (المادي والاجتماعي) بحيث يكون الاعمار عند داك , شاملا البلاد ومن عليها ؟)

اننا ونحن في صدد بحث (مشروع تعمير الريف) سنتخذ من المفهوم الاخير الاساس الذي نستند اليه في تقديم مـا نراه ضروريا لاعمار الريف العراقي وتطويره وتنميته في مختلف مجالات الحياة . ولذلك لا بد لنا من طرح السؤال الآتي قائلين من يقوم بعملية التعمير هذه وكيف ؟ . وجوابا على هذا السؤال نقول ان وضع الخطط الرامية الى تعمير الريف والعمل على رفع مستوى حياة الاكثرية من السكان في البلاد لا يتم اعتباطاً بل لا بد من وجود الهيئـات والمؤسسات المتخصصة التي تدرس عن كثب مشاكل الحياة في الريف وتقف على الامراض المستعصية فيـه وبعد ان تحيط بجميع جوانب المشكلة وتقف

تردي الوضع الصحي فلقد كان الريفيون ولا يزالون يشربون
من الترع والسواقي او المياه الراكدة كما تشرب البهم والدواب
وليس من شك في ان هذه المياه الملوثة بالجراثيم تكون سببا
مباشرا من اسباب انتشار الامراض في الريف .

٣) ضآلة الاهتمام بالارشاد الصحي ومكافحة الامراض والوقاية منها .

٤) ضآلة الجهود المبذولة لايصال النور الكهربائي الى تلك الاصقاع
واقامة مشروعات المياه النقية بسبب انتشار مساكن الريفيين
في جهات متناثرة متباعدة .

المشكلات الاجتماعية

ومن الوقوف على تلك المشكلات نفهم الدوافع الحقيقية التي جعلت من المواطن الريفي شخصا بعيدا عن هذا العالم لا ينبثق في قلبه شعور بانسانيته ، خاضعا للقيود الاقتصادية والصحية والاجتماعية غير قادر على الافلات من هذه الحلقة فيعجز عن انشاء روابط اجتماعية راقية لان ذلك يتطلب الحرية فاين تلك هي الحرية التي يفتقر اليها افتقارا شديدا .

ان الهدف الاخير لاي عمل اصلاحي في الريف هو تهيئة الحياة الجيدة للسكان وجوهر الحياة الجيدة يكمن في ممارسة الشعائر الدمقراطية حيث يكون الانسان كل انسان ، غاية بحد ذاته وليس وسيلة لاي شيء اخر ، وليس من شك ان المواطن الريفي كان ولا يزال في معظم المناطق بعيدا عن جوهر الحياة الجيدة وان امراضاً اجتماعية عديدة لا تزال تنخر في جسم المجتمع الريفي ومن اهم تلك الامراض ولعل هو اساسها جميعا ، عدم تحسس ذلك الريفي بضرورة تحسين احواله واحوال بيئته فهو كما نعرف يشكو نقصاً فادحاً في الطموح ، وبسبب افتقاره للحيوية العقلية والجسمانية يفضل غالباً ان يسلك سبلاً سهلة مطروقة تحاشياً للصعوبات التي يمكن ان تجابهه في السبل الجديدة غير المألوفة لديه .

هيئات ومؤسسات عدة لهذا الغرض . بينما الهت في الهند ورارة خـــاصة هي (ورارة تنمية المجتمع المحلي والتعاون) لتولي عمليات تخطيط وتنفيذ الخطط المرسومة لتنمية المجتمع في الهند عامة .

ومن المناسب جدا ان ندكر هنا تلك التسمية الرائعة التي اطلقها المسؤولون في الهند على لائحة القانون الخــاص بانشاء (ادارة مشروعات تنمية المجتمعات المحلية) في بلادهم ، فقد اطلقوا على هذا القانون اسم (ميثاق الهند لحق الحياة). وليس من شك في ان هده التسمية لم يطلقها المخلصون من رجال الهند اعتباطاً انما اطلقوها لان القانون يهدف الى رفع مستوى حياة (٨٠٪) من سكان الهند يعيشون في (٥٥٠ الف) قرية . ولدلك نعتقد ان هـــده التسمية تنطبق علينا ايضا لان سكان الريف الدين لا يقلون ترديا وانخفاضـــاً في مستواهم الحياتي عن سكان الريف في الهند ، يمثلون زهـــاء الـ (٧٠) من مجموع السكان وهم اولى بعناية الحكومة ورعاية المسؤولين .

قواعد تخطيط التنمية الاجتماعية

واذا ما اكدنا على ضرورة الاهتمام بمشروعات التنمية الاجتماعية والسير بها جنبا الى جنب مع المشروعات المادية الصرف فما هي القواعد التي تتطلبها (خطط التنمية الاجتماعية) اذن ؟ حين بحثت عن (الهند واصلاح الريف) في كتابي (الريف والاصلاح الاجتماعي في العراق) لخصت القواعد التي اتبعتهـــا الهند في هذا الحقل بما يلي . —

١ — يجب ان تكون برامج التنمية الاجتماعية متجاوبة مع حاجات المجتمع الضرورية وساعية لتحقيق رغبات الشعب .

٢ — ان تكون تلك البرامج شاملة تتوازن فيها خدمة المجتمع في مختلف نواحي الحياة .

٣ — الايمان بان العمل على تصحيح مفاهيم افراد المجتمع الخاطئة عمـــا يقدم

على الداء تباشر في رسم الخطط الكفيلة بمعالجة تلك المشاكل معـــالجة سليمة مستندة فيها الى الخبرة والدراية والى مـــا هو متوافر لديها من دراسات عن مشاكل مشابهة قائمة في مجتمعات عربية او اجنبية مماثلة وجرى حلها حلا سليما وكانت نتائجها طيبة نقول(ان وجود هذه الهيئات والمؤسسات ضروري لانارة الطريق امام المسؤولين في هذا السبيل .)

بيد ان رسم الخطط وتقديم الدراسات يظل عديم الفائدة ان كان المسؤولون يتظاهرون بالاصلاح غير جادين في العمل ، لذا لا بد من التأكيد على ان اية خطة لن يتم لها التحقيق والنجاح الا اذا اقتنع المسؤولون بضرورتها لان هذا الاقتناع يولد في نفوسهم الرغبة الاكيدة في العمل وهذه الرغبـــة تدفعهم لبذل الجهود من اجل تنفيذها ورصد المبالغ اللازمة لها .

ثم لا بد لنا ايضا من التأكيد على عدم الاقتصار على تنفيذ المشروعات المادية واهمال المشروعات الاجتماعية، فاذا كنا مقتنعين حقا بضرورة تعمير الريف فان الواجب يحتم علينا القيام بالمشروعات المادية والاجتماعية جنبا الى جنب لانقاذ الشعب مما هو فيه من فقر وجهل ومرض . وعلى ذكر هذه الناحية من البحث هذا اود ان اسجل عبارة كنت قد اثبتها في كتابي (نظرات في اصلاح الريف الذي اصدرته في اوائل عام ١٩٥٠ وهي التي قلت فيها ما نصه ..

(ان الامة التي تحاول التقدم عن طريق الانشاءات المادية ولا تسعى الى تدعيم كيانها الانساني ولا تهتم بالعامل البشري كأساس لمدنيتها عامهـا تمسي امة من المادة وتصبح هيكلاً لا روح فيه . ان قوة الامة تستمد من روح شعبهـــا ومن مبادئ اخلاقه وافكاره وتصرفاته لا من انتشار الطرق واعمـار السهول ووفرة الانتاج فحسب).

من هذا نرى تلازما هاما بين المشروعــات المادية والاجتماعية ، وان من له اطلاع على الجهود التي بذلت وتبذل في الجمهورية العربية المتحدة والهند مثلا من اجل تعمير الريف وتطوير حياة ساكنيه ، يعرف ان تلك الجهود المبذولة ما كان ليكتب لها النجاح لو سارت سيرا عشوائيا. ففي الجمهورية العربية المتحدة قامت

ان مسؤولية **تعمير** الريف وتطويره اذن مسؤولية صعبة لم تكن مجرد توزيع ارض وبناء دور ورصف طرق او اقامة بعض المشروعات المادية الصرف فحسب ولكنها كما رأينا تقضي كذلك القيام بالمشروعات الاجتماعية التي تؤدي بتفاعلها مع تلك المشروعات المادية الى خلق المواطن الريفي خلقـــا جديدا وتجعل منه مواطنا صالحا يعرف ما له من حق ويؤدي ما عليه من واجب ويكون باستطاعته التمتع بالحياة الحرة الهانئة الكريمة في مجتمع ترفرف عليه ألوية الامن والهدوء والاستقرار وتنعدم فيه معـــالم السيطرة والاستغلال وتخيم عليه ظلال الحياة الدمقراطية الحق .

فاذا كانت كل هذه الواجبات يشملها مشروع تنمية الريف وإعماره فهل من المعقول ان يترك امر التخطيط لها موزعا بين الوزارات المختلفة والدوائر المتعددة دون ان ينسقها منسق او يجمع شملها جامع ؟

اني في الواقع لأشكر للهيئة التحضيرية (للمؤتمر الشعبي لمنـــاقشة مشاكل الاصلاح الزراعي ومعالجتها) أنها أتاحت الفرصة لي لاثارة هذه الناحية الخطيرة في الاصلاح الريفي ووضعها امام اعين المسؤولين من جديد ما داموا شاعرين حقا بما لأعمار الريف ورفع مستوى حياة ساكنيه من شأن عظيم ، واكرر الدعوة التي ناديت بهـا منذ اكثر من ١٢ عامـــا الا وهي ضرورة **انشاء هيئة خاصة تتولى شؤون التنمية الاجتماعية في الريف وتكون مسؤولة عن النهوض بـه نهوضا عاما شاملا وفق الاسس التي ذكرناها** آنفا مع اضافة مـا تقتضيه ظروف المجتمعات المحلية في بلادنا ، فاذا كنا حريصين حقـــا راغبين صدقا في النهوض بالريف فاني ارى ان يفكر اولا بانشاء هـــذه المؤسسة التي تأخذ على عـاتقها دراسة مشكلات الريف ومسبباتها دراسة علمية سليمة وبعد ذلك يصـــار الى تطبيق خططها الموضوعة لحل هذه المشكلات بعيدا عن التسرع والارتجـــال وبعثرة الجهود والاموال عبثا .

وعلى هذا اقترح على المسؤولين ان يستفيدوا من خبرة الجمهورية العربية

لهم من خدمات لا يقل شأناً عن اعداد المواد اللازمة لتنفيذ البرامج لا سيما في المراحل الاولى .

٤ — ان الهدف الاسمى لكل مشروع اجتماعي هو السعي في المدى البعيد الى تطوير حياة المواطنين واشراكهم بالعمل لادارة امورهم بانفسهم .

٥ — ان كل خطوة اصلاحية اجتماعية لا يكتب لها النجاح ما لم يهيأ لها الجهاز المختص من القادة المدربين تدريبا فنيا ملحوظا .

٦ — ان اي مشروع اجتماعي لا يكتب له النجـــاح اذا اهمل فيه عنصر المرأة واغفلت فيه خدمات الشبان .

٧ — لا يمكن قيام مجتمع ذي حيوية فعالة ما لم ينل مساعدة الحكومة .

٨ — لا يمكن ان يتم تنفيذ برامج التنمية الاجتماعية سواء كانت على مستوى محلي او قومي شامل ما لم تكن للدولة سياسة ثابتة ومؤسسات مسؤولة عنه واجهزة مدربة للعمل فيه ومـــا لم تجند الدولة له جميع مصادر الابحاث والتجارب الهادفة لتطور المجتمع .

٩ — يجب ان يسير العمل على رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي المحلي جنبا الى جنب وبصورة متناسقة مع مشروعات التنمية الاجتماعية والاقتصادية المرسومة لخدمة المجتمع على مقياس قومي شامل .

١٠— الاستفادة من جميع المساعدات المادية والمعنوية التي تقدمهـــا المنظمات والمؤسسات (غير الحكومية) سواء كانت تلك المساعدات على الصعيد المحلي او القومي او الدولي .

تلك هي اهم القواعد والاسس التي يجب ان تنتظمها خطة التنمية الاجتماعية اذا اريد لها التوصل الى تحقيق اكبر قسط في خدمة المجتمع بصورة عامة .

من يتولى اعمار الريف عندما اذن ؟

وساكنيه ورفع مستواهم المعاشي وتحريرهم من قيود المشلات الاقتصادية والسياسية والاحتماعية التي كانت تحد من نشاطهم في دلك المحيط ويمكن حصر اهم هذه المشكلات بما يلي · —

١ — نشر الملكية الصغيرة والعدالة في توريع الملكيات الرراعية. وقد ضمن قانون الاصلاح الرراعي الدي صدر يوم ٣٠ ايلول١٩٥٨ تحقيق هذه الاهداف، وبهدا القانون قد تم القصاء على النطام (شبه الاقطاعي) الذي كان مسيطرا على الريف. وفي الوقت الدي نشعر فيه بانصراف الدوائر المعنية في ورارة الاصلاح الزراعي الى عملها بحد ومثابرة لضمان الاستيلاء على الاراضي الخاضعة لقانون الاصلاح الرراعي وتوريعهـــا على صغار الفلاحين بأقصر وقت ممكن نود ان نشير هنا الى ان المسألة في هذا التوريع لا تقتصر على منح الفـلاح «سند التمليك» وحسب ، بل لا بد من القيام بخطوات مادية اخرى تساعد هدا المواطن على حسن استغلال ارضه ومن ثم تؤدي في النهـاية الى ريادة الانتاج الرراعي في البلاد . واذا اردنا ان ندكر العناصر الاساسية التي تسهم اسهامـــا فعالاً في الاخذ بناصر صغـــار المرارعين الدين سيفيدون من قـانون الاصلاح الرراعي فيمكننا تلخيصها بما يلي : —

أ . تنظيم شؤون الري والبزل واتخاد كافة الاجراءات المالية والادارية لتوفير المياه وتنظيم توريعها على الجميع بعدالة .

ب . الحد من خطر تراكم الاملاح في التربة .

ج . حفر المصارف واستصلاح الاراضي والعناية بالسدود والقنوات .

د . ترويد المرارعين بالاسمدة والبذور الجيدة .

هـ . تسهيل الاجراءات لحصول المزارعين على القروض الرراعية من مصادر التسليف المختلفة وبفوائد مخفضة وريادة رؤوس اموال هذه المصادر .

المتحدة او الهند في هذا المجال نظراً لتشابه ظروف الحيـــاة في ريف ذينك القطرين مع ظروف الحياة في الريف العراقي من جميع الوجوه تقريبا، ويوجدوا لنا الجهاز المخطط المسؤول عن تنمية المجتمع الريفي في البلاد بصورة عــامة لان وجوده ضرورة ملحة اذا كنا راغبين حقـــا في خدمة مجتمعنا خدمة صادقة تعود بالخير على الجميع .

ان الذي دفعني للتأكيد ثانية على إنشاء هذه المؤسسة الحيوية هو الحقيقة التي تظهر ان مسؤوليـــة الاصلاح الاجتماعي في بلادنا تقع اساسا على عاتق الحكومة بالدرجة الاولى نتيجة للفقر الشديد وقلة وعي فئات الشعب للمسؤوليات من ناحية ولحاجة البلاد الى الاسراع في عملية الاصلاح من ناحية ثانية .

فكيف يتسنى للحكومة القيـــام بهذا الواجب الهام ؟ أيترك موزعاً كما قلنا بين الوزارات المختلفة ، يسير سيرا عشوائيـــا لا خطة فيه ولا هدف ام لا بد له من توحيد وتوجيه ؟ واذا كان بعض المصلحين الاجتماعيين يقول انه « لا يمكن الوصول الى نمو متكامل في اي مجتمع الا اذا كانت هناك فلسفة اصلاحية متكاملة للمجتمع تربط وتنسق جميع البرامج والمناهج فيه سواء كانت اقتصـــادية او اجتماعية او غير ذلك » فان الايمان بهذه الفكرة الصائبة يستوجب قيـــام تلك المؤسسة التي تطبق تلك البرامج والمناهج تطبيقا علميا واعيا .

ماهي الاسس التي يقوم عليها تعمير الريف ؟

حين استعرضنا المشكلات المحيطة بالريف وساكنيه حصرناهـــا بثلاث مجموعات ، هي الاقتصادية والصحية والاجتماعية ، لكننا في مجال البحث عن الاسس والحلول التي لهـــا اثر كبير في تعمير الريف وتطويره سنضع هذه الاسس داخل اطارين من المشروعات هما (١) المشروعات المادية (٢) المشروعـــات الاجتماعية .

اولاً – المشروعات المادية :

تقوم بها الحكومة او المؤسسات الاهلية او الدولية لتحسين حـــالة الريف

بالنسبة لملاءمة حو تلك المدينة لها ان هذا التوزيع المتناسق سيحد من تدفق هجرة الريفيين الى المدن الرئيسية ويورع العاملين منهم في هذه المشاريع الصناعية بين المدن المختلفة .

٩ – تزويد الريف بالقوة الكهربائية واقامة مشاريع اسالة الماء .

١٠ – توطين العشائر المترحلة عن طريق توفير الاراضي الزراعية لهم وحفر الآبار الارتوازية وتقديم الخدمات الضرورية لتنظيم وتطوير رعي المواشي وتأسيس المستوصفات والوحدات البيطرية السيارة وما الى ذلك .

ثانيا – المشروعات الاجتماعية :

ونقصد بها تلك المشروعات والبرامج التي تهدف الى تحسين حال الفلاح عقليا وروحيا وثقافيا، لينفض بواسطتها عن نفسه آثار القرون الماضية المتمثلة في جهله المطبق وسيطرة الخرافات عليه وتمسكه الاعمى بالتقاليد والاساليب القديمة البالية ، وتساعد على تغيير نظرته للحياة وتفتح امامه آفاقا جديدة في العيش والكسب الحلال، وتجعله يشعر بقناعة واطمئنان الى انه لم يعد عبداً او آلة صماء يتلاعب بها الآخرون، ولكنه انسان حر ومواطن كريم يجب ان يقوم بدوره في هذه الحياة ليسهم في بناء مجتمعه اسهاماً محدياً . ومن ثم ليعرف ان اجهزة الدولة ما قامت ، وأن موظفيها ما كانوا ، الا لخدمته وتهيئة الفرص المتكافئة له ولجميع ابناء الشعب ولرفع مستوى حياة الاكثرية الى الحد الذي يضمن لهم الكفاية والعدل.

انها اذن من اخطر المشروعات وابعدها اثرا في تغيير حياة الشعب وتطويرها فكيف يتسنى للمسؤولين القيام بها وتحقيق اهدافها ؟

قلت في كتابي (الريف والاصلاح الاجتماعي في العراق) وفي مقالي عن (الريف تخطيط الاصلاح الاجتماعي) فيه ما نصه :

« ان بالامكان مثلاً معرفة درجة تماسك السمنت مع رمل الحمانية او قياس قوة تحمل البلوكات الكونكريتية للضغط الذي تتعرض له لان بمقدور المختصين الحصول

و . اقامة المراكز الزراعية وتزويدها بالوسائل الحديثة والآلات الزراعية لتقديم خدماتها لهم .

ر . انشاء المزارع النمودجية وتدريب الفلاحين على احدث اساليب العمل والانتاج وافضلها .

٢ — ربط مناطق الريف المختلفة بطرق المواصلات الرئيسية وتسهيل وصول وسائل النقل الى تلك الاصقـــاع ليسهل اتصال الريف بالمدينة ومن ثم تسهل استفادة المزارعين ببيع حاصلاتهم في اسواقها .

٣ — بناء القرى الحديثة وتخطيطهـــا على اسس هندسية اجتماعية لنظم شتى مرافق الحياة العامة .

٤ — بناء المخازن اللازمـــة لخزن حاصلاتهم الزراعية الرئيسية حفظا لها من التلف والسرقة والضياع .

٥ — تسهيل مهمة تسويق حاصلاتهم الزراعيـــة بايجاد المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم بشراء او بيع هذه الحاصلات وتنقذهم من ابتزاز الوسطاء لجهودهم والاستيلاء على جزء كبير من ارباحهم .

٦ — نشر ألوية الامن في تلك الربوع والقضـــاء على كل مـــا يسبب الفوضى ويعكر الهدوء والاستقرار فيها ، ووضع حد لاعمال الشقاوة والسرقات والاجرام التي يتكرر حدوثها في كثير من جهات الريف .

٧ — اقامة المستشفيات ونشر الوحدات الصحيـــة المجمعة في الريف وتوفير العلاج والدواء اللازم لمكافحة الامراض المستعصية فيه لزيادة قابلية السكان الانتاجية .

٨ — اعادة النظر في توزيع المشروعات الصناعية بين الالوية بحيث لا تترك لتتركز في مدينة او مدينتين او ثلاث ، بل لا بد من توزيعها بين المدن الرئيسية بعدالة وبحسب توافر المواد الخام اللازمـــة لتلك الصناعة ا

لتغير وجه الحيـاة في العراق تغييرا كبيرا ولأصبحنـا في عداد الدول الراقية المتقدمة .

ما الذي تشمله المشروعات الاجتماعيـة ؟

بعد هذا العرض والتحليل الموجز للمعنى المقصود بالمشروعـات الاجتماعية نقدم فيما يلي اهم ما يدخل منها في نطاق الاصلاح الاجتماعي في الريف وهي : —
١ — مكافحة الامية والتربية الاساسية

ان مشكلة الامية في بلادنا مشكلة ضخمة تتكون من عناصر متشابكة ترجع الى تاريخ طويل ، ويعود معظمها الى عهود الاهمـال والظلم التي مرت على الريف والى خضوع اكثرية ساكنيـه الى اعدائها الثلاثة الا وهي الفقر والجهل والمرض منذ امد بعيد .

فلا عجب اذا ما رأيناهم محرومين متـابعة التطورات في هذه الحياة وملاءمة انفسهم لها لأن ادوات الاتصال التي تمكنهم من ذلك معطلة ولذا تكثر بينهم مظـاهر التخلف ففيهم كثير من الاشخاص الذين لا يزالون يؤمنون بالوصفات البلدية والرقى والتعاويذ وفيهم الذين يزرعون بنفس الاسلوب الذي سـار عليه اجدادهم على الرغم مما طرأ من تغيرات في تحسين الاساليب الزراعية او المحاصيل الخ ..

ان هذه الصورة تكاد تكون الصورة المميزة لابنـاء الريف في العراق في مختلف جهات القطر **فاذا كنـا نريد تعمير الريف حقا فلا بد لنا اذن من اعمار نفس الفلاح وعقله وروحه ، انعلينا ان نزوده بالادوات التي تتيح له معرفة تغيرات الحياة وفهمها ومتابعتها لكي يقضي مصالحه ويستفيد من التغيرات المتلاحقة في المجتمع .**

ان علينا في هذا الباب ان نؤكد على ان مكافحة الامية ليست عملية مقتصرة على تعليم القراءة والكتابة فحسب انمـا يراد بها في الواقع علاوة على ذلك تمكين

على نتائج تجاربهم هذه بكل يسر وسهولة وهي نتائج مضبوطة (ضبط العقـل
كما يقولون. فهل بامكاننا الحصول على نتائج مضبوطة كهذه في اختباراتنا الاجتماعية
ليس من شك في ان هذا الامر صعب ويحتاج الى جهود اكبر للحصول على هذه العا
لان الذي ندرسه انما هو بشر سوي » ثم قلت ايضاً « ان على المسؤولين ان يهتمو
باحوال الفلاح الاجتماعية والصحيـة والنفسية والتربوية اهتمامهم بشؤونه الاقتصاد
لانه مفتقر الى الحيوية العقلية والجسمية ويشكو نقصاً فادحـاً في الطموح بسبب
ضغط الحياة عليه من كل الجهات» ولذلك اذا كان المسؤولون راغبين حقاً في اعمار
الريف وتطور حياة ساكنيه « فلا بد ان يتقدم تخطيط المشاريع المادية او يسير
معها جنبـاً الى جنب تخطيط المشاريـع الخاصة باصلاح الفلاح نفسيـاً وتربوي
واجتماعياً لان الهدف الاساسي لاي عمل اصلاحي في الريف هو تهيئة الحياة الخير
فيه حيث يكون الانسان غاية بحد ذاته وليس وسيلة لشيء اخر » .

وهكذا وعلى اساس هـذه الحقائق يجب ان يعمل المخلصون بجد لوضع هذه
المشروعات موضع التنفيذ شريطـة ان تكون مستندة الى دراسة شاملة ودقيقة
لتجنب مزالق الفشل التي تكثر عادة في المخططات التي تتسم بطابع الارتجال
والدعاية الكاذبة المضللة . ثم لا بد لنا من التأكيد بأن اي فشل يصيب مشروعات
الاصلاح الاجتماعية قـد يتسبب عنه نكوص يفقد المواطنين ثقتهم بها وباهدافها
فليكن رائد الجميع في العمل اذن هو التصميم المستند الى دراسة شاملة وتخطيط
علمي دقيق وان لا نبدأ العمل الاجتماعي الا بعد ان نستكمل مستلزمات نجاحه
من مواد وادوات وقادة مدربين واحصائيين يعرفون نوع الخدمة التي سيقومون
باداتها والهدف الذي يهدفون اليه .

ولا اريد هنا تعزيز هذه الفكرة بالاشارة الى التجارب العديدة التي قامت بها
الحكومات العراقيـة في مجال الاصلاح الاجتماعي والتي آلت الى الاخفاق فهي
كثيرة ولكنني اود ان اقول ان علينا اذن ان نفيد من نتائج تلك التجارب ومن
خبرات الامم في هذا المضمار كي يأتي تخطيطنا في ميدان الاصلاح الاجتماعي
محكما سليما ليعود بالخير والنفع الجزيل على ابناء الشعب كافة .

ان هذا الامر يقودنا مرة اخرى للتأكيد على ضرورة قيـام ذلك الجهاز او
تلك المؤسسة التي ستقوم بمثل هذه الاعباء الجسام التي لو كتب لها التوفيق والنجاح

واحد ولذلك نرى ان فترة عملهم لا تمتد لاكثر من خمسة اشهر عادة في السنة وفيما عدا ذلك نراهم يقضون وقتهم الباقي في المضايف والمقاهي يجترون احاديث العشيرة واخبار الاخرين او يلعبون الطاولة والدامة او الورق الح ... فللاستفادة من هذا الوقت الضـائع عبثا لا بد من حمل المزارعين على ذلك عن طريق اتباع اسلوب الدورة الزراعيـة وادخال محاصيل رراعية اخرى تعود عليهم بالنفع والفائدة المجزية .

حـ . رراعة الحصراوات .

تأنف اكثرية المزارعين في مناطق الريف من زراعة الخضراوات لانها ترى في مزاولة هذا النوع من الزراعـة خسة وحقارة بسبب ما تتطلبه حدمتها من استعمال للاسمدة الحيوانية او الفضلات البشرية الامر الدي لا يرتضيـه هذا الفلاح الشموخ بعزته وكرامته ، لذلك طلت هذه الرراعة المربحة ردحا من الزمن من اختصاص المزارعين الطارئين على المنطقة . ان هذه النظرة آخذة بالزوال لا سيما كلما راد اتصال الريف بالمدينة وكلما اصبحت ارباح رراعة الخصراوات اكثر نفعا من المحاصيل الرئيسية الاخرى ومع هذا فان آثارها لا تزال باقية في اذهان الاكثرية الغالبة منهم .

د . تربية الدواحن من عمل النساء .

اما تربية الدواجن والافادة منها ومن بيضها او تربية البقر والمواشي والاستفادة من منتجاتها فذاك امر لا يصح القيام به لانه عمل حقير لا تقوم به الا النسوة ، وهل الفلاح امرأة (العياذ بالله) حتى يقوم به ؟ ان علينـا ان نغير هذه النطرة عنده ليفهم ان عمله هذا سيعود عليه وعلى اسرته بالنفع والفائدة ولا سيما اذا علم ان هذه الاعمال سيشاركه فيها اولئك الاشخاص الدين كانوا وما يزالون يشاركونه في حصيلة

الاميين من المشاركة في اقتصاديات البلاد وتوجيه امورها ومساعدتهم على ان يحيوا حياة صحية واجتماعية نظيفة واعانتهم على الاستمتاع بثمار الثقافة التي تفتح امامهم آفاق الحياة وتدفعهم الى الاقبـال على العمل والبناء وبذلك اصبح تعليم القراءة والكتابة وسيلة للاتصال بمصادر الثقافة والمعرفة الخ ...

لقد اتسع مفهوم مكافحة الامية اليوم اذ اصبح يشمل تعليم القراءة والكتابة والحساب والثقافة العامة والوعي العام بعد ان كان قاصرا على القراءة والحساب ، واصبحت الغاية من المكافحـة هي تكوين العامل المنتج والمواطن الصالح ورب الاسرة الواعي والفرد المثقف .

ان علينا اذن ان نعى بنشر المدارس الريفية لتعليم ابناء القرويين الصغار في نفس الوقت الذي نسعى فيه للاستفادة من خدمات مشاريع التربية الاساسية لتعليم الكبار ومن ثم فان علينا ان نجعل من المدرسة المكان الذي تنطلق منه نظرات اصلاح الريف لتشمل البيت والحقل والمزرعة وما تتطلبه من خدمات .

٢ – تغيير نظرة الريفي الخاطئة

من الحقائق المعروفة لمن له صلة بحيـاة المزارعين ، ان هنالك بعض النظرات الخاطئة التي تنزل عندهم منزلة الحق والصواب على الرغم من عدم صحتها في الواقع ولذلك تراهم سائرين في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية على اساسها على الرغم مما يلحق بهم من ضرر ولهذا لا بد من بذل الجهود لتصحيح هذه النظرات وهي :–

أ . زراعة النير وبير .. اي قيامهم بزراعة نصف الارض وتبوير النصف الآخر الى السنة القادمة وهكذا على التتابع ، وقد اثبتت **الوقائع** خطأ الرأي الذي يستندون اليه فيها ، لذا لا بد لنا من اقناع الفلاح عمليا بخطـأ نظرته وذلك عن طريق استعمال الاسمدة الكيمياوية ومعالجة املاح التربة في الارض .

ب . الاعتماد على حاصل زراعي واحد .

وتعتمد اغلبية المزارعين على زراعـة حاصل زراعي واحد ولموسم

الجمعيات التعاونية الزراعية المتعددة الاغراض شريطة ان تبنى تلك المؤسسات على اسس سليمة وان يتولى الاشراف عليها موظفون مختصون بأمور التعاون أمناء على اداء هذه الرسالة .

٥ – نشر الوعي الصحي باتباع السبل الكفيلة للوقاية من الامراض من جهة وعلاجها الفعال من جهة اخرى والتأكد على العادات الصحيحة الضرورية لحفظ الصحة ، ولذلك لا بد من تهيئة العدد اللازم من الزائرات الصحيات والمرشدين والمرشدات الاجتماعيات كي تتولد في نفوس الفلاحين الرغبة في العيش الصحي النظيف وان يقضي على مزعجات المرض والاوبئة والقاذورات .

٦ – المرأة عنصر هام من عناصر الحياة في الريف فلا بد من توعيتها وتزويدها بالخبرات الضرورية لدعم الرجل في تنظيم العمل وفي تكوين الاسرة السعيدة ، فلا بد اذن من اشراكها في برامج التربية الاساسية وتزويدها بالمعلومات النافعة لتدبير المنزل وتربية الاطفال او ما الى ذلك .

٧ – تشجيع اقامة الصناعات الريفية الاخرى في المناطق التي تتوفر فيها هذه المواد او تلك الخبرات والعمل على مدهم بالخبرة الموجهة والآلات – والادوات الضرورية وتدريب ابنائهم في المراكز المهنية ليكتسبوا الخبرة اللازمة وايجاد الاسواق الضرورية لتصريف انتاج تلك الصناعات .

٨ – تنظيم شؤون الفلاحين ضمن اطار النقابات الزراعية او الجمعيات الفلاحية شريطة ان يكون هدفها الكفاح من اجل تحسين ظروف العمل وتنظيم شؤون اعضائها والدفاع عن حقوقهم المشروعة والمساهمة في خدمة الامة عن طريق زيادة الانتاج وتسهيل تنفيذ المشروعات التي تقوم بها الحكومة والمؤسسات الاخرى لخدمة الريف وساكنيه والمساهمة فيها مساهمة فعالة، ولكي تكون هذه المنظمات مؤثرة في اعضائها عليها ان تبتعد عن التضليل والدعاية الكاذبة وان يكون هدفها خدمة الفلاح اولا واخيرا .

عمله الزراعي دون ان يسهموا معه في العمل طوال الموسم ويعني بهم افراد عائلته الآخرين .

هـ . احتقار الصنعة .

ان نظرة الريفي الى الصناعة والاعمال الحرفية كانت وما تزال في كثير من المناطق نظرة يشوبها الاحتقار وعدم التقدير ، ولذلك لم يكن للصناعة في الاقتصاد العشائري شأن يذكر بسبب ما ورثوه من آراء ونظرات حتمتها الحياة العشائرية لا التي تمتد جذورها الى حياة البداوة اما الآن وبعد التوطن والاستقرار وتطور معالم الحياة من جميع جوانبها لا بد لنا من حملهم على تغيير هذه النظرة والاستفادة من اوقات الفراغ الزائدة الضائعة عبثا وذلك عن طريق الانتفاع ببعض الصناعات والحرف التي يجيدونها او تتوافر لديهم المواد الاولية لها .

و . العمل على تغيير فلسفته في الحياة وحمله على المساهمة في التخطيط للمستقبل وتغيير نظراته المستسلمة للقضاء والقدر والسير على قاعدة (ما يصيبك الا نصيبك)واخيرا العمل على تغيير نظرته الاقتصادية المبنية على قاعدة (اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب ، ومحاولة افهامه معنى الاقتصاد والاستثمار والتوفير واثرها في رفع مستوى حياته من جميع الوجوه .

٣ — العناية بنشر الوعي الزراعي في تلك الاوساط والاهتمام بالارشاد الزراعي وتزويده بنتائج الخبرات المماثلة ، اما عن طريق المحاضرات او الصور المكبرة او الفانوس السحري او الافلام السينمائية او الاذاعة والتلفزيون والصحافة .

٤ — نشر الوعي التعاوني وغرس روح الثقة فيما بينهم عن طريق اقامة

مستعدا للتعاون مع جميع الموظفين الاختصاصيين في الريف ، تعاونا لا يفسده عنجهية او غرور واستعلاء .

وضمانا لهذه المميزات ارى ان يزود هؤلاء الاداريون على مختلف المستويات من المتصرف حتى مدير الناحية بالمعلومات الخاصة بالنهوض بالريف، وذلك عن طريق اقامة دورات دورية لهذا الغرض لتكون هذه المعلومات سببا في تسهيل مهمة العاملين في الريف وعاملا مهما في الاستفادة من نشاط الادارات المحلية في خدمة الريف وساكنيه .

لا بد من خطة لاعمار الريف اذن .

ان ما ذكرت من حلول في اطاري المشروعات المادية ومشروعات الاصلاح الاجتماعي ليست على كل حال هي كل ما يؤدي الى تعمير الريف وتطوير حياة ساكنيه ، بل ربما هنالك امور اخرى لم يرد ذكرها الا ان هذه الحلول تمثل الجانب الاهم والكفيل باصلاح الريف ، لكن السؤال الذي لا بد من اثارته في هذا المجال هو.. كيف يتم تنفيذ هذه المشروعات ومتى وعن طريق من ؟

وجوابا على ذلك نقول ، **ان هذا العمل الجبار لن يكتب له النجاح ما لم توضع له خطة ثابتة يجري تطبيقها في مراحل زمنية معينة وما لم يرصد لها المال اللازم لكل مرحلة من هذه المراحل ، وما لم يتول الاشراف على تنفيذ برامج هذه الخطة جهاز متخصص متشعب الاختصاصات والقابليات وما لم يكن العاملون في تنفيذ مشروعات الخطة اشخاصا معدين اعدادا ومهيئين لخدمة الريف حسبما انتهت اليه تجارب الامم التي سبقتنا في هذا المضمار .**

واني لاقول بهذا الصدد ان التأخر سنة او اكثر من اجل اتخاذ الخطوات الكفيلة بانشاء الهيئة او المؤسسة المسؤولة عن القيام بالمشروعات اللازمة لاعمار الريف واتخاذ ما يلزم لوضع خطة الاعمار هذه ، انفع

٩ – مجلس القرية : – واذا كنا من المؤمنين بالحيـــاة الدمقراطية حقا ومن الراغبين في تطبيقها لا بد لنا من الدعوة الى إنشاء المجالس القروية المستندة الى الانتخــــاب الحر المباشر ، فقد ثبت لدى كثير من الدول اهمية هذه المجالس في نجاح خطط الاصلاح وكمثال على ذلك اشير الى ما اتبعته الهند في الاستفادة من مجالس (النبجــايات) اي المجالس القروية التي تقوم بواجبــاتها الاجتماعية والرسمية بمعاونة (ضابط التنميــة) والاخصائي الاجتماعي واجهزة الدولة الاخرى .

ان علينا ان لا نكتفي بما جاء به قانون القرى او قانون ادارة الالوية بل لا بد لنا من جعل هذه المجالس ذات فعالية واثر في تنظيم المجتمع المحلي تنظيما مستنداً الى المشاركة المخلصة والعلاقات الطيبة المبنية على الاخلاص والود والتعاون لا على الكره والحقد والبغضاء لكي تقوم بقيادة وتوجيه جميع فروع النشاط الصحي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والاداري في القرية وذلك في حدود الخطة العامة التي ترسمها الدولة.

١٠–الادارة والريف : – لقد كانت معاناة سكان الريف من امتهان كثير من رجال الادارة لهم في العهود الســابقة اساسا في تولد فكرة كره الحكام والحكومــة عندهم ، ومما زاد في التباعد بينهم وبين الادارة ما ثبت لهم بالفعل ، من ان الخير لا يأتي من الحكومــة اساسا ، لانهم لم يروا منها الا سوق ابنائهم للجندية وجباية الضرائب منهم وتسخيرهم لحمــــاية الاسياد والامتهان والاحتقار .

ان هذه الفكرة التي ثبتت جذورهــا منذ العهد العثماني وظلت تفعل مفعولها حتى اليوم لا بد لنا من اجتثاثها من اساسها لان الحكومة لم تعد الا خادمة للشعب ، ولما كانت علاقة رجــال الادارة بسكان الريف قوية فان على المسؤولين ان يؤكدوا على هذه الناحيــة ليكون الموظف عارفا بواجباته قادرا على تفهم الحاجــــات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية

ثبت بمعاني الكلمات والمصطلحات الواردة في البحث

الكلمة والاصطلاح	الشرح
(١) اشايته	هم عبارة عن حشود الجيش غير النظامي ايام العهد العثماني في العراق ، راجع ص ٢٦٧ من كتاب اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . اس. هـ. لونكريك . ترجمة جعفر الخياط .
(٢) سركال	اصطلاح محلي يعني رئيس العمال اصله كلمة (سركار) الفارسية .
(٣) رص اللزمة	ان تفسير (اللزمة) وارد في قانون الاراضي العثماني الصادر سنة ١٨٥٨ م وقانون تسوية حقوق الاراضي ، فاراضي اللزمة هي الاراضي الاميرية غير المفوضة التي منح (حق اللزمة) فيها لمن تصرف بها زرعاً او غرساً بموجب احكام المادتين (١١ و ١٢) من قانون التسوية .
(٤) القن	كلمة عربية اصيلة، جاء في قاموس متن اللغة المجلد الرابع ص٦٦٥ (القن. العبد الخالص العبودية الذي ملك هو وابواه، جمعه اقنان . ا هـ).
(٥) ترصين	ان هذا الفعل ورد في خطاب وزير الاصلاح الزراعي الذي القاه عشية اصدار القانون وهو يعني كما يقول قاموس المحيط ومتن اللغة (تثبيت) فرصن معناه ثبت.
(٦) تحديد حد اعلى لاصحاب الارض	اصطلاح ورد في صلب قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨، وفضلاً عن ذلك انه ورد في خطاب وزير الاصلاح الزراعي المشار اليه اعلاه ، ويراد به تحديد الملكية الزراعية بحد اعلى لا يمكن تجاوزه قانونا .
(٧) الاراضي المحلولة	هي الاراضي الاميرية او الموقوفة التي كانت تحت تصرف الاشخاص ثم لسبب من الاسباب القانونية (المبينة فيما يلي) اصبحت بحكم الاراضي الاميرية ثانية .

اما اهم اسباب انحلال الاراضي فهي «موت المتصرف بها بدون وارث، او ترك زراعتها ثلاث سنوات متوالية بدون عذر، او ترك المراعي وعدم دفع الرسوم عنها لمدة ثلاث سنوات متوالية او اندثار الابنية والاشجار او اسقاط الجنسية العراقية عن المتصرف بها».

للبلاد من التسرع الذي قد يحدث آثارا عكسية بحيث يكون من الصعب بعدها السير في عمليات الاصلاح .

ويجدر بي هنا ان انقل العبارة التي اوردها الكاتب الاجتماعي الهندي الكبير (المستر شريمان نارايان) في كتابه : (اتجاهات جديدة في التخطيط الهندي) حينما قال .

«فليس بالامكان نجاح التخطيط الاقتصادي الهندي كما هو الحال في أي بلد آخر، الا اذا كان في استطاعتنا ان نحافظ على المستويات الاخلاقية والادبية للشعب في الوقت نفسه، ونحن عرضة، لسوء الحظ، للاهتمام المفرط بالارتقاء المادي فقط للشعب فتكون النتيجة اننا لا نهتم الاهتمام الكافي ببناء شخصية شعبنا ونسجه الاخلاقي، وعلى ذلك فمن الضروري اعطاء اولوية لمشروعات التعليم والثقافة في خططنا ولا يجب اقتطاع الموارد المالية هذه البرامج للحد الادنى من اجل توفير اعتمادات ضخمة من اجل الصناعات وبعض القطاعات المنظمة ، ولن يكون من السهل القيام بتخطيط اقتصادي بهذه الضخامة، ما لم يتم خلق اشخاص اكفاء يمتازون بالنزاهة ،

ولما كنت في كل ما ذكرت من آراء ومقترحات اركز على جهود الحكومة والاجهزة التابعة لها فاني بالختام لا بد لي من القول بان هذه الجهود لن يكتب لها النجاح التام بدون مساهمة الشعب نفسه معها في جميع هذه المشروعات ، وعن هذه الناحية يقول (البانديت نهرو) رئيس وزراء الهند « لا يمكن تنفيذ التخطيط الفعال عن طريق الحكومة او عن طريق وكالة حكومية وحدها ، فاذا اردنا ان تكون الخطة ذات تأثير كبير واذا اردنا لها ان تنتشر في طول البلاد وعرضها، فعلينا ان تشرك الاخرين — اي تشرك الشعب — بما في ذلك القرى نفسها » . واضاف قائلا: «من الواضح ان اي تخطيط تريد ان تصل به الى مستوى القرية لا يمكن ان يقوم بطريقة بيروقراطية ويبدأ من القمة ، فمن الطبيعي ان تقوم البيروقراطية بعملها المعتاد ولا سبيل امامنا لنقد البيروقراطية ذلك بتأدية عملها بنفسها ، فانها بذلك تشكل خطرا كبيرا ولكن اذا ما قامت البيروقراطية بواجبها بالاشتراك مع الشعب مثلما يحدث في التعاون والمساعدة المتبادلة ، فهي بذلك تصبح شيئاً مفيدا نافعا » .

(١٩) مدى انتشار الامراض | ان هذا المدى لا يمكن حصره بارقام مصبوطة لان معظم مناطق الريف لا تزال تفتقر الى المستوصفات والمراكز الصحية، ولذلك اكتفينا بما اشرنا اليه في القسم التالي عن المشكلات الصحية واذا توافرت احصائيات رسمية بالامراض فليس هذا البحث مجال نشرها. ولكن حسبنا ان نشير هنا الى ان الامراض المنتشرة في الريف العراقي تضم: البلهارزيا، الملاريا، الانكلستوما، التراخوما، الزهري، الجحل، السل، فقر الدم، الدوسنطاريا، البلاجل.

مراجع البحث

١ - النهوض بالمجتمع المحلي — الدكتور علي فؤاد احمد — القاهرة ١٩٥٧

٢ - حقيبة الدراسات الاجتماعية — محمد مظهر سعيد — القاهرة ١٩٥٥

٣ - الخبرة بالعوامل البشرية في المناطق الزراعية (من دراسات هيئة الامم المتحدة) — سرس الليان ١٩٥٤

٤ - المجتمع العربي ومقاييس السكان — الدكتور عبدالكريم اليافي — القاهرة ١٩٦٣

٥ - في خدمة الريف المصري — وزارة الشؤون الاجتماعية — القاهرة ١٩٥١

٦ - العمل الميداني في الريف — الدكتور حامد عمار — سرس الليان ١٩٥٥

٧ - نظرات في اصلاح الريف — عبد الرزاق الهلالي — بيروت ١٩٦٠

٨ - المجتمع والمشكلات الاجتماعية — الدكتور محمد بدوي — القاهرة ١٩٥٧

٩ - مشكلة السكان في مصر — الدكتور صلاح الدين نامق — القاهرة . . .

١٠ - تطوير القرية كما رسمه الميثاق — محمد رشاد — القاهرة ١٩٦٣

١١ - الريف والاصلاح الاجتماعي في العراق — عبد الرزاق الهلالي — بغداد ١٩٦٠

١٢ - اتجاهات جديدة في التخطيط الهندي — شرعيان باريان — ترجمة فاطمة محمد بهجت — القاهرة ١٩٦٣

١٣ - تنمية المجتمع في العالم العربي — سرس الليان — ١٩٦٢

١٤ - تنمية المجتمع وتنظيمه — الدكتور عبد المنعم شوقي — القاهرة ١٩٦١

١٥ - مشاكل الطب في الريف المصري — الدكتور لطفي الطحاوي — القاهرة ١٩٥٧

١٦ - واقع الملكية الزراعية في العراق — الدكتور طلعت الشيباني — بغداد ١٩٥٨

١٧ - دراسات في الاصلاح الزراعي — الدكتور عبد الصاحب علوان — بغداد ١٩٦١

(٨) اراضي الحد الاعلى اصطلاح ورد في قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ويراد به اراضي الحد الاعلى للملكية الزراعية الذي لا يزيد عن (١٠٠٠) دونم من الاراضي السيحية او التي تسقى بالمضخات وعن (٢٠٠٠) دونم في الاراضي المطرية .

(٩) الديمية — اصطلاح محلي يقصد به الاراضي التي تعتمد في زراعتها على (الديم) اي الامطـــار وهي تقابل اصطلاح الاراضي (المعلية).

(١٠) نير ونير — اي (النيرين) وهو اصطلاح زراعي عراقي يقصد به (قيام الفلاح بزراعة نصف مساحة الارض وترك النصف الاخر منها بدون زرع ، اي (بورا) بقصد اراحة التربة .

(١١) المنازل — جمع منزل او نزل. وهو اصطلاح محلي عراقي يعني (مصارف) المياه.

(١٢) البراتيل — جمع برتيل او برطيل اصلها فارسي وتعني هدية او اعطاء ثم اصبحت تعني (رشوة) .

(١٣) الكتابية — اصطلاح محلي يعني الرسوم التي تدفع لقاء قيام الكاتب او (الملا) لدى الشيخ بكتابة الحسابات والمعاملات الخاصة بالعمل الزراعي.

(١٤) الشوباصية — كلمة تركية الاصل مقلوبة التركيب اصلها (صوباشي) اي مراقب الماء، وهذا الاصطلاح يعني الرسوم التي تدفع لقاء الحصول على المياه للزرع .

(١٥) حصة المضيف — المضيف كما هو معلوم ديوان الشيخ الذي يستقبل به ضيوف العشيرة ، وعلى هذا فان مصاريف المضيف ونفقاته تجمع من ابناء العشيرة كلها، ولذا جعلوا له (حصة) من الحاصل تسمى (حصة المضيف).

(١٦) القهوةجية — اصطلاح محلي يعني الرسوم التي تجبى من ابناء العشيرة لتدفع الى الشخص الذي يقوم بخدمة المضيف وتقديم القهوة للضيوف اي الى (القهواتي).

(١٧) عدد افراد الاسرة — يقدر معدل عددها بـ (٥) افراد ولكنها في جنوب العراق تتراوح بين (٥ – ٧) افراد .

(١٨) مدى الهجرة من الريف — لا يوجد احصاء نهائي مضبوط بعدد المهاجرين من الريف، غير ان جموع المهاجرين اخذت تتزايد بصورة ملحوظة خلال السنوات العشر الاخيرة (راجع كتاب الهجرة من الريف للمدن في العراق : عبد الرزاق الهلالي – بغداد ١٩٥٨).

آثار الحركات الأخيرة الفصيحة
في اللّهجات العربيّة الدارجة

وليم كاون

من المعروف انه لا يوجد أي أثر للحركات الاخيرة الفصيحة في اللهجات العربية الحديثة في الكلمات المنعزلة . في كل لهجة توجد عنها معلومات علمية موثوق بها ، تلفظ كلمات مثل « حصان » ، « جمل » ، « شجرة » بسكون و بفتحة : « حصانْ » « جملْ » ، « شجرَ » . حتى عندما توجد هذه الكلمات في جملة ، لا توجد في آخرها الا حركة واحدة ، وهي عادة الكسرة ، كما في « حصانِ الولد » او شَجَرِةِ البستان » مهما كان موقعها في الجملة. مع ذلك ، يوجد مكان واحد يقال ان هذه الحركات تبقى فيه ، وهو بين الاسم او الفعل والضمير المتصل . وفيما يلي ، سأنظر في الاسماء والضمائر فقط ، على أساس ان التطورات التالية ابتدأت بعد اسماء اولا ، وبعد ذلك امتدت الى الافعال .

يختلف الوضع من لهجة الى لهجة ، لكن نستطيع ان نأخذ مثلا اللهجة اللبنانية ، ونعرض الحركات الدارجة في كلمة « حال » :

حالَكْ (انتَ)

حالِكْ (انتِ)

حالُ (هو)

توجد كذلك لهجة فيها حركات اخرى اذا كان في آخر الاسم حرفان

١٨ ــ علم الاجتماع الريفي — الدكتور جمال المحاسب — دمشق

١٩ ــ الاصلاح الزراعي والانماء في الشرق الاوسط — دورين ورينر (ترجمة خيري حماد ـ القاهرة) ١٩٦٣.

٢٠ ــ مشاكل الائتمان الزراعي في العراق — عبد الرزاق الهلالي — بغداد — ١٩٥٧

٢١ ــ الاصلاح الزراعي في اعوامه الثلاثة — وزارة الاصلاح الزراعي — بغداد — ١٩٦١

٢٢ ــ الارض والفقر في الشرق الاوسط — دورين ورينر — (ترجمة حسن احمد السلمان بغداد) — ١٩٥٠

٢٣ ــ جغرافية العراق الطبيعية والبشرية — الدكتور جاسم محمد الخلف — القاهرة — ١٩٥٩

٢٤ ــ مشكلات التقدم الاقتصادي في العراق — الدكتور محمد جواد العبوسي — القاهرة — ١٩٥٨

٢٥ ــ اقتصاديات العراق — الدكتور عبدالرحمن الجليلي — القاهرة — ١٩٥٥

٢٦ ــ اطلس العراق — الدكتور احمد سوسة — بغداد — ١٩٦٠

٢٧ ــ قانون الاصلاح الزراعي العراقي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨.

٢٨ ــ اعداد مجلة التربية الاساسية — مرسي اللبان — مصر

٢٩ ــ اعداد نشرة الاصلاح الزراعي — وزارة الاصلاح الزراعي — بغداد

٣٠ ــ الفلاحون — الأب هنري عيروت اليسوعي، (ترجمة محمد الغلاب)، القاهرة

متكلمي هذه اللهجات المنصوب للمذكر او المجرور للمؤنث . ويعرض بركلاند الرأي نفسه في بحثه في تطور اللهجة المصرية وشكلها، ويضيف ان «من الطبيعي» ان الحركة بين الاسم والضمير تؤثر عليها الحركة التالية ، أي حركة الكاف ، وفي هذين الوضعين الحركتان هما الفتحة بعد الضمير المذكر ، والكسرة بعد ضمير المؤنث [٢] . وهو على غرار بروكلمان ، لم يقل شيئا عن بقية الضمائر .

وقد اوضح فرجسون وجهة النظر هذه ، في مراجعته لبركلاند [٣] ، وضمن فيه التطور « حالُهُ حالُهْ حالُ ». وفي القائمة التالية يظهر تطور كل الاشكال المذكورة اعلاه بحسب تفسير فرجسون :

الفصحى	الدارجة	الفصحى	الدارجة	الفصحى	الدارجة
حالُكَ		حالَكِ		حالُهُ ← حالُهْ ← حالُ	
حالَكَ ← حالَكْ		حالَكِ		حالَهُ	
حالُكَ		حالِكِ ← حالِكْ		حالِهِ	

ان المفروض في وجهة النظر هذه ان في هذه المرحلة من مراحل تطور اللهجات الدارجة كانت الحركات الاخيرة المتفرقة مستعملة، على الاقل بين الاسم والضمير ، بدون معنى قواعدي . خلافا لذلك ، لم تجيء هذه النتيجة . لو كان استعمالها القواعدي حيا ، لكان المتكلمون يستعملون هذه الحركات بشكل صحيح بحسب موقعها من الجملة ، وليس بحسب حركة الضمير .

في رأيي، وجهة النظر هذه ناقصة اذ ليس من المعقول ان تكون هناك اشكال قواعدية من هذا النوع لا عمل لها . حقيقة انه توجد اشكال بدون معنى او عمل في لهجة ما، لكنها كذلك ليست حية ، مثلا التنوين في كلمة « ابداً » او الضمة في كلمة « سلامُ » في « السلامُ عليكم ». المتكلم ليس حرا في استعمال هذا التنوين او هذه الضمة بكلمات غير الكلمات التي تأخذ الآن هذا التنوين او هذه الضمة . اما الحركات بين الاسماء والضمائر ، فمن الضروري ، في الماضي او في الحاضر ، ان تستعمل بشكل حي . يستطيع المتكلم ان يضيفها الى اي اسم آخر . وهي من العوامل الفعالة في تكوين الجمل عندما كان

ساكنان ، وهي اللهجة المصرية :

بنتَكْ	(انتَ)	بنتِنَ	(نحن)
بنتِكْ	(انتِ)	بنتُكُمْ	(انتم)
بنتُ	(هو)	بنتُهُمْ	(هم)
بنتَهَ	(هي)		

بالاضافة الى هاتين اللهجتين توجد لهجة تستعمل فيها الحركات اما في كلمات من نوع « حال » وإما من نوع « بنت » ، وهي لهجة تعز اليمنية :

حالَكْ	بنتَكْ
حالِكْ	بنتِكْ
حالُ	بنتُ
حالَهَ	بنتَهَ
حالَنَ	بنتَنَ
حالُكُمْ	بنتُكُمْ
حالُهُمْ	بنتُهُمْ

اذا قارنا هذه اللهجات الثلاث ، نرى ان اللهجة اليمنية لا بد من ان تكون اقرب الى ما كان اصل مجموعة هذه اللهجات لاننا ، بحسب مبدأ البساطة ، نستطيع ان نفسر اختصار الحركات في اللهجتين اللبنانية والمصرية اسهل مما نستطيع ان نفسر زيادة الحركات في اللهجة اليمنية .

هناك نظريات عديدة عن اصل هذه الحركات الدارجة ، مع ان كل باحث يهتم بهذا الموضوع يوافق على ان الحركات الدارجة تمثل الحركات الفصحة بشكل ما . وبحسب رأي المستشرق الالماني بروكلمان ، تمثل الحركات الدارجة المجرور والمنصوب ، محتفظاً بها في هذه الحال فقط بسبب الضمير الذي يليها « حالَكْ » من المنصوب ، و « حالِكْ » من المجرور [١]. ولم يقل شيئا عن ... الضمائر او الحركات التي تسبقها . كما لم يعط أي تفسير عن اسباب اختيار الع...

في السلسلة « حالُهُ ← حا لهُ ← حالُهُ ← حالُهْ ← حالُ » نحتاج
ى مرحلة رابعة فيها ضاعت هاء التأنيث .

هذا ، وجدير بالتساؤل لماذا تشابه الشوا الضمة في « حالُهُ » بـــدلا من
كسرة في « حالِهِ ». من الممكن ان يكون هذا قد حدث في بعض اللهجات،
ففي تطورات ضمير « هُ » في اللهجات الدارجة اختلافات غير منتظمة ليس من
الممكن ان نفسرها بطريقة عادية : في اللهجة العراقية، مثلا، الضمير هو الفتحة :
« حالَ » . وفي بعض المناطق في فلسطين الضمير هو حركة بين الضمة والفتحة :
« حالُ َ » . هذه التطورات غير الواضحة تشير الى انـــه لم يكن هناك نتيجة
واحدة في ايام انفصال اللهجات . امـــا بقية الضمائر ، فتغيرت حسب المبادىء
التي اوضحتها :

مرحلة ١	مرحلة ٢	مرحلة ٣
حالها	← حالَـهَا	←حالَـهَ
حالنَا	← حالَـنَا	←حالَـنَ
حالكُمْ	← حالُـكُـمْ	← (نفس الشيء)
حالهُمْ	← حالُـهُـمْ	← (نفس الشيء)

في مراحل تالية للمرحلة ٣ ، تطورت اللهجتان اللبنانية والمصرية وغيرهمـــا
تطورا اكثر باختصار الحركات نتيجة الشوا . وهو اكمل في اللبنانية ممـــا هو في
المصرية . هذا ، وفي اللهجة المصرية جاءت تطورات اضافية حيث الحركة قبل
« ـنَ » (نحن) تغيرت الى الكسرة : « حالَـنَ — حالِنَ » . هذا التطور
ليس له تفسير في نطاق هذا البحث، ولا بد ان نعتبره مستعصياً على الحل .

نرى من هذا ان حركات اللغة الفصيحة تركت أثرا في اللهجـــات الدارجة ،
ولكن هذا الاثر غير مباشر ، وتفسيره لم يحل كل مشاكل التطور [٥] .

هناك الفرق الثلاثي بين «حالـُكَ» و «حالـَكَ» و «حالِكَ» ، فقد كان لهذا الفرق معنى قواعدي وعمل لغوي في كلام المتكلمين . رأي فرجسون هو انه كان هناك فرق ثلاثي بدون معنى، وارى ان ليس من الممكن ان يكون هناك فرق ثلاثي بدون معنى، اذ لو كان يوجد هذا الفرق الضروري لتأييد وجهة نظر فرجسون ، لكان فرقا حيا في قواعد اللغة ، ولم تنتح النتيجة التي كان فرحسون يترقبها .

يبقى السؤال : مـــا هو اصل الحركات الدارجة ، ادا كانت غير الحركات الفصيحة ؟ اعتقد ان الحركات الدارجة هي نتيجة من حركة ليس لهـــا صوت معين وليس للسان في لفطها مكان خاص ، بل هي حركة تشبه في صفتها المتميزة الحركة العبرانية « شوا » : نكتبها باشارة نقطتين تحت الحرف مثلا : كْ . من التغييرات التي اصابت اللهجات العربية الدارجة من ايام اول تفرقة بينها كان اختصار الحركات في آخر الكلمة . قبل ان ضاعت الحركات تمامـــا ، ضعفت لدرجة عدم التفرقة بين الضمة والفتحة والكسرة في هدا المجـــال ، ولم يبق الا حركة واحدة ، كانت تختلف عن هذه الثلاث ، وهي الشوا . لم تضعف الحركات في آخر الصمائر « ـــكَ » او « ـــكِ » بسبب ان هذه الحركات كانت طويلة [٤]، او من حاجة اللغة الى المحافظة على عامل مفرق لحركات الصمائر . في هده المرحلة كان هناك بعد الاسم حركة شوا وبعد الشوا الضمير . وفي مرحلة ثانية تشابهت هذه الشوا مع حركات الضمائر ، وفي مرحلة ثالثة ضاعت حركات الصمائر ذاتها .

الاصل	مرحلة ١	مرحلة ٢	مرحلة ٣
حالـُكَ حالـَكَ حالِكَ	حالكَ	← حالـَكَ	← حالـَكْ
حالـُكِ حالـَكِ حالِكِ	حالكِ	← حالِكِ	← حالِكْ

مكتبة الأبحاث

مجلة الحوليات الاثرية السورية

لمجلد الثالث عشر من مجلة الحوليات الاثرية السورية ، مجلة علمية تبحث في آثار سورية وتاريخها، تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية – دمشق

طلع علينا المجلد الثالث عشر من مجلة الحوليات الاثرية السورية وهو حافل بالبحوث النفسية والمقالات الرائعة كما عودنا القائم على نشرها الدكتور سليم عادل عبد الحق في مجلداتها السابقة . ومن دواعي الغبطة ان كل مجلد من هذه المجلة يفوق ما سبقه من مجلدات من حيث الدقة والحرص على تلافي ما قد يكون قد تسرب من سهو او خطأ بسيط الى ما سبق نشره في صفحاتها .

يقع هذا المجلد ، على غرار ما تقدمه ، في قسمين قسم مكتوب باللغة العربية والقسم الاخر باللغات الغربية ويشتمل القسم الأول على مختصرات باللغة العربية لما يحتوي عليه القسم الثاني باللغات الغربية .

يشمل القسم العربي ٢٩٣ صفحة والقسم الافرنجي ٢٣٧ . والقسمان مزودان بالخرائط والصور الضوئية والرسوم مما يسهل على القارىء متابعة كل بحث بدقة . ولو أردنا ان ننصف هذه الدراسات ونوفيها حقها من المراجعة العلمية لوقفنا صفحات كثيرة من باب مكتبة « الابحاث » على كل بحث في هذا المجلد من مقالات. بيد أن ضيق المجال يقتضينا ان نلمح الماحا الى محتويات المجلد الذي بين يدينا ، وان نخص بعض بحوثه بكلمة أوفى .

المصادر والتعليقات

١) Brockelmann, Carl, *Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen*[2] I. 309 (Hildesheim, 1961).

٢) Birkeland, *Growth and Structure of the Egyptian Arabic Dialect* 12 (Oslo, 1952).

٣) Ferguson, Ch., *Language* 30.558-64 (1954).

٤) Cantineau, Jean, *BSL* 38. 148-64 (1937).

٥) اود ان اعبر عن شكري لداود عبده لتصحيحه الاخطاء النحوية التي وردت في هذا المقال.

من شأن عظيم ، ويعالج الاسباب التي حدت الاقدمين الى التزين بالحلى . ثم يلي ذلك وصف دقيق للحلى الدهبية من الاقراط والاطواق والاساور والخواتم وهلم جرا . ويختتم كلمته بذكر الطرق الفنية في صياغة الحلى الدهبيـــة . وكنا قد حظينا بالاستماع الى الاستاد بشير زهدي يلقي كلمة وحيزة في هذا الموضوع في المؤتمر الرابـع للآثار في البلاد العربية الدي عقد في تونس ، وقـــد ازددنا متعة وفائدة بمطالعة هذا المقال المفصل .

وفي الفصل التـــالي من القسم العربي بحث للاستاذ كامل شحادة مراقب آ ثار محفظتي حمص وحمـــاة عن دير صليب في ماضيه وحاصره . يقع هذا الدير في منطقة مصياف في سورية الوسطى ، وهو مكـون من صحن داحلي يحيط به الدير من جهـــاته الاربـع وكنيسة قائمة على جهته الشرقية . وقد عني الاستاد شحادة بوصف آ ثار هدا الدير بدقة فـــائقة مزودا وصفــه بالخرائط ورسوم الواجهات العديدة والصور الضوئية فيسّر للقارىء الوقوف بدقة على معالم ارجائه جميعاً .

كان مؤتمر الآثار الرابـع في البلاد العربية المنعقد في مدينة تونس في شهر أيار من السنة الماضية ، بناء على توصيةمن الوفد السوري ، قد تبنى المشروع التدمري الاستثنائي ، وفي المقال السادس من القسم العربي في « الحوليات » يتولى الاستاذ عدنان البني مدير الحفريات والدراسات الفنية سرد معالم المشروع من حفريات واعمال ترميم ويبسط النتائج المتوخـاة من هذا المشروع الصخم الذي سيجعل من مدينه تدمر زهرة في بادية الشام دون أن يمس شكلها الاثري الرائع .

وفي المقالة التالية يصف الاستاذ محمد أبو الفرج العش أعمـال التعمير في قصر المرحوم جميل مردم بك الدي دمرته قنـــابل الطائرات الفرنسية الغاشمة سنة ١٩٤٥ . وقد كان المرحوم ينوى اعادة بناء قصره ولكنه لم يتمكن من ذلك فعهد الى المتحف الوطني الدي أخذ هذه المهمة على عـــاتقه . وقد وضعت المديرية العامة للآثار والمتاحف نصب اعينها اعـــادة البناء بصورة فنية دقيقة

يستهل القسم العربي الدكتور سليم عادل عبد الحق المدير العـــام في مديرية الآثار والمتاحف بمقـــال رائع عن بناء بغداد وأثره في فن العمارة والعمران العربي والعالمي فيشير في هذا المقال الى الاسباب التي حدت المنصور الى اختيار موقع المدينة والمهندسين الذين أشرفوا على بنائها ثم يعـــالج شكل المدينة المستدير وما كان له من تأثير على الهندسة في العالم العربي وخارجه ، ويصف الابنية التي اقيمت فيها وصفا مسهبا مستشهدا بمراجع عربية قديمة واخرى غربية حديثة ويدحض ما زعمه بعض الكاتبين عن العيوب الثلاثة التي اشار اليها البطريق الرومي وهي نقص المياه وفقدان الخضرة واندساس الاسواق في بغداد . ثم يعالج الكاتب تأثير تشييد بغداد على المدن العربية التي شيدت فيما بعد مثل الرافقـــة وسر من راى ومدن وقصور أخرى . وتعدّى تأثير بغداد الهندسي بلاد العرب الى بلاد الروم اذ أقام القيصر الرومي عمارة التريكونك وقصر برياس على شاكلة قصور بغداد وحذت مدينة القسطنطين ومدينـــة سالونيك والبندقية حذو بغداد في اقامة الحدائق ومد الأقنية .

والمقال التالي من القسم العربي يحتوي على الحلقة الثالثـــة لبحث الاستاذ محمد ابو الفرج العش محافظ المتحف الوطني في دمشق عن الفخار العربي غير المطلي . وهو بحث دقيق لتطور صناعة الحرف العربي غير المطلي من العصر الاموي الى عصرنا هذا وهو مزود بالصور الضوئية والرسوم ، وحبذا الحال لو زاد الاستاذ العش عدد الرسوم للاواني .

ويلي هذا الحلقة الثانية في وصف الجامع الاموي للاستاذ عبد القادر الريحاوي يعالج فيها صحن الجامع ويصف جميع ارجائه وصفا دقيقا فائقا ويتطرق الى ما اعترى بعض أقسامه من تبديل .

ويقوم الاستاذ بشير زهدي في البحث التـــالي بوصف الحلى الذهبية القديمة الموجودة في المتحف الوطني بدمشق . ويشير الى ما لدراسة الحلي الذهبية القديمة

ويرحح ان يكون راس اله الطقس بعل بدلا من ان يكون رأس نقهاد أحد ملوك اوغاريت .

وفي بحث باللغة الانكليزية للاستاد و. ح. فان ليره يشير فيه الى العلاقة بين مكان نشوء العواصم والقلاع في سورية أثناء العصرين البرونزي والحديدي وتوفر المياه بالقرب منها من أنهر وروافد وينابيع ولا اظن ان هنالك من يعارض اراءه.

ويلي دلك تقرير للدكتور شيفر بالفرنسية عن حفريات رأس شمرا – اوغاريت لسنة ١٩٦١ ، وقد حاول الدكتور شيفر في هذه السنة العثور على بقايا المدينة التي ترتقي الى القسم الاول من الالف الثانية قبل الميلاد بنقل الحفريات الى القسم الجنوبي من المدينة فعثر على أساسات تعود الى القرن الخامس والرابع قبل الميلاد بحسب المسكوكات والآنية الحرفية التي كانت بجوارها وعثر تحت هذه الانقاض مباشرة على آثار ترتقي الى القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد .

ثم أخذ يحفر تحت هذه الانقاض فوجد البقايا المنشودة التي طالما حاول الوصول اليها عبثا في السنين الماضية . فوجد اساسات لابنية ترتقي الى اوائل الالف الثانية قبل الميلاد وعثر بينها على فؤوس حرب مثقوبة بثقبين وعلى رماح بأسفلها انبوب كانت تحتشى فيه عصا الرمح، وعلى دبابيس لها رؤوس بشكل كرة. وثابر على الحفر تحت هذه الانقاض فوجد بقايا ترتد الى القسم الثاني من الالف الثالثة كان فيما بينها خاتم اسطواني من عهد اسرة شومر واكاد اي من عهد سرجون ونرام سين .

ومن الاكتشافات المهمة التي عثر عليها الدكتور شيفر بيت يظهر انه يخص كاهنا كان يتعاطى السحر اد وجد بين انقاضه تماثيل من الفخار للكبد وللرئتين نقشت عليها كتابات بالاحرف المسمارية ، فيها تعزيم ضد لدغ نوعين من الافاعي.

والمقال مزود بالصور وحبذا لو زوده الاستاذ شيفر بخريطة لمكان الحفر بالضبط . وثمة خطأ بسيط باد للعيان دلك بأن وصف الصورتين السادسة عشرة والسابعة عشرة مشوش .

وتعاقدت مع الماهرين في فن البناء ونقش الالواح والدهانين وسائر اصحاب المهن
تحت اشراف الخبراء من موظفيها فاعــادت البناء الى شكله الاصلي بعناية وفقه
بلغتا الغاية ، فظفرت بالشكر والاعجاب من جميع الدين يقدرون قيمة الابنية
الاثرية . وفي المقال الاخير من القسم العربي وصف لكنز من النقود العربية وجد
في جرة في قرية القيسية . وهو يحتوي على ٢٣ دينــارا عباسياً ترتقي من سنة
١٥٢ هجرية الى سنة ٢٧٠ هجرية .

اما القسم الخاص باللغات الغربية فيستهله الدكتور سليم عادل عبد الحق بالتماس
تعاون اوثق بين المتاحف العالمية ويحبذ مبادلة المجموعات الاثرية بين هذه المتاحف
« وتأليف » الخبراء — اي تنشئتهم وتدريبهم .

وفي المقال التالي سجل للارشمندريت يوسف نصرالله بالمواقع الميكاليثية في
الانقاض التي تتكون من حجارة كبيرة في جنوب سورية كالمواقع قرب الهيجانه
وضواحيها . وتقع قرية هيجانه على نحو من ٣٢ كيلومترا جنوب شرقي دمشق
فيصف الكاتب المواقع وصفا مسهبا مع النقوش على الحجارة والبقايا الاخرى التي
وجدت فيها من ادوات صوانية وخرز ودبابيس من العظم وهلم جرا . والمقال
مزود بالصور والخرائط والرسوم . ومما لا شك فيه ان لهذا البحث شأنا عظيما
لا لانه اضاف الى معلوماتنا عن عصور قبل التاريخ في سورية فحسب ، بل لانه
ايضا اضاف حلقة أخرى في سلسلة تطور الانسان من الهمجية الى الحضارة .

بعد هذا البحث الممتاز يأتي تقرير البعثة البولونية عن حفريات سنة ١٩٦٢ في
تدمر بقلم الدكتور كارميح ميخالوفسكي مدير البعثة يشرح فيه ما قامت البعثة به
من حفريات في البناء المعزو الى الامبراطور ديوقلطيانوس وفي المقـــابر في وادي
القبور .

ان الابحاث الاربعة التي تكلمنا عنها مكتوبة باللغة الفرنسية ويليها بحث آخر
بالالمانية للاستاذ هشام الصفدي حول تعريف الراس العاجي المكتشف في رأس
شمرا . ان رأي الاستاذ الصفدي في هذا الرأس يخالف ما رآه فيه الدكتور شيفر

بعض الكتابات العربية الكوفية الموجودة في جبل اسيس . هنالك أكثر من مئة كتابة ولكن أستاذ العش اكتفى بشرح خمس منها على ان يعود ويتم بحثه في فرصة أخرى وفي نشرة ثانية .

وبهذه الكلمة الوجيزة التي لا تفي المجلد حق قدره، يظهر ما له من منزلة علمية واستحقت مديرية الآثار العامة في سوريا من جميع المعنيين بهذه الدراسات أجزل الشكر وأصدق التقدير .

ديمتري برامكي

« هذا العصر المتفجر »

تأليف الدكتور قسطنطين زريق – دار العلم للملايين – ١٩٠ صفحة

من كتاب « الوعي القومي »[١] الى « هذا العصر المتفجّر » نحو من ربع قرن. ويلوح ان مركز الرؤية الذي استقطب فكر المؤلّف ، وحسّه بالوجود ، لم يتحول عن محور الى محور. ولا انقطعت الرؤية فيه على مثل ما يكون العدول عن مذهب الى مذهب. وانما تفتّح المركز الرائي لديه، وارتحب مجال الانقشاع، تعدد القضايا المتولدة وتكثف الدوافع البشرية التي تحرك العالم المعاصر . أو قل ان مدى الرؤية قد انتقل من الاعتبار المحلي الى الاعتبار الانساني العام ، بقدر ما يرتبط مصير الشعب الواحد ، والقومية الواحدة ، بمصير الانسانية الصاعدة ككل ، لا تأتلي تجاوز ذاتها ، لان المجاوزة بالصميم مقياس دوامها وعيار بقائها الحضاري .

لقد طُرحت القضيّة في « الوعي القومي » عهدئذ لتنضبط بقواعدها الاولى دوافع قومية مبهمة ، وأحاسيسُ لم تحدّد في قوالب العلم.

(١) المكشوف ، بيروت ، ١٩٣٩ .

ويحتوي هذا العدد على أول تقرير عن الحفريات التي قام بها الاستاذ بريش في جبل أسيس من قبل المعهد الالمـاني للابحاث . وقد عثر الاستاذ بريش على قصر من القصور الاموية التي أقامها الخلفاء الامويون في بادية الشام وفي الاماكن الجافة التي تشبهها في المناخ . والقصر هذا يشبه القصور الاموية المعروفة بكونه مربع الشكل وقائما حول صحن داخلي مبلط ، ويفصل الغرف العديـدة عن الصحن رواق . والقصر مزود بـابراج مستـديرة في زواياه الاربع وفي وسط كل من جدرانه . والمدخل قائم ضمن البرج المبني في وسطـه الشمالي . ويدل هذا القصر كسائر القصور على ثروة الامويين الطائلة وولعهم بالابنية الفخمة .

والتقرير مزود بخرائط ورسوم وصور ضوئية ومن المؤسف ان اللوحة رقم III ٢ طبعت خطأ مقلوبة رأسا على عقب .

ويلي هذا التقرير بحث للاستـاد العلامة هنري سيريـغ عن كتابتين يونانيتين وجدتا في تدمر ، ترجع الى خيران بن اذينه ملك تدمر وروج الرباء المعروفة عند العامة بزنوبيا . ثم يسرد الاستاد سيريـغ اسماء اولاد اذينه وهم هرودیانوس ووهب اللاة وهرمیانوس وخیران وتيم اللاة .

ويتبع هذا البحث سجل بالاماكن النيوليثية في داخل سورية للاستاذين و . ج . فان ليره وهنري دي كونتانسون ، فيعدد الاستادان الاماكن النيوليثية ويصفها وصفا اجمـاليا والمهم في هذا البحث انه مزود بصور عديدة للادوات الصوانية التي التقطها الاستاذان في المناطق الخمس .

يلي هذا تقرير للاستاد ب . ج . ريس عن أعمال البعثة الدانمار كية على الساحل الفينيقي القديم في سوريا . وقد قامت هذه البعثة بالحفريات في المنطقة الشمالية الشرقية من تل سوكاس حيث عثرت على بناء كبير وجدت بين أنقــاضه بعض العاديات التي ترتقي الى القرن الخامس والرابع قبل الميلاد ، وتحته أنقاض أخرى أقدم منه ترجع الى عصور أقدم .

والكلمة الاخيرة في القسم الافرنجي للاستاذ محمد ابو الفرج العش يبحث فيها

مصطفي منهن ثلاثة فتفجر في العلم يستقصي المغيّبات ، وتفجّر في السكان ، .. يتلحلح في السكان من تفجير الحاجات والمطامح ؛ الى كلامه على إعداد الطاقات .. البشرية «بالعقلية الحديثة» تقصيا ، واستطلاعا ، ومرونةً متكيفة، ليتسنى لها .. المستوى من هذا « العصر الكوكبي » فالاستجابة لاوضاعه المتطورة

وهو يحاول ، في محاضرة اخرى ، ان يحدد الحضارة بمدلوليها العام ، والخاص ، على انها « ايجابية في العطاء » (ص ٥٣ — ٥٤) وعلى « ان التراث الحضاري » هو خلاصة ما بلغنا من « مكاسب وتحقيقات في سبيل الحياة الفاضلة» (ص ٥٧) ، وهذه التحقيقات بالصميم هي «لبّ التاريخ وعصارته» (ص ٥٥). واذ فهي ثمرة **فعل** الانسان ، والانسان وجود حضاري بمقدار ما هو فعل ، واضافة خيّرة الى الحياة (ص ٦٨) بها يتحرر الانسان من الطبيعة ، ومن الانسان ، ومن نفسه باستكناه المعرفة ، والتطلع الى الخير ، وابداع الجميل (ص ٦١) . وما دامت مواكب الانسانية سائرة صعدا في تكامل المقايسة ، فكل تراث حضاري قومي هو في جوهره تراث انساني (ص ٦٢) . الى رائع قوله . « ان الحضارات تنتحر ولا تقتل » اذ هي تموت ، « من داخل » بفقدانها فضائلها وخصائص بقائها . واذا كان العنصر البشري اساس البقاء ، فكيف تستقيم عافية الفرد، فالمجموع، علما وخلقا، ليتحقق الفعل التاريخي ، وتتم بالتالي المشاركة في تياره الصاعد ؟ لا مرية بأن الجواب على « الكيف » تلقاه في محاضرته « دور الجامعة في الحياة الوطنية » وما تعلق بها من « تفرغ الباحثين والمفكرين » .

.. حياة الحضارة رهن بحياة العنصر البشري الذي يبدعها ، ولا بدحة لهذا .. عن خلايا تكوينه ، والجامعة رأس تلك الخلايا . ففي الجامعة يكون .. ، والتأمل ، والسعي الى الحقيقة ، ويتم « الفعل لحفظ التراث والدفاع .. قيمه • والعمل في سبيل اغنائه . » وفي مناخ « الروح الجامعية » يتكون .. وبهم يقظة الجماهير وتنمية المواطنية الصالحة . هنا العودة الى الجذور ، .. رسالة ، وفي هذا المختبر تحصّل المعرفة من اجل المعرفة ، نتاجا خيرا

ثم تعقدت الوقــائع ، وتراكمت المضاعفات ، وتفرّعت القضية نفسُها غبَّ الحرب العالمية الثانية والعقدين بعدهــــا ، فواكبها المؤلف على التوالي : « بمعنى النكبة » [1] يعلل فيه الضربة القاصمة التي نزلت بأرض المقدس وما استتبعها من فشل ؛ ثم يطارح واقع النهضة العربية وآتيها المرتجى في كتابه « أي غد » [2] ، ليضع القضية محددا على اساس مصيريّ في « نحن والتــــاريخ » [3] حيث طبق الفروع على الاصول في ميزان التاريخ .

هكذا يتابع الخط البياني نهوضه، وتنتقل المسألة القومية الى مجالات الحضارة المعاصرة، من حيث ان القومية حضور في عصر ، ومن حيث ان وجودها منوط باسهامها في بناء الحضارة . بذا يكون كتاب « هذا العصر المتفجّر » موثوق الصلة بما سبق ، او يكاد يكون امتدادا في الروح، والصيغة، والمرمى، لدراسات « أيِّ غد » على سبيل الحصر .

يعتمد المؤلف في كتابه الحديد نمط المحاضرة والمقال ، متفرقاتٍ تختلف فيها النظرات، وتتنوّع الروايا، وينْظُمها في سلكه « اتجاه» في النظر واحد » .

ولربما شقّ أن يشوّه بالايجــار الخاطف مــــا تضمنته المحاضرات الخمس ، والمقالات الثلاثة ، ومــــا اختطّت المقدمة من صُوَى الكتاب . ذلك ان في استعراض العناوين ، والمعالم العامة ما يُفسد الخوافي من مرافق الفكر ، ويغفل الدقائق القصيّة من صوت المؤلف في حواره الداخلي ، فيما هو يسوق التفاصيل الى نتائجها العقلية ، او يُنزل القاعدة الى اطراف الوقائع الحزئية . وأي شأن للباحث ان يبصر الهيكل الخارجي ، وان تفوته النبضة التي تحمل الحرارة الفكرية ، ولا ينصت الى الايقاع الوحداني في سياق الفكرة وظلالها .

في هذا الشتات المنظم المتكامل يحدد المؤلف وجوه التفجّر في هذا العصر ،

---

١) دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٨ .
٢) دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٧ .
٣) دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٩ ولا سيما الفصل الاخير ص ٢٠١ – ٢٤٤ .

الانتظار المتفائل . ففي عصر الدحض ، والتمرد ، والشك ، والانكار الضائع ، يرى المؤلف في تفاؤله، يرسم الواقع المتخلف، او يبين موضع العلة فيه، ثم يتبعه بخطة الخلاص ، ويخرجك من كابوس الفشل القاتم ، بالعلم المنيّ على معاني الخير ، وفضيلة العطاء التي تغني الحيـــاة ، والصمود في العمل المثمر المستديم ، كعمل الطبيعة الدين لا يتوقف ، او كمجرى النـاموس الذي لا يستكين . ومن لم يكن اضافة منمّية للحياة والتاريخ ، اردردتْـه الهاوية؛ والحياة لا تقبل الريف، ولا تحـــابي .

أليس من ابرر ما استوقفه، ان وجودنا في التاريخ ، هو قيد البدل من عطاء مفكرينا الباحثين أرباب الاختصاص؛ وأنجانبا من مأساتنا الكبرى يرجع الى فقداننا هذة الطاقات المبدعة ، غرباء في الوطن عنه ينزحون ، الى امم احرى ! وهم سبيل البعث ، وعافية العقل ، وَوقود الحياة .

بل ان هذه الصفة الكلاسيكية التي يتسم بها الكتاب، قد ضمت الى الانتطار المتفـائل لوناً من الايمان بالانسان من حيث هو فعل خيّر ، ولونا من الشمول النموذجي يفري ، بالعقل الراجح ، حُكمَه الوئيد ، ليبدد الاوهـام ، وينقل الحس القومي من الميثولوجيا العاطفية الى حيّز التبصر الواقعي الراهن .

وانه لمن شأن مفكر «ملتزم» ينزع الهوى نوازع الحق، ويردان «بالصدق» و «تملك النفس» –على حد تعبيره– ان يجعل قضاياه القلبية فِكـَرا نامية، ويتحرى الخوافي الشعورية فيه، ليضبطها بضابط العقل الصـارم ، ثم يعود فيحتشد للحق اينما وقع، حتى تستحيل الفكـَر بالدات موقفا اخلاقيا شعوريا ، وتتمّ المطابقة ما بين الشعور والعقل ، في القضية الواحدة ، على ررانة المتزن .

ثم ان في هذا الكتاب لشمولاً على احاطة ، ودقةً على يقين[1] ، وهدوءا على ... انسانية في الثقافة ، وتتبعـاً لحقائق العصر بالقرائن ، وتحسسا حميما للقضايا

---

[1] ... من هذا القبيل ، كيف يرفق بالاحصاء الدقيق بعض المعطيات .

تتجدد به فصيلة العطاء للحياة . وبعد ، فمهما تبعد العدّة « لاداء الثمن » .

أو هو يلتفت الى « التبادل الحضاري بين الشرق والغرب » [1] ، يعيد النظر في تحديد الشرق والغرب على اساس « المفارقة التاريخية » والتفاوت في « وجهة النظر الحديثة » . ويبين كيف كان الوصال باتجاه واحد ، حتى طاشت المساعدة الفنية الغربية عن الغرض ، وبرم المشاركة بها ، اذ استشعروا انهم يبادق منذ على لوحة شطرنج المطامع . وسُحرت التقنية للمعيـة ، وصدفت عن « قيم الروحية » ، فظل الشرق فيما لا يلقى لقضاياه حلولا جـذرية ، ولا يبترد به غليل . وهذا مـا أسعف على اتساع الحلم الشيوعي في نفوس الشعوب المتخلفة والنامية . وفيما هو يرد تخلفها الى علله . من قصور عن « نقد الذات » ، واستسلام « لقوة الاستمرار » ، يمضي لاقتراح مخطط اسـاسي ، به يتولد الجو الملائم « للتبادل الحضاري » الحق . [2]

ولئن كانت المسافة الزمنية ُمسعفا على الاحاطة التاريخية بالعصر ، فانه من شأن استاذ لامع ، تملىّ فلسفة التاريخ ، ان يطل من مرتفع النضج الذي بلغ ، على بستان الحضارة ، يربط مفردات الاحداث بجذورها ، والاعراض بقوانينها ، والواقعَ المتحول باصول البقـاء ؛ وان يستجمع المتفرقات ليخلص الى شريعة الحقائق الثابتة . فهو يحيط بالتفاصيل ، يزنها بواقعيتها حينا ، وبالمقارنة حينا ، ويتصيد الدقائق فيوغل — في المحاضرة الحاطمة ، والمقال العاجل — الى تقصيّ الهارب من ُلمَع الفكرة ، حتى اذا تجمعت اللمع صعد بها الى مبدأ الشمول .

ولعل ابين ما تتسم به هذه المباني الصغيرة الانيقة أنها في مجموعها تكوّن حياً من الاحياء الفكرية . هي مجموع لحظـات بعضها مكتمل ببعض ، ُهندست مقوماتها على رصانة الجِدّ ، والتجرد الصـافي ، والنبل الفطري وقد يخامرها القلق ، او يشوبها الغصص لمحةً ، ثم ينتشلك صاحبها ، بنصحه الكلاسيكي ، في

---

1) ص ٨٦ — ١٠٩ .

2) ص ١٠٣ — ١٠٦ .

من الانكباب على دراسة واسعة للعصر الذي عاش فيه صاحبه ، وصفة البيئة التي نشأ فيها وترعرع ، وحياة الرجال والنساء الذين كان لهم اثر في حياته ، أو كان له اثر في حياتهم ، وحالة الامور الفكرية والاجتماعية الكبيرة التي عني بها ، قبل عنايته بها وبعدها ، وهذا يقتضي مراجعة كتب التاريخ – العام منها والمتخصص – والرجوع الى الوثائق والمذكرات والرسائل الخاصة وكتب السير الأخرى ، حتى تجتمع بين يديه الحقائق التي تعين على فهم الانسان في ذاته ، وفي صلته بعصره وبيئته. فاذا فرغ المؤلف ، أو كاد ان يفرغ ، من عمل المؤرخ المستقصي ، بدأ فيه عمل الفنان الناقد . فكتب التاريخ ، والمذكرات ، والمراسلات ، وما يقتبس منها ويدوّن ويرتب ، ليست ، على عظم قيمتها ، من السيرة سوى مادتها الخام . اما السيرة الموفقة فهي التي تبعث موضوعها ، انسانا حياً في بيئة حية دون ان تستبيح الحقيقة . وعمل البعث هذا يقتضي من المؤلف – بعد اجتماع عناصر المعرفة الوثيقة بين يديه – خيالا وفهما ينفذان الى اسرار النفس البشرية وطائعها واطوارها ، وتفاعلها في ذاتها وبينها وبين مجتمعها ، وملكة ناقدة تقف على الباب كالديدبان ، ترد الميل مع الهوى الذي لا تؤيده الحقائق الى النهج السوي . ثم لا بد في آخر الأمر ، من قلم الاديب تنقاد له فنون التعبير .

واذن فالسيرة الموفقة هي في نظري تاريخ موثق ودرامة انسانية رائعة في آن واحد .

وهذا الكتاب الذي بين يدي ، يجمع هذه العناصر جمعا موفقا حتى لفي الوسع ان يقال ان « لايارد » خليق ان لا يحظى فيما بعد بسيرة افضل من هذه واكمل .

فالمؤلف انكليزي من الذين اجادوا الكتابة في هذا الباب من الادب المتكامل ، تشهد بذلك كتبه السابقة ، وبخاصة كتابه عن الليدي دف غوردن (وهي من شهيراته اللواتي شغفن بالشرق) ، ومن الذين عرفوا الشرق ، ولا سيما الشرق العربي ، بحكم العمل فيه والرحلة اليه وتتبع تاريخه وتاريخ المسألة الشرقية ، في

القومية والعالمية : من رياضة الذات الفردية الفاعلة ، الى تكوين العنصر البشري الفاعل وخلاياه ، الى تيارات الجامعة البشرية في أبعادها الثلاثة، وبعدها الآتي. والى ذلك ، تقرير في الحكم على حرص ٍ مستدرك ، وتقديس ٌ للقيم ، وتسام ٍ في الحث على الافضل ، واهابة **بالفعل** الحضاري الذي هو مرادف البقاء .

وقد سيقت هذه الاثقال جملةً على صفاء في بساطة العبارة ، ووضوح المدلول المباشر، كأن الفكرة ، لفرط مـــا اختمرت ، باتت سليقة وعفوَ خاطر ، ارستقراطيةً على غير جهد ، مألوفةً على غير ابتذال .

وبعُد ، فبين يديك وثيقة ٌ من وثائق العقل العربي في هذا الدور ، وتسجيل للشوط الذي جاره في تفهم الحضــارة والتاريخ . وقد تتساءل ان كان استنفاد البحث في القضايا التي أثار ، بدراسة ٍ علميــة مطولة ، اجدى في تعميم الفكرة ، وبعث الحرارة الخلقية ، من هذي المباني الصغيرة الانيقة .

انطون غطاس كرم

لايارد

LAYARD OF NINEVEH, by GORDON WATERFIELD,
John Murray, London, 1963, 55s net

هذا الكتاب ، المؤلف من ٤٩٠ صفحــة من المتن ، وملاحق وفهارس ممتارة تستغرق ٤٥ صفحة إضافية ،هو في نظري مثال بارع على ما احسبه سيرة موفقة . ففي السيرة الموفقة يندمج عمل المؤرخ المحقق في عمل الفنان الناقد ، فاذا السيرة وحدة متماسكــة ، لها من التاريخ أسانيد وثيقـــة تعصم من الانزلاق في التحيل والهوى ، ومن الفن الناقد روعة التصوير بخطوط واصباغ تمثل الحياة الزاخرة ، المجسمة في انسان . ومن هنا صارت كتابة السيرة، قالبا مميزاً من قوالب الادب، وفناً عسى ان يكون من أدق فنونه ِ واعسرها مطلبا .

فاذا همّ كاتب بكتــابة سيرة علم من الاعلام ، كان لا بد له في المرحلة الاولى

في حداثته المتعثرة ، سوى قسط يسير جدا من التعليم ، ودخل وهو في السادسة عشرة مكتب محام من اقربائه في لندن للتدرب فيه ثم أرسل الى سيلان للعمل محاميا فيها. ولو هو ذهب بحرا الى الاسكندرية ثم في النيل الى القاهرة فالى السويس ليبحر الى سيلان ، لما وقعت عيناه على آطام الآثار العظيمة التي كشفها في نينوى. ولكنه سافر براً الى الاستانة فمر في آسيا الصغرى وزار سوريا والقدس وبغداد وتوقف في بلاد فارس — واذا حياته تنقلب الى ما يشبه الاعصار، من المغامرات العجيبة[1] مع قبائل البختياري، الى الشغف بالكشف عن آثار نينوى الضخمة، والكشف عنها في فترات متوالية ، حتى صار من اعظم الكاشفين الاثريين ،وحتى قيل فيه ان علم الآثار مدين له بدين اعظم من دينه لمن تلاه من الباحثين الاثريين. وعلى ان هذا القول قد ينطوي على شيء من المبالغة ، برغم اسنـــاده الى استاذ معاصر عظيم ، فالذي لا ريب فيه هو ان لايارد كان بين الثامنة والعشرين والخامسة والثلاثين من عمره اعظم كشاف للاثار القديمة في العـــالم ، دون ان يكون له سند من مال او علم او حتى من معرفة تاريخية وثيقة .

ومن ذروة هذه الشهرة انصرف عن الآثار ودخل ميدان السياسة وكيلا لوزارة الخارجية ثم عضوا في مجلس النوّاب ثم وزيرا مفوضا في مدريد فسفيرا في الاستانة . وكان في كل ذلك مثار نزاع وجدل وخصومة ، له أنصـــاره وشانئوه ، على أعلى مستوى، في عصر كان فيه زعماء الحياة السياسية الانكليزية من طراز غلادستون ودزرائيلي. وقد انصبّت عنايته أكثر ما انصبّت على المسألة الشرقية التي كانت — وربّما لا تزال وان أفرغت في قوالب أخرى — احدى المسائل الأساسية التي دارت من حولهـــا سياسات الدول الاوروبية الكبيرة وراعاتهـــا في ذلك العهد ، وله فيما يتعلق بحرب القريم مواقف مشهورة . ومن نواحي اهتمامه بالدولة العثمانية وعلاقتها بانكلترا تأسيسه « البنك العثماني » وتولي رئاسة مجلس ادارته مدة ما .

---

(١) وصف رحلته هذه في كتابه Early Adventures in Persia, Susauna and Babylonia.

القرن التــاسع عشر الذي تقع في اطاره احداث حياة الرجل الذي يؤرخ له في هذا الكتاب .

وقد قيل عند وفاة لايارد في اواخر القرن الماضي ،« ان من يتصدى لكتابة سيرة حيـــاته الزاخرة ، ينبغي ان يكون رجلا يفهم علم الآثار ، والسياسة الانكليزية والدولية ، والدبلوماسيـة والادب والفن ، وليس بالأمر اليسير ان نقع على رجل على هذا الغرار » . والواقع انه لم يكن بد من انقضاء ثلاثة ارباع القرن تقريبا على وفـاة لايارد (١٨٩٤) حتى قيض له غوردن واترفيلد للقيام بهذه المهمـــة ، وقد قام بها على خير وجه . فهو بحاثة ، لم ترهبـــه اكوام من المخطوطات والمطبوعات ، راجعها قبل البدء في التأليف ، فقرأ ثلاثمئة وأربعين مجلدا في المتحف البريطـاني من « اوراق لايارد » المحطوطة ، ورسائل خاصة تعد بالمئات لا تزال في حوزة الاسر التي انتمى اليهـا هو او زوجته ، ويوميات مسز لايارد في ثلاثة عشر مجلدا، والوثائق الرسمية التي كان قد اختارها واحتفظ بها لايارد منـــذ عهده بالسياسة ، في وزارة الخارجيـــة ، ومجلس النواب ، والسفارتين في مدريد والاستانة . والمؤلف الى ذلك مصور اجاد تصوير شخصية غريبة الاطوار ، متعددة النواحي ، يكتب بقلم رائق التعبير ، دقيق النقد ، صريح فيما اورده من رأي أو حكم لصاحبه أو عليه ، فحماه ذلك من المغـالاة في تقدير رجل كان – بحكم صلة بعيدة من القرابة بينهما – اشبه ما يكون بـ«بطل» الدرامة .

أما الرجل الذي كتبت سيرته في هذا الكتاب (السر اوستن هنري لايارد ١٨١٧ – ١٨٩٤) ، فيكاد ان يكون ادنى الى « ابطـال » الروايات المتخيلة ، ولو ان احدا من الكتاب القصصيين اتخذ بطلا لرواية واضفى عليه من الصفات المتخيّلة والمتناقضة، ما اتصف به لايارد في الواقع، لحكمنا عليه بأنه بالغ واغرق.

فهذا الرجل ، لايارد ، كان ابن اسرة انكليزية متوسطة ، ترتد الى طائفة « الهوغونو » في فرنسا، فرت منها ونزلت في مقاطعة كنت في انكلترا. لم يصب

اني آسف لتعذر تلبية طلبه ، وهو تغيير عنوان الكتاب، فعنوانه ينطبق على ما فيه من ابحاث، وهي تتناول تاريخ القنصلية البريطانيـة في القدس، وتاريخ الاسقفية الانكليكانية فيهـا ، وتاريخ جمعية علمية احتصت بالاثار ومسح الاراضي وعمل الخرائط، ولا يقتصر موضوع الكتاب كما قرر الدكتور فارس ، على اعمال المبشرين .

لو اتيح للدكتور فارس ان يطلع على المراجع المخطوطـة التي اطلعت عليهـا، لثبت عنـده كما ثبت عندي، ان جميع هذه المصالح قد اسست بمساعي الحكومة البريطانية وتحت حمايتها ، وانهـا نمت وتقدمت بما انفق عليها من مال جمع في بريطانيا ، وانهـا ظلت شاهداً على اهتمام الحكومـة البريطانية والشعب البريطاني بفلسطين حتى الحرب العالمية الاولى وما بعدها.

كل حقيقة جديدة في كتابي لها مرجــع مذكور في هامش الصفحـة، وكل استنتاج مسبوق بحقائق تؤيده. ولم يكن من غرضي أن ابحث في اخلاص المبشرين لدينهم او لرسالتهم ، فكيف يصح للدكتور فارس أن يقول انني الصقت بهم « تهمة العمـــل في سبيل مصالح الامبراطوريـة البريطانية » ، وانني القيت عليهم « غمامة من الشك في حسن النية والقصد » ؟ لم يذكر مثلا واحداً يؤيد قوله. ألا يرى انه بذلك يسيء الى المؤلف « واطلاعه وعلمه وتدقيقه » ؟

لن أحيل الدكتور فارس على ما قالته أمهات المجلات العلمية التي وصفت الكتاب بالحيـــاد ومؤلفه بالتجرد العلمي . (فمجلتكم كانت آخر المجلات التي راجعت الكتاب ، وذلك دون طلب من الناشر أو من المؤلف.) ولكنني احيله بثلاث نقاط : الاولى ان احد المراجعيـن في مجلة انكليزية وصفني بقوله « عربي مسيحي » ، والثانية أن أحـــد المختصين بشؤون فلسطين عجز بعد قراءة الكتاب عن اكتشاف دين المؤلف هـــل هو يهودي او مسيحي او مسلم ، فسأل استاذ تاريخ الشرق الادنى في لندن ، والثالثة ان قساً انكليزياً طلب مني مقالة لمجلة تبشيرية هو محررها ، وبدأ كتابه هكذا « عزيزي القس طيباوي » !

ألا يثبت هذا ان الدكتور فارس جعل نفسه ملكياً اكثر من الملك ؟ ألا يثبت ان من يحاول قراءة ما في القلوب ، كما صنع ، قلما يسلم من الخطأ في الرأي ، والجور في الحكم ؟

عبد اللطيف طيباوي

تعقيب على تعقيب

لا بد لي من كلمة اسوقها الى الصديق الدكتور طيباوي على سبيل الايضاح. لم اقدم على مراجعة الكتاب الا تلبية لطلب رئيس التحرير . ويسرني ان اوكد مرة اخرى على اعترافي باطلاعـــه الواسع وتدقيقه العميق وامانته العلمية التي لا يمكن ان يتطرق الى نفسي الشك فيها .

نبيه امين فارس

وما أن استيقن لايارد في سنة ١٨٨٠ ان دوره في السياسة الانكليزية قد انتهى حتى برح انكلترا وأقام في البندقية وبدأ عهدا جديدا في حياته الزاخرة جعله وقفا على ما عدّه طريقة علمية في دراسة تاريخ الفن .

وفي خلال ذلك كله ، ألّف كتبا كثيرة ، طبعت ، ومذكرات وافية لا تزال مخطوطة ، جمعت في المجلدات الـ ٣٤٠ المحفوظة في المتحف البريطاني ، ورسائل لا تكاد تحصى الى الأقارب والأصدقاء ، وعني بتأسيس مصنع للزجاج في البندقية لصنع الفسيفساء ، وباسداء النصح للغاليري الوطنية في لندن في صدد شراء صور من عهد النهضة ، وبوضع خطة لتجميل مدينة لندن على ضفة النهر ، وعين عضوا في جمعيات وأكاديميات علمية وفنية كثيرة .

هذا الرجل بما له وعليه ، مثال على الانسان القادر ، بمواهبه الطبيعية وارادته الصلبة ونشاطه المتفجر ، أن يتخذ ، كما قال بيكون ، عالم المعرفة — والعمل أيضا — امارة له ، فهو الهاوي الذكيّ الذي يتنقل كالنحل من حقل الى حقل ، ويحسن الاشتيار من أزاهيره . وهو طراز من الناس صار نادرا في عصر التخصص الدقيق الذي نعيش فيه . وعلى كلّ حال فكل من يسرّه أن يطالع درامة انسان ، كهذا الانسان الفذّ ، لها صلة بروائع آثار الشرق الأوسط من ناحية ، وبمسائله السياسية الكبرى في القرن الماضي من ناحية أخرى ، فانه يصيب في كتاب غوردن واترفيلد عن « لايارد » ما يريد من متعة وفائدة .

فؤاد صروف

تعقيب على مراجعة

حضرة محرر مجلة الابحاث المحترم

استرعى انتباهي احد الزملاء الى ما نشره الدكتور نبيه فارس في عدد آذار ١٩٦٣ في مجلتكم الغراء عن كتابي : British Interests in Palestine 1800 - 1901

قبل كل شيء اشكر الدكتور فارس على ما تكرم به من ثناء على الكتاب ومؤلفه . ثم اقول

كتّاب
هذا الجزء من الابحاث

الدكتور ماجد فخري : أحد اساتذة الفلسفة في كلية الآداب والعلوم بالجامعة الاميركية في بيروت ، مؤلف : « ارسطوطاليس وابن رشد » في سلسلة قادة الفكر ، وبالانكليزية « Islamic Occasionalism » ومترجم كتاب جون لوك في « الحكم المدني » .

الدكتور نعيم عطيه : أحد اساتذة التربية (علم النفس التربوي) في كلية الآداب والعلوم، بالجامعة الاميركية في بيروت .

الدكتور مارتن ليفي : أحد اساتذة جامعة ييل في الولايات المتحدة الاميركية .

الدكتور نوري الخالدي أحد اساتذة مركز دراسات الشرق الأوسط ، في كلية بورتلاند ، اوريغون ، بالولايات المتحدة الاميركية .

الاستاذ عبد الرزاق الهلالي : مساعد مدير في المصرف الزراعي ، في بغداد . ومؤلف « مشاكل الائتمان الزراعي في العراق » (١٩٥٧) « والريف والاصلاح الاجتماعي في العراق » (١٩٦٠) و « نظرات في اصلاح الريف» (١٩٦٠).

الدكتور وليم كاون : مستشرق اميركي يشرف في معهد السلك الخارجي الاميركي في بيروت على برنامج تدريس اللغة العربية ويبدأ في خريف ١٩٦٤ عمله في جامعة براون بالولايات المتحدة الاميركية في منصب استاذ مشارك في علم اللغات .

السنة ١٧ ــ الجزء ٢ حزيران ١٩٦٤



رئيس التحرير : فؤاد صروف

فهرس



الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

«الابحاث» مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت اربع مرّات في السنة ، وهي منبر حرّ لاهل الفكر ولكنها لا تتحمل تبعة الآراء التي تنطوي عليها بحوثهم ، وهي تدعو الباحثين والكتّاب الى التعاون معها في خدمة البحث العلمي والمعرفة الصحيحة وبخاصة في شؤون الشرق العربي .

بدل الاشتراك في السنة : تسع ليرات لبنانية او ما يعادلها تدفع عند طلب الاشتراك او تجديده لأمر رئيس التحرير . جميع المراسلات الخاصة بالتحرير والادارة ترسل الى مكتب رئيس تحرير «الابحاث» ، الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ، لبنان .



مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

السنة ١٧ – الجزء ٢   رئيس التحرير : فؤاد صروف   حزيران سنة ١٩٦٤

مَن هي نُعم ابن أبي ربيعة ؟ (*)

جبرائيل جبور

من يدرس شعر ابن ابي ربيعة يرَ ان هناك فتاة استأثرت بجزء كبير منه وقال فيها اشهر قصائده على الاطلاق – تلك القصيدة الرائعة التي عرفت باسمها «امن آل نعم» والنونية «ارحمينا يا نعم مما لقينا» . وقد شاع ذكر الرائية وتناقلها الرواة في حياة صاحبها، وتمثل ببيتٍ من ابياتها الخليفة يزيد ابن معاوية حين استعرض جيشه الذي وجهه لفتح الحجاز [١] . واستكتبها لنفسه طلحة ابن عبدالله ابن عوف الزهري ابن اخي عبد الرحمان ابن عوف احد العشرة المشهود له بالجنة حين انشده اياها عمر [٢] . وقال جرير حين سمع بعض ابياتها : «ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر[٣]. بل فتنت بعض ايمة الفقهاء كما سبق فذكرنا

(*) فصل من الجزء الثالث من كتاب عمر ابن ابي ربيعة الذي يعهده المؤلف للطبع .

تكنى ام بكر [٥]. وذكر آخرون انها امرأة من ولد ابي سفيان ابن حرب وان عمر كان يكني عن اسمها بنعم ، وبذات الخال ، وانه رآها هو وابن ابي عتيق مرة بفناء الكعبة فدعا بكتف فكتب اليها وكنى عن اسمها :

الما بذات الخال فاستطلعا لنا   على العهد باق ودها ام تصرما

فقال له ابن ابي عتيق : سبحان الله ! ما تريد الى امرأة مسلمة محرمة ان تكتب اليها مثل هذا ؟ قال : فكيف بما سيرته في الناس من قولي :

لقد حببت نعم الينا بوجهها   مساكن ما بين الوتائر والنقع

ثم يذهب الراوي الى انها اجابته عن كتابه شعراً [٦] . واقتصروا على هذا القدر من التعريف بها فلم يذكروا شيئاً عن اهلها الاقربين ، او عن حياتها ، ولا هم فصلوا اخبارها مع عمر كما فعلوا في اخباره مع صاحباته المعروفات امثال الثريا وعائشة وكلثم وزينب وغيرهن .

وقد ذهبنا في ما سبق الى ان اسم الفتاة لم يكن نعماً ولكنه كان يكني عن اسمها الحقيقي بنعم صيانة لها وحرصاً على سمعتها من القالة والتشهير ، او خوفاً من اهلها وذويها ، او لانها لامته على التصريح باسمها حين صرح باسمها ورغبت اليه في ان لا يعود الى ذلك ، ففعل . فله من شعر يقول فيه :

وقالت لفتاة عندها (م)   حوراء كالرئم
اهو يا اخت بالله   الذي لم يكن عن اسمي [٧]

وقال ايضاً :

اسميها لتكتم باسم نعم   ويبدي القلب عن شخص حبيب
واكتم ما اسميها وتبدو   شواكله لدى اللب الاريب [٨]

ولم يتفرد عمر في ذلك العصر في ان يكني عن اسم حبيبته بنعم فقد سبقه قيس ابن الحدادية وشاركه آخرون[٩].

في بحثنا عن الثريا ووفود عمر على عبدالله ابن عباس.

وادرك الرواة اثر الرائية في عصر صاحبها فقد ذكروا عن الوليد ابن عبد الملك انه لما حج جاءه عمر وجلس اليه فسأله ان ينشده شيئاً من شعره، فاعتذر عمر في انه قد كبر وقد ترك الشعر ، ولكنه دعا بغلامين له يرويان شعره وقدمهما للوليد فاستنشدهما الوليد فأنشداه «امن آل نعم » فطرب لذلك واجزل صلة عمر ورد الغلامين.

ونفذ اثر هذه الرائية في مختلف العصور التي تلت العصر الاموي منذ زمن ابن ابي ربيعة حتى هذا العصر الذي نحن فيه. حفظها الرواة، واوردها كلها او بعضها المؤلفون في كتبهم ، وشرح بعض ابياتها الادباء ، وتمثل ببعضها النحاة . فقد ذكرها الاصبهاني في اغانيه ، والقالي في اماليه ، والمبرد في كامله ، والعيني في شواهده، والبيتي في مواسمه ، والنويري في نهاية الارب ، والبغدادي في خزانة الادب ، وابن ميمون في منتهى الطلب من اشعار العرب وغيرهم. وكان العصر الاخير فاذا بالشاعر الاخطل الصغير يصغ فيها قصيدة موضوعها نعم وعمر يقول في بعضها :

ليلة ذي دوران هل كانت كما حدثت ام اخيلة وصور
ونعم هل كانت كما صورت ام بالغ في تلوينها المصور

* * *

ايه ابا الخطاب ما احلى الهوى تنظم من سواره وتنثر
لو انصف الشعر لكنت قبلة معسولة في ثغره يا عمر
او انصفت نعم وقد ابرزتها للفتنة الكبرى مثالاً يؤثر
في بدعة للشعر لم يحلم بها قيس ولم ينهد لها كثير
لو انصفت لكشفت عن صدرها تود لو تطبع تلك الاسطر
وصفقت لعمر قائلة نناظري الاسود هذا الاسمر [٤]

ولكن من هي نعم هذه التي قيلت فيها تلك الرائية الشهيرة وكثير من شعره المحفوظ ؟ لقد ذكر بعض الرواة انها كانت امرأة من قريش من بني جمح وكانت

ادخل الله رب موسى وعيسى جنة الخلد من ملاني خلوقا
مسحته من كفها في قميصي حين طافت بالبيت مسحاً رفيقا
غضبت ان نظرتُ نحو نساء ليس يعرفنني سلكن طريقا
وارى بينها وبين نساء كنت اهذي بهن بوناً سحيقا (١٣)

وكذلك يظهر من اشعاره فيها انها كانت تتردد الى المدينة وتتنزه في العقيق (١٤) وادي المدينة ، وقد لقيها مرة بالوادي عند بئر (١٥) لعله بئر عروة المشهور في اعلى الوادي جنوبي المدينة، ومرة عند جبل سلع (١٦) شمالي المدينة مما يلي العقيق. ويذكر لها اختين مرة وترباً مرة اخرى (١٧)، ويصرح في بعض القصائد بعلاقات – تكاد تكون مريبة – كانت له معها وبحب شديد يربطه اليها كما نرى في الرائية وغيرها (١٨) . وفيما عدا هذا فليس في وصفه لنعم – اذا استثنينا ذكره لجمالها وبعض ملامح شخصيتها – ما يساعدنا على تحقيق نسبها ، غير انه وصفها في بعض شعره بذات الخال فقال :

لقد حببت نعم الي بوجهها مسافة ما بين الوتائر فالنقع
ومن اجل ذات الخال أعملت ناقتي اكلفها سير الكلال مع الظلع
ومن اجل ذات الخال يوم لقيتها بمندفع الأخباب سابقني دمعي (١٩)

وله شعر بفتاة ينعتها بذات الخال ايضاً ويذكر فيه ان لها اختين تساعدانها على حبها مطلعه :

ألما بذات الخال فاستطلعا لنا أكالعهد باق ودها ام تصرما

ويقول فيه :

وقالت لاختيها اذهبا في حفيظة فزورا ابا الخطاب سراً وسلما (٢٠)

وهذا يشبه ما في رائيته في نعم حيث ذكر ان لها اختين شكت امرها لهما فسمعتا من جزعها وساعدتاها على حبها وصحبتاها بعد خلوة عمر بها وذلك حين

وقد لاحظنا في حديثنا عن عائشة بنت طلحة والثريا بنت علي ابن عبدالله ابن الحارث وزينب بنت موسى الجمحية ان كلا منهن كان يمكن ان تكون نعمـــاً هذه – عائشة لانها تمثلت ببعض ابيات الرائية يوماً حين كانت مغاضبة لزوجهـا ملمحة الى ما يفيد ان عمر قال رائيته فيها ، والثريا لانها كادت تستأثر بقلبـه في شبابه وكهولته ولا سيما في العهـد الذي نظم فيه هذه الرائية ولانه قال فيهـا احسن شعره واصدقه عاطفة ، وزينب لانها هي الاخرى قد ملكت عليه قلبـه حيناً من الزمن وكانت من بني جمح – القبيلة التي زعموا ان نعمـــاً كانت منها . ويجب ان نلاحظ هنا ان اهل كل واحدة من هاته النساء الثلاث او ذويها كانوا ينكرون على عمر ذكرها في شعره. وقد صرح بهذا هو نفسه حين قال :

اذا زرت نعماً لم يزل ذو قرابة   لهـــا كلما لاقيتهـــا يتنمر

ومهما يكن من امر نعم المجهولة هذه فانا نجد له في ديوانه ما لا يقل عن خمس وعشرين قصيدة(١٠) قصرها عليها. ومن هنا نرى لزاماً علينا ان ننيلها من انتباهنا مثل ما انلنا غيرها من صواحب عمر المعروفـــات حتى وان كانت واحـدة من محبوباته الثلاث المذكورات .

يظهر من بعض اخباره مع نعم ومن اشعاره فيها انها مكية (١١) ، وانهـا كانت تتردد الى البادية . ولعلها كانت من هذه الاسر التي الفت الاقامة في البادية في مواسم خاصة كما كان يفعل كثير من الامراء والخلفـاء في عهد بني اميـــة في الشام . وقد زعموا انها وهي في البادية مرة اغتسلت في بعض الغدران وكان عمر يرقب تنقلاتها وحركاتها فأمر فضرب له مضرب عند ذلك الغدير ولم يزل يرد منه هو وحشمه وركائبهم حتى جف ونضب ماؤه . (١٢)

وكان يترصدها ايضاً في مواسم الحج عنـد الطواف او رمي الجمار شأنه مـع غيرها من الحاجات المترفات فيلتقي بها ويتحدث اليها . وقـد ذكروا عنها انهـا مرت به ذات يوم وهو في المسجد وفي يدها خلوق من خلوق المسجد فمسحت به ثوبه ومضت وهي تضحك فقال :

لنعم اد تعاوده هيام | به اعيا على الحاوي الطبيب
لعمرك انني من دين نعم | لكالداعي الى غير المجيب
وما نعم ولو علقت نعماً | بجازية النوال ولا مثيب
وما تجزي بقرض الود نعم | ولا تعد النوال الى قريب
ادا نعم نأت بعدت وتعدو | عواد ان تزار مع الرقيب
اسميها لتكتم باسم نعم | ويبدي القلب عن شخص حبيب
واكتم ما اسميها وتبدو | شواكله لدي اللب الاريب
فكم من ناصح في آل نعم | عصيت وذي ملاطفة نسيب (٢٣)

وهو في قصيدته النونية يبدي من التذلل والحرع لهجرها والشوق الى لقائها ما لا يكاد يضارعه تذلل وجزع وشوق في شعر يقوله في اي فتاة اخرى .

ارحمينا يا نعم مما لقينا | وصلينا فانعمي او دعينا
عنك ان تسألي فدى لك نفسي | ثم تأتين غير ما ترعمينا
وادكري العهد والمواثيق منا | يوم آليت لا تطيعين فينا
قول واش اتاك عنا بصرم | او نصيح يريد ان تقطعينا

الى ان يقول :

فلئن كنت قد تغيرت نعدي | ورضيت الغداة ان تصرمينا
ونسيت الدي عهدت الينا | في امور خلون ان تعلمينا
لا ترالين آثر الناس عندي | فاعلمي ذاك في الهوى ما حيينا (٢٤)

ويقول في نونية اخرى في نعم :

يا رب انك قد علمت بانها | اهوى عبادك كلهم انسانا
والدهم نعم الينا واحداً | وأحب من نأتي ومن حيانا
حمّلت من حبّيك ثقلاً فادحاً | والحب يحدث للفتى احزانا
وأطعت فيّ عواذلاً حمّلنكم | وعصيت فيك الاهل والاخوانا (٢٥)

يقول :

فقالت لاختيها اعينا على فتى ... اتى رائراً والامر للامر يقدر
فأقبلتـا فارتاعتـا ثم قالتـا ... اقلي عليك اللوم فالخطب ايسر
يقوم فيمشي بيننا متنكراً ... فلا سره يفشو ولا الامر يظهر
فكان مجني دون من كنت اتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وقد اشرنا الى ما ذكره بعض الرواة في خبر ذات الخال من انها امرأة من آل ابي سفيان وكان عمر يكني عنها بنعم . واذن فذات الخال هي نعم .

اما حبه لنعم فظاهر في اكثر شعره فيها . فهو لم يقتصر في هذا الشعر على وصف جمالها كما كان يفعل في كثير من شعره الدي قـاله في نساء اخريات ، بـل اظهر وجداً وعاطفة لم يظهر مثلها الا للقليلات من صاحباته الكثيرات في عهوده المختلفة . فهو في رائيته مثلاً يكرر اسمها في ابيات متتابعة بكثير من اللهفـة والوجد والشوق وبشيء من اللذة التي لا يعدلها عنده شيء فيقول :

امن آل نعـم انت غـاد فمبكر ... غـداة غـد ام رائـح فمهجر
تهيم الى نعـم فـلا الشمل جامـع ... ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافـع ... ولا نأيهـا يسلي ولا انت تصبر
واخرى اتت من دون نعم ومثلها ... نهى ذا النهى لو ترعوي او تفكر[٢١]

الى آخر الابيات . وله ايضـاً من قصيدة اخرى يلهج باسمهـا ويردده بلذة وشوق :

ابيني اليـوم اي نعم ... اوصل منك او صرم
فان يك صرم غانيـة ... فقد تغنى وهو سـلم
تلومك في الهوى نعم ... وليس لهـا به عـلم
صحيح لو يرى نعمـاً ... لحـالط جسمـه سقم[٢٢]

وله يصف شوقه لهـا ويكرر اسمها ويعيد المعاني نفسها التي طرقها في رائيته:

يظهر فيهـــا عفة واحتشاماً في الكلام فيذكر كيف طال ليله واعتاده السقم من حب نعم التي رمته بسهام نفذت الى احشائه دون ان تظهر جراحه، ثم يصف كرم محتدها وحسن شمائلها وحديثها وجمال جسمها وكمالها وثغرها العذب، ولكن ليس فيها ما يدل على عاطفـة حب قوية ولعلها من بواكير شعره في نعم ، فهو يكتفي بوصفها ثم يقول في آخر القصيدة :

هكذا وصف ما بدا لي منها   ليـس لي بالذي تغيّب عـلم
ان تجودي او تبخلي فبحمد   لستِ يا نعم فيهما من يـذم (٣٠)

واخرى لامية يذكر مماطلة نعم له ويصف جمالهـا واثره في النفوس بحيث لو برزت لقسٍّ لصرفته عن تبتله، ثم يلمح الى ان رجلاً من اثرياء مكة ظفر بها وتركه يتحسر لفراقها . وهذه كأختها الميمية تكاد تخلو من عاطفة حب لها او حزن لفراقها كما ينتظر منه في مثل هذه المواقف . يقول فيها :

يا نعم قد طالت مماطلتي   ان كان ينفع عاشقاً مطله
كان الشفاء لنا ومنيتنـا   منك الحديث فغالنا غيله
فبديت من اشفى برؤيته   وابى وكان كثيرة علله
ظبي تزينـه عوارضـه   والعين زين لحظها كحـله
ولو انها برزت لمنتصب   قس طويل الليل مبتهـله
سيار ارض لا انيس بهـا   فيها شريعتـه ومبتقـله
لصبا والقى عنـه برنسه   وسعى واهون سعيه رمله
حتى يعاينهـا معـاينة   غزلاً وحـق لقسهم غزله
كنا نؤمل ان نفوز به   في من نؤمـله ونختتـله
حتى اتيح لظبينا رجـل   من اهل مكة رانه حلله
يغدو عليه الخز يسحبـه   ويروح في عصب ويبتذله
فرمى فأقصدها برميتـه   وربما فمهـد للفتى اجـله
قالت لقينات يطفن بهـا   حولي ودمعي دائماً سبله

ويقول في نعم في ميمية :

فوالله ما للعيش ما لم الاقكم — وما للهوى اذ ما تزارين من طعم [٢٦]

وفي ميمية اخرى :

يا نعم ما لاقيت بعدكم — لمجالس اللذات من طعم
اما النهار فادت ما شجني — والليل انت طوائف الحلم
لاتظهري سري فان حديثكم — في محصن ابأى من النجم
اني رأيت الحب ينقصه — طول الزمان وحبكم يىمي
سارب وصلك ان مننت به — في المح ياسكني وفي العظم [٢٧]

وله ميمية في نعم يذكر فيها ارقه وسقمه ويشكو هجرها له وصرمها بحيث كان يموت حزناً ويشير الى عتمها عليه لانه لم يكن عن اسمها حين يذكرها في شعره ، ثم يزعم انه جاء اليها يطلب ان تصفح عن ذنبه ويرجوها ان لا تصغي الى قول الوشاة :

ارقت وآبي همي — لنأي الدار من نعم
وأقصر عاذلي عني — ومل ممرضي سقمي
اموت لهجرها حزناً — ويحلو عندها صرمي
فبئس ثواب ذات الود (م) تجريه ابنة العم
ويوم الشري قد هاجت — دموعاً وكف السجم
وقالت لفتاة عندها (م) — حوراء كالرئم
اهو يا اخت بالله (م) الذي لم يكن عن اسمي
ولم يجارنا بالود (م) — احفى بي ولم يكم
فجئت فقلت صب (م) — ذل من واش اخي اثم
وقد اذنبت ذنباً (م) — فاصفحي بالله عن ظلمي [٢٨]

واخرى مطلعها :

طال ليلي وعادني اليوم سقم — واصابت مقاتل القلب نعم [٢٩]

من زعم انها بنت عبدالله ابن الحارث وقال : انهـــا بنت علي بن عبدالله ابن الحارث ، واستدل على ذاك في ان عمر شبب بها في حياة معاوية وانشد ابن عباس شعره فيها . والشعر الذي انشده عمر واستمع اليه ابن عباس انما كان الرائيـة في نعم .

وهناك سبب آخر يحملنا على الظن ان نعم هي الثريا وهو ان الثريا زوّجت من سهيل ابن عبد الرحمان ابن عوف ولكنها ظلت تحفظ لعمر حباً ومودة ، بل ظلت تذكر له حبه حتى زمن الوليد بن عبد الملك حين وفدت اليه وذكرها بعمر فأثنت عليه (٣٣) . وفي شعر عمر في نعم اشارة الى زواج نعم من رجـــل مكي شريف وانها لا تزال تذكر عمر وتأسف لفراقه (٣٤).

ونريد ان نشير هنا الى هذه الظاهرة في الصلة التي كانت بينه وبين نعم فقـد صرح في غير موضع من شعره فيها بعفه ولهوه وجنوحه الى شيء من الاثم، وهي ظاهرة قليلة الاثر في شعره على ما عرف عنه من الفسق والمجون . ولعـل ذكره لهذا العبث هو الذي منعه من التصريح باسمها الحقيقي .

وقد اهداه مرة مصعب ابن الزبير بغلة دهماء واثواباً من وشي العراق وخزه وطيباً ومسكاً فلما اصبح لبس بعض تلك الثياب وركب بغلته وقصد نعماً وقال في ذلك .

الا ارسلت نعم الينا ان ائتنـا	فأحبب بهـا من مرسل متعصب
فأرسلت ان لااستطيع فأرسلت	تؤكد ايمـــان الحبيب المؤنب
فقلت لجناد خذ السيف واشتمل	عليه بحزم وانظر الشمس تغرب
واسرج لي الدهماء واعجل بممطري	ولا يعلمن خلق من الناس مذهبي

ومو عدك البطحـــاء او بطن يأجج
اوالشعب ذي المسروح من بطن مغرب

ولما التقينـــا سلمت وتبسمت	وقالت مقال المعرض المتجنب
أمن اجـل واش كاشح بنميمـة	مشى بيننــا صدقته لم تكذب

اتن زينتن فرقتنا ولكل صاحب زينة عمله
لا تعجلاه ان يسائلنا ان كان شف فؤاد ثقله
ففديت حامله وحاضره وفديت ما يسمو به جمله
وفديت من كانت مساكنه بالسهل او مستوعر جبله (٣١)

ويصعب ان نرتب اشعاره فيها بتسلسل تاريخي لكي نلاحظ تطور حبه لها واثره في نفسه . وفي بعض المقطوعات ما يفيد انه قضى معها اوقات لهو كثيرة تحبه ويحبها ويجتمعان ولا يرعويان لقول العذال والناصحين :

خليلي اربعا وسلا بمغنى الحي قد مثلا
باعلى الواد عند البئر هيج عبرة سبلا
وقد تغنى به نعم وكنت بوصلها جذلا
ليالي لا نحب لنا بعيش قد مضى بدلا
ونهوانا ونهواها ونعصى قول من عذلا
وترسل في ملاطفة ونعمل نحوها الرسلا (٣٢)

وليس بين صاحباته المعروفات من كانت له علاقة وثيقة بها مثل هذه العلاقة التي كانت له بنعم كما نرى من شعره سوى الثريا ومن هنا فاننا نرجح ان اكثر شعره في نعم قد قصد به الثريا وذلك في العهد الذي كانت تخشى فيه اهلها ويخشاهم بعد ان ساروا اليه وسألوه ان يكف عن ذكرها بشعره . وحين عرضنا لعلاقته بالثريا اشرنا الى الحرية التي كانت تتمتع بها بحيث استطاع الرواة ان يذكروا انها وفدت اليه مرة وقبلت اخاه النائم في فراشه ظناً منها انه عمر ، ولم تر بأساً في ذلك. وارسلت وراءه مرة اخرى ليأتيها الى الطائف ففعل. وضربته مرة بظاهر كفها – على سبيل المداعبة – حين زارها مع رفيق له وكادت تكسر سنيه الاماميتين . ولو كان شعره في نعم قد قيل في فتاة غير الثريا لكانت الثريا عتبت عليه كما فعلت حين ذكر رملة بنت عبدالله ابن خلف الخزاعي. والاصبهاني نفسه ألمح الى ان الرائية في نعم هي في الثريا حين عرض الى نسبها وخطأ بعض

وهوه عمدها حتى الصباح حين نادى المنادي بالرحيل وكيف ساعدته احتاهـا على ان يتنكر ويخرج متخفيا بينهن .

ومن الادلة على ان شعره او اكثر شعره في نعم كان في الثريا هـدا الشبه في المعاني والقرائن بين شعره في نعم وشعره في الثريا . ففي الرائية في نعم يقصد مصارب اهلها على ناقة قلوص له يتركها في العراء حين يطرق خباءها وفي قصيدة له في الثريا يذكر ما يشبه هذا حين يقول :

يا ثريـا الفؤاد ردي سلامـاً وصلينـا ولا تبتي الزمـامـا
وادكري ليلة المطارف والوبل وارسالنا اليك الغلامـا
وادكري محلساً لدى جانب القصر عشياً ومقسمي اقساما
في ليـال منهن ليـلة باتت ناقتي والهـاً تجر الزمامـا
يغسل القطر رحلهـا لا ابالي ان تبل السماء عضبـاً حساما

ثم يقول عن الثريا :

من يكن ناسياً فلم انس منها وهي تذري لذاك دمعاً سجاما
يوم قالت ودمعها يغسل الكحل اردت الغداة منـا انصرامـا
قلت لم تصرمي ولم تطع الواشي وقـد ردت دا المؤاد عرامـا (٣٨)

بقي ان نذكر قصيدة لعمر دالية قالهـا في فتاة دعاها بالعامرية وهو نفس اللقب الذي دعا به نعماً في رائيته حين قال :

هنيئا لاهل العامرية نشرهـا (م) اللذيذ ورياها الذي اتذكـر

ففي قصيدة عمر هذه يذكر سهره ذات ليلة يرعى النجوم ، حتى اذا علت الجوزاء في السماء ، واشتد الظلام ، ونام الخليون من الحب سار اليها وطرق بابها آخر الليل فعل من كان على موعد معها ففتحت له البـاب وليدتها . فدخل فدهشت وجزعت ثم هدأ روعها وارعوت . ومكث عندها اياما ثم انصرف حين صلام وقد نال عهدا منها ان تبقى وفية له وان لا تقصيه آخر الدهر. يقول:

قطعت وصال الحبل منا ومن يطع　　بذي وده قول المحرش يعتب
فبات وسادي ثني كف مخضب　　معاود عذب لم يكدر بشرب
اذا ملت مالت كالكثيب رخيمة　　منعمة حسانة المتجلب [٣٥]

ولا يختلف هذا الموقف الذي يصرح فيه بلهوه وعبثه عن موقفه في قصيدته التي قالها في الثريا حين قال :

لم تر العين للثريا شبيهاً　　عسيل التلاع لما التقينا
اعملت طرفها الي وقالت　　حب بالسائرين زورا الينا
ثم قالت لاختها قد ظلمنا　　ان رجعناه خائباً واعتدينا
في خلاء من الانيس وأمن　　فشفينا غليلنا واشتفينا
وضربنا الحديث ظهر البطن　　واتينا من امرنا ما اشتهينا
فلبثنا بذاك عشراً تباعاً　　فقضينا ديوننا واقتضينا [٣٦]

او حين قال عن موقف آخر له مع الثريا ايضاً .

برزت بين ثلاث　　كالمها تقرو الصريما
قمر بدر تبدى　　باهراً يغشى النجوما
قلت اهلاً بكمُ من　　زوّر زرن كريما
فأذاقتني لذيذاً　　خلته راحا ختيما
شابه شهد وثلج　　نفعا قلبا كليما
ثم ابدت اذ سلبت　　المرط مبيضاً هضيما
فلهونا الليل حتى　　هجم الصبح هجوما
قلن قد نادى المنادي　　وبدا الصبح فقوما
فمن يرجين غزالاً　　فاتر الطرف رخيما
ولقد قضيت حاجاتي　　ولاقيت النعيما [٣٧]

وظاهر من هذه القصيدة انها لا تختلف في معانيها كثيراً عن رائيته في نعم

الرعيان ، ونوم السمار ، وكيف فاجأها وهي في خبائها ، وحياها ، فتولهت . وجزعت وانكرت عليه مثل هذه الجرأة ، ثم لانت وافرخ روعها ، وقضى معها ليلاً في مجلس لهو لم يكدره مكدر حتى انبثق الفجر ونادى منــادٍ بالرحيل ، فقامت ونبهت اختيها وقصت عليهما خبر مغـامرة هذا الفتى العاشق فخففا من جزعها وهونا من خطبهــا وفتقت لصغراهما حيلة في ان يتنكر فيلبس درعها وبرديها وينسل متخفيــا بينهن . فيفعل ، ويودعه ، ويسألنه ان يرعوي في مغامراته ويصطنع الحذر والحيل لئلا يقع بمثل ما وقع به من مأزق ، وينهي هذا الموقف بقوله :

على اني قد قلت يــا نعم قولة لها والعتاق الارحبيــات ترجر
هنيئاً لاهل العامرية نشرها (م) اللذيذ ورياهــا الذي اتذكر

وهي خاتمة بليغة كان يجب ان تنتهي عندها هذه الرائية الرائعة ولكن القصيدة في الديوان لا تنتهي هنا اذ يعود عمر بعد هذا الموقف الى وصف الناقة التي اقلته في هذه المغامرة باسلوب لا يتفق مع اسلوب الرائيـــة بل هو اقرب الى اسلوب اصحاب المعلقات . وهو امر يدفعنا الى الظن ان بعض معـاصريه من المتعصبين لشعر القدماء تحداه او ارتأى عليه ان يصف الناقة على طريقة القدماء ففعل عمر اظهارا لبراعته الفنية ليس اكثر .

ولعل من الخير ان لا نشتط في المقابلة بين هذه المواقف الكثيرة في شعره في نعم وفي شعره في الثريا ولا في اوجه الشبه في رواحها وحرمــان عمر منها اذ يجوز ان بعض شعره في نعم كان في غير الثريا ايضــا وانه اتخذ هــذا الاسم ذريعة لستر غير واحدة من حبيباته كما يفعل كثير من الشعراء حين ينسبون في غير واحدة. وهناك لو شئنا مجال للظن في ان بعض هذا الشعر في نعم كان في عائشة بنت طلحة وان هذه الكنية ام بكر تنطبق ايضا على عائشة حفيدة ابي بكر. هذا عدا الاسباب التي ذكرناها في بحثنا عن عائشة. ولكننا نرى ان اكثر شعره في نعم ومنه هذه الرائية ينطبق على الثريا اكثر ما ينطبق على اي فتاة اخرى.

نــــام الخلي وبت غير موســـد   رعي النجوم بها كفعل الارمد
حتى اذا الجوزاء وهنـــا حلقت   وعلت كواكبها كجمر موقـد
نام الالى ليس الهوى من شأنهم   وكفاهم الادلاج من لم يرقـــد
في ليلة طخيَـــاء يخشى هولهـا   ظلمـــاء من ليـــل التمام الاسود
فطرقت باب العـــامرية موهنا   فعـــل الرفيق اتـــاهم للموعد
فاذا وليدتها فقلت لهـــا افتحي   لمتـــيم صب الفؤاد مصيـــد
فتمرج البـــابان عن ذي مرة   مـــاض على العلات ليس بقعدد
فتجهمت لمـــا رأتني داخـــلا   بتلهف من قولهـــا وتهـــدد
ثم ارعوت شيئاً وخفض جأشها   بعد الطموح تهجـــدي وتوددي
حتى اذا ما العشر جن ظلامهـــا   قالت الا حان التفرق فاعهد
واذكر لنا ما شئت مما نشتهي   والله لا نعصيك اخرى المسند[٣٩]

ومثل ما ذكره هنا في شعره وقع له كثيراً مع الثريا ووليدتها في الاخبار التي تناقلها الرواة عنه وذكرناها في بحثنا عن الثريا فيما سبق من هذا الكتاب .

اما رائيته في نعم فهي نسيج وحدها . وقد سلك فيها مسلكاً جديدا من القصص الشعري لم يسبقه اليه احد بالرغم عمّا فيها من اوجه الشبه بمعلقة امرىء القيس . ولعله نظم القسم الاول منهـــا ثم ليم على انه لم يأت على وصف الناقة كما فعل الشعراء من قدمـــاء الجاهليين ، فألحق ذلك القسم الاول بمقطوعـــة من بحره ورويه في وصف الناقة . اما القسم الاول فيبدأه بالتساؤل – على الطريقة المألوفة في تجاهل العارف – عن آل الحبيبة التي الف الغدو الى منارلها ، ويذكر هيامه بها ومحاولته زيارتها وغضب اهلهـــا لذاك ، ثم ينتقل الى تذكر موقف له معها في موضع سمـــاه ، وكيف سألت عنه رفيقتها حين اقبل عليهما وانكرت هيئته وقد غيره القر والتنقل في الفلوات في حر الضحى وبرد العشي بينما استكنت هي في ظل غرفـــة[٤٠] يحيط بهـــا روض اخضر ملتف الحدائق . وينتقل من هذا الى ليلة تجشم السرى فيها لزيارتها يحاذر الرقباء منتظرا غياب القمر ، ورواح

(٢٠) الديوان ٤٨٤
(٢١) الديوان ١٨١—١٨٩
(٢٢) الديوان ٥٣٠
(٢٣) الديوان ٤٢ – ٤٤
(٢٤) الديوان ٥٧٨
(٢٥) الديوان ٥٥٧
(٢٦) الديوان ٥٢٩ — ٥٣٠
(٢٧) الديوان ٥٥٧
(٢٨) الديوان ٥٢٢ — ٥٢٣
(٢٩) الديوان ٥١٠
(٣٠) الديوان ٥١١
(٣١) الديوان ٤٤٤ — ٤٤٦
(٣٢) الديوان ٤٦١ — ٤٦٢
(٣٣) الاصبهاني ١:٣٦
(٣٤) راجع الديوان ٤٤٥ — ٤٤٦
(٣٥) الاصبهاني ٨: ١٤٦—١٤٧ والديوان ٩١ — ٩٢
(٣٦) الديوان ٥٨١
(٣٧) الديوان ٥٢٠
(٣٨) الديوان ٥٠٥
(٣٩) الديوان ١٥٥ — ١٥٦
(٤٠) معنى العرفة في هذه النصوص القديمة — العلّيّة

المراجع

(١) ابو الفرج الاصبهاني، الاغاني (بولاق ، ١٢٨٥) ١ ٩ ٣

(٢) الاصبهاني ١:٣٨

(٣) الاصبهاني ١:٣٨

(٤) ديوان الاخطل الصغير (بيروت ، ١٩٦١) ص ١٣١ - ١٣٦

(٥) الاصبهاني ٤:٣٦

(٦) الاصبهاني ٨:١٤٤ وانظر عمر بن ابي ربيعة لجبرائيل جبور (بيروت ، ١٩٣٩) ج ٢ ص ٤٥ والموشى لمحمد بن اسحق الوشاء ، (ليدن ، ١٣٠٢) ١ ٥ ٤

(٧) ديوان عمر بن ابي ربيعة (مصر ، ١٣٣٠) ٥٢٣

(٨) الديوان ٤٤

(٩) الاصبهــــاني ١٣:٧ ومصارع العشاق لابي محمد بن السراج، القسطنطينية (١٣٠١) ج ٢٤٩.١٥

(١٠) الديوان ص ٤١ ، ٩١ ، ١٢٩ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ٢٣٥ ، ٣٢٩ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥٤ ، ٤٦١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٥٠٣ ، ٥١٠ ، ٥١٥ ، ٥٢٢ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٥٧ ، ٥٧١ ، ٥٧٨

(١١) الديوان ٤٢

(١٢) الاصبهاني ٤،٣٦ و ١٤٧.٨ من الممتع ان نلاحظ ان شيئاً مثل هذا روي عن امرىء القيس وعن الوليد ابن يزيد الاصبهاني ٨ ٦٨ ، و ٤:١٢٤

(١٣) الديوان ٣٦٩ والاصبهاني ٤:٣٦

(١٤) الديوان ٥٢٩

(١٥) الديوان ٤٦١

(١٦) الديوان ٣٣٠

(١٧) الديوان ١٧٤ ، ٤٨٤

(١٨) الديوان ٢٣٧ ، ١٨٦ ، ٥٠٤ ، ٩٢

(١٩) الاصبهاني ٨:١٤٤ والديوان ٣٣٠

شق القناة والتسليم ، بما يدعى اليوم ، خطر شأنها من الناحية الجغرافية السياسية (Geopolitical) ، اثار جدلاً آخر لا يقل حيوية عما سبقه ، حول اختيار طريق اخرى الى الهند . ولهذا زاد الاهتمام ببلاد مــا بين النهرين . وسيقتصر هذا البحث على الفترة التي تبدأ بعزل حاكم العربية التركية . داود باشا ، في سنة ١٨٣١ ، حتى النزاع العثماني — الروسي سنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨ .

نشأ الطابع الخاص للسياسة البريطانية في العربية التركية نتيجة لان اسسها كانت توضع من قبل جماعتين متباعدتين من المسؤولين ، لا يجمع بين ارائهما المتفاوتة شيء. فكان من المحتم ان يختلف الانطباع عن العربية التركية في لندن والقسطنطينية عنه في بومباي وكلكتا وسيملا . ولم يكن احد ادرى بهذا من المقيم في بغداد ، لان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب . فلقد كان الممثل البريطاني هناك معتمدا سياسيا في الأصل لشركة الهند الشرقية ولكنه في عــام ١٨٣٠ اصبح خادما لسيدين في آن واحد . فكان القنصل العام لجلالة الملك والمعتمد السيــاسي في العربيـــة التركية . وفي حين كان تفويضه القنصلي يصدر من القسطنطينية كان راتبه والمساندة العسكرية التي يحتاج اليها يأتيان من بومباي . ولقد رقي عدد من المقيمين السياسيين في بوشير الى هذا المنصب فــانتقلوا الى بغداد (*) . وكان جميع هؤلاء الموظفين في هذه الفترة التي نتكلم عنها ضباطــاً في الجيش البريطاني — الهندي .

ومهما يكن من امر ، فلا ينبغي ان يوحي هذا التدبير بوجود ميل متسق واضح للأخذ برأي نائب الملك في الهند اذا لم توافق سياسة الحكومة الهندية سياسة وزارة الخــارجية . كذلك يجب أن نأخذ بعين الاعتبار عدم نشاط الحكومة الهندية من جهة ، ونشاط القائمين على السياسة البريطانية في لندن ...تهم من جهة اخرى . فرجــال مثل بالمرستون Palmerston او بونسونبي Pon... او ستراتفورد دو ردكليف Stratford de Redcliffe ، دلــك

(*) تصبح البحرين مقراً لمعتمد سياسي حتى سنة ١٩٤٦ .

المصالح البريطانية ابان القرن التاسع عشر في « العربية التركية »[1]

جوزيف مالون

اذا استعملنا المصطلح « العربية التركية » Turkish Arabia عينينا بـه اكبر ولاية في الدولة العثمانية حكمت من بغداد ، وكانت حدودها حدود العراق الحديث نفسها تقريبا [2] . ولم تكن حدود تلك الولاية مع البادية السورية غربا ثابتة ، واما حدودها مع بلاد فارس فقد خضعت لعدد من التعديلات حيث كان لكل من الفرس والاتراك مطالب متضاربة حول مئات الأميال الممتدة من جبال كردستان حتى الخليج الفارسي . ولعلّ اعظم تعديل طرأ على الحدود يعود الى اوائل القرن التاسع عشر عندما ضمت فارس المحمرة، او « خرّمشهر » كما عرفت فيما بعد ، الى اراضيها جاعلة بهذا من شط العرب ممرا بحريّا دوليّا على الرغم من ان ضفة الشط الشرقية كانت تؤلف الحدود التركية التي اصبحت فيما بعد حدود العراق الحديث . وجدير بالذكر انه بينما كان مركز السلطة في بغداد ، كانت الموصل ، والبصرة ، وكركوك تتمتع من وقت الى آخر بقدر من الحكم الذاتي ، لا سيما في الشؤون المالية التي كانت دوما مسرحا للتجارب المستمرة .

كانت مشكلات المواصلات والدفاع الامبراطورية هي التي حركت اهتمام بريطانيا بالعربية التركية . فقبل ان تشق قناة السويس دار جدال ومناقشة استمرا سنين عديدة حول أنسب الطرق المؤدية الى الهند ، كما ان قضية

وكانت هذه النواحي الثلاث الى حد ما متداخلة . أمـا وقد كتب الكثير عن مدى مـــا للشرق العربي من المنزلة الاستراتيجية ، فاننا نبادر الى حصر الموضوع في نطاق وجهة النظر البريطانية الى ما للعربية التركية من مقام في هذا الباب. ويظهر انه كان لتقارير الماجور تايلور Taylor من بغداد، في العقد الرابع من القرن الماضي ، تأثير حاسم على السياسة البريطانية التي قررها بالمرستون تجاه الشرق الأوسط . ومن المؤكد ان السلطات في لندن والهند امتعضت وسادها القلق لسبب ما نقله تايلور اليها عن غمرة الفرح التي انتشرت بين عامة الشعب عند سقوط عكا ودمشق بيد المصريين في سنة ١٨٣٢ [٣] . ثم تلا ذلك تقارير اخرى عن العداء المستحكم نحو الباشا علي رضا وعن « الرغبة المتزايدة [٤] في حكومة محمد علي » . وزاد في قلق بالمرستون انتشار الاخبار المنبئة باستعدادات الفرس لاستعادة المزارات الشيعية وازدياد اهتمامهم بالقسم التركي من كردستان . وكان من الطبيعي اذن ان يتخيل قيام دولة اسلامية شاسعة، يتزعمها والي مصر القدير، قادرة على تهديد الحكم البريطاني في الهند .

وهناك التهديد الروسي . فالوضع الخاص الذي حصلت عليه روسيا تجـــاه الباب العالي بمعاهدة « انكيار سكلسي » (١٨٣٣) حدا بپونسونبي ان يكتب من القسطنطينية الى السير جون كامبل في طهران أن «هذه المعاهدة تضع السلطان كليا بين يدي الامبراطور ... فالسلطان الان بالنسبة الى الروس لا يختلف كثيرا عما هو عليه اي نابوب ( ) في الهند تحت حماية شركة الهند الشرقية ». [٥] ولم يتوانَ كامبل عن اعلام تايلور في بغداد انه قد يتوقع، كما تنص عليه معاهدة « انكيار سكلسي » ، ان يطالب الروس بحقهم في غزو العربية التركية ، فيما اذا سار محمد علي بجيوشه عرض البادية السورية [٦] . ولم يكن لدى تايلور اي شك في ذلك ، ولذلك حث اللجنة السرية لمجلس ادارة الشركة الهندية الشرقية على اعداد صباط بريطانيين وفصائل من الجيش الهندي كي تعزّز الولاية وتشد

(*) حاكم مقاطعة في الهند .

السفير القدير الى الباب العالي ، كانوا على جانب وفير من المقدرة وكان في وسعهم ان يفرضوا على المعتمدين السياسيين في بغداد ارادتهم وان يضمنوا للسياسة البريطانية كل ما تحتاج اليه من مساندة وعناية .

وعندما ننعم النظر في بعض النواحي الخاصة للسياسة البريطانية في العربية التركية ، يتجلى امامنا عدد من المشكلات والموضوعات المتكررة في تاريخ تلك البلاد التي حكمت من بغداد . وسنقتصر على ذكر عدد من هذه المشكلات والموضوعات كان لهُ شأن خطير في السياسة البريطانية .

اولا — التنافر بين اهل السنة والجماعة من جهة والشيعة من جهة اخرى . ولم يقتصر اثر هذه التنافر على العدد الكبير من الهنود المقيمين تحت الحماية البريطانية في النجف وكربلاء بل تعدى هؤلاء وكان من اخطر الاسباب التي أدت الى توتر العلاقات التركية الفارسية . وقد كان عند بريطانية العظمى بواعث قوية تحملها على السعي إلى توطيد السلام بين تركيا وفارس .

ثانياً — المشكلة الكردية المستعصية والتي كانت أيضا قضية على جانب كبير من الخطورة لما ترتب عليها من ازدياد في التوتر التركي الفارسي ، لأسباب سنشير اليها فيما يلي .

ثالثاً — المصالح التركية في الخليج الفارسي، وخاصة في الكويت والبحرين .

وتشمل النواحي الاخرى للمصالح البريطانية في العربية التركية، كذلك :

اولا — السياسة العامة تجاه الدولة العثمانية بكاملها وما هدفت اليه من اصلاح قد يزيد في حيوية البلاد ويجعلها اقل عرضة للاخطار .

ثانياً — القيمة الاستراتيجية لتلك الولاية في نظر الاركان العسكريين في الهند الذين كانوا ينتمون الى ما دعي آنذاك « بالمدرسة التقدمية الهندية »

ثالثا — حماية التجارة البريطانية وتعزيزها .

ولاية بغداد من البـــاب العالي وتحولها الى قاعدة حربية منيعة شبيهة بالقاعدة الحربية الروسية في جورجيا (٨) . وذكر أيضا ان الولاية هذه لم تكن تدرّ على الباب العـــالي اي ايراد بل على العكس فقد كانت تستنزف من خزانة الدولة حوالي ٥٠،٠٠٠ جنيه او اكثر سنويا ، وتستأثر في الوقت نفسه بموارد عسكرية كانت الدولة بحاجة ماسة اليها في أماكن اخرى . رد على ذلك ان الولاية عندما تصبح في ايادٍ بريطانية لن تشكل فيما بعد سببا لسؤ التفاهم بين فارس والدولة العثمانية . وكان رولينسون مقتنعا بحسن اقتراحه هذا وبأنه سيعود على الفريقين بالمنفعة . غير ان ذلك لم يجد نفعا ولم يسفر عنه شيء ، على الرغم من انه كان تقويمـا صائبا لوضع العربية التركية على يد موظف ذي نفوذ واخلاص للمصالح الامبراطورية .

* * *

وبعد ان ثبت الباب العـالي سلطته على ولاية بغداد بمدة وجيزة اتجه التفات الدولة الى كردستان ، اذ كان في عزم الاتراك ان يغيروا وضع الاكراد الراهن من اتبـاع مستقلين يدفعون ضريبة معينة لقاء استقلالهم ، الى رعـايا يدينون للسلطان مباشرة .

وبدأ هذا التغيير من سنة ١٨٢٣ في مقـاطعة بابان — ذات الحكم الذاتي — ومركزهـــا السليمانية ، حيث كانت اسرة بابان الكردية تتمتع بالحكم الوراثي منذ مئات السنين ، غير ان السياسة البريطانية كانت منذ البدء تعارض سياسة « التتريك » هذه . وكان المعتمد السياسي تايلور على مـا يبدو ، على وفاق تام مع كثير من وجهاء الاكراد — الاتراك ولم يكن لديه اي شك في الكيفية التي يردون بها على السياسة العثمانية هذه (٩) . فلقد كان يدرك ، نظير رؤسائه في الهند وانجلترا أن تنفيذ هذه السياسة سيكلف الدولة باهظا ولا بد من استعمال القوة لاجبار الاكراد على الخضوع لادارة تركية مطلقة . امــا وجهة النظر البريطانية فكانت تنحصر في ان الاضطراب في كردستان سيقلل حتما من قدرة

ازرها ، كما حثها ايضـا على استبدال علي رضا برجل اوفر نشاطا ، لأن تقهقر السلطة في القسطنطينية يؤدي ، بالنتيجة ، الى منح باشا بغداد سلطة مطلقة.

وبسبب هذه التطورات لم يكن لتقارير الكولونيل شيزني الا ان تسبغ مزيدا من خطر الشأن على العربية التركية في نظر بريطانيا. ففي سنة ١٨٣٥، رفع شيزني من بوشير تقريراً مسهباً الى رئيس مجلس الرقابة ، بعد ان اكمل تحرياته حول امكان الملاحة البخـارية في مياه الفرات ، اكد فيه سهولة استخدام العوامات لنقل الجيوش الى الخليج الفارسي [٧]. ولقد كان تقديره أن الغابات في شمال سوريا وعلى ذلك الجزء من جبال طوروس المحـاذي للفرات الاعلى، تسمح بنقل مائة الف رجل وتوفر الوسائل لبناء حوض... واسطول في شط العرب . ولم يكن يرى بين ملطية والبصرة ما يعترض نزول قوات معادية ، اكانت تلك « ... من جهة مصر ام من شواطيء البحر الأسود » . ولم تكن ملاحظـــاته الختامية اقل تشاؤما لأنه كان متيقنا من انه لا بد لمحمد علي، فيما اذا سار نحو بغداد ، من أن « يكتشف قيمة بلد باستطاعته ان يملأ خزائنه اكثر من مصر نفسها ، ولذا لا بد لنا في تلك الحال من ان نكون مستعدين لخسارة تجارتنـا مع شبه الجزيرة العربية بأكملها » . أمـــا فيما اذا اتخذت روسيا الخطوة الاولى فلن تضيع التجارة فقط بل علينا نحن البريطانيين آنذاك ان نتوقع قيام « دار صناعة وميناء بحري منيع على الخليج الفارسي لتهديد ممتلكاتنا الهندية » .

ومع ذلك فأن السير هنري رولينسون الذي كان يشغل منصب المعتمد البريطاني في بغداد اثنـاء حرب القرم جعل العربية التركية تبدو ذات شأن اكبر . ففي سنة ١٨٥٤ كتب الى الفيكونت ستراتفورد دو ردكليف حول ضرورة الدخول في حلف دفاعي وهجومي مع فارس ، أو أن يقابل الضغط الروسي على اذربيجان وبحر قزوين بضغط مقابل من الخليج الفارسي . أمـــا اقتراحه الذي استهله بالملاحظة التالية ، « وآمل من سيادتكم ان لا يظن بأني فقدت ادراكي تماماً » فكان يشير على الحكومة البريطانية بأن « تستأجر »

وعودتهم الى المرابع الشتوية في الاراضي العثمانية كان يؤدي الى حوادث جديدة كثيرا ما استدعت الوساطة البريطانية .

ولم تكن الجهود التركية لأخضاع كردستان في العقد الرابع من القرن التاسع عشر حاسمة ، ولذا جهرت حملة حربية على نطاق واسع في سنة ١٨٤٤ ، بعد ان وافقت عليها سلطات القسطنطينية على مـا يظهر ، بقيادة ذلك الجندي المحنك محمد نجيب باشا . ولقد كان واضحا ان هذه العمليات الحربية ستؤدي الى استهلاك موارد الامبراطورية العثمانية المالية [١١] . وسرعان ما كان السير هنري رولينسون ينقل الى اركان حكومته تدهور الحالة الاقتصادية في كردستان لعجز الفلاحين عن جمع غلالهم بسبب العمليات الحربية وتكرر الازمات الاقتصادية التي ترتبت على الحملات السابقة التي انهكت البلاد ، قبل عقد من السنين. وزاد اهتمام بعض الجهات البريطانية بالاخبار التي كانت ترد اليهـا في تقارير نائب القنصل في تبريز عن نشاط الروس بين الاكراد بواسطة الحجـاج المسلمين القـادمين من وراء القوقاز [١٢] . غير ان رولينسون كان على اتصـال حسن بالحالة في كردستان ، وقدّر مصيبا ان ليس لهذه التقارير من اساس ، وكتب مذكراً بمشاركة الاكراد الحماسية في اثناء الحرب ضد روسيـا سنة ١٨٢٨ - ١٨٢٩ ، وأشار الى ان الاكراد كسنيين يحترمون الخليفة - السلطان ، وهذا بغض النظر عما يشعرون به تجاه باشا بغداد. فقد كانت وجهة نظرهم شبيهة بنظرة بعض الايرلنديين الكاثوليك الى الحبر الاعظم في روميـة فهم يجلّونه غير ان عاطفتهم هذه لا تكاد تتعدى شخصه الى سائر الايطاليين .

وتطور النزاع الكردي في عام ١٨٤٠ الى درجة لم يعد ممكنا معها للسلطات العثمانية ان تتراجع عن سياسة التتريك وتحتفظ بأقل مظهر من مظاهر الاعتبار . وقد احتفظت الدولة بمراكز قليلة حصينة ، كحصن السليمانية ، غير ان الاكراد المتمردين اعملوا في الريف نهبا واصبح تموين الحاميات التركية عسيرا وذا كلفة باهظة [١٣] وادى هذا بالضرورة الى تسويات مريبة ومذلة مع قبائل عربية كانت

كل من الفرس والاتراك على الوقوف بوجه الروس .

لكن جميع محاولات بريطانيــــة لتوجيه نظر المسؤولين الاتراك الى عقم سياستهم لم تجد نفعا وادت الحملة العسكرية التي تلت ذلك الى اشعال نار الخلاف بين السلطات التركية والقبائل العربية في كل انحاء العربية التركية، لأن خفض الحاميات كان بمثابة دعوة الى التخلص من دفع الضرائب وغيرها من الالتزامات المالية . اما الحاميات التي خفض عددها فقد كانت تتألف من جنود اكراد كان من الصعب ارسالهم الى محاربة انسبائهم ، كما ان ولاءهم كان مشكوكا فيه الى حد بعيد يحول دون استعمالهم استعمالا فعــالا في أي مجال آخر . ولم تكن هذه الحملات الكردية باهظة التكاليف فحسب بل كانت ضراوتها شديدة ايضا . ففي سنة ١٨٣٤ وصف تايلور ، في رسالة بعث بها الى بومباي ، معركة وقعت قرب ماردين وكيف ان القائد التركي المنتصر « ضمن ولاء من تبقى من القبيلة وفرض عليها الطاعة بقطع رؤوس ما يقارب من اربعمائة شخص من افرادهـــا ورفع آخرين احياء على الخوازيق (١٠) . » وجدير بالذكر أن عددا كبيرا من الاكراد الذين انضموا الى الجيوش العثمانية بملء ارادتهم كمتطوعـــة انقلبوا على السلطان وحاربوا بضراوة لأقتنــاعهم أن خضوعهم للخدمة الاجبارية سيؤدي حتما الى اخضاعهم للحكم التركي المباشر .

وتكبدت الدولة من جراء هذه الحملات العسكرية ضـد كردستان خسارة فادحــة بسبب تكاليف الحملات العسكرية اولا وبسبب النقص الكبير في دخل الدولة ثانيا ، لأن الضريبة السنوية التي كانت تدفعها مقاطعات كردستان كانت تشكل موردا كبيرا لخزينة بغداد . ولقد كان هنالك دوما خطر انتشار الحرب، لان الاخبار لا تكاد تصل الى فارس عن حملة تأديبية على كردستان حتى تؤدي الى استنفار الجيوش لأعتقاد الفرس ان تلك الحملة على الاكراد انمـــا هي تغطية لمخططات تركية عدائيــة . وكانت الحال على الحدود متوترة حتى في ايام السلم . فكل تحرك موسمي للقبائل الكردية الى المراعي الصيفيــة في الاراضي الفارسية

رفعت السفن الكويتية العلم التركي بعد ان كانت ترفع في الماضي اعلاما خاصة مميزة، فكان ذلك بدء فترة من نزاع بين الدولة المنهكة والكويت الحاذقة الواسعة الحيلة ، وكان الكويتيون في اثناء ذلك ابدا مستعدين للمحافظة على شكل تابعيتهم دون جوهر التزاماتهم .

وقامت اكبر محاولة تركية لأخضاع الكويت اخضاعا فعليا تاما في عهد نامق باشا حاكم بغداد بين سنة ١٨٦١ – ١٨٦٨ ، عندما حاولت السلطات تأسيس مكتب جمركي في الكويت. فلقد اشار نامق باشا ، بحسب رواية المعتمد السياسي البريطاني في البصرة ، « الى ضرورة توجب على الدولة ان تثبت وجودها في الخليج لا سيما وقد اصحت مياهه مفتوحه في وجه البواخر الاجنبية القادمة الى الكويت » واكد نامق باشا للشيخ عبد الله ان هذا المركز سيكون مكتبا جمركيا « بالاسم فحسب » ، وللشيخ ان يقرر ما يفرض من المكوس . لكن الشيخ الكويتي الذي تربطه بجونسون ، المعتمد البريطاني السياسي في البصرة ، صداقة قديمة ، ذكر بأن متطلبات نامق باشا قد تعدت ، بالواقع ، قضية تأسيس « مكتب جمركي صوري » الى قضية السيطرة على الكويت وهل تكون للاتراك او للعرب . ولقد اصر الكويتيون على ان اي اعتداء تركي على الكويت لن تجني منه الدولة سوى رقعة من الارض يباب تباب ، لان العرب سيتقبلون دعوة الامير الحاكم في مقاطعة فارس لينتقلوا الى جزيرة عبدان. ورأى المعتمد السياسي انه في حال دخول الاتراك الى الكويت ستتحول تجارتها الى القطيف . وكتب قائلا ان هؤلاء العرب والفرس « الذين استقروا في بقعة قاحلة سبخة ولا ميزة لها الا الحرية التي تنعم بها ، سيعمدون فورا الى البحث عن اماكن اكثر خصبا واجود ماء اذا ما انتزعت منهم تلك الحرية » .

وتفتقت لشيخ الكويت حيلة اخرى ارتكزت على افتراض ان باشاوات بغداد كانوا يتغيرون بسرعة واحدا تلو الآخر ، فارتأى ان تتوقف الملاحة البخارية الهندية البريطانية الى الكويت لاعتقاده ان الباشا سيفقد اهتمامه اذا ما بقي

على علاقات خاصة بأحدى القبائل الكردية وأثار نقمة السلطات العثمانية ونقمة القبائل الكردية الاخرى . ولم يتحسن هذا الوضع تحسنـــا محسوسا طيلة هذه الفترة . واستمرت سياسة الامبراطورية العثمانية تجاه الاكراد سياسة فاشلة وقع عبئها الثقيل على ولاية بغداد في الدرجة الاولى .

* * *

ومع ان مطالب الاتراك الاقليمية في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة ضم جزر الخليج الفارسي ، يعود الى القرن السادس عشر فأن الدافع الى بعث هذه المطالب في القرن التاسع عشر انبثق من العمليات العسكرية المصرية التي قام بها محمد علي . وفي بدء هذه الفترة التي نحن بصددهـا لم يكن لولاية بغداد ضلع في اثارة هذه المطالب العثمانية ولكنها كانت في وضع يخولها جمع المعلومات حول التطورات في شبه الجزيرة العربية وذلك عن طريق البصرة والكويت . وكان الخطر الوهابي الذي يهدد آل خليفة في البحرين والصعوبات التي كانت تعانيها جيوش محمد علي، دوما نصب اعين السلطات في بغداد ، تراقبها مراقبة دقيقـــة على الرغم من انها كانت تبدو بعيدة .

وبقي الموقف البريطاني في الخليج الفارسي حتى أواخر سنة ١٨٤٦ مستقلا تمام الاستقلال عن موقف الدولة العثمانية غير متأثر بمزاعمهـا المختلفة ، ولم يقدم السير هنري رولينسون على اتخاذ الاجراآت لمنع السفن التابعة لحكومة بومباي من ملاحقة القراصنة العرب والفرس في شط العرب حبا بالاتراك بل خوفا من قيام سابقة مزعجة تؤدي الى غزو ميـــاه تركية اخرى (كالبوسفور مثلا) من قبل دول اوروبية اخرى[١٤] . وفي سنة ١٨٥٥عندما منع البريطانيون سفناً كويتية من مهاجمة سفن من الشاطىء الفارسي والاقتصاص منها لاعمال القرصنة التي تقوم بها ، لم يكن ثمة اشارة قريبة او بعيدة الى الدولة العثمانية والى علاقتها بالكويت، واقتصر عمل البريطانيين على اعادة الممتلكات المسلوبة . ولكن ما لبث الموقف ان تغير تغيرا تاما . واتخـــذ اهتمام الاتراك في الخليج الفارسي مظهر طريفا اذ

١٨٤٦ ان واقع السياسة التركية في الخليج يقتصر على الكلام . وبعد مرور سنة
فقط قام وفد من المسؤولين الاتراك ، تسانده سفينة حربية كانت قد وصلت الى
الخليج منذ عهد قصير ، بجولة على الشواطىء العربية بين الكويت ومسقط ،
فدل ذلك على سياسة مدبرة تدبيرا دقيقا ومرتكزة على تفاهم تام بين بغداد
والقسطنطينية (١٦) . وكان التعبير عن مثل هذا التفاهم قبل شق قناة السويس
باهظ التكاليف . وحدا ذلك بالدولة الى ان تعين في سنة ١٨٥٠ (أي بعد ثلاث
سنوات فقط) باشا جديدا على البصرة وان تخوله مزيدا من السلطة والصلاحيات،
ومنها مسؤوليته المباشرة امام الباب العالي دون الرجوع الى بغداد اولا ، لا سيما
بعد صدور الاوامر لجعل البصرة مركزا للقوات البحرية التركية في الخليج الفارسي.
وذكر الماجور كامبل ، الممثل السياسي البريطاني في بغداد ، ان الباشا الجديد ،
معشوق باشا ، كان على جانب من الجهل بشؤون المنطقة لا تضاهيه الا خططه
الخيالية لبناء السفن واقامة الاحواض وتشييد دار للصناعة . ونقل كامبل الى
رئيسه كانينج خلاصة هذه الخطط واضاف انه « على ما يبدو لم يدر في خلد
الباشا عندما وضع مخططه هذا ان جميع المواد التي يحتاج اليها لتنفيذ ما عزم
عليه ، من خشب وحديد وقنب وادوات وغيرها ، لا يستطيع ان يجدها
هناك » . (١٧)

وعلى الرغم من هذا كله استمرت السياسة العثمانية تتعثر في سيرها . وفي
سنة ١٨٥٢ عندما بلغ ضغط الدول الكبرى على الامبراطورية العثمانية اشده
واكفهر الافق بخطر الاصطدام ، شمر باشا بغداد عن ساعده وانبرى يثبت
وجوده ويؤكد على سلطة تركيا المطلقة على البحرين وعلى مصائد اللؤلؤ بصورة
لا يتطرق اليها الشك . ولقد ركز الاتراك دعواهم اولا على خلعة التنصيب التي
كان ينعم بها والي الحجاز التركي كل سنة على الامير فيصل بن سعود والتي كانت
بمثابة اعتراف رسمي بان الامير الوهابي هو « قائم مقام » على نجد ، وثانيا على
الضريبة السنوية التي كان يؤديها شيخ البحرين الى الامير الوهابي ، وكان ذلك في
نظر المسؤولين في بغداد ، دليلا قاطعا على السيادة التركية . (١٨)

البريطانيون بعيدين عن البلد فترة قصيرة . وعلى الرغم من ان السياسة البريطانية كانت تساند الشيخ فأن الاثر الحسن الذي تركه هذا التعاون اضمحل على أثر تقرير نشر في صحيفة التايمز في بومباي الصادرة في ١٣ تشرين ثاني سنة ١٨٦٦ ، جاء فيه « ... ان شيوخ الكويت قد قرروا منح الحكومة البريطانية بلدهم وميناءه كميناء حر وانهم سيرفعون عليهما العلم الانكليزي ». وعلم نامق باشا بهذا التقرير في اواسط تشرين الثاني ولم يكد يهدأ حتى اعيد نشر التقرير في التايمز اللندنية وفي عدد من الصحف الفرنسية . غير ان حدة التوتر خفت على سبيل غير منتظر ، اذ لم يجد باشا بغداد احدا مستعدا ان يتحمل مسؤولية الجابي الحمركي في الكويت . وغالب الامر ان الجميع تذكروا ما آلت اليه محاولات حكومة البصرة عندما اقدمت في عام ١٨٦١ على اصطناع الوسيلة نفسها لتركيز قدمها في الزبير ، فلم يكد الجابي التركي ان يجمع قرشا واحدا حتى حُزَّت عنقه . ومع ان شيوخ الكويت عبروا عن اشمئزازهم من هذه الجريمة فان مرتكبها بقي مجهولا ولم تطله يد العدالة ، وبمقتل الجابي قضي على المركز الجمركي ايضا . ومهما يكن من امر فقد صدرت الاوامر العلية الى السفينة الحربية « ارمير » التي وصلت حديثا الى الخليج الفارسي ، ان تزور الكويت زيارة رسمية حاملة على متنها فرمانا من الدولة يعين بموجبه عبد الله الصباح شيخا على الكويت . ولدى وصول السفينة الى الكويت لم يسمح الا لربانها وطبيبها ان ينزلا الى البر ، وعندئذ قدم الربان الى الشيخ عبد الله ثوب الامارة فلبسه ولكن سرعان ما خلعه . وبعد تناول المرطبات والقيام بمعركة صورية امام المدينة ، لاستعراض قوة الكويت العسكرية ، ابحرت السفينة الى البصرة(١٥) .

كانت السفينة « ازمير » واختها « البروسة » اولى السفن البخارية التركية في الخليج الفارسي ، ولكن المراكب الشراعية التركية كانت قديمة العهد في ملاحة الخليج . اما رولينسون ، احد هؤلاء المعتمدين السياسيين في بغداد الذين لم يصلوا الى مناصبهم عن طريق الخدمة في دار الاعتماد في بوشير ولذا لم يكن من عداد تلك الزمرة التي سيطر الخليج على تفكيرها ، فقد كان واثقا منذ سنة

التركية وبدا شديد الاهتمام بالبحرين خاصة . غير ان رحلته ، كما روى روجرز نائب القنصل في البصرة ، سرعان ما انتهت لان « . . . المركب الذي ابحر على متنه كان ضعيفا والتحية العسكرية التي اطلقتهـــا مدافعة لدى زيارة الكويت زادت في تفسخه وفي تسرب الماء الى داخله فاضحى عرضة للغرق ، فما كان من حسين بك الا أن غادره وقفل راجعا الى البصره بطريق البر .[٢١]

وعلى الرغم من ذلك استمر الاتراك يعنون بالخليج لا سيما فيما يتعلق بالبحرين. ولم تنشأ هذه العناية عن خوف من نيات السياسية الفارسية فقط بل تسببت ايضا من محاولات الشيخ محمد بن خليفة تأليب كل من السلطـــات التركية والفارسية والبريطانية بعضها على بعض .[٢٢]

واخيرا كان لا بد ان ينبري احـد ولاة بغداد الى بذل مجهود اوفر ووضع خطة محكمة لادخـال الشواطىء العربية في الخليج الفـــارسي تحت السيطرة العثمانية المباشرة . وكان الوالي الذي قـام بهذه المهمة مدحت باشا الشهير الذي اصبح في سنة ١٨٦٩ الحاكم التركي العام في بغداد .

وكانت السلطات البريطانية تدرك ما تميز به مدحت باشا من مقدرة ادراكا تاما . والواقع ان بعض الفئات البريطانية كانت ترحب بازدياد اهتمام الدولة بالخليج وترجو ان تحل الدولة يومـا محل بريطانيا وتضطلع بمسؤولية السهر على سلامة الملاحة فيه لما في ذلك من توفير على الخزينة البريطانية من تكاليف وتبعات. غير ان الحملة التي سيّرهـــا مدحت باشا على نجد لم تنجح الا في تثبيت السيطرة العثمانية تثبيتاً هزيلا في بعض المراكز الرئيسية كالحسا وقطر والقطيف . واتضح ان قلة كفـــاءة الاتراك وصعوبات موقفهم في الخليج كانت تعرقل السياسة البريطانية اكثر مما تساعدها[٢٣] . ومع هذا كله فقد أيد مدحت سياسته في نجد بكل معونة استطاع ان يحشدها ولم يخف أمله في بسط السيطرة التركية على البحرين . وكانت المأساة الكبرى ان رجلا يتصف بالعبقرية التي اتصف بها اضطر الى بذل الشيء الكثير من موارد ولايته ومن موارد الخزينة الامبراطورية

وفي بعض الاحيان ادت مساعي السفير البريطـاني في القسطنطينية للحؤول دون ازدياد السيادة التركيـــة في الخليج، الى عرقلة المصالح البريطانية بدلا من تعزيزها . ففي سنة ١٨٤٧، مثلا ، ادت جهود ولزلي لمكافحة تجارة الرقيق في الخليج الى الحصول على فرمان من السلطات يحرم على المراكب التركية تعاطي هذه التجارة ، وينزل بمن خرج عن اوامر الفرمان اشد العقاب . فدفع ذلك باشا بغداد الى التهديد بمصـــادرة اي مركب عربي قد يأتي بالرقيق الى البصرة وبيعه وذلك لان شبه الجزيرة العربية بكاملهـــا هي ممتلكات تركية . اما رولينسون فقد كان يعلم أن كل محـاولة لتنفيذ سياسة كهذه ، ضد قـــاعدتين كبيرتين للرقيق (رأس الخيمة وصور) ، تملكانمعا مائة سفينة ونيف ،ستؤدي حتما الى اعارة العرب على البصرة نفسها[١٩] . وبعد اللتيا والتي استطاعرولينسون ان يقنع الباشا بقصر مفعول الفرمان على المركبين التركيين العاملين في الخليج . وبعد مدة وجيزة اصبح الفرمان نسيا منسيا .

واتخذ السير هنري بلوار بسبب من اندفاعه في تسهيل مهمة القائمين على اتمام الخط التلغرافي الى الهند خطوة خاطئة عندما استحصل في سنة ١٨٥٨ علىفرمان يوعز الى عمر باشا ، الحاكم العام في بغداد ، باصدار الاوامر الى عـامة الشيوخ «على شواطىء شبه الجزيرة العربية بين البصرة وباب المندب» ان يسمحوا بمرور الخطوط التلغرافية عبر بلادهم . ولكن كمبال ادرك ما في الفرمان من خطر على سلامة المعاهدات المبرمة بين السلطات البريطانية الهندية وحكام الشاطىءالعربي للحد من اعمال القراصنة وضمان حرية الملاحة ، ولذلك اخذ على عاتقه مسؤولية ايقاف الفرمان وعدم تسليمه الى عمر باشـا[٢٠] . والواقع ان بلوار كان مدينا لكمبال بامور كثيرة ، غير ان تشديد هذا الاخير على ان الخليج الفارسي وما وراءه لا يهم المسؤولين في بغداد كان على جانب كبير من الخطاء ، وبعداسبوعين فقط ، اضطر ان يرجع عن خطإه ويبلغ روساءه ان مبعوثا خاصا ، اسمه حسني بك ، آخذ بتجهيز سفينة ليقوم عليها برحلة يزور في خلالها الكويت، والقطيف، والبحرين ، والحسا، ومسقط . وكان حسن بك ، مزودا بالهـــدايا والاعلام

وقد حرت السياسة البريطانية ، بسبب صراع الامراء الفرس المستمر في سبيل العرش ، على منح الخاسرين منهم حق اللجوء السياسي ، لا سيما لان الخاسر اليوم قد يعدو الرابح غدا ودواليك . ولذلك كان البريطانيون والروس يتنافسون منافسة شديدة في منح حق اللجوء السياسي لأفراد الاسرة المالكة المغضوب عليهم . وتمتع البريطانيون بامتيار كبير لمقدرتهم على ان يضمنوا للامراء اللاجئين معاش تقاعد لا بأس به وعلاوة على ذلك ان يدبروا لهم ، بالتعاون مع السلطات التركية ، منفى يعيشون فيه بالقرب من اماكن الشيعة المقدسة . وقد نتح عن هذا التدبير مشكلات متعددة ، اذ لم يرق للسلطات التركية قيام اقلية فارسية كبيرة بين ظهرانيها لا سيا وان الامراء المنفيين كانوا دوما على استعداد لاستغلال الاضطرابات المتكررة في فارس لمآربهم السياسية الخاصة ، ولاتخاد الاراضي التركية في الجزيرة العربية قاعدة للزحف على فارس كلما سنحت فرصة مؤاتية . ومهما قيل في فضل السياسة البريطانية في تمويل المنفيين او المطالبين بالعرش من الفرس او عدمه فان الموظفين المسؤولين مباشرة عن تأمين التعاون بين الاتراك وبريطانيا لم يرحبوا بها .

وكانت العربية التركية أيضاً قبلة للحجاج الشيعة من الهنود ومكاناً مفضلا لاستقرارهم بعد اعتزال حياة العمل . وكانت الكثرة من هؤلاء المتقاعدين تتقاضى معاش تقاعد من الجيش الهندي او من السلطات الهندية الادارية تتسلمه من المعتمد السياسي المسؤول . وكان معظمهم يتمتع بالحماية البريطانية ، وعلى السلطات البريطانية ان تحميهم من الموظفين المحليين الذين كانوا يتاجرون ببيع جوازات سفر داخلية لا حاجة للمتقاعدين اليها ، او من الشيوخ المحليين الذين كانوا يحاولون ان يفرضوا عليهم « الخوة » لحمايتهم ، او ضريبة لعبور انهار جافة وغير ذلك شيء كثير . وكان هناك دوما ديون للتصفية، وهنود يقدمون للمحاكمة او يحكم عليهم بالسجن او يحتاجون الى علاج طبي او يرغبون في العودة الى اوطانهم . ومن المشكلات الطريفة مشكلة تتعلق بوصية اود . ففي سنة ١٨٢٥ وهب ملك اود السلطات البريطانية في كلكتا مبلغا كبيرا من الروبيات يعادل

التركية في القفار العربية بدلا من ان يعير انتباهه الى ضواحي بغداد نفسها حيث كانت الحاجة الى ذلك اشد واكثر الحاحا . [٢٤]

* * *

لم تكن عناية الحكومة البريطانية بالنزاع السنّي الشيعي الا امرا طبيعيا فرضته المصالح البريطانية . وقد استندت السياسة البريطانية في الدفاع عن الهند وفي تسيير الشؤون الخارجية كلها ، الى قاعدة اساسية تقوم على المحافظة على السلام بين الدولتين الاسلاميتين العظيمتين ، وهما الدولة العثمانية ، معقل اهل السنة والجماعة ، وفارس ، معقل الشيعة . وكانت مصالح التجارة البريطانية عاملا آخر يفرض العناية والانتباه ، لأن توتر العلاقات الفارسية التركية كان يفضي دوما الى منع الحجاج الفرس من المرور في البلاد العربية الى اماكن الشيعة المقدسة في كربلاء والنجف . ولا يخفى ما في ذلك من خسارة مادية لما كان للاموال التي كان الحجاج يصرفونها من اثر حيوي في حياة المنطقة الاقتصادية . وكثيرا ما كان اثرياء الفرس يختارون التقاعد في جوار الاماكن المقدسة فيجلبون معهم ثرواتهم الضخمة . ويستقرون نهائيا هناك . وكان لاموالهم هذه ايضا شأن خطير لدى الشركات التجارية البريطانية لأن اكثر السلع المعروضة للبيع في اسواق بغداد والبصرة وفي الاماكن المقدسة نفسها كانت مصنوعات بريطانية مستوردة من مانتستر او من برادفورد [١٥] . واضطر الحجاج الفرس ، عند اقفال الحدود بين فارس والدولة العثمانية ، ان يتجهوا الى الشمال بدلا من الغرب ، وان يسيروا في الطريق الذهبي في اتجاه سمرقند حتى مشهد حيث يقوم ضريح الامام علي الرضى ، ثامن الائمة الشيعيين ، وفي طريقهم كانوا يبتاعون البضائع الروسية بدلا من البضائع الانجليزية . وكان الروس ، كلما أدت الاضطرابات الفارسية التركية الى اقفال الحدود بين الدولتين ، يقومون بنشاط تجاري لا يستهان به في جميع انحاء فارس .

وكان للعلاقات الفارسية التركية ناحية اخرى تستأثر بانتباه البريطانيين .

مسيحي يحاول ممارسة السلطة على مسلمين في ارض اسلامية ، واقترح ان تؤخذ اجراءات في الهند « لغربلة » الراغبين في الحج . ولقد تبنت السلطـــات بعض هذه الاقتراحات ووضعتها موضع التنفيذ .

وحــاولت السياسة البريطانية طوال القسم الاكبر من القرن التاسع عشر ان تدفع الامبراطورية العثمانية في سبيل الاصلاح لتحول دون استحالتها الى ميدان للصراع بين الدول العظمى . غير ان الاصلاح المنشود لم يجد طريقة الى العربية التركية التي نحن بصددهـــا . واستمرت تقارير الممثلين البريطانيين السرية (وكانت على جانب كبير من الدقة) تتدفق على مكتب السفير في القسطنطينية من جميع انحاء الامبراطورية العثمانية المترامية الاطراف وتصل اليه بواسطة البريد السريع الذي كان يستخدم الجمال ، او بواسطة السعــاة من التتار . ولا بد من الملاحظة انه لو قيض للبريطانيين ان يلمسوا الحـــاجة الماسة الى وضع سياسة واضحة المعالم وان يصروا على تنفيذها لضمنوا للدولة العثمانية قسطا اوفر من الاستقرار ، ولكان من الممكن للعربية التركية ان تصبح مفتاحا للاستقرار ، تدر على الخزينة الامبراطورية التركية الاموال بدلا من ان تستنزفهـــا . وشدد المعتمدون السياسيون ، واحدا تلو الاخر ، على ضرورة المشروعـــات المائية كاوصل السبل الى معالجة المشكلات التي تجابه المنطقة . ولو يسّر للاقنية القديمة ان يعاد حفرها ولاقنية جديدة ان تحفر لاستعادت المنطقة ازدهارها وعادت الى ما كانت عليه قبلا مستودعا للحبوب والغلات ، ولكان من المستطاع اقناع القبائل باستبدال حياة التنقل بحياة الاستقرار ، ولـكان ذلك ابتداء عهد جديد باهر للحكم العثماني . لكن شيئا من هذا لم يكن . ومنذ سنة ١٨٣١ توالى على الحكم ثمانية عشر من الباشاوات في خلال سبع واربعين سنة مقـــابل خمسة معتمدين سياسيين للفترة نفسها . وكان اكثر الباشاوات يصلون مزودين بمشروعات عظيمة لإسكان البدو ولاصلاح السدود ، حتى لا تفيض مياه الفرات وتحول الولاية السفلى الى مستنقعات ، وليجعلوا مياهه ايضا صالحة للملاحة ، ويحولوا القفار الى جنائن خضراء ، وليحسنوا وسائل النقل والمواصلات . ولكن الواقع لم

مليون جنيه استرليني واشترط ان تعطى روحاته بعد موته معـاش تقاعد من فائدة القرض ، وبعد موتهن يرسل القسم الاكبر من المـال هدية الى الاماكن المقدسـة في النجف وكربلاء . وفي سنة ١٨٤٩ ماتت اثنتان من النساء الثلاث اللاتي شملهن هذا الترتيب وكانت واحدة منهما انجليزية فأوصت بالجزء من المـال المخصص لها ، وقد كانت حرة التصرف فيه ، لامارة الكنائس الكاثولوكية في لكناو وكونبور . وبلغ مـا توفر للاماكن المقدسة حوالي ١٥٠٠٠ جنيه كل سنة . ولاحظ رولينسون في سنة ١٨٥٢ ان وفاة الزوجة الثالثـة سيؤدي الى زيادة المبالغ المقررة لكل من النجف وكربلاء بنحو من ٥٠٠٠ جنيه. وقد اهتم المعتمدون السياسيون اهتماما بالغا بالغايات التي تنفق هذه المبـالغ في سبيلها لانها كانت ، على حد قولهم ، « كافيـة لافساد بغداد بأكملها »[٢٦] . ولقد بينوا ان التصرف بهذه الاموال كان محصورا بالمرجع الشيعي الاول في كل من النجف وكربلاء ، وكانا « اكبر الائمـة الشيعيين نفوذا واعظمهم خطرا على الحكومة التركية التي كانت مضطرة الى التعـامل معهما في المنطقة » . وكان المعتمدون السياسيون على يقين من ان هذه الاموال لا تبذل كلها في سبيل الخير على الرغم من تأكيدات المرجعين بأنهما كان يبذلان المال في سبيل الغاية التي وقف عليها .

وبعد الفتنة الهندية اخذت المشكلات المتعلقة بوجود الهنود في البلاد العربية تتفاقم . ولا نستطيع ان ننسب ، على وجه التأكيد ، هذه العارضة الى تبدل في نوع الحجاج الهنود بعد سنة ١٨٥٧ أو الى تغير في نظرة المعتمدين السياسيين اليهم من نظرة تنطوي على عطف الى نظرة تتصف بالجفاء والحذر (لأن رولينسون وكمبال وغيرهما لا بد فقدوا بعض اصدقائهم في اثناء الثورة في دلهي وكونبور وفي امـاكن اخرى) . وبلغ عدد الهنود في كربلاء والنجف ، بحسب تقدير كمبال ، اربعة آلاف في ١٨٦٢ . وكان عليه ، احيانا ، كما صرح هو بنفسه ، ان يحميهم من مغامري الفرس والعرب . اما الان فقد تغيرت الحالة — في نظره — لان الهنود انفسهم قد تغيروا واصبحوا في الغالب « جمـاعة مشاغبة متمرسة بالفوضى »[٢٧]. وكثيراً مـا ابدى تذمره من الصعوبات التي تعتور سبيل

وقد تمكنت من الانصراف الى البحث الذي بنيت عليه هذه المقالة بفضل منحة من لجنة البحوث في كلية الاداب والعلوم في الجامعة الاميركية في بيروت . فالى هذه اللجنة اقدم شكري . ويهمني ان ابين هنا ان جميع الوثائق الواردة فيما يلي هي من سلسلة التقارير القنصلية والتجارية المحفوظة في مكتب السجلات في لندن (Public Record Office) واذا لم يكن ثمة اشارة خاصة فان جميع المراسلات المستند اليها كانت بين المقر البريطاني في بغداد والسفارة البريطانية في القسطنطينية .

٢) مهما تكن حدود « العربية التركية » غير دقيقة ، فان هذا المصطلح قد استعمل استعمالا اقل دقة ليصف تلك الاقسام من الجزيرة العربية ما عدا الحجاز واليمن حيث كان للدولة العثمانية سيادة اسمية عليها .

3. F.O. 195/133, R. Taylor, Baghdad to J.P. Farren, Consul-General in Syria, 27 July 1832.
4. *Ibid.*, R. Taylor to the Bombay Presidency, 29 July 1833
5. *Ibid*, 17 September 1833.
6. *Ibid.*, 29 January 1834.
7. *Ibid*, Chesney to Sir John Cam Hobhouse, London, 28 May 1835
8. F.O. 195/442, 22 March 1854.
9. F.O. 195/133, 16 April 1833.
10. *Ibid*, R. Taylor to the Bombay Presidency, 11 November 1831
11. F.O. 195/237, to de Redcliffe, 9 July 1845.
12. F.O. 195/272, to Palmerston, London, 6 January 1847
13. F.O. 195/344, A. Kemball to de Redcliffe, 3 July 1850.
14. F.O. 195/272, to Palmerston, London, 28 December 1846
15. F.O. 195/803A, 30 May, 11 July, 28 November 1866. 23 January 1867.
16. F.O. 195/272, A Kemball to Lord Cowley, 6 July 1847.
17. F.O. 195/334, 23 April 1850.
18. F.O. 195/367, 23 August 1852.
19. F.O. 195/272, 3 March 1847.

يتغير وبقي كما وصفه المعتمدالسياسي في تقرير، رفعه الى رؤسائه فيالقسطنطينية، وذلك على اثر اعلان الفرمـان الذي بموجبه تسلم نامق باشا منصبه في بغداد في ١٨٦٢ . قال المعتمد : ... وممـا لا شك فيه ان سيادته سيكتشف ان الخزينة خاوية ، ومعاشات الحامية متأخرة اربعة وعشرين شهرا ، ولا يكاد يوجد لدى الحكومة في اية دائرة من دوائرها من هو كفوء لمثل هذه الخدمـات . ولذلك لا بد من اتباع سياسة اقتصاد واصلاح مدة سنوات قبل ان يباشر في تنفيذ هذه المشروعات . (٢٨)

وبقيت جهود المعتمدين السياسيين في حقل الاصلاح ، على الاجمـال ، قليلة الثمار . وعلى الرغم من نجاحهم في الحد من مساوىء الاوضاع فانهم لم يتمكنوا من تحسينها الا قليلاً . وكثيرا ما ادت رسالة الى السفير البريطاني الى مسارعة الصدرالاعظم او شيخ الاسلام بعزل قاض متعنت او رفع ضريبة غير عادلة (٢٩) وتمكن رولينسون، مرة، من ان يحول دون وقوع كارثة عندما الح على المسؤولين الا ينزلقوا في تسليم السلطة في مدينة كربلاء الى حـاب من جباة الضرائب لم يكن له مـا يؤهله لهذه المسؤولية سوى دفع اكبر مبلغ من المال لباشا بغداد ، وكادت استفزازاته ان تشعل نيران الحرب بين الدولة وفارس (٣٠) . وفي مناسبة اخرى أقيل احد الباشاوات المزعجين بعد ان اوعز كانبنج الى رولينسون بأن يقدم تقريرا مفصلا وشديد اللهجة وان يشير الىتقرير سابق تحاشى فيه ان يشدد النكير على الباشا على الرغم من انه اظهر بوضوح انه يستحق العزل . واستخرج كانينج نقاط التقرير الرئيسية وترجمه الى الفرنسية ثم بعث به الى الصدر الاعظم. وسرعان ما عَيّن باشا جديداً ليحل محل الباشا المعزول (٣١). ولم‌يكن الخلف افضل من السلف .

المراجع

١) يسرني ان اعرب عن تقديري للاستاذ نبيه امين فارس لما اسداه الي من نصح وعون خلال اعداد هذه المقالة .

المولى اسماعيل سلطان المغرب

١٠٨٢ - ١١٣٩ / ١٦٧٢-١٧٢٧

نقولا زياده

١

بدأ سلطان الدولة العلوية في المغرب في اواسط القرن الحادي عشر (السابع عشر م) . والاسرة عربية شريفة حجـــارية رحلت من الحجار واستوطنت المغرب في سحلماسة في اواخر المئة السابعة . وكان لاشراف سجلماسة (او تفيلالت كما تسمى) مقام كبير بين اهل المنطقة . فلما صعف شأن السعديين ، تقسم المغرب عير واحد من اصحاب النفوذ والطامعين فيه . فكان ابو حسون السملالي صاحب الكلمة في السوس ودرعة وسجلماسة . وكانت راوية الدلائيين قد اتسع امرها في دلك الوقت . وهي راوية يرجح انها كانت في ناحية ام الربيع قريبا من تادلا ، وكان قد انشأها ابو بكر الدلائي . فاغتنم رئيسها في تلك الاثناء الشيخ محمد الحـــاج فرصة ضعف الدولة السعدية فزحف الى مكناس وفاس وتملكها ، وانشأ الدولة الدلائية التي قاومها المولى محمد بن الشريف اول الملوك العلويين. وامتد نفوذ الدلائيين حتى الى بعض اقليم الغرب الى سلا واعمالها .

كان محمد بن الشريف اول الملوك العلويين (١٠٥٠–١٠٧٥/١٦٣٨–١٦٦٣) . فقد بويع بسجلمـــاسة واستولى على درعة . فلما صفا له دلك « حدثته نفسه بالاستيلاء على الغرب ، اذ هو مقر الرياسة ومتبوأ الخلافة فما دام لم يحصل عليه استيلاء فالملك عرضة للزوال ، وصاحبه ناسج على غير منوال » . وكان على

20 F.O. 195/624, 2 January 1859.

21 *Ibid.*, 19 January, 2 March 1859.

22 F.O. 248/189, Haji Jassem, British agent on Bahrein, to F. Jones, Resident at Bushire, 27 April 1860.

23. For example, F.O. 195/188, 12 November 1878.

24. Reforms were instituted, but their effects were evanescent. See F.O. 195/949. 26 May 1849.

25. For example, F.O, 195/318, Rawlinson to de Redcliffe, 14 August 1848.

26. F.O. 195/367. 11 February 1852.

27 F.O. 195/717, to Sir Henry Bulwer, 5 May 1862.

28 F.O. 195/367. Rawlinson to Lord Malmesbury, 21 July 1852.

29. F.O. 195/717, 12 February 1862.

30. F.O. 195/237, to de Redcliffe, 17 September 1845.

31 195/318, 8 November 1848.

وتمس الرشيد معـــالم الزاوية ، وتم للرشيد فتح مراكش والسوس وتارودانت وايليغ .

وكان الرشيد يعتمد على قبيلة شراقة في الحصول على رجـال جيشه . وتوفي الرشيد سنة ١٠٨٢/١٦٧٢ .

٢

بويع المولى اسماعيل ، وهو الابن الثالث للمولى الشريف بن علي . وقد كان ، يوم وفاة الرشيد، خليفته بمكناس، فاجتمع الناس عليه وبايعوه (١٠٨٢/١٦٧٢) ثم قدم عليه اعيان فاس واعلامها واشرافهـــا ببيعتهم ، وقدم عليه اهل بلاد الغرب من الحواضر والبوادي كذلك بهداياهم وبيعاتهم ، الا مراكش واعمالها فلم يأت منهـــا احد . وقد عدد صاحب الظل الظليل بعض من حضر البيعة من الاعلام فقال « ووافق على بيعته اهل الحل والعقد من العلمـــاء والاشراف ، كالشيخ ابي محمد عبد القادر بن علي الفاسي والشيخ ابي علي اليوسي وابي عبدالله محمد بن علي الفيلالي ، وابي العباس احمد بن سعيد المكيدي وابي عبدالله محمد بن عبد القادر الفاسي واخيه ابي زيد والقاضي ابي مدين وغيرهم من بقية الاعيان » .

ولكن فاس لم تلبث ان انتقضت ، بعد ان خرج منها المولى اسماعيل الى مكناس ، التي اتخذها عاصمة لملكه . «فنهض لفاس وحاصرها سنة ويزيد حتى احتلها دون حرب للبلد» وبعد ذلك نهض السلطان الى مراكش فاحتلهـــا ١٠٨٨ .

ولم تكن هذه آخر حروب المولى اسماعيل في المغرب نفسه ، فقد ثار عليه ابن اخيه احمد ، فحاربه حتى غلبه ، وثار بعض شيعة الدلائيين ، فناصبهم العداء حتى اوقع بهم ، وخرج عليه الاخوة الثلاثة من اولاد المولى الشريف بالصحراء . ولكن في النهاية تم للمولى اسماعيل مـــا لم يتم لكثيرين من ملوك المغرب وهو السيطرة على البـــلاد سيطرة تكاد تكون كاملة . فكانت بلاد المخزن في ايامه العريضة وبلاد السيبا ، ان كان ثمة بلاد سيبا ، ضيقة المساحة .

المولى محمد ان يستولي على ما بيد الدلائيين – اي فاس ومكناس وسلا قبل ان يتم له الاتصال بالغرب، وهو السهل الغني الخصب ومصدر ثروة المغرب الزراعية. ومع ان حيش المولى محمد وجيش الدلائيين تقابلا ، فقد اتفقا على الصلح ، ولعل المولى محمد وحد نفسه دون خصومه قوة وعدة. و «انعقد الصلح بينهما على ان ما حازت الصحراء الى جبل بني عياش فهو للمولى محمد ، وما دون ذلك الى ناحية الغرب فهو لاهل الدلاء ». ثم استثنى اهل الدلاء مواضع في حصة الاول (سنة ١٠٥٦) . على ان المولى محمد بن الشريف عاد يحاول انتزاع ما بايدي الدلائيين . ودارت حول ذلك معارك لم يكتب فيها للسلطان النجاح ، واستقر هؤلاء في فاس نهائياً .

وعندها ، وقد وحد المولى محمد نفسه محصورا بين الصحراء وبين الدلائيين ، اتجه بجيوشه شرقا في شمال الى وجدة فاحتلها (١٠٦٠) وتلمسان فناوش حماتها، ثم دارت بينه وبين عثمان، باشا الجزائر مراسلة (١٠٦٤) انتهت الى ان اعرض المولى محمد عن مهاجمة الجزائر . ويبدو ان بعض السكان هناك ذكروا له ما اصاب البلاد والعباد من شر بسبب حرب بين المولى محمد وبين عثمان، باشا الجزائر.

وعاد محمد الى جهات فـــاس فامتلك منطقة عرب الحياينة . ولكن الأمر المؤسف ان فتنة وقعت بين الاخوين محمد والرشيد ، وتقابلا في الميدان فقتل الاول (١٠٧٥/٦٦٣)، وانضمت جموعـه الى اخيه المولى الرشيد فبايعوه البيعة العامة . ودخل في طاعته الكثيرون . وانصرف الى تثبيت ملكه فافتتح تازا وسجلماسة ، التي كان ابن اخيه قد تحصن فيها ، ففر هذا عنها . وانتقل بعد ذلك الى فاس التي تمكن منها سنة ١٠٧٦/١٦٦٤ ، فبويع له فيها . واهتم بعد ذلك بالدلائيين فقضى على زاويتهم وملكهم (١٠٧٨) . قـــال اليفرني في نزهة الحادي « لمـــا وقعت الهزيمة على اهل الدلاء دخل المولى الرشيد الزاوية ، وامر بمحمد الحاج واولاده واقاربه ان يحملوا الى فاس ويسكنوا بهـا ، فحملوا اليها واستوطنوا بها مدة، ثم امر ان يذهب بهم الى تلمسان فغربوا اليها وسكنوها مدة».

والعرائش واصيلا واستعاد طنجة . لكن سبتة ومليلة ظلتا بايدي المحتلين .

كان فتح المعمورة المسماة بالمهدية في سنة ١٠٩٢ (١٦٨١) . وقد روى صاحب النزهة خبر الفتح قال « ومن محاسن الدولة الاسماعيلية تنقية المغرب.... ورد كيد العدو عنه .... من ذلك المعمورة فانه رحمه الله قد افتتحها عنوة دون ان حاصرها مدة . »

اما طنجة فقد استعيدت سنة ١٠٩٥ (١٦٨٤) وكانت مع الانكليز ، وقد انتقلت اليهم من اسبانية. وقد حاصرها جيش المولى اسماعيل، وقررت بريطانية ان تتخلى عنها . وقد قال الزياني في البستان « لما ضاق الامر على الدين بطنجة وطال عليهم الحصارخربوها وهدموا اسوارها وابراجها وركبوا سفنهم وتركوها فدخلها المسلمون من غير طعن ولا ضرب . وشرع قائد المجاهدين علي بن عبدالله الريفي في بناء ما تهدم من اسوارها ومساجدها » .

اما فتح العرائش فقد تم في سنة ١١٠٠ (١٦٨٩) . فسار اليها القائد ابو العباس احمد بن حدو الطائي في جماعة من المجاهدين لحصارها حصارا دام قرابة خمسة اشهر . ويبدو ان الفرنسيين ساعدوا المولى اسماعيل في حصار العرائش بخمس فراقيط قطعت عنها المادة . وقد جاء في النزهة « فتحها المسلمون بعد معاناة شديدة وذلك انهم حفروا المينات تحت خندق سورها الموالي للمرسى وملأها بارودا ثم اوقدوها بالنار ، فنفطت وسقط جانب من السور . فاقتحم المحاصرون منه وتسلقوا الى من كان على الاسوار ، ووقعت ملحمة عظيمة » . وفر باقي المحصورين الى مكان قريب اختبأوا فيه ، ثم طلبوا الامان ، فأخذوا كلهم اسارى . واذا صحت رواية المعاصرين لهذه الاحداث فقد فقدت العرائش نحو الف ومئتين من اهلها الاجانب في المعركة والحصار . ووجد بها من البارود والعدة ما لا يحصى كثرة. فمن المدافع نحو مئة وثمانين منها اثنان وعشرون من النحاس والباقي من الحديد .

وقد كان فتح العرائش حدثاً كبيراً بالنسبة للسلطان اسماعيل فنظم اديب فاس وفقيهها ابو محمد عبد الواحد ابن محمد الشريف البوعناني قصيدة طويلة نجتزىء

وصف اليفرني في برهة الحـــادي ايام السلطان المظفر المولى اسماعيل بقوله « ولما تمت له البيعة نهض باعباء الخلافة واحسن السيرة وضبط الامور كلهـــا وتمهدت له البلاد ودان له قريبها وبعيدها مع محاربات طويلة ومنازلات عديدة مع الثوار عليه .... ولم يزل رحمه الله في مقاتلة العادين من الثوار والعاصين من القبائل الى ان دوخ بلاد المغرب كلها وطوعها وعرهــا وسهلها وجبلها واستولى على تخوم السودان.... وبلغ في ذلك ما لم يبلغه ابو العباس احمد الذهبي المنصور [السعدي] ولا احد قبله ، وامتدت مملكته من جهة الشرق الى قرب بـــلاد بسكرة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان . »

ولخص الناصري في الاستقصا تلك الفترة بقوله « كانت ايام امير المؤمنين المولى اسماعيل رحمه الله على ما ذكرنا من الامن والعافية وتمام الضبط ، حتى لم يبق لاهل الدعارة والفساد محل يأوون اليه ويعتصمون به ، ولم تقلهم ارض ولا اظلتهم سماء سائر ايامه .... فان المولى اسماعيل رحمه الله استوفى مدة الخلافة بثمرتها وتملاها بكمال لذتها، لانه وليها في ابان اقتداره عليها واضطلاعه بهـــا .... ولم يكن عليه استبداد لاحد ولا نغص عليه دولته سوى ما كان من ثورة ابن محرز [ابن اخيه احمد] وابنه محمد العـــالم ومن سلك سننهم من القرابة . وكلهم كان يشتغب في الاطراف ، لم يحصل منهم كبير ضرر للدولة . »

مر بنا في العبارة التي اقتبسناها عن اليفرني ان المولى اسماعيل ملك السودان وقد كان ذلك في سنة ١٠٨٩ اذ اتجه نحو صحراء السوس فبلغ آقا وطاطـــا وتيشيت وشنقيط (موريتانيا الحديثة) وتخوم السودان ، فقدمت عليه وفود العرب هناك من اهل الساحل والقبلة وغيرهم من وفود تلك الاصقاع .

وقد اغار اسماعيل شرقا ، كما اغار اسلافه من قبل ، لكن الامر انتهى بعقد الصلح مع اتراك الجزائر .

اراد المولى اسماعيل ان يقاتل الاجانب المحتلين للبلاد ويجلوهم عن الثغور المغربية . فوجه همته الى ذلك ونجح نجاحا كبيرا . فاحتل المعمورة (المهدية

٤

كان المولى اسماعيل بحاجة الى جيش كبير يستخدمه في المهمات الكثيرة التي تصدر لها – من ضبط امور البلاد ومقاتلة الثائرين والحملات الخارجية ومحاصرة الاحاسب . وقضية تنظيم جيش كانت دوما من القضايا المعقدة في المغرب . لذلك لجأ اسماعيل الى انشـاء مجموعات من القوى المسلحة ، ان جـار التعبير ، يمكن تلخيص امورها بما يلي :

(١) جيش الودايا – وهو مؤلف من قبائل عربية مختلفة كانت منتشرة في جنوب البلاد غالبا . وكان السعديون من قبل يستنفرون بعضهم للغزو بحللهم لاعتيادهم ذلك . ويبدو ان امرهم اهمل كثيرا حتى اهتم بهم المولى اسماعيل فجمعهم واثبتهم في الديوان وكساهم وحملهم ثم نقلهم الى الرياض (بمكناس) وفاس . وبذلك حاول اسماعيل ان يزيل عنهم صفة التنقل ويشعرهم بالاستقرار . وكانت قبيلة المعافرة لها مركز خاص بين الودايا لان السلطان اصهر اليهم .

(٢) عبيد البخاري او العبيد . لما تم للمنصور السعدي امر الاستيلاء على بلاد السودان جاءه كثير من اهل تلك الديـار هدايا واسرى ، فضمهم الى جنـده . ولكن امرهم اهمل بعد ايامـه . ويبدو ان جماعة اخرى جاءت من السودان ، على اثر تدمير بلادهم وتعطيل متاجرهم ، الى المغرب . لذلك كثر عددهم . فاشار احد كتاب السلطان اسماعيل عليه بأن يجمع هؤلاء العبيد ويستخدمهم في جيشه ، فيكون له جيش لا ارتباط له بعصبية او قبيلة او ولاء سوى الولاء للسلطان . فاعجبت الفكرة اسماعيل وطلب من الكاتب (وهو ابو حفص عمر بن قاسم المراكشي) ان يجمعهم رأسا او بالوساطة . ففتشت سائر اقطار المغرب ، وتم جمعهم ، فكان منهم بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ فوضع المولى اسمـاعيل اكثرهم في مشرع

منها الابيات التالية :

الا ابشر بهذا الفتح نور
قد انتظمت بعزمكم الامور
وطير السعد نادى حيث غنى
قد انشرحت بفتحكم الصدور
وضوء النصر ساعده التهاني
ونور الفخر نحوكم يدور
وقد وافتكم الخيرات طرا
وطاب العيش واتصل السرور
حميتم بيضة الاسلام لما
بعين الحق قد حرس الثغور
وجاهدتم وقاتلتم فانتم
لدين الله اقمار تدير
فانت البدر يوم السلم حسنا
وفي يوم الوغى الاسد الهصور
وفي ثغر العرائش قد تبدى
لقدركم على الشعرى الظهور
لقد كان الملوك فساوموها
وراموها وبان لها نفور
فلما جئتها انقادت وقالت
اليك بحق مولانا المصير.

وكان للمولى اسماعيل حصار لاصيلا في السنة التالية . فطلب اهلها الامان بعد سنة من الحصار ، فامنهم السلطان . لكن يظهر انهم لم يطمئنوا الى ذلك ، ورحلوا عنها في الليل ، ودخلها الجيش المغربي فملكها . وعمرها اهل الريف وبنى فيها قائدهم مسجدين ومدرسة وحماما ودارا له بقلعتها .

دنا ان فتح العرائش وحدها وضع بين ايدي السلطـان بين ١٨٠٠ و ٢٠٠٠ اسير . والغالب على هؤلاء انهم كانوا يستعملون للامور الفنية ولتدريب جند السلطان الاخرين .

يبدو ان السلطان وحد في جيش عبيد البخارى حاجته . فاهتم بهم اهتماما حاصا . وها نحن اولاء ننقل للقراء ما قاله النـاصري صاحب الاستقصا عن تربية اولاد العبيد وتأديبهم . « قد قدمنا ان جمهور عبيد البخارى كانوا بالمحلة من مشرع الرملة ، وانهم تناسلوا وكثروا الى الغـاية . فلما كانت سنة مئة والف [١٦٨٩] امر السلطان رحمه الله اولئك العبيد ان يأتوه بابنائهم وبناتهم من عشر سنين فما فوق . فلما قدموا عليه فرق البنـات على عريفات داره ، كل طائفة في قصر للتربية والتأديب ، وفرق الاولاد على البنائين والنجارين وسائر اهل الحرف للعمل والخدمـة وسوق الحمير والتدرب على ركوبها . حتى اذا اكملوا سنة نقلهم الى سوق البغال الحاملة للاجر والزليج والقرمود والخشب ونحو ذلك . حتى اذا اكملوا سنة نقلهم الى خدمة المركز وضرب الواح الطابية . حتى ادا اكملوا سنة نقلهم الى المرتبة الاولى في الجندية ، وكساهم ودفع اليهم السلاح يتدربون به على الحمدية وطرقها . وحتى ادا اكملوا سنة دفع اليهم الخيل يركبوهـا اعراء بلا سروج ويجروبها في الميدان للتمرس بها والتدرب على ركوبها . حتى ادا اكملوا سنة وملكوا رؤوسهـا دفع اليهم السروج فيركبونها بها ويعلمون الكر والفر والثقافة في المطاعنة والمراماة على صهواتها . حتى ادا اكملوا سنة بعد ذلك ، صاروا في عداد الجند المقاتلة ، فيخرج لهم السلطان البنات اللواتي قدمن معهم ويزوج كل واحد من الاولاد واحدة من البنات ، ويعطي الرجل عشرة مثاقيل مهر زوجته ، ويعطي المرأة خمسة مثـاقيل شورتها ، ويولي عليهم من آبائهم الكبار ، ويعطي ذلك القـائد ما يبني به داره وما يبني به اخصاص المحلة وهي المعروفـة عندنا بالنواويل . ويبعث بهم الى المحلة بعد ان يكتبوا في ديوان العسكر واستمر الحال على هكذا. ففي كل سنة يأتي من المحلة عدد صغير ويتوجه اليها من عند السلطان عدد كبير ، من سنة مئة والف الى ان توفي السلطان رحمه

الرملة بين منطقة مكناس والغرب ، والباقين نقلهم الى ادخسان وتادلا ، حفظا للشرق ومنعا من الصحراء .

واما سبب تسمية هذا الجيش بعبيد البخاري فهو ان المولى اسماعيل لماجمعهم وطفر بمراده بعصبيتهم واستغنى بهم عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض ، حمد الله واثنى عليه ، وجمع اعيانهم واحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم « انا وانتم عبيدلسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجموع في هذا الكتاب . فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل » فعاهدوه على ذلك وامر بالاحتفاظ بتلك النسخة ، وامرهم ان يحملوها حال ركوبهم ويقدموها امام حروبهم . . . . ولدلك قيل لهم عبيد البخاري . » وقد ابتاع السلطان الاماء لهؤلاء الجنود .

(٣) كان للمولى اسماعيل جيش ثالث صغير مكون من العبيد من الحراطين. والكلمة « من لفظ الحرطاني ومعناه في عرف اهل المغرب (العتيق) واصله الحرثان ، كان الحر الاصلي حرا اول ، وهذا العتيق حرثان . ثم كثر استعماله على الالسنة فقيل الحرطاني ، على ضرب من التخفيف »

(٤) كان للسلطان عدد من الاسرى الذين وقعوا بيده في حروبه مع الاجانب ، او الدين اسرتهم سفن قرصانه . وكثير من هؤلاء كانوا يعتنقون الاسلام ، الا ان بعضهم كان يظل مسيحيا . وكان هؤلاء لهم قوادهم ورؤساءهم ، ولم يستطع المؤرخون ان يهتدوا الى عدد هؤلاء ، ذلك لان تبادل الاسرى كان يحدث كثيرا ، كما ان الافتداء كان يقع ايضا . لدلك لا يمكن الجزم بشيء من ذلك الا ان « بلو » الانكليري ، الدي استطاع ان يفر من الاسر ، ذكر انه كان رئيسا لفرقة يتراوح عددها بين ٦٠٠ و ٧٠٠ . وقد مر

فكانت الاقمشة على اختلاف انواعها تأتي من انكلترة ، كما كانت هذه تحمل الى المغرب الاصداف التي تستعمل نقدا في بعض الجهات النائيـة في افريقية ، والتي كانت لها مع المغرب تجارة واسعة . اما هولاندة فكانت تنقل الى موانيء المغرب اشياء متنوعـة بسبب اتسـاع الاسواق التي كانت تتاجر هي معها : كالاقمشة والبهارات والافاويه والمرايا والنحاس والفولاذ والحامض الحـاوي والاسلحة والدخائر . وكان الموصلين بين الاقمشة من اكثر ما تنقله هولاندة الى المغرب . واسبانية كانت ترسل الى بلاد السلطـان اسماعيل الصباغ القرمزي والسيلقون . وكان باستطاعة فرنسة ان تنمي تجارتها مع المغرب كثيرا في ايام اسماعيل الذي كان راغبا في تحسين علاقاته مع لويس الرابـع عشر ، لكن لويس الرابع عشر لم يستطع ، كما يقول المؤرخ الفرنسي جورج هاردي ، ان يدرك عقلية اسماعيل ولا اهمية المغرب . لذلك فان فرنسة التي كانت تجارتها مع المغرب في الطليعة اوائل عهد المولى اسماعيل تأخرت الى الدرجة الثانية فالثالثة تدريجـا . ولما احتلت بريطانية جبل طارق سنة ١٧١٣ اصبح تقدم تجارتها مع المغرب امرا طبيعيا . وكانت ايطالية تزود المغرب بالبارود والترابة (للدبغ) . وكان المغرب يستورد، وسائل مختلفة ، الحرير والقطن والافيون من شرقي البحر المتوسط .

كانت ميناء قادس الاسبانية مركز التجارة المغربية مع انكلترة وهولاندة . اما في المغرب نفسه فكانت سلا وتطوان في المقدمة تليها آسفي واغادير . وفي وسط البلاد كانت فاس مخزن المغرب الرئيسي ومستودع تجـارته . وبنى المولى اسماعيل ميناء الصويرة فانتقلت اليه تجارة آسفي واغادير . اما في الجنوب فقد كانت تفيلالت وتارودانت وايليـغ منافذ التجـارة مع المناطق الافريقية . ومن هذه كان يأتي الى المغرب الذهب وريش النعـام والتمور والعـاج والنيلة . وكان المغرب يضيف الى هذه الجلود والشموع ويصدر الجميـع الى دول اوروبة .

والواقع انه في ايام السلطـان اسماعيل كانت البلاد تتمتع بنشاط اقتصادي تجاري كبير ومع ذلك فان البلاد كانت تستورد اكثر مما تصدر ، والذي كان يعود على البلاد ، اي الذي كان يعدل ميزانها التجـاري مع الواردات غير

الله . فبلغ عدد هذا العسكر البخاري مئة الف وخمسين الفا ، منها ثمانون الفا مفرقة في قلاع المغرب لعمارتها وحراسة طرقها ، وسبعون الفا بالمحلة . »

وما دمنا بسبيل ما اتخذه المولى اسماعيل من خطوات لتأمين الجيش الذي يفرض النظام ويقمع الثورات ويحمي الذمـار ويرد الاعداء ، فلنشر الى امرين آخرين هامين . اما اولهما فعنايته بالطرق وتنظيمه للبريد . فقد كانت ثمة طرق آمنة تصل بين فاس ومراكش وبين الرباط ومكناس ، فضلا عن طرق اخرى فرعية . واما الامر الثاني فهو بناء القلاع . فالمعروف ان المولي اسماعيل بنى او رمم وحصن ٧٦ قلعـة ، بعضها في المدن ، والبعض الآخر في اطراف البلاد النائية . وكان يقيم حانا على مقربة من كل قلعة تقريبـا يأوي اليه التجار . ومن القلاع التي بناها المولى اسماعيل قلعة في الموضع المعروف برقادة (على مقربة من وجدة) وقلعة بالعيون وقلعة علي ملوية وقلعة تاوريرت وقلعـة بوادي مسون وقلعة في الكدر وقلعة بعين اللوح في جبال فزار وقلعة ادخسان . وكان يقيم في كل قلعة نحو خمسمئة فارس لحماية الجهة والاهتمام بالطريق المارة هناك ، والعناية بأمر التجار . اما المدن المحصنة التي كانت تعنى بمناطق اكبر فقد تبلغ حاميتها ثلاثة الاف شخص .

وكان السلطان اسماعيل شديدا حدا على من يعبث بالامن او يثور على الدولة . لذلك هابه اهل البلاد . وفي ذلك يقول الزياني ان المرأة كانت تستطيع ان تسير من وجدة الى وادي نون وهي آمنة مطمئنة على نفسها وما معها .

٥

كان المولى اسماعيل حريصا على تنمية تجارة المغرب الخارجية . فقد كان يتقاضى ١٠ ٪ عن كل المتاجر التي تدخل البلاد او تخرج منها ، وهذا مبلغ ضخم . كما كان يتقاضى ٢٥ ٪ عن كل تجارة في الشموع .

كانت انكلترة اكبر تاجر مع المغرب تليها هولندة ثم فرنسـة واسبانية

وكان السلطان « كلما اكمل قصرا اسس غيره . ولمـــا ضاق مسجد القصبة بالمدرس اسس الجامع الاخضر اعظم منه ، وجعل له بابين : بابا الى القصبة وبابا الى المدينة . وجعل رحمه الله لهذه القصبة عشرين بابـــا عادية في غاية السعة والارتفاع ، مقنوة من اعلاها ، وفوق كل باب منها برج عظيم عليه من المدافع النحاسية العظيمة الاجرام والمهاريس الحربية الهائلة الاشكال مـــا يقضي منه العجب وجعل في هذه القصبة بركة عظيمة تسير فيها الفلك والزوارق المتخذة للنزهة والانبساط . وجعل بها هريا عظيما لاختزان الطعام من قمح وغيره .... وجعل بها اصطبلاً عظيما لربط خيله وبغاله .... يقال انه كان مربوطـــا بهذا الاصطبل اثني عشر الف فرس .... ويجاور هذا الاسطبل بستان على قدر طوله فيه من شجر الزيتون وانواع الفواكه كل غريب .... ويتخلل هذه القصور التي في داخل القلعة شوارع مستطيلة متسعة وابواب عظيمة ... ورحاب عظيمة مربعة معدة لعمارة المشور في كل جانب ، الى غير ذلك مما لا يحيط به الوصف . »

بالاضـــافة الى العمال والصناع الذين فرضهم المولى اسماعيل على القبائل والحواضر ، فقد دخل سجونه خمسة وعشرون الفا ونيفا من اسارى الافرنج كانوا يعملون في بناء القصور ، وبعضهم كان يقوم بالتخطيط والتزيين والهندسة ، كما كان في سجون اسماعيل نحو ثلاثين الفا تطل تعمل مع الاسرى في البناء . « وكانوا يبيتون في السجون والاهراء تحت الارض ، ومن مـــات منهم دفن في البناء ».

قال الزياني المؤرخ المغربي المشهور « لقد شاهدت الكثير من آثار الدول فما رأيت اثراً اعظم من آثاره ، ولا بناء اضخم من بنائـــه ولا اكثر عدداً من قصوره » .

والذي نريد ان نقوله نحن هو ان ما بقي من آثار المولى اسماعيل الى الآن في مكناس ، على ما تهدم منه وما نقل من احجاره ورلجه وقرموده ، لا يزال يدعو الى العجب . فقد حضرنا حفلاً اقيم الى جانب البركة الكبيرة هناك ، فكان التسع يدعو الى الدهشة .

المنظورة هو ما كان يدفعه ملوك اوروبة افتداء للاسرى ، وما كان يغنمه القرصان من سفن اجنبية وما عليها من متاع.

٦

كان المولى اسماعيل بناء . فقد مر بنا انه جدد او انشأ ٧٦ حصنا فيها بعض المدن . لكن اسماعيل البناء يظهر اثره في بناء جديد في مدينة مكناس التي جعلها عاصمته . فلم يكن يهتم بمراكش ولا بفاس بشكل خاص ، ولعل ذلك يرجع الى ما لقي منهما من ثورات . فضلا عن انه اراد ان تكون له مدينة تمثل شخصيته . (من المهم ان نذكر انه هدم قصر البديع الذي بناه المنصور الذهبي في مراكش) .

ومكناس ، او مكناسة الزيتون كما يشير اليها المؤرخون المغاربة ، بلدة قديمة . وقد اهتم بها ننومرين اهتماما كبيرا . وهي مدينة طيبة التربة عذبة الماء صحيحة الهواء سليمة المحترز من التعفن وغيره . وكان المولى اسماعيل خليفة اخيه الرشيد فيها ، فبدأ يهتم ببنائها يومئذ ، ثم اتم ذلك ايام ولايته على المغرب . فشرع في بناء قصوره بها ، بعد ان هدم ما يلي القصبة من الدور وامر أربابها بحمل انقاضها وبنى لهم سورا على الجانب الغربي ، وامر ببناء دورهم هناك ، وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة وزاده في القصبة القديمة ، ولم يبق امامه الا الفضاء الواسع ، فجعل ذلك كله قصبة . وبنى سور المدينة وافردها عن القصبة ، واطلق ايدي الصناع في البناء ومداومة العمل ، وجلبهم من جميع حواضر المغرب . ولما لم يقنعه ذلك فرض العملة على القبائل مناوبة . فصارت كل قبيلة من من قبائل المغرب تبعث عددا معلوما من الرجال والبهائم في كل شهر . وفرض الصناع واهل الحرف على الحواضر . فصار اهل كل مصر يبعثون من البنائين والنجارين وغيرهم عددا معلوما كذلك . واسس المسجد الاعظم بداخل القصبة مجاورا لقصر النصر الذي كان اسسه في دولة اخيه المولى الرشيد رحمه الله . . . واستمر البناء والغرس بمكناسة سنين. »

احتارها المغرب قبل تولي اسماعيل حملت هذا على شدة لعله ما كان يلجأ اليها لولا تلك الاوضاع . وعلى كل فلا شك انه مما يسجل بالفخر لهؤلاء العلماء الاعلام انهم لم يمتنعوا عن مخالفة رجل له مثل هذا البطش والعنفوان. ومما يجب انننذكره له ايضا انه لم ينتقم من اولئك الذين خالفوه . ولنذكر على سبيل المثال حادثين توضحان هذا الذي ذهبنا اليه .

(١) في سنة ١١٠٤ خرج السلطـان الى اهل فارار . فاستنفر القبائل واعد العدة وجمع المدافع . ولما وصل الديار اصلاهم ناراً حامية فقتل في المعركة الكثيرون جدا . ويبدو ان اضعاف هؤلاء الناس اعتبره الفقهـاء اوبعضهم على الاقل ، خسارة فادحة للبلاد، خاصة والاعداء على الابواب . فانتقدوا تصرف السلطان . وكان البعض يشعرون بان ما يجمع من الضرائب كثير وان الكثير منها ينفق في غير محله. لذلك رأى اليوسي وهو كبير العلماء وشجاعهم ، ان يبعث برسالة الى اسماعيل يوضح فيها وجهة نظره . والرسالة فيها لوم وتقريع صريحان . ولولا طولها لنقلناها بكاملها ، ولكن نكتفي منها بما يمس جوهر الموضوع ، عن طريق تلخيص نقاطها الثلاث الرئيسية وهي :

ان السلطان يجب ان يجمع المال بحق ويفرقه بحق . وهنا يقول اليوسي للمولى اسماعيل « فينظر سيدنا فان جباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية فـاكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا المخ، ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا . اما الدنيا فقد اخذوها ، واما الدين فقد فتنوهم عنه ، وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه .... وليعلم سيدنا ان السلطان اذا اخذ اموال العامة ونثرها في الخاصة وشيد بها المصالح فالعامة يذعنون ويعلمون انه سلطان وتطيب قلوبهم بما يرون من انفاق اموالهم في مصالحهم والا فالعكس » .

٧

يقول اليفرني في نزهة الحادي عن دولة المولى اسماعيل « لا يخفى على من نظر بعين الانصاف وتحلى بقول الحق الذي هو احمد الاوصاف ان هذه الدولة الحسنية لم ير الرأوون ولا سمع السامعون مثلها ، لما اشتملت عليه من المفاخر، التي يكل في تعدادها الاول والاخر. ولقد ظهر فيها من الخيرات ما لا يحصى وراى الناس من الامن والرخـــاء والهنا لم يخطر لاحد ببال ، وكل ذلك مما شاع وذاع وملأ الاسماع » . ثم يعدد اليفرني هذه الخيرات وهي ، في رأيه :

(١) استخلاص مدن المغرب من الاجانب (المعمورة وطنجة واصيلا والعرائش) .

(٢) صحامة المملكة وعظمة السلطنة في ذلك الوقت .

(٣) ضبط الامور والبلاد واخضاع اهل الدعارة والفساد .

ويتضح من هذا ومن الذي ذكرناه قبلا ان المولى اسماعيل كان رجل حزم وبأس وشجاعة ، وكان شديدا على من يحاول العبث بالامن والسلطة، وكان رجلا له في العمل والبناء همة . ومع ان الحياة العلمية والادبية عرفت في الدولة العلوية منشطين ومروجين ومشجعين ومشاركين من السلاطين ورجال الحكم ، فليس من المعروف ان السلطان اسماعيل اتسع وقته للكثير من هذه الامور .

لقد عرفت ايامه من رجــال العلم اليوسي والمسناوي والمؤرخ اليفرني وابن شقرون وأدراق الطبيبين المشهورين وابن راكور احد مقدمي الشعراء في المغرب اطلاقا . لكن ليس ثمة ما يدل على ان بلاط اسماعيل كان لهم او لغيرهم موئلا ، وان كان جناحه ظللهم جميعا . حتى الشعر الذي قيل في مدح المولى اسماعيل اقل بكثير مما قيل في المنصور مثلا او غيره .

ولعله من الطبيعي ان يحدث شيء من المشادة بين رجل مثل المولى اسماعيل وبعض اهل الفقه حول امور اعتبروها خروجا على الشرع . فالاوضـــاع التي

بالمغرب ما لا يحبه له ابناؤه . ويتضح هذا من الابيات التالية التي قالها الفقيه ابو عبدالله محمد بن عبدالله الجزولي (وهي من قصيدة طويلة)

مولاي اسمـــاعيل يا شمس الورى
يـــا من جميع الكائنات فدى له
مـــا انت الا سيف حق منتضى
الله مـــن دون الخليفة سلّه
من لا يرى لك طـاعة فـالله قد
اعمـــاه عن قصد الهوى واضلّه .

(ب) ان السلطان غفل من عمارة الثغور فضعفت للغاية . ويضيف اليوسي « وقد حضرت بمدينة تطاوين ايام مولانا الرشيد رحمه الله ، فكانوا اذا سمعوا الصريخ تهتز الارض خيلا ورماة . وقد بلغني اليوم انهم سمعوا صريخا جانب البحر ذات يوم فخرجوا يسعون على ارجلهم وبايديهم العصي والمقاليع . . . فعلى سيدنا ان يتفقد السواحل كلها . . . ويحرصهم على الجهاد والحراسة ، بعد ان يحسن اليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم ».

(ج) يشير اليوسي الى المشتغلين بظلم الناس اي العمال وخدامهم ، وهم الذين ينتظر منهم ان ينصرفوا الى الاهتمام بشؤون العباد . ويختم اليوسي رسالته او بطاقته كما يسميها هو ، بقوله « فعلى سيدنا ان يقتدي بهؤلاء [الخلفاء الراشدين] الفضلاء ولا يقتدى باهل الاهواء . وليسأل من معه من الفقهاء الثقات ... الذين يتقون الله ولا يخافون في الله لومة لائم ، فما امروه به مما ذكرناه ولم نذكر فعله ، وما نهوه عنه انتهى . هذه طريقة النجاة ان شاء الله تعالى ».

(٢) في سنة ١١٠٨ طلب السلطان من القاضي والعلماء بفاس ان يوافقوا على تمليك العبيد المثبتين في الديوان . فرفضوا ظنا منهم انه اراد تملك الاحرار منهم . ورفضهم على اساس الظن دليل يقظتهم وحرصهم على امور الشرع .

ويبدو ان السلطان لم تعجبه معرفة بعض القضاة في البوادي ، لذلك جمعهم (سنة ١٠٩٤) وامتحنهم وطلب ان يتعلموا ما لا بد منه من احكام . وقد عزل فيما بعد اولئك الذين لم يتعلموا .

* * *

حكم المولى اسماعيل يمثل صفحة هامة من صفحات التاريخ المغربي الحديث . ويخيل الينا ان بعض معاصريه كانوا يدركون ما قام به الرجل لتلك البلاد من توحيدها ودفع اذى المغير عنها ، فتمنوا ان يطول حكمه ويستمر خشية ان يمر

والهجرة اللبنانية الحديثة ، التي بدأت حوالي سنة ١٨٥٠، هي بصورة عامة على ثلاثة انواع :

الاول ، الذي يمكن اعتبار المهاجرين الى الولايات المتحدة ممثليه الرئيسيين ، يتصف بمجابهة المهاجرين لنظام عمراني اكثر «عصرية» نجم عنها شعور لدى اللبنانيين بالضعة تجاه البلد المضيف وحضارته . ولقد ادت هذه المجابهة الى خسارة شديدة للغة العربية وتمثل مستمر للحضارة الجديدة . « وهكذا فقد مر السوريون ، كطائفة مهاجرة ، بالمراحل نفسها التي مر بها غيرهم في اميركاتقريبا، وذلك بالنسبة لعلاقتهم بالحياة الاميركية وصلتهم ، بموطنهم الاصلي،».[1]

والثاني يتمثل بالمهاجرين اللبنانيين الى البرازيل. وهنا وجد المهاجرون حياة لا تزيد «عصرية» عما تركوا في وطنهم ، واعتبروا حضارتهم الخاصة ارفع شأناً من حضارة البلاد المضيفة . ولذا فقد احتفظوا باللغة والحضارة العربيتين بل تبسطوا فيها . ولعل من الجدير بالملاحظة ان اللبنانيين الذين ينتمون الى هذا النوع قد وصلوا الى اعلى المستويات في الحياة الاقتصادية ، والسياسية ايضا ، للبلاد التي هاجروا اليها . وسرعان ما ترك المهاجرون من هاتين الفئتين ، اية فكرة للعودة الدائمة الى « الوطن الاصلي » .

والثالث ، وهو النوع الذي يعنينا هنا ، قلما التفت اليه بالنسبة للنوعين الاولين ، وافراده اقل عددا بكثير من اي منهما ، ولعل افريقية الغربية هي خير مثل عليه . وهنا وجد اللبناني نفسه في وضع لعله اكثر تعقدا مما هو عليه في النوعين الاخرين ، اذ كان عليه ان يتواءم، الى حد ما، بين ابناء البلاد الافريقيين والمستعمرين الاوروبيين ، وذلك بأن يكيف نفسه الى حد كبير بحضارتي الفريقين ، دون ان يتمثل احداهما . وعلى ذلك يبدو ان جاليات افريقية الغربية هي اقل ديمومة ، وادنى مرتبة حضارية — بصورة عامة — من تلك التي تنتمي الى النوعين الآخرين . وكثيرا ما اعتاد اللبنانيون في افريقية الغربية ان يصفوا انفسهم ، وصفاً لبقاً بقولهم انهم «صلة الوصل» بين الافريقيين والاوروبيين. غير

اللبنانيون في افريقية الغربية*

ر. بيلي وايندر

١ – الهجرة اللبنانية بصورة عامة

للهجرة من البلاد التي تتكون منها الآن الجمهورية اللبنانيــة جذور تاريخية طويلة تمتد الى عهد الفينيقيين ، وليس هناك ، في الراجح ، من ينافس اللبنانيين في الهجرة من بلادهم غير الارلنديين . ومن العادة ان يقرن المرء هؤلاء المهاجرين بالتجارة ، مع ان وجود علماء وكتاب وناشرين بينهم لم يكن امرا شـــاذا . وحسبنا ان نذكر يوسف سمعـــان السمعاني الذي كان في روما في القرن الثامن عشر ، وجرجي زيدان الذي كان في القاهرة في القرن التاسع عشر ، وجبران خليل جبران الذي كان في نيويورك في القرن العشرين ، امثلة على ذلـــك . والاسباب التي ادت الى هذا السيل من المهاجرين هي بالطبع كثيرة ، غير ان العوامل الجغرافية التي تجبر اللبنانيين دوما على التطلع نحو الغرب ، والضغوط السياسية والاقتصادية والدينية المعروفة ، التي انتابت البلاد في العهود الاخيرة ، هي حتما من اقوى الحوافز على الهجرة .

(*) نشر هذا المقال في جزء ٣ مجلد ٤ نيسان ١٩٦٢ من مجلة « دراسات مقارنة في المجتمع والتاريخ » Comparative Studies in Society and History التي تصدرها دار نشر موتون في لاهاي بهولندا وقد نقلت الى العربية بالاتفاق مع كاتبها وقد اكتفى المترجم بعدد وحسب من هوامشها الاصلية الضافية فمن شاء الاطلاع عليها فليرجع الى نصها الاصلي .

يمكر في جميع تلك الحقـــائق ويتنصر في ما يمكن ان يسببه لجميع عائلته من انقشاع وهم وخيبة امل ... ولذلك كانوا يقررون ان افريقية الغربية « مقبرة الرجل الابيض » ايسر عليهم من مواجهـــة عائلاتهم الجائعة وحلمهم العار لللدائهم » .[٢]

وتثير دراسة اللبنانيين في افريقية الغربية عددا من المشكلات ، أولاها ان الافتقار الى المعلومات ، او بالاحرى تفاوت قيمة المعلومـــات المتاحة ، يجعل من العسير التعميم فيما يتعلق بالمنطقـــة بأسرها . وهذا الافتقار ذاته يجعل من المستحيل معالجة كل قطر او منطقة معالجـــة مستقلة متكافئة ، حتى وان كانت هذه المعالجة المفصلة امرا مرغوبا فيه . اضف الى ذلك ان الاختلافات التي تنطوي عليها منطقة مترامية الاطراف كافريقية الغربيـــة تجعل من التعميم امرا محفوفا بالمخاطر . ومهما يكن من امر ، فسأحاول رسم صورة تقريبية عامة عن الموضوع معتمدا على تفصيلات في متناول يدي . مردُّها — في كثير من الحالات — الى رحلتي الى افريقية الغربية ، التي اضطررت فيهـــا ، لسوء الحظ ، الى اغفال كثير من الاماكن .

٢ — التاريخ القديم لهذه الهجرة

لعل اقدم رواية لقدوم اللبنانيين الى افريقية الغربية واصحها ، ما ورد في مقال غفل من التوقيـــع ، كتب سنة ١٩٥٠ في مجلة « عبر العـــالم » التي استقت معلوماتها من رئيس جمارك غينيا . وتذكر هذه الرواية كيف انه عام ١٨٩٨ وصل الى كوناكري ، على اثر البدء في انتاج المطاط في غينيا ، اثنان من التجار «السوريين» للخردوات اتخذا لنفسيهما مكانا في وسط السوق . وما لبث عدد هؤلاء حتى ارتفع الى خمسة عشر بعد اسبوعين ، والى مئـــة وخمسين بعد سنة . وفي عام ١٩٠٤ كان في كوناكري اربعمئة لبنـــاني ، وفي بوكي خمسون ، وفي دبريكا وكويا مئة وخمسون . ويستمر كاتب المقال في مقاله فيشير الى ان ليس كل من يدعوهم «سوريين» هم « سوريون » حقا ، اذ انهم كانوا يتضمنون ايطـــاليين ،

ان الاوروبيين في تلك المناطق كانوا اقل لباقة اذ قالوا ان اللبنانيين هم « يهود » افريقية الغربية .

ولكن ، لماذا ذهب اللبنانيون الى افريقية الغربية ؟ من الاجوبة عن هذا السؤال المثل القديم القائل « ان ساحل افريقية الغربي يبدأ من مرسيليا » مضافا الى ذلك ان جميع اللبنانيين المهاجرين غربا تقريبا ، كانوا يذهبون الى مرسيليا اولا ، ليحجزوا فيها تذاكر السفر الى المكان الذي يقصدونه ، أنّى كان موقعه . ولعل من المحتمل جدا ان يكون اول مهاجر الى افريقية الغربية ، قد وضعه وكيل بواخر مرسيلي لا ضمير له ، على متن سفينة دون ان يعلم المسافر ، قبل ان ترسو سفينته ، انه كان متوجها الى سنت لويس او دكار عوضا عن نيويورك او ساوباولو . ومهما يكن من امر ، ففي مقدورنا ان نفترض ، بصورة عامة ، ان اللبنانيين كانوا في البداية يذهبون الى افريقية الغربية لانهم كانوا يجدون بعد وصولهم الى مرسيليا ان ليس في استطاعتهم الوصول الى الدنيا الجديدة ، فقد كانت هنالك عدة عوامل تحول بينهم وبين ذلك ، منها ان الشروط الصحية المطلوبة للهجرة الى الولايات المتحدة كانت شديدة صعبة على حين كانت الشروط الصحية اللازمة للسفر الى افريقية الغربية يسيرة سهلة . ومنها انهم كانوا يجدون ان نقودهم لا تكفي لعبور المحيط الاطلسي في الوقت الذي كانت فيه اجرة السفر الى افريقيا ضئيلة . ومنها كذلك ان وثائق السفر لم تكن ضرورية في حالة السفر الى افريقية الغربية . اضف الى كل هذا ان اصحاب شركات البواخر الفرنسية التي كانت تتاجر مع افريقيا الغربية ، ووكلاءها ، كانوا شديدي الرغبة في ضمان اعمال لهم ، ولا ريب انهم كانوا يصفون الوضع في افريقية الغربية وصفا اخاذاً. وكما قال السيد مروان حنا، من لبنانيي افريقية الغربية : « كان جميع المهاجرين تقريبا ابناء عائلات كبيرة فقيرة ، استنفد كل منهم وهو يجمع نقودا لسفرته ، كلّ ما وفرته عائلته ، او باع كل ما ملكت يداه ، او استدان نقودا ... لقد ضحت جميع العائلة على امل ان يتمكن المهاجر من ان يرسل لها حوالات مالية فيما بعد ، فكان على المهاجر الذي يرى العودة من مرسيليا ا ـ

« يبدو لكل ناقد غير معرض ان العدل ، وحقوق الفرد ، ومصالح التجارة ، تتعارض وتدابير العزل بحق السوريين والمدمجين بهم ، والايطاليين ، والمالطيين ، والمغاربة . وفضلاً عن هذا ، أليس من سبيل الى التفكير بانهم قد ينقلون نشاطهم الى ليبريا او الى المستعمرات الانكليزية ؟... أيصح ان ندع (الستمئة شخص الذين تقلهم السفن الفرنسية سنوياً الى غينيا) ينفلتون نحو اميركا ؟ وطالما في قلوب هؤلاء هوى لفرنسا فقد يطيبون نفساً بالاتجاه شطر مستعمراتنا . ومن يدري ، فلعلنا نستطيع ان نتخذ منهم عملاء لتغلغل تجاري في المغرب » .

ويخلص صاحب المقال الاصلي الى القول بان الحجج ، التي اوردت ضد طرد اللبنانيين كانت حاسمة . . . وهكذا فقد ، بدأوا ينشئون جالية لهم في افريقية الغربية ، تحت ضغط من منافسيهم الاوروبيين .

وليس هذا فحسب ، فقد كان هؤلاء المهاجرون تحت ضغط من الافريقيين ايضا ، ففي اكثر من مناسبة واحدة ثار السكان ضدهم على نطاق واسع . واول ثورة من هذا النوع كانت في سيراليون ، ولا سيما في فريتاون ، في وقت كان فيه هناك نقص خطر في المواد الغذائية . وكانت التهمة الموجهة اليهم خزن الارز واستغلاله . وبعد فيهم الغوغاء الحكم في الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩١٩ ، اذ هاجموا حوانيتهم ودأبوا على نهبها حوالي ست وثلاثين ساعة . وكان الوضع حد خطير آنذاك بحيث اضطر الحكومة الى ايواء الجالية اللبنانية واطعامها مدة شهر ونصف ، مع انها لم تتخذ ، كما يبدو ، احتياطات لمنع الضرر قبل وقوعه ، رغم ما بدا من دلائل سابقة تدعو الى الحذر . وقد قدر اللبنانيون خسائرهم بـ ٢٥٠،٠٠٠ جنيه استرليني عوضتهم الحكومة منها الى حد خمسة وأربعين الفا . وستبحث الشكاوى المختلفة ضد اللبنانيين بتفصيل اكثر من هذا فيما بعد .

ولا ينبغي ان تترك الحقيقة القائلة بأن لبنانيين اثنين قد وصلا الى كوناكري عام ١٨٩٨ انطباعا لدينا بأن هذا هو تاريخ قدوم اول لبناني الى افريقية الغربية . وعلى الرغم من ان هذا التاريخ لن يعرف في الغالب على وجه التحقيق ، فان من

ومصريين ويهوداً وافراداً من المغرب وجبل طارق ومالطة . وكان هؤلاء في البدء مجرد باعة خردوات متجولين ، غير انهم سرعان ما اخذوا يشترون المطاط من الافريقيين مباشرة بشروط افضل من تلك التي كان في مقدور رجـال الاعمال الفرنسيين الظفر بها . ويؤكد الكاتب انه خـــلال ستة اشهر احتكروا شراء المطاط وغدت بيوت الاعمال الفرنسيـة معتمدة عليهم . اضف الى ذلك انه لما اجبرت السلطات الفرنسية اللبنانيين على ترك المتـــاجرة في الشوارع ، اتخذوا لانفسهم حوانيت صغيرة اخذ المواطنون الافريقيون ورجـال القوافل يشترون منها جميع بضائعهم تقريبا . وعلى ذلـك فقد تضررت ايضا حوانيت الفرنسيين الذين يتعاطون البيع بالمفرق .

ثم تمضي الرواية الى القول بأن الشركات الفرنسية الكبرى قد قررت « مؤخرا » ان لا تتعامل مع اللبنانيين ، فأجبرت هذه المناورة اصحاب رؤوس الاموال الصغيرة منهم على مغادرة البلاد (اذ لم يكن في مقدورهم الانتظـار حتى تدفع لهم فرنسا ثمن المطاط) ، غير ان بعضهم كان لديهم رؤوس اموال كافية تعينهم على البقاء ، ولذا فقد كان هناك اثناء كتابة هذا المقال عدة بيوت تجارية لبنـــانية تتعامل مباشرة مع فرنسا ، الامر الذي قضى على اية فائدة كان يمكن ان تجنى من مغادرة صغار التجـــار . ثم تقول الرواية على سبيل التنبؤ — انه لو سمحت الادارة للبنانيين بأن يتاجروا بحرية في محطـات السكك الحديدية لانتزعوا التجارة من ايدي الاوروبيين . وتذكر كذلك ان الشركات الفرنسية المحليـة ، والادارة المحلية ، ارادت طرد اللبنانيين ، غير ان رجال الادارة العليا رفضوا هذا الحل . وكان بين الحجج التي قدمت في سبيل تركهم وشأنهم مـــا يلي : (١) ان تقدم المستعمرة العام لم يتدهور . (٢) ان كانت المنـافسة اللبنانية قد ادت الى رفع اسعار المطاط ، فان هذا قد افاد في النهاية المنتج ، فســـاعد بذلك على تعزيز الاسواق المحلية . (٣) ربما يكون اللبنانيون قد ساعدوا المستعمرات المجاورة .

وبعد ذلـــك يقتبس صاحب المقال ما يلي عن « نشرة افريقية الفرنسية »

(Bulletin de L'Afrique francaise)

طريف من طرابلس ليبيا ، متزوج بلبنانية ، ومن اساطين الجالية « اللبنانية » في كانو – انه كان في كانو خمسة عشر لبنانيا حين وصل اليها سنة ١٩١٤ ، وانهم ظلوا يعيشون اعواماً عدة في اكواخ من الطين في احوال غاية في البدائية .

وقد ادى نجاح الوافدين الاوائل الى بدء موجة جديدة من المهاجرين . وكان هؤلاء المهاجرون الجدد ، في العادة ، اما اصدقاء او اقارب لاسلافهم الذين كانوا يعينونهم في البدء عن طريق استخدامهم او تثبيت اقدامهم في بلد جديــــد . وكذلك غدا المهاجرون يفدون من اماكن معينة في لبنان ، وغدا لبعض القرى اللبنانية ، في بعض الحالات ، ابناء في الخارج اكثر مما في الوطن .

ومن العسير الحصول على ارقام دقيقة عن عدد اللبنانيين في افريقية الغربية في الحاضر (او الماضي) ، غير ان الارقام التالية المستخلصة من مصادر مختلفة ستعطي على الاقل صورة معقولة :

افريقة الغربية الفرنسية سابقا

في سنة ١٩٥٦ كان عدد اللبنانيين والسوريين المقيمين الذين ولدوا في الخارج (باستثناء اولادهم الذين ينتمون الى الجيل الثاني والثالث) كما يلي ، بموجب ارقام رسمية .

	السنغال	ساحل العاج	السودان (مالي)	فولتا العليا	النيجر	داهومي	موريتانيا	المجموع
لبنانيون	٣٥٥٧	١٢٧٩	٤١٥	٦٧	٢٣	١٦	٧	٥٣٨٤
سوريون	١٥٣	٤٥	٢٥	٨	٢	٢	—	٢٣٥
اجانب	٤٦٥٢٧	١٤٤٥٦	٧١١٣	٣٤٤١	٢٦٨٢	٢٥٢١	١٦١٦	٧٨٣٥٦

وقد قدرت القنصلية اللبنانية في داكار ان مجموع المهاجرين اللبنانيين والسوريين معا كان في افريقية الغربية الفرنسية سابقا ، بما في ذلك غينيا ، وبما في ذلك الاخلاف ، خمسة وعشرين الفا .

المؤكد انه كان قبل ذلك، اذ يبدو حقيقة واقعة ان اول لبناني وجد في نيجيريا - وهو الياس الخوري الماروني من مريارة - كان قد وصل الى لاغوس عام ١٨٩٠. ويقول السيد حنا ان الياس الخوري لم يأتِ اولا الى لاغوس ، وانما وصل اليها من سيراليون . وعلى ذلك فان السيد حنا يعتبر ان اقدم المهاجرين ذهبوا الى سيراليون في اواخر العقد التاسع من القرن الماضي . وحتى لو فرضنا انه كان هناك لبنانيون في سيراليون في ذلك الوقت فلا يعني هذا بالضرورة انهم كانوا الطلائع الى افريقية الغربية، اذ انه من الصعب - رغم انه ليس من المستحيل - ان نتصور ان المهاجرين القادمين من مرسيليا ، على بواخر فرنسية في الراجح ، لم يتوقفوا اولا في سانت لويس او داكار او كوناكري . ومن الاقوال المتواترة في داكار ان اول القادمين اليها - وكانوا من الموارنة ايضا - قدموا بين عامي ١٨٧٦ و ١٨٨٠ من حدث الجبة على رواية ، او من دير القمر على رواية اخرى. وانها لحقيقة واقعة ايضا انه كان هناك لبناني في غينيا عام ١٨٩٢ . وليس هذا فحسب ، بل يشير تقرير من غانا الى ان اول لبناني قد يكون وصل اليها سنة ١٨٧٠ ، غير انه لا بينة ثابتة تقوم على ذلك ، وتميل الغرفة التجارية فيها الى دعم آراء اللبنانيين المحليين في هذا الصدد . ويذكر اقدم تقرير شامل عن الحاليات اللبنانية (١٩٣١) تواريخ الوصول التالية : السنغال ١٨٩٧ - السودان ١٩٠٠ - غينيا ١٨٩٣ - سيراليون ١٨٩٠ - ليبيريا ١٨٩٩ - غانا ١٩٠٠ . ومهما كانت التواريخ ، فلا بد ان يكون طلائع اللبنانيين قد رأوا مشاهد مثيرة ، وفي بعض الحالات كانوا يرافقون جيوش السلطات المستعمرة الفاتحة ، وفي حالات اخرى كانوا يسبقونها ايضا . وعلى سبيل المثال ، قاد مهاجر لبناني في نيجيريا ، يدعى ميخائيل الياس ، قافلة من لاغوس الى بحيرة شاد عبر كانو وبورنو - وهي عملية تنطوي على المغامرة ولكنها رابحة . وفي عام ١٩٠٠ وصل ماروني آخر من مزيارة يدعى يوسف بشارة الى كانو ، واستقر فيها ، واستدعى اليها آخرين من لاغوس . وكان ذلك قبل الاحتلال البريطاني لها بأربع سنوات ، وقبل ان يستقر فيها اي من الاوروبيين . واخبرني السيد شاول ركّاح - وهو يهودي

غـــانه

الرقم الذي تعطيه الحكومة اللبنانية هو ٢٢٠٠ ، بينما مـــا اعطاه احصاء ساحل الذهب لعام ١٩٤٨ هو ١٢١٣ لبنانياً و١٥٧ سورياً (وقد اعتمد هذان الرقمان على الولادة في الخـــارج لا الاصل الاثنولوجي) . وقد قدرت شخصية لبنانية بارزة لم تزل مقيمة في اكرا منذ زمن طويل ، عدد اللبنانيين والسوريين في غانة بأربعة الاف سنة ١٩٥٩ .

توجو

ان الرقم الذي تعطيه الحكومة اللبنانية (ويرجح ان يكون ذلك لجمهورية توجولاند) هو ١٦٥. اما الاحصاء الذي اجري برعاية الفرنسيين عام ١٩٥١ فقد عطى الرقم ١٢٩ .

نيجيريـــا

تقدرهم الحكومة اللبنانية بـ ٦١٥٠ . اما القنصل اللبناني فيقدرهم بـ ٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠ . وقد قدرتهم دائرة الاحصاء لحكومة نيجيريا عام ١٩٥٩ بـ ١٢٥٠ لبنانيا و ١٠٠ سوري (وهذان الرقمان ايضا يشملان من ولدوا في الخارج فقط) .

الكميرون

عددهم بحسب مصادر الحكومة اللبنانية هو ١٥٠، بينما هو بموجب احصاء عام ١٩٥١ الذي رعاه الفرنسيون ١٢٤ .

ريوموني

ليس لدينا معلومات عنها .

افريقية الاستوائية الفرنسية سابقا

ان رقم الحكومة اللبنانية لافريقية الاستوائية ســابقا (التي تشمل الآن

وجاء في تقرير صدر حديثا [٣] ان دائرة المهاجرة للحكومة اللبنانية قد اعدت احصاء رسميا للبنانيين في الخارج يتضمن الارقام التالية [٤]

السنغال	ساحل العاج	السودان	النيجر	داهومي	المجموع
١٠٠٧٠	١٨٥٤	١٢٠٠	١٥٠	٩٥	١٣٣٦٩

غمبيـــا

بموحب احصاء الحكومة اللبنانية هناك ٧٠٠ لبناني فيها .

غينيا البرتغالية

بموجب احصاء الحكومة اللبنانية هناك ١٠٥٠ لبنانياً في هذه المستعمرة .

غينيـــا

ان الرقم الذي تعطيه الحكومة اللبنانية هو ٣٠٠٧، اما الاحصاء الذي قام به الفرنسيون عام ١٩٥١ فقد اعطى الرقم ١٨٢٨ للبنانيين والسوريين . وقدّر الملحق الثقافي في السفارة الاميركية عددهم بـ ٣٥٠٠ .

سيراليون

ان الرقم الذي تعطيه الحكومة اللبنانية هو ٢٩٠٠ . وقد قدرتهم حكومة سيراليون عام ١٩٦٠ بـ ٢٥٠٠ . غير ان موظفـــا في الشرطة هناك قدرهم ، كما قيل ، بـ ٦٠٠٠ .

ليبريـــا

جاء في تقرير صحفي حديث ان قنصل ليبيريا في بيروت، وهو لبناني (هكذا)(*) قدّر عددهم في ليـــبيريا بـ ٤٠٠٠، بينما قدّرهم هو نفسه في محادثة جرت لي معه بـ ٢٠٠٠ . اما الرقم الذي تورده الحكومة اللبنانية فهو ٦٠٠ .

(*) لعله الشيخ هنري الجميل وهو وزير ليبيريا المفوض في لبنان . [المترجم]

توزيعهم الذي يكاد يكون مقصورا على امكنة خاصة . ففي الاقليم الشمالي مثلا ، يحتشد اربعة اخماس المجموع في مقاطعتي كانو (٨٦٠) وبلاتو (٢٨٠) . والمقاطعة الوحيدة الاخرى التي يسكنها عدد لا بأس به من السوريين او العرب هي بورنو (١٥٠) ، اما المنطقة الوسطى (باستثناء مقاطعة بلاتو) فليس فيها غير خمسة وعشرين احمدياً مما يدل دلالة واضحة على تأخرها . وفي الاقليم الغربي يوجد سبعة اعشار الاجانب في مقاطعة اويو (ولا سيما في مدينة ابادان) ، بينما في الشرق يؤدي نشاط السوريين في تجارة النخيل الى احتشادهم بشكل بارز في المنطقة الساحلية الجنوبية » (٥)

اما الوضع في غانة فيبدو انه شبيه بالوضع في نيجيريا ، اذ يحتشد اكثرهم في اكرا وكوماسي وسيكوندي — تاكورادي . وتحوي مدينة مثل تامال ثماني عائلات لبنانية او عشراً .

ومن المسائل الاخرى التي تثير الاهتمام اديان المهاجرين ومواطنهم الاصلية . لقد جاء في تقرير رسمي صدر في داكار ان نسبة المسلمين الى المسيحيين في جميع افريقية الغربيةالفرنسية سابقا تقدر بـ ٦٦٪ للاولين و٣٤٪ للاخرين. وقد تضمن هذا التقرير ايضا بعض الاختلافات الداخلية ، اذ ذكر انه في السنغال وساحل الذهب يسود المسلمون من صيدا وصور ولا سيما الشيعة من جبل عامل ، بينما في مالي يكون موارنة منطقة بكفيا من جبل لبنان الاكثرية الساحقة ، وفي غينيا ٧٥ ٪ من المهاجرين اللبنانيين من جبل عامل (ولذا فان معظمهم من الشيعة) ، و ٢٥ ٪ منهم موارنة من جبل لبنان . وذكر التقرير نفسه ان الدروز اللبنانيين يسودون غينيا البرتغالية . وقد قدر الملحق الثقافي بالسفارة الاميركية في كوناكري ان ٩٥ ٪ من اللبنانيين في تلك المدينة هم مسلمون (شيعة ؟) و ٥ ٪ موارنة ، بينما في منطقة الادغال ٩٥ ٪ موارنة و ٥ ٪ مسلمون . ويبدو ان الجالية في كويا هي ١٠٠ ٪ من الدروز .

ويفوق عدد المسيحيين غيرهم في المناطق التي تتكلم الانكليزية ، ففي غانة يقدر عددهم بحوالي نصف النازحين ويتكونون من ٨٠ ٪ من الموارنة ، ولا سيما موارنة ديك المهدي في المتن ، و٢٠ ٪ من الارثوذكس او غيرهم. اما النصف

تشاد ، وجمهورية افريقية الوسطى ، وجابون ، وجمهورية الكونغو) هو ٣٠٠ .

وعلى ذلك نستطيع ان نستنتج بصورة جد تقريبية ان عدد افراد الجاليتين اللبنانية والسورية في افريقية الغربية يتراوح بين ١١٠٠٠ و ١٢٠٠٠ ، ان احصي من ولد منهم في الخارج فقط ، وبين ٣٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠ ان شملت عملية الاحصاء الاولاد والحفدة .

ومما لا يقل شأناً عن عدد اللبنانيين ، توزيعهم في الاقطار المختلفة . ويشير ما لدينا من بينات الى تباين هذا التوزيع تباينا كبيرا . ففي بلاد السنغال مثلا ، بينما نرى ان اكثر تجمعات اللبنانيين هي في داكار وسانت لويس ، ليس هناك قرية تقريبا تخلو من عائلة لبنانية او اثنتين . وقد زرت شخصيا قرية بوت (Pout) الصغيرة الفقيرة ، التي يصح ان تتخذ نموذجا لغيرها من القرى ، والتي تقع على بعد بضعة اميال الى الشمال من داكار ، وتحدثت فيها مع افراد عائلة مارونية حائنه تعيش خلف حانوتها الصغير القذر معيشة بدائيـة تفوق قليلا مستوى معيشة الافريقيين المسلمين المحليين. ولو قدر لافراد هذه العائلة ان يروا جبال لبنان الجميلة لبدت لهم بالتأكيد وكأنها ارض الميعاد .

ومن الجهة الاخرى ، ليس في نيجيريا سوى قليل من التوغل في المنـاطق الريفية نسبيا . وتدل تقديرات محلية حديثة على ان توزيع اللبنانيي الاصل هو كما يلي : لاغوس ١٥٠٠ — كانو ١٠٠٠ — ابادان ٥٠٠ — جوس ٣٠٠ — زاريا ٢٠٠ — جوساو وسوكوتو ١٠٠ — مايدوجوري ١٠٠ — بورت هاركورت ١٠٠ — اينوجو ٥٠ — كالابار ٥٠ — بنين ٣٠ — كادونا ٢٠ .

وتؤكد الدراسة الجدية التالية التي تعتمد ارقاما احصائية للبنانيين والسوريين مولدا ، هذه الصورة :

« في عام ١٩٥١ قدر عدد الاجانب (غير الاوروبيين) ب ٢٠٠٠ شخص ، منهم حـوالي ١٥٠٠ يقيمون في الاقليم الشمالي ، و ٦٠٠ في المستعمرة ، و ٣٥٠ في الاقليم الغربي ، واقل من ٢٠٠ في الاقليم الشرقي . ومهما يكن من امر ، فان الارقـام الاقليمية لا تعطي صورة مرضية عن

من ذلك انه كان للسلطات المستعمرة حق طرد المهاجرين ، وحق رفض اقامة الراغبين منهم في البقاء . ويبدو ان المناطق التي كانت تابعة لبريطانيا كانت اكثر تشددا من المناطق التي كانت تابعة لفرنسا ، في هذا الصدد . هذا ، ومن الواضح ان من الاسباب الرئيسية لمثل هذه الانظمة المشددة — الى جانب الرغبة في منع غير المرغوب فيهم اصلا — كان الضغط الموجه الى السلطات من ارباب المصالح الاوروبيين الذين شعروا بمنافسة التجار اللبنانيين لهم . ففي نيجيريا ، مثلا ، لن يسمح لأي شخص ، بموجب السياسة التي انتهجتها الحكومة منذ اول كانون الاول سنة ١٩٥٦ ، بأن يدخل البلاد للعمل بتجارة المفرق دون ان يبين انه يستطيع توظيف مبلغ يقارب « مئة الف جنيه استرليني ».(٨)

وهناك ظاهرة ثانوية للقيود المفروضة على اللبنانيين اخذت تنجم الآن بوجود جيل لبناني جديد . واليك مثلا من نيجيريا ، وهي البلاد التي كان فيها تحديد « المواطن النيجيري » قيد النظر ، يبين نوع المشكلة التي ظهرت . ففي عام ١٩٥٧ غادر نيجيريا لبناني يدعى لوسيان حبيب ، كان قد ولد فيها عام ١٩٣٦ ، وكان والداه يقيمان في لاغوس ابان ولادته وبقيا كذلك منذ ذلك الوقت فصاعدا . وبعد مغادرته البلاد بأربعة شهور عاد اليها ليشتغل مع عائلته . فأعطته سلطات المهاجرة في المطار شهادة « ا » ، التي تعني انه لا يستطيع العمل في نيجيريا . فما كان من السيد حبيب الا ان لجأ الى القضاء مدعيا انه لم يكن بحاجة الى شهادة هجرة طالما هو من مواليد نيجيريا . وكانت النتيجة ان اقرت المحكمة المركزية في لاغوس عمل مدير دائرة المهاجرة . غير ان القضية استؤنفت الى المحكمة العليا الاتحادية ، فالغت الحكم واقرت دعوى السيد حبيب . وفي سنة ١٩٥٩ كان موظفو دائرة المهاجرة ، الذين كانوا يبغضون اللبنانيين على ما يبدو ، يأملون في ان يتمكنوا من ان يعيدوا المبدأ السليب في قانون الجنسية الجديد لنيجيريا المستقلة . ومهما يكن من امر ، فسيكون بمقدور اللبناني بالنسبة للدستور الحصول على الجنسية النيجيرية اذا طلبها في وقت لا يعدو سنة ١٩٦٢ .

الآخر فيتألف من نحو ٨٥ ٪ من السنيين من طرابلس ، والشيعيين من النبطية في لبنـان الجنوبي ، والدروز من الشوف والمتن . ويقدر ان ٦٠ ٪ من اللبنانيين في ليبيريا هم من الموارنة ، و٢٥ ٪ منهم من الشيعـة ، و ١٥ ٪ من الدروز. ويقدر كذلك ان ٦٠ ٪ من افراد الحالية اللبنانية في نيجيريا هم مسيحيون ، و ٩٠ ٪ من الباقي هم مسلمون شيعيون ، و١٠ ٪ سنيون من صور وصيدا ، وهناك ايضا بعض الدروز المبعثرين هنـا وهناك . ويقدر القنصل اللبناني في لاغوس ان ٣٣ ٪ من افراد الحالية في نيجيريا ربما جاءوا من قرية واحـدة هي جوّية Juwayya في الجنوب ، بينما جـاء ٢٥ ٪ منهم من القرية المارونية مزيارة (٦) . ومن الناحية الاخرى فان في سيراليون ، بحسب تقدير حكومتها ، ٨٠٪ من المسلمين ، و٢٠٪ من المسيحيين .

وليس هناك مكان في افريقية الغربية فيه عدد السوريين الحقيقيين (٧) كبير . وفي معظم المناطق يقدرون بحوالي ٥٪ من الجالية « اللبنانية » بأسرها ، مع ان نسبتهم قد ترتفع في غـانة الى ١٠ ٪ ، كما قد تنخفض في نيجيريا الى ٣ ٪ ، وينتمي معظم هؤلاء السوريين الى المدن الاربع الكبيرة ، دمشق ، وحمص ، وحماة ، وحلب .

وليس للمرء ان يستنتج مما سبق من صفحات ان هجرة اللبنانيين الى افريقية الغربية كانت حرة دون قيد . فالامر على العكس من ذلك ، اذ انه على الرغم من الانظمة اللينة اصلا للسلطات فقد بقيت هجرة اللبنـانيين تراعى فيها الشدة لسنوات عديدة . وليس ثمة ما يسوغ في هذا المقال بحث قوانين الهجرة الماضية والحاضرة لمختلف اقطار افريقية الغربية . غير انه لا بأس من ايراد بعض الاحكام العامة المتصلة بها الآن . فبالاضافة الى المتطلبات العـادية ، كحيازة جواز سفر وتأشيرة صالحين ، وحيازة شهادات لياقة صحية ، كانت معظم الاقطـار ، ولا تزال ، تطلب تقديم ضمانات للعودة الى البلاد الاصلية . وفي بعض المناطق كان يطلب من كل مهاجر بالغ ارصاد مبلغ معين من المال في سبيل هذه الغاية . ويؤخذ

لم يكن يكون في افريقية صناعة ليتجنبوها ، وثانيا لان الزراعة كانت في ايدي الافريقيين ، وحال الشعور العنصري ، والنفور من العمل اليدوي ، دون تعاطي اللبنانيين لها، اللهم الا كأصحاب مزارع ، الامر الذي لم يكن لديهم المال الكافي له . وقد يكون مناخ افريقية الغربية سببا آخر. واخيرا ، الم يكونوا، بالدرجة الاولى ، عارفين عن الاعتماد على ارض معورة لا تفي بالغرض ؟

ومهما يكن الامر ، فقد مرت مرحلة التجارة المتجولة منذ عهد بعيد ، وغدا البيع بالمفرق ، والى مدى اقل ، البيع بالجملة ، الشكل السائد لنشاط اللبنانيين الاقتصادي . فكان التجار اللبنانيون يزودون الناس بالبضائع الاستهلاكية الوحيدة التي كان لا غنى لهم عنها بعد الطعام، كالاقمشة الملونة الزاهية التي تعطي لابسيها مقاماً اجتماعيا مرموقا . وفي كثير من الاماكن كان التجار يعرضون في الشوارع ، ذهابا وايابا ، نمـــاذج لاحدث ما يصل اليهم من بضائع من هولندا وانكلترا .

ويوجد في مدن افريقية الغربية عادة نموذج مثلث للتجارة بالمفرق يشمل ، رغم ما فيه من تباين ، مـــا يلي : (١) بضعة متاجر اوروبية دولية كبيرة ، كتلك التي تملكها الشركة الفرنسية لافريقية الغربية (CFAO)، او شركة افريقية المتحدة (UAC) ، وهذه في الغالب مخازن كبيرة حديثة . (٢) عدداً اكبر من حوانيت تملكها عائلات لبنانية ، تختص ببيع الاقمشة ، وتتجمع في شارع او اثنين من شوارع المدينة . (٣) عدداً من الدكاكين التي يديرها الافريقيون .

وتمثل الفقرة التالية التي كتبت اصلا عن ليبيريا ، صورة حية لتجارة المفرق اللبنانية في اواخر العقد الثاني :

« يوجد اليوم كثير من السوريين في جميع الجهات الساحلية . ويسكن هؤلاء عادة في اكواخ صغيرة من الطين وجذوع الشجر ، ويبيعون اقمشة زاهية، وملحا، وتبغا ، وجنا (gin) — حيثما يسمح بذلـــك — ، وخردوات رخيصة ... وهم يبدأون عملهم، في العادة ، بشراء سلعهم نقدا من احد المصانع الكبيرة (التي هي

٣ ـ حياتهم الاقتصادية

ان المهاجرين اللبنانيين في افريقية الغربية هم تجار بصورة رئيسية ، ولكنها غير شاملة قط . بدأ هؤلاء حياتهم وهم لا يملكون شروى نقير ، تجاراً متجولين يبيعون الحلي والمنسوجات . وكان كثيرا ما يطلق عليهم اسم رجال المرجان « وفي السنوات الاولى ، كان يراهم المرء في المدن عند زوايا الشوارع التجارية الفسيحة جالسين على صناديق صغيرة امام صناديق اخرى اكبر منها قليلا يعرضون عليها سبحات من المرجان المزيف وسلعا رخيصة اخرى »[٩] . ثم انتقلوا بسرعة الى تجارة المفرق بسلع ادنى الى الاطراد ، ومن ثم الى تجارة الجملة بالمنسوجات . غير انهم لم يقتصروا على عمل واحد بل كانوا يتعاطون في الوقت ذاته عملا آخر هو شراء المنتوجات المحلية (كالفستق وزيت جوز الهند) من السكان الافريقيين وبيعها لكبار المصدرين من الاوروبيين . وعدت المرحلة النهائية لاعمالهم بعد ذلك تشعباً واسعاً في ميادين الصناعة ، والنقل ، والترفيه ، والتمثيل التجاري ، والمهن الحرة . ولم تصبح هذه المرحلة ذات شأن الا منذ الحرب العالمية الثانية .

ويمكن ان يفترض ان الاساس الاقتصادي الاصلي للمهاجرين اللبنانيين هنا ، ولا سيما في السنوات الاولى ، كان شديد الشبه بمثيله لدى نظرائهم في الولايات المتحدة . وكما يقول الاستاذ برجر الذي احلنا فيما سبق إلى دراسته ، « كان منهم [قبل هجرتهم] عدد ضئيل جدا من اصحاب المهن المختصين ، وكان خمسهم تقريبا من العمال المهرة ، اما الاغلبية الساحقة فكانت من المزارعين والقرويين ، بما فيهم من صغار الملاكين او العمال او مستأجري الاراضي او صغار التجار »[١٠] . وعلى اي حال ، فانه يبدو ان السببين اللذين ذكرهما الاستاذ برجر لصيرورة اللبنانيين الاميركيين باعة متجولين واصحاب متاجر — وهما تجنبهم العمل في الصناعة لازدراء اهالي الشرق الاوسط للعمل اليدوي ، واحجامهم عن الزراعة لانها تعني في الولايات المتحدة الانعزال عن الناس بديلا عن الحياة القروية — يبدو ان هذين السببين لا ينطبقان على اللبنانيين في افريقية الغربية . اولا ، لانه

ويعزى نجاح اللبنانيين في التفوق على منافسيهم الاوروبيين الى عوامل عديدة، منها ان استهلاك الفرد اللبناني اقل من استهلاك زميله الاوروبي . اضف الى ذلك انه يمتاز عنه بوجود افراد من عائلته يشتغلون معه في حانوته ، وبذلك يكونون مصدر ربح اقتصادي له عوضا عن ان يكونوا مصدر خسارة كما هي الحال بالنسبة للاوروبي . وفي الحالة التي كانت فيها مهارة اللبنانيين تتعادل على الاقل ومهارة منافسيهم ، كان في مقدورهم ربح قسط متزايد من العمل التجاري عن طريق المنافسة في الاسعار . اضف الى ذلك ، ان مهارة اللبنانيين كانت من بعض الوجوه تفوق مهارة الاوروبيين ، وكان لهم اتصالات بالزبائن الافريقيين تزيد كثيرا عن اتصالات منافسيهم . كما كانوا على استعداد للتحدث والتساوم مع هؤلاء الزبائن ، مما جعلهم اوثق معرفة بهم . وقد نجم عن ذلك انه كان في استطاعتهم مداينة الافريقيين بمخاطرة اقل من تلك التي تنطوي عليها مداينة الاوروبيين للافريقيين ، كما كان في استطاعتهم الاستدلال على التحول في طلبات المستهلكين او في المحصول المتوقع للموسم قبل الاوروبيين ، ولذلك غدوا امهر منهم في تنظيم عملية استرداد الديون . وثم ميزة اقتصادية اخرى للبناني ، في السنوات الاولى على الاقل ، وهي انه لم يكن عليه ان يدخر قسطا من ارباحه لاستهلاك رأسماله المثمّر في عمله ، ذلك لان رأسماله كان ضئيلا. وهكذا، فقد كانت منافسة التاجر اللبناني الناجحة لغيره بالاسعار تعتمد على عاملين اثنين ، هما العمل الرخيص وقلة التكاليف الشخصية. وأدّى به العامل الثاني، في الغالب، الى قبول مرابح اقل مما يقبل به الاوروبي . وقد لاحظ كثير من صغار التجار الاوروبيين ومتوسطيهم أن اللبناني منافس صارم: والواقع ان كثيرا من المقاومة التي جوبه بها اللبنانيون جاءت من هذه الطبقة الاخيرة ، لا من مديري الشركات الكبيرة الذين كانوا يعتمدون على اللبنانيين اعتمادا متزايدا .

وعلى الرغم من البينات التي ذكرت في الفقرات السابقة ، فان الرأي السائد في افريقية الغربية اليوم هو ان نهاية صغار تجار المفرق اللبنانيين قد دنت . ويرى هذا الرأي الاوروبيون ، والافريقيون ، واللبنانيون انفسهم . ويبدو ان هناك

مؤسسات تجارية اوروبية). وحالما تتسع اعمالهم يستقدمون اصدقاءهم واقاربهم وينشئون، كيفما تيسر، صفاً من الحوانيت الصغيرة على الطرق التي يطرقها المسافرون، وفي المقاطعات التي يزدحم فيها السكان المحليون. وقد اصبحوا في السنوات الخمس الاخيرة الوسطاء بين المصانع والمواطنين، فحلوا محل المؤسسات التجارية (الاوروبية) الصغيرة السالفة، الى حد كبير جدا.

ويعمل السوري كمتعهد صغير لتقديم العمال للاعمال التي تتصل بالسكك الحديدية، او الموانيء، او المزارع الكبيرة. وهو يستطيع العيش على نتاج البلاد المحلي من الاطعمة، ولديه المناعة الكافية ضد حرارة الشمس والحميات». (١١)

وتقدم القائمة التالية لعدد التجار ومتعهدي النقل في خمس من المدن السنغالية دليلا على المدى الذي برّ فيه اللبنانيون الاوروبيين في التجارة بين الحربين العالميتين الاخيرتين :

	١٩١٩		١٩٣٥	
	الاوروبيون	اللبنانيون	الاوروبيون	اللبنانيون
تيز	٥٠	١١	١١	١٠٠
كوميول	٥٦	١٠	٢٦	١٢٠
بامبي	٤٧	٤	٢٠	١٠٥
ديوربيل	٧٦	٣٠	٥٥	٢٠٠
تييت كوت	٥٨	١٢	٢٦	٢٣٢

وهناك دليل آخر على هذه الظاهرة عينها وهو التقرير الذي يقول فيه ديبورد (١٢) : « ان اللبنانيين يملكون اكثر من خمس وستين بالمئة من المؤسسات التجارية في ليبيريا، وانهم تفوقوا فيها على الجاليتين الاوروبية والاميركية في الحقل الاقتصادي » . هذا وقد قدرت التجارة اللبنانية في افريقية الغربية، بناء على دراسة اجريت عام ١٩٣٧، بما قيمته ٢٣٣ مليون فرنك .

وقد وصلت المشروعات اللبنانية في بعض المناطق الى مستويات عالية تتمثل بما قامت به جاليتهم في كانو بنيجيريا . فبين المشروعات الصناعية التي في ايديهم صناعة لحم الخنزير (التي قامت رغم نصيحة الحكومة وضغطها ، والتي غدت تصدر نتاجها الآن الى اوروبا الغربية) ، ومصنع للاحذية ، ومصنع للصابون ، وشركة للنقل البعيد بسيارات الشحن والصهاريج الكبيرة وغيرها، [16] ومصنع للطوب والبلاط المصنوعين من الاسمنت ، وآخر لصنع ادوات المطبخ . وهناك ، بصورة خاصة، مصانع لسحق الفول السوداني قام بها اللبنانيون انفسهم.« ويرجع اول انتاج آلي على اساس واسع الى سنة ١٩٤٢ حين انشأ احد رجال الصناعة السوريين معصرة... وقد وسعت هذه المعصرة مرات عديدة، كما انشأ السوريون ايضا ثلاث معاصر اخرى تنتج عشرة آلاف طن من الزيت وخمسة عشر الف طن من الحشاف » [17] . والواقع ان موظفا بريطانيا مسؤولا صرح في كانو بأنه لو انسحب السيد خليل مارون – وهو اعظم مقاول لبناني – من المدينة ، لتولدت فيها مشكلة بطالة على جانب من الخطورة .

وتشمل الصناعات التي اسست في مناطق اخرى من افريقية الغربية صناعة الاثاث، والثياب، وتجميع المعادن، والنقل ، والنشارة، والسكاكر، والمشروبات الحميمة، وحقائب السفر والثلج ، والعطور، والعاج ، وادوات الزينة ، والمياه المعدنية ، والسكاير .

وهناك حقل آخر للبنانيين فيه يد طولى ، هو امتلاك العقارات. ويمكن التأكد من ذلك بزيارة اية مدينة في افريقية الغربية . فحوانيت اللبنانيين تملكها عائلاتهم ، وفي اغلب الاحيان تديرها هذه العائلات ، ويتناوب فيها رب العائلة واولاده على الصندوق . اضف الى ذلك ، ان اقامة تلك العائلات هي في العادة داخل حوانيتها ، او وراءها ، او فوقها . وفي بعض المدن وكثير من قرى منطقة الادغال نسبة مئوية عالية من العقارات التجارية ووحدات السكن بناها ويملكها لبنانيون . ويروى انه بلغ ايراد احد اللبنانيين السنوي من ايجار عقاراته

اساسا لذلك ، فقبل الحرب العالمية الثانية كان التاجر اللبناني ، الذي يجمع بين المقدرة والرغبة في العيش بمستوى ادنى من مستوى الاوروبيين — سواء منهم الموظف او المقاول — قادرا على التحكم بتجارة المفرق . وكان يمتاز عن منافسيه الافريقيين بأن كان في مقدوره الاستدانة من المصارف [١٣] التي كانت تكره الى حد كبير اقراض الافريقيين . امـا بعد الحرب ، وبصورة اخص ، منذ عهد الاستقلال ، فقد تغير الحال بأسرة تغيرا جذريا .. اد غدا الافريقي اكثر مهارة من دي قبل في حقل الاقتصاد، وامسى ذا اثر متزايد في قضايا القروض وغيرها. واذا اضفنا الى هذين الامرين حقيقة بدء التاجر الافريقي بالتمتع ببعض المميزات ذاتها التي كان اللبناني يمتاز بها على الاوروبي ، كالرغبه في قبول مستوى معيشة ادنى من مستوى منافسيه، اذا اضفنا هذه الحقيقة امكننا التنبؤ بنتيجة الصراع. وتشير التقارير الى ان اللبنانيين، وفي مقدمتهم تجار المفرق . قد اخذوا سلفا في مغادرة بعض الاقطار .

وهناك رد فعل آخر ، على ما يبدو ، هو انتقال اللبنانيين الى ميادين من النشاط لا يزال الافريقيون عاجزين عن منافستهم فيها . ويعطي الملحق R من « دليل التجارة والصناعة » الغاني [١٤] صورة ممتعة عن الوضع هناك تعتمد على تمييز الاسماء اللبنانية : ففي قائمة : « المستوردون الرئيسيون الدين يستوردون جميع انواع البضائع » [١٥] اسم شركة واحدة تابعة للبناني بـــين ثلاث عشرة شركة . ولهذه الشركة ، التي هي « شركة ادورد بصار وشركاه » ، فروع في لندن وفي اماكن اخرى في افريقية الغربية ، ويمكن ان تعتبر عملا دوليا . وفي القائمة ايضا ، على سبيل العرض ، اسم هندي ، وآخر يوناني ، ولكنه لا يوجد اسم لافريقي . وفي قائمة الذين يمكن التحقق من هوياتهم ويتجرون بأجزاء الغيار للسيـــارات نجد انهم جميعـــاً من اللبنانيـــين . وبين كل عشرة من موزعي السيارات هناك اثنان من اللبنانيين ، وواحد يوناني ، والباقي من اوروبا العربية. وترد اسماء اللبنانيين بكثرة ايضا في قوائم « التجار العموميون » و « تجار المؤن » و « تجار المنسوجات » .

يستلمها الوسيط اللبناني بدوره من الشركات الاوروبية الكبيرة ، على ان يسدد الفريقان ديونهما عند الموسم . وكثيرا ما يورع هـــذا الوسيط نفسه المنتوجات التاجرة التي يشتريهـا من الشركات الكبرى على الافريقيين ، ولا سيما في الجهات الداخلية من البلاد. وقد يكون في الشكوى اللبنانية العامة في افريقية الغربية، من ان الافريقيين لا يسددون ديونهم ، قناع جزئي لحالة من حالات الربا. غير ان هناك من البينات ما يشعر بأن هذا النوع من العمل آخذ في الزوال، ليس لتدخل لجان التسويق الحكومية واشباههـا فحسب ، بل للصعوبات التي تلازم عملية التحصيل ايضا. وفي بعض المناطق، كمنطقة نخيل الزيت النيجيرية مثلاً، شركات تصدير لبنانية كذلك ، وهي شركات تبلـــغ من القدرة حدا يمكنها من تخطي البيوتات التجارية الاوروبية (١٨)

وهناك عمل آخر سيء السمعـــة هو التهريب ، ولا سيما تهريب المـــاس في سيراليون حيث

« نشأت طبقة كاملة من الوسطـــاء في (العقد الاخير) . . . معظمهم من اللبنانيين . ومن المفروض الا يبيع التجار ، المرخص لهـــم ، الحجارة الكريمة الا داخل البلاد . غير ان الواقع هو انهم من اكثر المهربين نشاطاً في المنطقة . وارباح جميع المعنيين منهم حسنة . فمواطن كانو (كذا) الذي يجـــد حجرا يبلغ وزنه اثني عشر قيراطاً يستطيـع ان يبيعه لتاجر لبناني بمبلغ ١٤٠٠ دولار . ويبيعه اللبناني للبناني آخر بمبلغ ٥٠،٠٠٠ دولار ، ويبيعه هذا بدوره الى شركة ماس شهيرة بمبلغ ٧٠،٠٠٠ دولاراً.» (١٩)

وتُهرّب العملة ايضا . غير ان اعمالا كهذه لا يجب ان تصم جالية بأسرها ، وهي ليست مقصورة على الجالية اللبنانية .

وهناك بالطبع اعمال اقتصادية اخرى متنوعة يعمل فيها اللبنانيون . فهناك منهم فئة قليلة من اصحاب المهن الفنية معظمهم من الاطباء واطباء الاسنان ، وعدد يسير من المقاولين ، والموظفين في مشروعات غربية. وقد صدرت جريدة عربية تدعى «افريقية التجارية» في داكار من سنة ١٩٣١ حتى سنة ١٩٣٥. وهناك عديد من المكتبات تباع فيها المنشورات العربيـة . ولعل الشركة الوحيدة في

في نيجيريا ثمانين الف جنيه استرليني ، ولا ريب ان هذا هو من اعلى الايرادات في البلاد . وقد اخذ هؤلاء التجارمعهم الى افريقية التقليد الشائع في الشرق الاوسط من حفظ الثروة إما على شكل مال مخزون وإمـا على شكل عقارات ، فشجعهم ذلك على البناء . اصف الى ذلك ان مشكلات النقود ، ولا سيا منذ بدء الحرب العظمى الثانية ، جعلت من الصعب عليهم ارسـال ارباحهم الى الوطن ، فتعزز فيهم هذا الميل . وفي بعض المناطق كان القانون يمنع تملك الاجانب او يحدده ، غير ان اللبنانيين كثيرا ما كانوا يداورون ذلك بالاتفاق مع افريقي يسجل العقار باسمه رسميا . وامتلاك العقارات الزراعيـة اقل شيوعا من غيره ، وهو ممنوع قانونا في بعض الاماكن . ومع ذلك ، فهناك ، خـارج داكار ، مزرعة كبيرة واحدة على الاقل يملكها ويديرها لبنانيون تستخدم فيها وسائل الري والزراعة الحديثة . وفي غينيا ، لم تكن المزارع التي انشـأها اللبنانيون على اراض قدمت هبات لاصحـابها مفيدة لذاتها فحسب ، بل سرعان ما عدت نماذج قلدها الافريقيون . وعلى غرار ذلك زرع اللبنانيون الموز والبن في ساحل العاج .

وثمة حقل اقتصادي آخر للبنانيين فيه باع طويلة جدا ، وهو وسائل اللهو. فهم يملكون الآن ، اوكانوا يملكون الى عهد قريب ، معظم دور السينما في افريقيه الغربية ، وكذلك جميع صـالات الرقص الفاخرة في غانه . امـا في المناطق الفرنسية سابقا فهم يملكون بيوت الترفيه التي يرتادها شبانهم بكثرة ، والتي لا دليل على قيام فتيات لبنانيات بالبغاء فيها . كما يملكون بعض الفنـادق والمطاعم الصغيرة وكثيرا من الحانات. ويملكون ايضا صالات الحلاقة للسيدات وحوانيت بيع الفساتين .

وهناك عدد من الاعمال الاقتصادية الاخرى التي يسهم فيها اللبنانيون .واول هذه الاعمال ، واهمها في التطور التاريخي للعمل اللبنـاني ، ما يمكن ان نطلق عليه عمل وسيط القروض الزراعية الذي يوجد بصورة خاصة في المناطق ذات المحصول الواحـد . ويتضمن هذا العمل عادة تسليف المزارع الافريقي نقودا

هناك اعتراض آخر يوجه للبنانيين ، وهو انهم يرسلون مـا يدخرون من مال في لبـان ، وبذلك يصدرون الى الخارج ، بشكل يجلب الضرر للبلاد ، مبالغ كبيرة من رؤوس الاموال . اجـل ، ان مما لا ريب فيه انهم يرسلون مدخراتهم من المال الى لبنان ، لان اعالة عائلاتهم الفقيرة في الوطن كانت احد الاسباب الهامة لهجرهم اياه . غير ان عمليات استثمار الاموال تشير ، مع ذلك ، الى انه حين يكون الجو الاقتصادي مضيافا فان نسبة عالية من رؤوس الاموال تبقى في افريقية الغربية . اما المضايقة الاقتصـــادية فتؤدي الى عكس ذلك ، اذ تدفع الناس ، الخبيرين في تهريب الاموال ، الى ارسال اموالهم الى اماكن اكثر امنا . وليس لدينا غير القليل من المعلومات الوثيقة عن مدى ما يحول من اموال الى الخارج . غير ان هناك تقريرا يقدر ان اللبنانيين في ليبيريا يحولون ما يقرب من خمسة ملايين جنيه ليبيري (اي ما يقرب من ١٦٬٦٠٠٬٠٠٠ دولار) سنويا ، [٢١] وهو مبلغ يصعب ان يعتبر استنزافا خطيرا للثروة ان اخذت بعين الاعتبار ثروة ليبيريا في المطـــاط والحديد . وثمت تقرير آخر يقول ان قيمة الحوالات المالية من افريقية الغربية الفرنسية قد بلغت عـــام ١٩٤٤ — ٤٥ ما يقرب من ١٦٠٬٠٠٠٬٠٠٠ فرنك .[٢٢]

وتكوّن « الاساليب غير المشروعة » — على حد قول احد موظفي الغرفة التجارية — تهمة اخرى توجه للبنانيين . وتتفاوت هذه الاساليب من التهريب ، والرشوة ، والتهرب من الضرائب ، وبيع السلع بأسعار تفوق الاسعار الرسمية ، الى مجرد مسك الدفاتر بطريقة غير وافية . ويكون احتكار السلع في الاسواق وتخزينها مصدر شكوى اخرى ضد اللبنانيين. غير ان تهمة الاعتماد على الاساليب التجارية المداورة قد لا تعني اكثر من ان القواعد المتبعـة في التجارة كانت على العموم غير محكمة وان اللبنانيين ، كغيرهم ، وجدوا فيها متسعا للمنـــاورة . وهناك امر آخر يشكو منه الافريقيون ، وهو مـــا يواجهونه من صعوبات في سبيل الاستدانة . ففي العقدين الثالث والرابـع كان جميـع القوميين في افريقية الغربية يعتقدون بأن المصارف ، وهي اوروبية ، تدعم اللبنانيين لاغراض سياسية .

لبنان التي تلعب دورا في افريقية الغربية هي شركة الطيران اللبناني (*) التي تقوم طائراتها برحلتين في الاسبوع بين بيروت والخرطوم وكانو واكرا ولاغوس وأبدجان . ولما كانت رحلات هذه الطائرات قد نظمت ، بصورة رئيسية ، لخدمة المهاجرين اللبنانيين في افريقية الغربية ، فقد وفرت لهم شعورا جديدا بالاطمئنان والاتصال بالوطن . ولعله ينبغي ان تأخذ الحكومة اللبنانية ورجال الاعمال في لبنان من نجاح هذا العمل المقدام، ومن نجاح المشروعات الاسرائيلية في افريقية الغربية دليلا لما يمكن عمله . ولعل مبادرة اريبة في هذا المضمار تستطيع ان تخدم لبنان ، وافريقية الغربية ، والمهاجرين اللبنانيين .

ويبدو ان هناك بعض المقاومة للمهاجرين اللبنانيين في افريقية الغربية على الصعيد الاقتصادي . ومن جملة التهم التي توجه اليهم انهم يعتمدون على افراد عائلاتهم بدل استخدام عدد اوفى من الافريقيين في اعمالهم . وانهم كذلك يستخدمون العمال الافريقيين بأجور منخفضة . وكثيرا ما ادانتهم بهاتين التهمتين صحيفة داكار الاسبوعية « اصداء افريقية السوداء » "Echos d'Afrique Noire" في مقالات عنيفة . فقد نشرت في احد اعدادها بخطوط عريضة بارزة : « على اللبنانيين السوريين ان يتخذوا موظفين افريقيين او فليرحلوا » . (٢٠) غير ان ما تكتبه هذه الصحيفة لا يمكن ان يحمل محمل الجد كليا . ومما هو اكبر شأنا من ذلك البند (e) من نداء عنوانه « الحريات المهددة » اثبته على لوحات الاعلانات في جميع ارجاء السنغال في ايار سنة ١٩٥٩ « اتحاد النقابات العام للعمال في افريقية السوداء » ، وهذا نصه الذي يطلب : « انشاء صندوق مخصصات البطالة تمده الحكومة الجمهورية السنغالية يغذيه، الى حد كبير ، اصحاب العمل، واللبنانيون السوريون الذين يهيمنون على القطاع الاقتصادي في البلاد » .

وليس من ريب في ان البطالة هي التي اتاحت لصحيفة « اصداء افريقية السوداء » فرصة طيبة للكتابة في هذا الشأن .

(*) صارت بعد كتابة هذا المقال مندمجة مع شركة « طيران الشرق الاوسط»

افريقية المتحدة واشباههـــا) على اللبنانيين . واهم تلك السياسات تلك التي تتعلق بالهجرة[٢٧] ، والتي تمنع منعا قاطعا ما يلي : (١) تسجيل شركات لبنانية جديدة للاستيراد المباشر ، او للبيع بالمفرق . (٢) توسع الشركات القائمة (عن طريق عرقلة زيادة موظفيها الغرباء الذين يشعر المقاولون بضرورتهم للتوسع). ٣) توسع الشركات التي تقتصر على الاستيراد، في مراحل اخرى للتوزيع . وقد ادى هذا الى تشجيع احتكار الفئات ، ان لم يكن الى احتكار الافراد . ويخلص السيد باور الى الاشارة بأن ما تفترضه تلك السياسات هو ان الافريقيين سيحلون محل اللبنانيين الغرباء الذين فرضت القيود على نشاطهم . غير ان سيراليون تقدم مثلا صالحا على ان هذا التطور المرتقب لم يحدث ، اذ جاء في تقرير حديث عن اشتراك الافريقيين في تجارة ذلك القطر انه حين انخفض مجموع تجارة اللبنانيين بانخفاض من ١٤٦١٪ الى ١١٦٧٪ زاد مجموع تجارة الشركات الاوروبية الذي طن، بينما انخفض مجموع التجارة العام بالمقدار نفسه تقريبا[٢٨] . وطالما لا يستطيع التجار الافريقيون منافسة غيرهم ، على الصعيد الاقتصادي ، فان استبعاد التاجر اللبناني المتوسط الحـــال يكون في مصلحة شركة افريقية المتحدة والشركة الفرنسية لافريقية الغربية ، لا في مصلحة الافريقيين انفسهم . والافريقي ، كما رأينا ، يتعلم المنافسة الآن ، غير انه ، كما يشير باور ، ان كان الافريقيون يتقدمون باعداد كافية الى هذا الميدان فلن تكون هناك حاجة للتضييق على اللبنانيين ، اذ ان المستهلك ، والتجارة بصورة عامة ، كلاهما يتضرران عند فرض حماية رسمية على التجار غير الاكفاء .

وفي ختام هذا الموجز عن دور اللبنانيين في اقتصاد افريقية الغربية ، لا بد ان يعترف المرء بأنهم كانوا في كثير من الاحيان، انانيين ومستهترين بالمبادىء،[٢٩] غير ان هذا لم يكن مقصورا عليهم وحدهم . وما هو اهم من هذا هو انه لا ينبغي ان نغض الطرف عن الدور الذي قاموا به في نشر السلع المصنوعة ومبدأ التوفير النقدي داخل البلاد ، وكذلك في توطيد مبدأ الربح القليل والبيع الكثير ، وفي القضاء على الاحتكار ، وفي البناء ، وتأسيس خدمـــات وصناعات جديدة ،

ومن المفترض ان تنطبق هذه التهمة على الشركات التجارية الكبرى ايضا . غير ان الواقع هو ان سبب هذا الدعم لم يكن، في رأي الموظفين الافريقيين والاوروبيين على السواء ، الرغبة في اخضاع الافريقيين ، بل كان لان المشروعات اللبنانية كانت « تتمتع باحترام المصارف البريطانية (و) ثقتها . . . »[٢٣]

ويقوم وراء كثير من هذه التهم الفرق بين النجـــاح النسبي الذي احرزه اللبنانيون مبتدئـــين من لا شيء ، والفقر النسبي للافريقيين ، يضاف الى ذلك كون الكثير من الموظفين الافريقيين والاوروبيين « يظهرون جهلا ملحوظا في عمليات اقتصاد قائم على الكمبيو والبيع والشراء »[٢٤] ، وتبدو النغمة العامة الغالبة على نقد اللبنانيين في بيان القاه الرئيس س .ل . اكنتولا (اوشون وست) في مجلس النواب النيجيري ، حيث قال :[٢٥]

« علينا ان نعمل كل ما في وسعنا لحماية الرخاء الاقتصادي لهذه البلاد ، وعلى اعضاء هذا المجلس بأسرهم الموافقة على الحد من نشاط هؤلاء (اللبنانيين) « اذا سافرتم الى الاقليم الشمالي ، فمن يقوم بادارة المواصلات فيه ؟ انهم دائبون على لفت نظر الحكومة الى هذه الامور ، ولكن يبدو انها لن تقوم بعمل ما ... نقول ان (اللبنانيين) يجب ان يكفوا عن العمـــل بتجارة المفرق ، ولكن ماذا يعمل الكثيرون منهم اليوم ؟ انهم يبيعون جميع انواع السلع ، وينتزعون العمل من ايدي ابناء شعبنا ... » .

وفي الجلسة ذاتها قـــال السيد جاجا واتشكو (ابا) ملاحظا : « انهم متى ظفروا بما يريدون فسرعان ما يختفون في الهواء الرهيف » .

والخطـــأ الأصيل الذي وقع فيه الافريقيون وطبقة الموظفين الاوروبيين السابقين هي ان « الثروة المتراكمة انمـــا اكتسبت عن طريق افقار الزبائن او المنافسين وحسب ، وان ثروة الشركات التجارية انمـــا انتزعت من الافريقيين ، وانها ليست وليدة اعمال التجار وجهودهم »[٢٦] . وعلى ما يرى السيد باور من جامعة كيمبردج ، فقد نجم عن هذه العقيدة الخاطئة ، مقترنة بعدم ثقة الموظفين باللبنانيين ، سياسات تميل الى تفضيل الشركات الاوروبية الكبيرة (كشركة

وانهم كانوا يعدّون انفسهم ارفع منزلة من « ابناء البلاد » الذين قلما كان يتوقع منهم ان يرحبوا باللبنانيين . والواقع ان علينا ان نعترف بان اللبنانيين ابطأوا في ادراك الخطأ الذي ارتكبوه بشعورهم بأنهم اعلى مرتبة من الافريقيين . وقد قال سوداني بارز اقام في كانو مدة طويلة : « لا يزال اللبنانيون يعدون انفسهم ارفع منزلة من غيرهم . لقد كان من عادة البريطانيين ان يفعلوا ذلك ، ولكنهم تغيروا » . ومن الناحية الاخرى ، فقد لاحظ الاوروبيون هؤلاء القادمين حديثا الى البلاد وهم يصلون اليها ويعيشون عيشة بدائية ثم ينافسون غيرهم اقتصاديا ، فازدروهم واستمر هذا الازدراء حتى بعد ان اخذت تظهر عند اللبنانيين طبقة توازيهم من الناحية الاجتماعية والاقتصادية [٣١] . وفي التحليل النهائي ، لما كان ارباب الادارة المستعمرون هم الذين يسيطرون على الاقاليم المختلفة ، فان « المسؤولية الكبرى تقع على عواتقهم لسماحهم للجالية ما بأن تستقر وتنمو وتشعر (كذا !) بانها لا تنتمي لا للسلطة المركزية في العاصمة ولا للمجتمع المحلي ، مما نجم عنه بالطبيعة شعور بعدم المسؤولية بين كثير من اللبنانيين » [٣٢] .

وتبدو طبيعة المهاجرين المغلقة بارزة في حالات عدة اكثرهـــا تمثيلا نمط سكناهم في المدن الصغيرة والكبيرة ، اذ تعيش معظم عائلات التجار منهم ، كما اشرنا ، وراء حوانيتهم او في الطابق الثاني فوقها . وتحتشد هذه الحوانيت ذاتها في شارع او اثنين من شوارع المدينة . وفي كانو هناك شارات توجه الى الاحياء اللبنانية . وفي غيرها من الاماكن توجد شوارع يحمل كل منهـــا اسم « شارع لبنان » او ما يماثل ذلك ، كما توجد قرى سميت باسماء قرى في لبنان [٣٣] وباختصار ، فان هذه المساكن المتصلة بالحوانيت تحتشد بشكل كثير الشبه بالغيتو Ghetto [٣٤] .

وهناك دلائل اخرى تشير الى النقطة السالفة نفسها منها تأسيس أندية لبنانية لاغراض اجتماعية ، في كثير من المدن التي يسمح فيها عددهم بذلك . وكثيرا مـــا كانت هذه الاندية قصيرة الاجل بسبب الانشقاقات الطائفية اللبنانية او

وبصورة عامة ، في خلق مؤسسات ، ومهارات ، ومتاجر ، وطاقة بشرية ، في افريقية الغربية . وقد ذكر قس اقليمي (بريطاني) في نيجيريا الشمالية بصراحة، ان وجود اللبنانيين هو امر جوهري لاقتصاد تلك البلاد .

٤ ــ حياتهم الاجتماعية

يبدو بصورة عــــامة ان الجماعات اللبنانية في افريقية الغربية هي فئات اجتماعية مغلقة ومنعزلة وغير مندمجة بغيرها ، اذ على الرغم من انعدام التمييز العنصري المبني على اللون – على الاقل بشكله الفاضح – فان شعورهم الجماعي تجاه الافريقيين والاوروبيين على السواء لا يزال محدودا ، مع انه من الممكن ان يكون الآن في طريق الاتساع . وفي الواقع ، لقد كان من اهم العوامل الرئيسية في وضعهم الاجتماعي بــــين الفئتين الرئيسيتين، في الماضي، طبيعة هذا الوضع المضطرب المقلقل الغامض الحدود . وبصورة خاصة ، لم يكن واضحا لدى الافريقيين مــــا هو وضع اللبنانيين في مجتمع ثنائي . ويلمح ذلك من خلال النادرة الليبيرية التالية : «سئل مرة زعيم من زعماء قبيلة الكرو، وكان مسافرا على احدى البواخر القـــادمة للبلاد ، عن عدد الركاب الذين انزلوا الى الشاطئ فأجاب : « يالله ؛ انهم خمسة رجال بيض ، وسبعة رجـــال سود ، وثلاثة من الاشوريين (السوريين) » . (٣٠)

والاسباب الاساسية لهذه العزلة انما تنشد في التباين الجسدي والاجتماعي بين المهاجرين اللبنانيين من جهة ، وبين السكان الافريقيين او المستعمرين الاوروبيين من جهة اخرى . وكذلك في المستوى الاقتصـــــادي والاجتماعي المنخفض لطائفتين من هذه الطوائف الثلاث . ولا ريب في ان افتقار كل من هذه الطوائف الى خبرة سابقة تسترشد بهــــا في مناخ مختلفة ، كتلك المناحي التي تطورت تدريجيا في الولايات المتحدة، كان ايضا من العوامل التي ادت الى العزلة. اضف الى ذلك انه مهما كان مستوى اللبنانيين الاقتصادي والاجتماعي منخفضا ، ولا سيما في الايام الاولى حين كان مستوى عيشهم قريبا من مستوى الافريقيين ،

الاضل الى لبنان هي مخيبة للآمال في الغـــالب . ومن التجارب التي تسترعي الاهتمام في هذا المضمار المدرسة التي اسست في بيت شباب بلبنان لاطفال اللبنانيين في افريقية نتيجة للتبرعات التي جمعها الاب بولس ابوجودة عندمــا كان في افريقية .

واهم من هذه النقاط ان اللبنانيين يتزوجون في الغالب من مجتمعهم ، ومن بنات ملتهم في العادة . وفي السنوات الاولى لجاليتهم ، قبل حتى سنة ١٩١٨ ، حين كانوا « تجارا متجولين » ، او كانوا يقيمون في « اكواخ صغيرة بلدية » ، كانوا يأتون البلاد عادة دون عائلات ، ذلك لانهم كانوا عزابا ، او لانهم كانوا متزوجين ولكن لا يقوون على احضار عائلاتهم الى افريقية . ونجم عن هذا ان كان عدد النساء اللبنانيات قليلا جدا، وان شاع تزوج اللبنانيين بنساء افريقيات او اتخاذهم منهن حظيات . وغالبا ما وجد الرجال من الجنس خافزا رئيسيا لتعلم لغة البلاد ، شأنهم في ذلك شأن الجنود المقيمين خارج بلادهم [٣٦] . وقــد جرت العادة احيانا ان يطلق اللبناني زوجته الافريقية حالما تزدهر حاله الى حد يستطيع معه استقدام زوجة لبنانية الى افريقية . وقد اصبحت العلاقات المختلطة نادرة جدا . ففي جوس (Jos) بنيجيريا ، اصبح اثنان من اللبنانيين منبوذين من جماعتهم بعد ان تزوجا مؤخرا امرأتين افريقيتين . وفي المناطق الفرنسية سابقا ثمة زيجات قليلة بين الرجــــال اللبنانيين والنساء الفرنسيات واقل منها بين فرنسيين ولبنانيات. وحالة النساء اللبنانيات في افريقيا الغربية لا تختلف اختلافاً ملحوظاً عن حالتهن في لبنــان . وقد ظل استعمال الحجاب شائعا بين المسلمات منهن حتى سنة ١٩٣٨ .

وثمة جانب آخر من الحياة حافظ فيه اللبنانيون على هويتهم المستقلة ، بعض المحافظة ، الا وهو الدين . وتنطبق هذه الظاهرة بشكل خاص على الموارنة ، ولا يمكن تفسيرها بأي عامل من العوامل المحلية في افريقية الغربية بل في لبنان نفسه حيث ما برح التمسك بالشعائر غاية في القوة ، وقد انتقل هذا في الواقع الى مختلف بقاع العالم ، حتى في المناطق التي تتم فيها عملية « الانصهار » بسرعة .

المنافسات الشخصية . غير انه في بضع حـــالات كانت تؤسس اندية متنافسة نتيجة لهذه الانشقاقات. ويكوّن « الشاطيء اللبناني » مظهرا آخر لهذا الشعور الجماعي . والاقبـــال على الاطعمة اللبنانية التقليدية بين اللبنانيين شائع في المنطقة كلها. اما التهم التي يوجهها الاوروبيون والافريقيون على السواء للبنانيين، بانهم يسوقون سيارات اميركية براقة كبيرة — ويسوقونها بسرعة خـارقة — فمبالغ فيها على الارجح . والى الحد الذي تكون فيه صحيحة ، فانها تشعر بان اللبنانيين قد حملوا على نشدان مركز اجتماعي في مجال السيارات لانهم حرموه في مجالات اخرى .

ويميز المستوى التربوي والطرق التربوية المتبعة الحالية اللبنانية ايضـــا عن غيرها . فكثيرا ما يعهد بنشئة الاطفال اللبنانيين قبل ارسالهم الى المدرسة ، الى مربيات افريقيات ، حتى ليكبر بعض الاولاد وهم لا يعرفون العربية ، اذ انهم يتعلمون اولا اللغة الافريقية المحلية ، ثم يدرسون في المدرسة اما الفرنسية او الانكليزية . اما فيما يتعلق بالمدارس ، فهناك مدارس خاصة في عدد من المدن لتعليم الاطفـــال اللبنانيين . ولعل اعظم مدرسة من هذا النوع مدرسة داكار الجديدة ، تلك المدرسة التي شيدت على ارض وهبتها الحكومة ، وهي لا تضم اطفال اللبنانيين في داكار فحسب ، بل ستحوي قسما داخليا يمكن ان يلتحق به الطلاب الآتون من جميع ارجاء السنغال ايضا . وتنم هذه المدارس عن رغبة اللبنانيين الشديدة في تزويد اطفالهم بتعليم افضل مما تزودوا به هم انفسهم . وكما يقول جايي Gayet : « ان الاحصاء الذي اجري عام ١٩٥١ يظهر ان من بين ٥٥٧٤ لبنانيا تلقى ٣٦٩ التعليم الابتدائي العالي، ومن بين ٣٩٥٠ لبنانيا تلقى ٨٤ التعليم الثانوي العالي او التعليم التقني » [٣٥] . ويؤم معظم الاطفال المدارس العامة والخاصة للتعليم الاولي ، كما ترسل العائلات القادرة اطفالها الى لبنان او — بدرجة اقل — الى فرنسا او انكلترا للتعليم الثانوي والعالي . وكثير من هذه العائلات انمـــا تفعل ذلك وهي تقوم بتضحية كبيرة . ويتكون من الخريجين « العائدين » عادة اصحاب المهن الفنية . ومهما يكن من امر ، فان نتائج رسال

« ان كلمة « عبد » تعبير جارح قادر على بث روح المرارة في اكثر المجتمعات مرحاً . انما نعلم ان اللبنانيين (الذين طمعوا وسمنوا وتنعموا على موائد ضيافتنا) هم الذين يوجهون هذه الاهانة المرية للافريقيين كل يوم ، وعلى الحكومة ان لا تتردد في تأكيد الشخصية الافريقية بطريقة حازمة ، وذلك بترحيل اي من هؤلاء العصاميين انصاف الالهة حالا ، حالما تتوثق ان افريقياً قد اهين بهذه الطريقة .

« انما احرار في بلدنا . وليعلم التجار اللبنانيون المستوطنون اننا لسنا مستعدين لان نتغاضى عن مثل هذه الاساءات العنصرية . وان كل من يرى رجلا حرا وينادیه بالعبد هو اخس من سلعة في مجتمعات الرق القديمة — انه حيوان سادج ، ومخلوق قد فسد عقله اما بالتمادي في حيل نهب الاموال او بالجشع الذي لا يرحم » .

وورد في العدد نفسه خطابان الى المحرر يدعمان هذه الافتتاحية وبعد عددين جاءت افتتاحية اخرى تجري على النهج نفسه ، ورسالة من لبناني يؤكد فيها المعنى الديني للكلمة وينفي دلالتها التحقيرية .

ومن جهة اخرى ، فقد كانت قابلية التكيف من اهم مآثر اللبنانيين ، ولم يجارهم فيها الا قلة من الاوروبيين ، من حيث علاقتهم بالافريقيين . وربما كان التكيف اللغوي ابرز مظاهرهم الناجحة . فقد اعتاد اللبنانيون ، نظرا للحاجة الى عدة لغات في البيئة الاصلية في لبنان ، تقبل فكرة تعلم لغات اخرى الى جانب اللغة العربية الام . وقد اندفع اللبنانيون ، وخاصة الرحال منهم ، بحكم مصالحهم التجارية وغيرها ، الى تعلم اللغات الاوروبية المتصلة بحياتهم . وفوق ذلك فقد تعلموا ، بدرجات مختلفة ، لغة افريقية واحدة على الاقل تتصل بحياتهم . وهناك لبناني في دكار يستطيع حتى نظم الشعر بلغة الولوف Woluf ، كما ان جميع اللبنانيين الذين يسكنون نيجيريا الشمالية يتكلمون الهاوسا Hausa وقد روي ان بعضاً منهم في نيجيريا الغربية يستطيعون القاء خطابات رسمية بلغة يوروبا Yoruba . وهم بلا شك يشكلون اضخم مجموعة غير افريقية في العالم ، تعرف لغات افريقية الغربية .

فدكار واكرا تفخران بكنائسهما المارونية ، ويمكن ان تكون ثمة مدن اخرى تفعل ذلك . ومهما يكن السبب ، فأن الكنائس « المنفصلة » قد تدعم اتماطا اخرى من الانفصال .

ومن ناحية اخرى، يبدو على المسلمين اللبنانيين ، سواء منهم السني والشيعي، فتور ديني بشكل عام . فهم يتوجهون الى الافريقيين اخوانهم في الدين في مناسبات كعيد الاضحى ، لكنهم قلما يصلون حتى صلاة الجمعة ، ولم يقوموا ، بالتأكيد ، ببناء اية مساجد . اضف الى ذلك انه يبدو انه لم يكن لهم اى اثر تقريبا في نشر الاسلام في افريقية الغربية . ولكن من الواضح ان كونهم مسلمين قد مهد امامهم في عهدهم الاول بالحالية لقبول المسلمين الافريقيين لهم وقد حسب هؤلاء المسلمون الافريقيون ان كل لبناني يجب ان يكون مسلما ما دام يتكلم العربية ــ فقد كاد الاسلام والعربية ان يكونا شيئا واحداً لدى الافريقيين .

وما تزال العربية وسيلة التعبير الرئيسية بين جماعة اللبنانيين، رغم ان استعمالها قد بدأ يخف بين ابناء الجيل الجديد ، وعلى هذا تكون اللغة مظهرا آخر من المظاهر المميزة لهذه الجماعة . والحقيقة ان تعبيراً خاصا باللغة العربية قد اصبح مثارا لعداء الافريقيين للبنانيين . فالكلمة التي تستعملها الجماعات المتكلمة بالعربية ، بشكل تقليدى وغريزي ، للدلالة على الافريقيين ، هي كلمة « عبد » التي جمعها « عبيد » . والكلمة اصلا ، تعني « خادم » ، وخاصة « خادم الله » ، كما يوحي بذلك اسم « عبد الله » الشائع باللغة العربية ، واسماء اخرى تعطي فيها هذه الكلمة الدلالة نفسها . وبالاضافه الى ذلك ، فان للكلمة معنى ثانيا هو « العبد الرقيق » ، وبالتالي « الزنجي » . ونظرا لحساسية الافريقيين الواعية تجاه شبح الرق ، وكل ما يوحي بالتمييز العنصرى ، فقد جعلوا من كلمة عبد او عبيد منطلقا للشعور المعادي للبنانيين . واصدق تمثيل لهذا الشعور الافتتاحية التالية التي عنوانها « اوقفوا هؤلاء اللبنانيين » وهي مقالة مكتوبة بالاسلوب المرصع الذي تتميز به الصحافة الناطقة باللغة الانجليزية في افريقية الغربية ، وقد نشرت في جريدة الرئيس نكروما « ايفنينج نيور »

والرحيل المتزايد لموظفي الحكومة الاوروبيين من افريقية فيما بعد ، اضحى اللبنانيون ، من وجهة النظر الافريقية ، مجرد جماعة غريبة اخرى في افريقية العربية .

وقد صمّما القول فيما سبق ان اللبنانيين كانوا دائما يرغبون في ان تقبلهم الفئات المختلفة على انهم من « الاوروبيين » ، ويحتمل ان تكون الاحداث الاخيرة قد حققت هذه الرغبة تحقيقا جزئيا . فان الاوروبيين ، بعد ان احسوا بانهم مهددون بخطر متزايد ، تجـاه القومية الافريقية ، اظهروا رغبتهم اكثر من اي وقت مضى ، في قبول اللبنانيين الى حظيرتهم ، خاصة اذا عرفنا ان الجيل اللبناني الجديد في المدن الكبرى قد حقق مستوى اجتماعيا — اقتصاديا مماثلا لمستوى الاوروبيين انفسهم .

لقد نظرنا الى الجماعة اللبنانية كما لو كانت جماعة متجانسة ، وغالبا ما يفترض المراقبون الغربيون الافتراض نفسه . غير ان هذا ، في الواقع ، بعيد عن الصحة . ان الانشقاق المسلم — المسيحي الاساسي الذي اشرنا اليه فيما سبق ، قد امتد الى الحياة الاجتماعية عموما ، كما بدأت تظهر ، وبشكل ملموس ، روافد اخرى على جانبيه . والطبقات الاجتماعية بين اللبنانيين قائمة ايضا على اساس اقتصادي . اما الخلافات السياسية ، التي تعكس الخلافات في الوطن العربي الام ، فقد اصبحت حادة جدا في العقد الماضي بشكل خاص ، كما سنرى في الفصل التالي وقد عملت مع ما يلازمها من خلافات دينية ، واقتصـــادية ، على خلق مجموعة معقدة من الخلافات داخل الجالية .

وباختصار ، لما كان لبنان قد اصبح دولة كاملةالسيادة تعترف بها مجموعةالدول كواحدة منها ، ولما كانت افريقية الغربيـة قد اصبحت سيدة نفسها ، فقد غدا اللبنانيون يتمتعون بمنزلة اجتماعية نادرة ومرموقـــة الا انهم ، مع ذلك ، بقوا اقلية معزولة ، ومستهدفـة للضغط ، ورغم انهم الفئة الوحيدة غير الافريقية ذات الجذور الراسخة في المنطقـة ، فهم لا يستطيعون ولا يحبذون الاندماج

وتسهم الجالية اللبنانية بالطبع في عدة مجالات من حياة مجتمع افريقية الغربية. فان تبرعاتهم المالية للمشروعات الخيرية، او للاحتفالات المحلية – رغم انها قد تفرض عليهم اول الامر – قد غدت مصدر اعتزاز لهم. كما ان مشاركتهم في الحياة الرياضية يشهد لها، مثلا، تقرير عن هزيمة نيجيريا امام غانا عام ١٩٥٩ في مباراة البطولة النسائية في كرة الطاولة لافريقية الغربية. ففي الفريق الغاني المؤلف من اربع لاعبات كان من اليسير تمييز اسمي لاعبتين لبنانيتين. وثمة مثال آخر على ذلك هو الكأس الفضية التي قدمها احد اللبنانيين، وكان عام ١٩٥٩ رئيسا لجمعية الكرة الطائرة في اكرا، لبطولة الرابطة الوطنية الغانية. واما السيد شاول ركاح فيعد من اركان جمعية كانو لسبـــاق الخيل كما ان لبنانيي اكرا يملكون كثيرا من جياد السباق.

ويمكننا القول، على سبيل الافتراض العام، ان الاتصال بين اللبنانيين والافريقيين قد تجاوز النطاق التجاري وزاد زيادة ملحوظة في السنين الاخيرة، غير انه لم تنشق منذلك اواصر قربى حقيقية بينالفريقين. وكان العامل الاقوى في زيادة هذا الاتصال، بلا شك، هو ان الافريقيين قد تسلموا، او اوشكوا ان يتسلموا زمام الامور. فقد اصبحوا الان الفريق الذي يجب ان تتودد اليه الجماعة الثانوية. وكان من نتيجة ذلك ان اصبح حضور اللبنانيين للاحتفالات الافريقية، او دعوة الافريقيين الى احتفالات لبنانية، نهجاً متبعاً. الا انه يبدو ان مثل هذا الاختلاط اكثر ما يحصل في الاحتفالات المختلفة. ففي ايام الاحتلال ربما كان من النادر ان يولي اللبنانيون الافريقيين اهتمامهم، ورغم انهم انفسهم كانوا ادنى درجة او درجتين من الاوروبيين، في اعين الاوروبيين على الاقل، فانهم كانوا كذلك اعلى درجة من الافريقيين في نظر انفسهم. ومهما يكن من امر، فانه على الرغم من شعور اللبنانيين بانهم كانوا اوروبيين بالفعل، فقد نشأ هناك نوع من اواصر القربى بين اللبنانيين والافريقين، اذ ان الفريقين كليهما، لعدة عقود خلت، كانا مستَعمرَين في وطنيهما الاصليين، فسهل عليهما ان يتعاطفا في موقفهما حيال الاوروبيين. وبعد استقلال سوريا ولبنان،

في شهري شباط وآذار من عام ١٩٤٨ . وقد ادى التضخم الذي عقب الحرب، في كانون الثاني عام ١٩٤٣ ، الى تنظيم حركة المقاطعة المسماة «ني كوابينا بون» Nii Kavabena Bonne التي انتشرت في طول البلاد وعرضها ضد التجار الاوروبيين واللبنانيين لارغام اصحاب المتاجر على تخفيض الاسعار . وقد استمرت المقاطعة مدة شهر تقريبا . وصادف انتهاؤها (في ٢٨ شباط ١٩٤٨) حدوث مظاهرة قام بها الموظفون القدماء ، وهم يزعمون ضمنا ، ان التضخم قد جعل رواتبهم التقاعدية غير مرضية . وقد كانت المظاهرة مرخصاً بها ، الا انها على حد تعبير البرفسور آبتر Apter « قد انقلبت زحفا على قصر الحاكم ... ورفضت التوقف بناء على نصيحة الشرطة، فاطلقت النار على المتظاهرين ، وقتل رجلان ... » . ويواصل الرئيس نكروما وصفه للحادث بقوله :

« عندما بلغت اخبار اطلاق النار الى المركز التجاري في اكرا، حيث كان المئات من الافريقيين يقومون بشراء حاجاتهم لاول مرة منذ توقف المقاطعة، التهبت مشاعر الناس بطبيعة الحال ... وخلال دقائق معدودة دب الاضطراب في المدينة . وشرع الافريقيون بمهاجمة اصحاب الحوانيت الاوروبيين والسوريين لانهم رفضوا تخفيض اسعارهم تخفيضاً اعلى من قبل انه شرط من الشروط التي اوقفت بموجبها المقاطعة ، فنشبت اعمال الشغب والسلب واستمرت عدة ايام » .

اما في اضطرابات كانون الثاني عام ١٩٥٠ ، التي تكاد تكون كلها سياسية ، فقد دخل اللبنانيون حلبة السياسة مباشرة ، فصبيحة اعلان نكروما الداعي الى « العمل الايجابي » بدأت الاضطرابات والاعتقالات وما شابه ذلك :

« ففي شوارع اكرا عين المواطنون السوريون واللبنانيون والبريطانيون كشرطة خاصة ، وسلحوا بالهراوات لمساعدتهم على حفظ النظام . وقد قبض بعض هؤلاء على القانون بايديهم ، وبدا كأنهم كانوا يتلذذون بضرب كل من يصادفونه ماشياً قربهم واصبحت اكرا مسرحاً للاضطهاد. وفي هذه الاثناء فقد بعض الاشخاص دون ان يسأل عنهم احد ، كما ان آخرين جرحوا بالتأكيد».

. التحالف الرسمي بين اللبنانيين وسلطات الاحتلال ، ذلك التحالف الذي كان آخذا في الضعف تدريجيا (كما اتضح بعد ذلك على الاقل) تمهيدا للرضوخ

الفعلي في مجتمع افريقيــة الغربية الناشيء . الا انهم ، رغم الخلافات الناشئة في بينهم ، يحسون بضرورة الدفاع عن موقفهم كجماعة.

٥ ــ الجانب السياسي

يمكن الافتراض عموما انه ما دام الوطن الثاني ، افريقية الغربية ، والوطن الاصلي ، لبنان وسوريا ، تحت حكم استعماري او شبه استعماري ، ومــا دام المهاجرون اللبنانيون فقراء وغير متعلمين ، فانهم قد مــالوا الى الانصراف الى عملهم ، ولم يتعاطوا السياسة الا بقدر ضئيل يمكن اهماله . غير ان الوضع قد تغير بسرعة ، نظرا لازدهار حالهم ، وتحقيق الاستقلال في وطنهم لبنان ويقظة القومية الافريقية التي تمخضت ، بعد سنوات قليلة ، عن استقلال اكثر الدول . فلم يعد هناك بالنسبة للبنانيين حكومة قوية تمارس السيطرة على موطنهم الاصلي وتعد نفسها مسؤولة في النهاية عن حمايتهم الدبلوماسية . ولم يعد بامكان اللبنانيين الظن انهم يستطيعون الحفاظ على خيراتهم التجارية المتفوقة بشكل عام ، والتي تمكنهم ، حتى اذا حافظوا عليها، من الاحتفاظ بمكانتهم تجاه الافريقيين .واخيرا، فان السياسة العربية في الوطن الام، سواء منها المحلي والعالمي ، قد اصبحت امرا شاغلا للافكار فتسببت عنه ، في بعض الحــالات، نزاعات خطيرة في الحالية في افريقية الغربية .

والظاهر ان ردة الفعل الغريزية للمهاجرين حين دنت ساعة الحسم في افريقية الغربية ، كانت ربط انفسهم بقوات الاحتلال . ولم يكن هذا التصرف ، المبني على الاحساس بفرق اللون ، وعلى الرغبة في المحافظة على الوضع الراهن للبنانيين والاوروبيين ، وعلى الربط بين اللبنانيين والاوروبيين من جانب الافريقيين، غير طبيعي ، ولكنه كان بالتأكيد يدل على قطر النظر. فالاحداث المثيرة التي جرت في ساحل الذهب بين عــامي ١٩٤٨ و ١٩٥٠ تزودنا بمثل من افضل الامثلة على ردة الفعل هذه . وعلى حد قول الرئيس نكروما : « ان المصــاعب السياسية والاقتصادية وفقدان الاستقرار الاجتماعي بعد الحرب ، هي التي ادت الى الازمة

« وقبل الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم ، بدأ الاعضاء الغرباء يتوافدون . وفي الخامسة كان عدد كبير منهم قد وصل . فوقف زعيمهم عندئذ والقى فيهم خطبة قال فيها : « اننا نجتمع هذا المساء لمناقشة الطرق والوسائل التي يمكننا بها مساعدة اعضاء حزب المؤتمر ، اسيادنا ، للفوز في الانتخابات القادمة . وينبغي ان اذكر جميع الحاضرين بأننا ، نحن زعماءكم ، قد دعينا منذ مدة الى كادونا من قبل الحزب ، واوصينا بان نخبر كلا منكم بان يعمل لفوز هذا الحزب في الانتخابات . ونبهنا كذلك الى اننا غرباء في كانو ، واننا اذا امتنعنا عن مناصرة الحزب فسوف نعاد كلنا الى اوطاننا . ايها السادة ، انكم تدركون ما في عودتنا الى الوطن من سوء . فقد حصل اكثرنا ثروته هنا . وولد كثير من اطفالنا هنا . فاذا ما خذلنا حزب المؤتمر فان ذلك يعني نهايتنا .

« ان حزب المؤتمر الان هو حكومة الشمال . وانتم تعرفون النتيجة اذا ما خذلناه . ولهذا ، ايها السادة ، فاني اهيب بكم الى اعطاء اموالكم واصواتكم الى الحزب . ولا خلاص لنا الا بهذا . اسمحوا لي بالعودة الى مقعدي » . ولم يكن ثمة تهليل او تصفيق تحية لخطابه . بل بدا على سامعيه التجهم . واعتلى المسرح بعد ذلك يمي يدعى علي ، وطفق يلعن الزعيم ، لكنه ارغم على السكوت . وضربت الفوضى اطنابها بعد ذلك ، وفي هذه اللحظة وصل الى الاجتماع رسول خاص من حزب المؤتمر ، فصمت الاحداث جميعهم وخلين وخاطبهم بعد ذلك الرسول بقوله «ان اسيادي زعماء حزب المؤتمر الشعوب الشمالية قد ارسلوني اليكم . كلكم يعلم بالانتخابات التي ستجري هذه السنة . ونحن نخشى السقوط ، ولهذا قررنا مخاطبتكم مباشرة . ربما كان زعماؤكم هنا قد اخبروكم عن اجتماعهم الى زعماء حزبنا في كادونا . انني لن اتلاعب بالالفاظ. فاذا لم تساندونا ، فسوف تغادرون نيجيريا . فمعظمكم قد جمع ثروة في شمالي نيجيريا ، ويجب ان تتوجهوا لذلك بالشكر لحزب المؤتمر . واذا اسهمتم بمقادير وافية من اموالكم في خزائن الحزب ، فانه عندئذ سيربح الانتخابات، وسيسمح لكم بممارسة اعمالكم كالسابق . واذا لم تفعلوا ، فانتم تعرفون البقية. وعليكم ان لا تنسوا ان الحزب يسيطر على الامراء والرؤساء والمناصب العليا في الشمال ، لذلك فانتم اسماك صغيرة تجاهنا . واذا لم تتفقوا معنا ، فسوف نلجأ الى القوة . وشكراً لكم ايها السادة . » وما كاد رسول حزب مؤتمر الشعوب الشمالية الخاص هذا يأخذ مجلسه حتى قفز زعيم هؤلاء الاعراب من مقعده وهو يرتجف وينتصب عرقاً ، وقدم ٥٠٠٠ جنيه الى الحزب ، وحذا آخرون حذوه . وكان ثمة متمردون بالطبع، لكنهم اخضعوا كلهم . وبعد التصويت،

للمطالب القومية ، قد ترك اثرا سيئاً في نفوس الغانيين ، واقر الزعماء اللبنانيون المحليون بانه قد كان غلطة خطيرة .

وحالما اتضح ان دولة افريقية الغربية ستنال الاستقلال ، وبشكل خاص عندما نالته بالفعل ، واجه اللبنانيون وضعا جديدا تماما ، فقد اجبروا على تغيير فرضياتهم ، في الظاهر على الاقل ، وعلى تكييف انفسهم وفق النظام الجديد . ومن وجهة نظر سياسي افريقية الغربية ، فان وضعهم المكشوف ، وثروتهم الحقيقية او المزعومة، قد جعلا منهم هدفا طبيعيا لمحاولات تفرض عليهم تبرعات قسرية تقريبا للفئات السياسية . وفي الوضع الجديد ، انما تصبح تبرعات هذه « الفئة المحاصرة» ، اذ ذاع امرها بشكل عام ، سببا في انهيار مكانة هذه الفئة.

وقد بدأ نوع ثان من هذه « القضية الشهيرة » في نيجيريا يوم الرابع من آذار عام ١٩٥٩ في صحيفة الدايلي تايمز Daily Times ، وهي جريدة مستقلة تصدر في لاغوس ، اذ ذكرت باختصار ، ان جناحا « شرقيا » لحزب « مؤتمر الشعوب الشمالية " NPC " (٣٧) قد تشكل في كانو من السوريين واللبنانيين ومواطنين آخرين قدموا اصلا من الشرق الادنى ، وان ما قيمته ٦٠٠٠ جنيه قد جمع كهبة اثناء الاجتماع الافتتاحي . وبعد ذلك بشهرين (٣٠ نيسان) اثيرت هذه القضية مجددا في صحيفة النورثرن ستار Northern Star ، وهي جريدة يومية تصدر في كانو وتنطق باسم الحزب المنافس لحزب مؤتمر الشعوب الشمالية ، وهو حزب « جماعة العمل » Action Group ، الذي يتزعمه الرئيس اوبافيمي اوولوو Obafemi Awolow والذي مركزه في نيجيريا الغربية، وفيما يلي نص التقرير الكامل المنشور في النورثرن ستار ، وعنوانه « اجانب يفتتحون فرعا لحزب مؤتمر الشعوب الشمالية » :

« علمنا من مصادر وثيقة ، ان العناصر السورية واللبنانية واليمنية قد افتتحت لنفسها فرعاً لحزب مؤتمر الشعوب الشمالية في كانو يوم الثلاثاء الماضي بتاريخ ٢٨ نيسان عام ١٩٥٩ . وقد عقد الاجتماع ، كما تقول مصادر موثوق بها ، في بيت احد زعماء هؤلاء الاجانب .

الا... المزعوم « ربما حدث في عقل مراسلكم فقط عندمـا شرع بتلفيق هذه الكـ... الكبيرة » ، وطلب فيها اما اسم « الواهب » او اعتذارا للجـالية .
وتخلص الرسالة الى القول :

« اود ان اغتنم هذه الفرصة لأوكد لـكم ان احدا من جماعتنا لن يتدخل في السياسة المحلية . لقد جئنا الى هذه البلاد بقصد التجارة ، ونحن شاكرون لاهلها كرمهم وضيافتهم .

«وهذا هو سبب في اننا لن نسيء الرد على مثل هذا الكرم وهذه الضيافة ، بالتدخل في السياسة المحلية ، او بمناصرة حرب معين ضـد الاخرين ، سواء في هذه الانتخابات او في اية مناسبات اخرى . »

وعاودت « النورثرن ستـار » هجومها من زاوية جديدة في ١١ ايار عندما نشرت مقـالة بعنوان « خداع الشعب » بقلم « بن . ق . كانو » اتهم فيها حزب المؤتمر بانه قد وعد « الحجـاج الاغنياء » في كانو ، الذين « كانوا يعبرون عن كراهتهم المرة لفكرة احتكار الاجانب لكل تجارة كبيرة ورابحة في هذا البلد» ، ـ وعدهم بانهم سوف يرثون التجارة عن «السوريين ، واللبنـانيين ، والهنود ، واليهود الخ » . وتذهب المقالة الى انه منذ ان علم الناس بتشكيل الفرع «الشرقي» لحزب المؤتمر ، فقد تيقن « الحجـاج » من انهم قد خدعوا وانهم سيتخلون عن هذا الحزب وقد اختتمت سلسلة المقالات الصحفية هذه ببيان رصين (١٣ ايار) ادلى به السيد حبيس في مؤتمر صحفي ونشر في «المواطن النيجيري » Nigerian Citizen وهي صحيفة تصدرهـا في زاريا شركة حكومية في الاقليم الشمالي ، تم نفي لبناني حاسم لكل المزاعم التي ادلى بها رجـل يدعى ادمون طويل في جريدة « الدايلي كوميت » Daily Comet يوم التاسع عشر من ايار .

ومن الصعب ان نتحقق من صحـة هذه التهم والتهم المضادة . الا ان في وسع المرء على اية حال ، المخاطرة بالظن بان بعض التبرعـات اللبنانية السرية لحزب المؤتمر قد كشف امرها واستغل من قبل « جماعة العمل » . ومن الممكن

الدي كان فيه الزعماء في صف الاعلمية ، سميت المنظمة «حزب مؤتمر شعوب الشمالية – الفرع الشرقي» . وترك رسول الحزب الاجتماع بعد ان حيم سماه الحرام ، دون ان يودع الاعضاء. ورافقه الزعيم عندئذ حتى سيارته وسجد له ، على طريقـــة الشماليين ، ليودعه. وبعد ذلك دب الشغب بين المجتمعين فاضطروا الى اختتام اجتماعهم. وبينما عاد زعماء الاعراب الى بيوتهم راضين عاد كثير من الاعضـــاء الى بيوتهم متذمرين . حتى انهم اقسموا على عدم الاقتراب من اي عضو في الحزب ، وليكن ما يكون . ويجب ان نتذكر ان شخصيـــات بارزة من الجماعات السورية واللبنانية واليمنية قد ذهبت في وقت ما من الشهر الماضي الى كادونا في مهمة غير معلومة . »

ان سبب الاختلاف في تاريخ الاجتماع المزعـــوم غير وارد ، الا ان غرض الناطق السياسي باسم«جماعة العمل» «A G» واضح كل الوضوح. فقد كان الغرض الرئيسي استغلال الحوادث المزعومة ضد منافسها حزب المؤتمر بالادعاء بان ضغطا شديدا قــد فرض على اللبنانيين الذين ارغمهم زعماؤهم الحوبة على الاستسلام. وبالاضافة الى ذلك ، فاما لتحقيق الغرض الرئيسي ، او الغرض الثانوي — وهو استفزار الشعور ضد اللبنانيين ، فان اللبنانيين ما عادوا « مواطنين » يشكلون بطريقة شرعية فرعا من حزب ، بل اصبحوا « غرباء » جمع اكثرهم الثروات. والتضمين الواضح هنا هو ان مبـــالغ اكثر بكثير من ٦٠٠٠ جنيه قد قدمت كمساهمة .

واستمرت هذه الالعاب النارية الكلامية . ففي الســـادس من ايار نشرت صحيفة الدايلي كوميت Daily Comet الصادرة في كانو والناطقــة بلسان المؤتمر الوطني لنجيريا والكاميرون(NCNC ، حزب الاقليم الشرقي ، الذي يتزعمــه نامدي ازكيوي Nnamde Azikiwe والمتحـــالف مع حزب المؤتمر) تقريرا عما يحس به اللبنانيون من مرارة بسبب مزاعم صحيفة « جماعة العمل » واستشهدت فيه بقول السيد سليم حبيس ، وهو لبناني بارز في كانو وقنصل فخري للبنان فيها، بما مؤداه ان التهمة كلها كانت «بلا اساس وانها تبعث على السخرية». وفي السابـع من ايار نشرت الدايلي كوميت رســـالة ذكر انها وردت من لبناني هو السيد يوسف خـــاطون الى محرر النورثرن ستار ، يقول فيها ، فيما يقول ، ان

١) الموارنة او الكتائب الذين اتخذوا صف الرئيس السابق.

٢) جماعة القوميين العرب (الناصريين) بالتآزر مع الحزب السوري القومي الاشتراكي .

٣) جماعة المستقلين .

وكان للفئتين الاوليين ناديان مستقلان عرفا على الترتيب باسم «البيت اللبناني» و «النادي السوري القومي» . وقد ساءت العلاقات بين هذين الناديين بحيث انقطعت جميع الاتصالات العادية بينهما ونشبت بعض اعمال العنف على نطاق ضيق. ومن الغرابة بمكان انه رغم العداء المرير الذي دب بين الناصريين والحزب السوري القومي الاشتراكي في سوريا ولبنان ، بعد مصرع العقيد العربي القومي عدنان المالكي على يد عضو في الحزب السوري القومي في عام ١٩٥٥ ، ورغم ان الحزب السوري القومي قد حارب الى جانب الرئيس شمعون في الحرب الاهلية اللبنانية فان الحزبين كليهما قد استطاعا المحافظة على هدنة قلقة فيما بينهما ووقفا حلفا الى جنب ضد الكتائبيين في اكرا . والنقطة الرئيسية الواضحة هي ان الجالية منشغلة عاطفيا بما يدور في « الوطن » من احداث ، اكثر من انشغالها بالاحداث الجارية على ارض افريقية الغربية . وقلما نجد اتجاها سياسياً في لبنان ينعكس في افريقية الغربية .

وثمة ملاحظة اخيرة تتعلق بامكانية استفادة حكومة الجمهورية العربية المتحدة ممن يعطفون عليها من اعضاء الجماعات المتكلمة بالعربية في افريقية الغربية ، في السعي لتحقيق ما ينسب اليها من رغبة في تسلم دور القيادة في البلدان التي تلي الصحراء الافريقية ، وفي مجابهة تغلغل اسرائيل الاقتصادي هناك. ليس ثمة دليل يذكر لدعم مثل هذا الافتراض . صحيح ان الجمهورية العربية المتحدة ، والرئيس عبد الناصر ، يستحقان من وجهة نظر افريقية الغربية ، التقدير على مقاومتها للاستعمار ، غير انهما ايضا بعيدان نوعا ما . وفوق ذلك ، فان المشاحنات الحزبية للشعوب المتكلمة بالعربية ، وسمعتهم المتدنية عموما في افريقية الغربية ،

كذلك ان نقمة « جماعة العمل » قد استثيرت لانها لم تتلق شيئاً مماثلا ، لا من التبرعات للاحزاب المنافسة ، وبوجه اعم للسياسيين المنافسين لم تعد سرا خافيا . وعلى اية حال فمن الواضح ان الجماعات اللبنانية ، عند تحقيق الاستقلال ، ستجد انه من الصعوبة بمكان ان تجذّف في مثل هذه المياه الغادرة .

ويمكن للمرء ان يلاحظ اخيرا ، بالنسبة للسيـــاسية المحلية ، ان الجماعات اللبنانية في هذه المنـــاطق من افريقية الغربية تعتمد الى حـــد كبير على اي « شخص قوي» تتلمس فيـــه ميلا معقولا نحو اللبنانيين : فالرئيس نكروما هو « كفيل الاجانب » ، وسياسة الرئيس تبمان القائمة على « الباب المفتوح » كانت حسنة بالنسبة لهم ، وقد كان « لطيفا » معهم ، وامير كانو « لطيف » مع اللبنانيين وهم يحبونه . وهذا الاعتماد على الزعماء يخفي شعورا بعدم الاطمئنان.

وثمة عقيدتان سياسيتان ، خـارج افريقية الغربية تؤثران في الصورة العامة للبنانيين في افريقية الغربية . الاولى هى الشيوعية العالمية التي اسهمت ، كما يعتقد كثير من اللبنانيين ، في التوتر المتزايد بين الافريقيين واللبنانيين بدعاوتها العامة المعادية للاجــانب . وعلى عكس ذلك فان اللبنانيين في بعض المنـــاطق يثير كوامنهم ان الولايات المتحدة لا تفعل شيئاً لمناصرة اللبنانيين ، الذين هم — على قولهم — احرار ويؤمنون بالنظام الاقتصادي الحر .

والعقيدة الثانية هي القومية العربية ، او أثر العلاقـــات السياسية فيما بين العرب على الجماعـــات اللبنانية في افريقية الغربية . وربما كان ابرز الدلائل على هذه الظاهرة ازمة قناة السويس في خريف ١٩٥٦ . وقد دلت التقارير الواسعة الانتشار على ان اغلبية اللبنانيين الشباب ، دونما نظر الى دينهم ، كانوا ميالين الى الرئيس عبد الناصر . فعندما ابتدأ العدوان الثلاثي على مصر ، قام اللبنانيون بمظاهرة صاخبة تأييداً لعبد الناصر ، خاصة في المناطق البريطانية .

وقد زادت المشكلة احتداما اثناء الثورة اللبنانية في صيف ١٩٥٨ ، خاصة في اكرا . فقد انقسمت المدينة آنئذ الى ثلاث فئات لبنانية مستقلة هي :

للبنانيين كرجال اعمال ، كعدم تشغيلهم للافريقيين ، واتباعهم طرقا للعمل غيرنظامية، فانهم قد اسهموا اسهاماً كبيراً فيالتطور الاقتصادي لهذه المنطقة . ويخيل لبعض الناس ان الثروة التي جمعها كثير من اللبنانيين قد سرقت بطريقة ما ، من السكان الافريقيين ، والواقع انهم صنعوها ، وهي رصيد خالص لافريقية الغربية . وبالاضافة الى دلك ، فان الدور الذي لعبوه يمكن ان يبقى ذا اهمية حقيقية .
يقول باور : (٣٨)

« يمثل ابناء شرقي البحر المتوسط في افريقية الغربية نماذج من المهاجرين يقومون بدور مهم في التطوير الاقتصادي لعدة دول متخلفة . وعلى الرغم من ان ثقافتهم نادرا ما تكون عالية فهم مدبرون ماهرون ، ومحدون ، ومحارفون ، وموهوبون بشكل غير عادي في اغتنام الفرص الاقتصادية ، وهم مستقلون عن المصالح التجارية الموحودة، ومنافسون اقوياء للتسركات الاوروبية الكبيرة فيعدة فروع منالنشاط التجاري. وحيث انهم مستعدون لقبول مكافآت ادنى مما يتقاضاه الموظفون الاوروبيون ، فانهم يقدمون خدماتهم بكلفة اقل . وفي افريقية الغربية، كما هي الحال في عدة مناطق اخرى من العالم ، يكون المهاجرون الذين يستطيعون تأدية اكبر المساهمات للتطوير الاقتصادي، موضع شبهة كبيرة من جانب قطاعات مهمة من الادارة ، ويقاوم قبولهم ، ويقيد نشاطهم تحت ضغط قطاعات المصالح المحلية والمصالح التجارية التي اسسها المغتربون قبلهم » .

٤ — ما لم تتخد الحركة القومية في افريقية الغربية مجرى اكثر اعتدالا وتوسطا من الحركات « القومية الجديدة » التي ظهرت في المائة

لا تساعد في الغالب على حسن العلاقات العامة . ويمكن للافراد ، بالطبع ، ان يسهموا اسهاما مفيدا في تنفيذ سياسة الجمهورية العربية المتحدة بطرق مختلفة ، ويستطيعون بشكل خاص تزويد الموظفين المختصين بثروة من المعلومات العملية عن المنطقة . ويبدو ، على اية حال ، ان الجمهورية العربية المتحدة قد حبذت التركيز على الوسائل الدبلوماسية العادية . وعلى صعيد الدين الاسلامي ، يبدو ان « الملحقين الدينيين » الذين عينتهم الجمهورية العربية المتحدة مؤخرا سيعصلون على المغتربين اللبنانيين أداة لهذا الغرض .

٦ – خاتمة

سنختتم هذه الدراسة للجماعات اللبنانية في افريقية الغربية بالتأكيد على عدة نقاط هي :

١ – يجب ان ينظر الى هجرة اللبنانيين الى افريقية الغربية ، كجزء من هجرة متعددة الوجوه للشعوب من الجانب الشرقي للبحر المتوسط ، وبخاصة في اواخر القرن التاسع عشر ، واوائل القرن العشرين .

٢ – لقد حافظت الجماعات اللبنانية في افريقيا الغربية ، الى حد بعيد ، على علاقاتها بالوطن الام وقاومت عملية الانصهار بالشعوب الاخرى لهذه المنطقة . ويمكن ايضـــاح هذه الحقيقة بالنسبة الى اللغة ، او الدين ، او الحياة الاجتماعية او المشارب السياسية الملموسة . وربما كانت الشخصية اللبنانية قد تكيّفت بضرورة المحافظة على الاحساس بالانتماء للجماعة في عالم غريب ، لكنها لم تمح . وتجدر الاشارة في هذا المجال الى ان احتمالات العودة الى الوطن امـــام اغلبية اللبنانيين ما زالت بعيدة نوعا ما ، الا اذا قامت اسباب قاهرة .

٣ – وعلى الرغم من الصحة الجزئية للاتهـامات المتعددة التي وجهت

تصرفا يبعد عنهم كل الاسباب الموجبة للنقد ، مهما كانت واخيرا فان بعض الشباب اللبنانيين امثال السيد مروان حنا الذي استشهدنا ببعض من مقالاته العديدة في هذه الصفحات ، وغيره من اللبنانيين المغتربين في افريقيا الغربية ممن بحثت معهم هذه المسائل ، يعملون الان على تحليل مشكلتهم تحليلا متجرداً ، وهذا بحد ذاته ، هو من اهم العوامل المشجعة في الموقف كله .

المراجع

(١) Morroe Berger, "Americans from the Arab World". p. 372.

(٢) Marwan Hanna, "The Lebanese in West Africa. 2". West Africa. 2141 (April 26, 1958), p. 393.

(٣) « الهدى » — عدد ٢٩ شباط سنة ١٩٦٠ – لمراسلها في بيروت .

(٤) تستثنى هذه الارقام السوريين بالطبع . ولكنها تشمل الاحلاف على وجه الترجيح .

(٥) K.M.Buchanan and J.C. Pugh, Land and People in Nigeria, the Human Geography of Nigeria and its Environmental Background (London, 1955) p. 99.

(٦) ان يكون اول المهاجرين اللبنانيين قد وفدوا الى نيجيريا من هاتين القريتين ، امر له شأنه.

(٧) اي الذين ولدوا في اماكن تقع الان ضمن الجمهورية العربية السورية .

(٨) A Statement of the Immigration Policy of the Government of the Federation of Nigeria (Lagos 1956).

(٩) Hanna, Loc. cit.

(١٠) Berger's — op. cit., p. 353.

(١١) Sidney de la Rue, The Land of the Pepper Bird Liberia (New York, 1930) p. 296.

(١٢) Jean-Gabriel Desbordes, L'Immigration Libano-Syrienne en Afrique Occidentale, p. 177.

(١٣) كانت جميع هذه المصارف اوروبية .

والخمسين السنة الماضية ، فان الاقلية اللبنانية ستجد نفسها في موقف عسير في المدى البعيد . ان الظروف التي تغيرت مؤخرا تغيرا جذريا في افريقية الغربية ، ستفرض على الجالية سواء من الناحية الاقتصادية ام غيرها ، الوانا من الضغط لم تواجهها من قبل. ومن الصعب القول أيكون حل تركيا « لمشكلة الارمن » ام حل اليونان وتركيا لمشكلة اقلياتها المشتركة ، هو النموذج الذي يحتذى والواضح ان « الحل » الصهيوني في فلسطين لا يمكن تصوره ، وان تجربة الاميركيين مع اللبنانيين وغيرهم من الفئات المغتربة صعبة التصور كذلك . وليس من المستحيل ان يكون لسياسة لبنان الغامضة نوعا ما والرامية الى « إعادة جمع الشمل » اسهام عظيم خلال عدة سنين في هذا المضمار .

٥ – علينا ان نتبين ان الانسجام والتعاون بين المضيفين في افريقية الغربية وضيوفهم اللبنانيين ، يؤديان الى منفعة كلا الطرفين ، ورغم الرأي المتشائم الذي اوردته في الفقرة السابقة ، فان التغيرات الاخيرة في الصورة السياسية لافريقية الغربية قد تستخدم لاعادة النظر في العلاقة برمتها . ويمكن للحكومات في افريقية الغربية ان تعيد النظر بشكل بناء في قوانين الجنسية وانظمة الهجرة . كما يمكن للحكومة اللبنانية والشعب اللبناني ان يلعبا دورا اقوى من ذي قبل وذلك بالابقاء على اتصال اوثق بالمغتربين ، وبارسال دبلوماسيين من الطراز الاول ، وبدعوة الرسميين في افريقية الغربية وغيرهم الى زيارة لبنان ، وبغربلة المرشحين الجدد للاغتراب ، وبتقديم انواع مختلفة من المساعدات التربوية ، وبتقديم الخبراء الفنيين ، وكذلك بتشجيع المجازفة التجارية الفردية التي يقوم بها اللبنانيون للمشاركة في انماء افريقية . ومن المؤكد ان على اللبنانيين في افريقية الغربية ان يبذلوا اقصى جهدهم ليتصرفوا

(٣٢) افتتاحية جريدة "The Lebanese in West Africa", West Africa, No. 2140 (April 19, 1958)

(٣٣) Hushaymah, op. cit, pp. 215, 308; Safa, op. cit., p. 132.

(٣٤) الاحياء اليهودية .

(٣٥) George Gayet, "Les Libanais et les Syriens dans l'Ouest Africain", p. 169.

(٣٦) Gayet, op. cit., p. 169.

(٣٧) Northern Peoples Congress

(٣٨) مقابل ص ١٦٤

(١٤) وزارة التجارة والصناعة . العـــدد الثاني (اكرا ، تشرين الاول سنة ١٩٥٨) ، ص ١٢٧ – ١٤٠ .

(١٥) يشمل هذا العدد اسماء شركات من نوع UAC , CFAO

(١٦) بيعت اكبر شركة لسيارات الشحن (وهي لبنانية) ، الى وكالة حكومية بسعر يقال انه مليون جنيه ، ولكن الحكومة احتفظت بالشركة لادارتها بموجب عقد .

(١٧) Buchanan and Pugh, Land and People in Nigeria (London, 1955) p. 202.

انظر ايضاً المرجع نفسه ص ١٤٠ .

(١٨) Buchanan & Pugh, op. cit., p. 135.

(١٩) "World Crime, 11", Life, vol. 48, no. 2, (January 18, 1960), p. 106.

(٢٠) العدد ٣٦٢ (١١ نيسان سنة ١٩٥٩) .

(٢١) الهدى — مجلد ٦٤ ، عدد ١٠ (١٠ آذار سنة ١٩٦٠) ص ١ .

(٢٢) صفا ، ايلي. الهجرة اللبنانية (بالفرنسية) ، بيروت ١٩٦٠ ص . ١٨ .

(٢٣) Bauer, West African Trade (Cambridge, England 1954). p. 149 Muruwah, « نحن في افريقية » p. 260.

(٢٤) Bauer, op. cit., p. 9.

(٢٥) في آذار سنة ١٩٥٦ .

(٢٦) Bauer, loc. cit. see also Barbara Ward, "Cash or Credit Crops?", Economic Development and Cultural Cultural Change, VIII. no. 2 (January, 1960), pp. 148-163.

(٢٧) التي يرمز اليها بالحروف UAC .

(٢٨) Report by Dr. N.A. Cox-George, cited by Hanna, "The Lebanese in West Africa, 4", West Africa, no. 2144 (May 17,1958), p. 463.

(٢٩) راجع ديبورد ص ١٤٦ ، وعبدالله حشيمه ، في بلاد الزنوج ، بيروت ١٩٣١ ، ص ١٨٩ – ١٩٠ .

(٣٠) De la Rue, op. cit., pp, 296-297.

(٣١) Muruwah, op. cit., p. 278.

الصيام فكتاب اسرار الحج فكتاب آداب تلاوة القرآن . والمجلدان اللذان بين يدينا هما ترجمة انكليزية للكتابين الاولين من هذا الربع : اعني كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد . وعلى الرغم مما لكتاب الاحياء باسره من شأن عظيم في باب العلوم الدينية المختلفة ، فهذان الكتابان من أهم اجزائه . فقد تناول فيهما الغزالي عدداً من امهات المسائل التي تتصل بصلب العقيدة الاسلامية من جهة ، وبالمنادة الكبرى بين الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة من جهة اخرى .

ويختلف اسلوب الغزالي في هذين الكتابين وما عداهما من سائر كتب الاحياء عن اسلوبه في كتبه الاخرى شيمة المنقذ والتهافت والاقتصاد في الاعتقاد من بعض الوجوه ، اهمها وفرة الاحاديث والآيات القرآنية والآثار والاخبار التي يحفل بها الكتاب والتي يتذرع بها في تأييد أقواله. وعلة ذلك انه يستهدف جمهور الناس الغالب فيه ، لا المتأدبين بالمنطق او الفلسفة أو التصوف ، كما هي الحال في كتب المناظرة التي اشرنا اليها ، وغرضه في كل ذلك ، كما اسلفنا ، حمل قرائه على التمسك بأهداب الدين والاعراض عما فيه هلاكهم في الدار الآخرة . فكان مقياس كل علم من علوم المكاشفة او المعاملة عنده هو التنكب عن كل علم لا ينفع او كما يقول مستشهداً بعيسى عليه السلام « ما اكثر الشجر وليس كلها بثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيّب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع » .

أما موقفه من علم الكلام ، وقد لخصه في كتاب الجام العوام عن الخوض في علم الكلام ايضا ، فهو ان الاشتغال بالمناظرة في الدين فرض كفاية لا يتوجب على العامي أو على من لم يتفرغ لفروض الاعيان او يفي بها . اضف الى ذلك انه من اشد عوامل الشقاق والانقسام، ما دام صاحبه لا يطلب الحق من اي وجه اتفق، بل هو يماري ويجادل خيلاء ورهواً ، فكان اذن من « الذين يطلبون الطبوليات التي تسمع » وهم كثير ...

ويتناول الغزالي في هذا الكتاب آداب المتعلم والمعلم (وقد عالجها في كتاب ايها الولد والقواعد العشر) وآفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

مكتبة الأبحاث

ترجمة احياء علوم الدين

Al - Ghazzalı *The Book of Knowledge*

Al - Ghazzalı *The Foundatıons of the Artıcles of Faıth*
Translatıon with ındex, by
Nabıh Amın Farıs,
Lahore, 1962, 1963

اذا استثنينا تهـــافت الفلاسفة والمنقذ من الضلال فكتاب احياء علوم الدين أشهر تصانيف الغزالي وأبعدها صيتاً، حمله على تأليفه، بعد مغادرته بغداد سنة ١٠٩٥ وتطوافه في الآفاق طوال احدى عشرة سنة، ما رآه من ضلال ومروق من الدين. « فأدلة الطريق وهم العلمـــاء الذين هم ورثة الانبياء — كما يقول في المقدمة— «قد شغر منهم الزمان ولم يبق الا المترسمون . وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان، واصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفاً، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، حتى ظلّ علم الدين مندرساً ومنـــار الهدى في اقطار الارض منطمساً ». وقسمه الى اربعة ارباع هي: ربع العبادات وربـع العادات وربـع المهلكات وربـع المنجيات . واستهلها جميعاً بكتاب العلم، متوخياً بذلك تمييز العلم النافع عن الضار وصرف اهل العصر عن الاشتغـــال بالقشور دون اللباب . وهذا الكتاب، مع ذلك، جزء من الربـع الاول الذي يشتمل على عشرة كتب هي : كتاب العلم فكتاب قواعد العقائد فكتاب اسرار الطهـــارة فكتاب اسرار الصلاة فكتاب اسرار الزكاة فكتاب اسرار

الاحياء العام من جهة ، وتفكير الغزالي الديني ، من جهة ثانية . كذلك كنا نتمنى لو التزم الناشر شيئا من التناسب في اخراج المجلدين . ان في اختيار الحرف او العنوان او حجم الصفحات او فهرس المحتويات وهكذا .

وليس لنا على الترجمة مآخذ تذكر ، اذا استثنينا بعض المصطلحات التي تتصل عن الدكتور فارس في ترجمتها على الوجه الذي جاء في الكتابين . مثال ذلك في كتاب قواعد العقائد ترحمة متحيز بـ definite (ص ٦٣) وكنا نفضل localized أو occupying space، وترجمة اجتهاد بـ independent interpretation (ص ٩٥) وكنا نفضل judgement ، اذ اللفظة الاولى ترادف التأويل بالعربية. كذلك ترحم لفظة القدرة بـ will و freedom والمقدور بـ willed (ص ٧٨ و٧٩) ، وكان الاولى ان يقال power أو capacity ومشتقاتها. وأخيرا وردت لفظة حوار بمعنى الجوار الشرعي لا الجوار المتافيزيقي (وهو خلاف الضروري) وترجمها الدكتور فارس بـ contingency (ص ٨٣)، عوضاً عن permissiblity أو ما اشبه . وقد سقطت بعض الألفاظ من النص ، ولكن كل ذلك لا يعدو ان يكون هنات وحسب. فوجب تهنئة الدكتور فارس على عنايته باخراج هذه الترحمة اخراجاً سلساً ودقيقاً .

ماجد فخري

دمشق في عهد المماليك

ZIADEH, Nicola A., *Damascus under the Mamluks.*
University of Oklahoma Press, Norman, 1964

ان هذا الكتاب الذى وضعه الاستاذ نقولا زيادة باللغة الانكليزية هو حلقة من سلسلة تعدها جامعة اوكلاهوما وتخصها بالمدن التاريخية الشهيرة في عهودها المميزة . وقد جاءت هذه السلسلة نتيجة اعتقاد عند القائمين بهذا المشروع بما لهذه المدن من شأن عظيم في تاريخ الشعوب وبأثرها في تكوين الحضارات وتفاعلها وانتشارها .

وشرف العقل وحقيقته – وهو آخر ابواب كتاب العلم .

ويتناول في كتاب قواعد العقائد (ويعرف ايضا بالرسالة القدسية) امهات العقائد (وعدتها أربعون عنده) ، وهي أصول « من اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومبايناً لرهط البدعة » . فغرضه في هذا الكتاب اذن ، كما يقول في تهافت الفلاسفة ، اثبات المذهب الحق ، بينما غرضه في كتب المناظرة « تكدير مذهب (الخصوم) والتغبير في وجوه أدلتهم » . أما ابوابه الكبرى فهي ترجمة عقيدة اصل السنة في كلمتي الشهادة ، وهو فصل يثبت فيه الصفات الذاتية القديمة على غرار الاشاعرة ، يتلوه فصل في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد ، ففصل في لوامع الادلة للعقيدة يوحر فيه اركان الاسلام ويردّ على المجسمة والمشبهة من جهة ، وعلى المعتزلة الذين عطلوا الصفات من جهة اخرى ، ففصل في العلم بافعال الله تعالى يسترسل فيه في اثبات قدرة الله المطلقة وانفراده بالاختراع وتقرير مذهب الاشاعرة في افعال العباد وانها خلق لله وكسب للعبد ، وقولهم بأنه يجوز على الله سبحانه ان يكلف الخلق ما لا يطيقونه ويؤلم الخلق ويعذبهم بلا عوض ، خلافاً لما قرره المعتزلة من استحالة ذلك في العقل وضرورة رعاية الاصلح لهم . ويختمه بحاشية أو ملحق يدور على الايمان والاسلام وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان . ومع ان الغزالي قد تناول معظم هذه المسائل في كتبه الاخرى ، فلهذا الكتاب ميزة وهي أنه لا يتوفر فيه على الحجاج والمناظرة ، بل يقرّر امهات العقائد كما قلنا ويوردها مورداً سلساً غرضه الاثبات لا الابطال او الهدم .

من هنا ما للترجمة الانكليزية من منزلة وشأن (وهي الاولى فيما نعلم) لهذين الجزئين الهامين من سفر يعد بحق من اعظم اسفار الفكر الديني في الاسلام . وهذه الترجمة تتصف ، على غرار الاصل ، بالسلاسة والوضوح ، وان كانت تمتاز عنه بما انطوت عليه من هوامش وحواش واسانيد ، للآيات القرآنية والاحاديث خاصة . وفي هذا الباب ، كنا نتمنى على الدكتور فارس لو اكمل الفائدة المرجوة من هذه الترجمة ، فقدم للمجلدين هذين بمقدمة تحليلية تدلل على مقامها في مخطط

والعقلية . على ان هذا التقصي محفوف ، في الغالب ، بصعاب كثيرة ، اهمهـا ان مواد البحث ضئيلة في الاصول الاولية ومتفرقة بينها ، فلا يتم جمعها ونسجها الا بمزيد من العناء. ولذلك يسرنا ان نلقى كتابا كالذي بين ايدينا يحاول هذه المحاولة ولو في نطاق ضيق .

ويخيل الينا ان ضيق هذا النطاق قد فُرض على الاستاذ زيادة فرضاً بموجبات هذه السلسلة التي تتوجه ، على مـا يظهر ، للمثقف العام اكثر منها للباحث المتخصص . ولعله فُرض عليه ايضا ان يستغني عن الحواشي، والا يثبت المواضع التي يرجع اليها من مصادره ، سواء عندما يقتطف منها او عندما يستند اليها في اوصافه واحكامه ، مكتفيا بسرد لائحة المصادر في نهاية الكتاب . وكنا نتمنى لو اثبتت هذه الاسانيد ، وأضاف بذلك الى فائدة الكتاب .

وكنا نتمى كذلك لو ان الطابع كان ادق في تأدية بعض الالفـاظ العربية بالاحرف الاجنبية ، ولم يأتِ باخطاء طفيفة من هذا القبيل ، كان يمكن ضبطها وان كانت لا تمس جوهر الكتاب او تنقص قدره او قدر الجهد المشكور الذي بذله الاستاذ زيادة في اعداده .

قسطنطين زريق

الشرق الأوسط والغرب

Bernard Lewis' *The Middle East And The West*
Indiana University press, Bloomington, 1964
برنارد لويس ، الشرق الاوسط والغرب ، مطابع جامعة انديانا ، بلومنجتون ١٩٦٤ عدد الصفحات ١٦٠ . الثمن ٣،٧٥ دولارات .

تمثل فصول هذا الكتاب الستة المحاضرات الست التي القاها المؤلف في جامعة انديانا في الولايات المتحدة خلال الفترة الممتدة من ٩ آذار الى ٢٣ نيسان من سنة ١٩٦٣ . وتتناول هذه المحاضرات العلاقات بـين الشرق الاوسط والغرب واثر

ولقد اختار الاستاذ زيادة دمشق في عهد بارز من تاريخها الحافل الطويل هو عهد المماليك ، حـــين كانت حوالي قرون ثلاثة من اهم المراكز السياس والحضارية في الشرق الاسلامي ، بل اهمهـــا بعد القاهرة ، قاعدة حكم المماليك

تناول الكتاب ، بصورة موجزة ، مـــا خبرته دمشق في دلك العهد م احداث سياسية داخلية وما تعرضت له من هجمات خارجية ، وبصفة خـاه هجمات المغول التي قل في التاريخ ما ماثلها فظاعة ووحشية . ووصف شؤور الحكم والادارة فيهـــا وعلاقتها بالسلطنة في القاهرة ، واحوالها الاقتصاد والاجتماعية والعقلية ، وما قام فيها من اسواق وحـــارات ومدارس ورو وخوانق ، ومن برز من رجالهـــا في حقول الدين والفكر والتأريخ وسواها م ميادين الثقافة .

واستند المؤلف في وصفه هذا في اكثر الاحوال الى اقوال الشهود الديـــ عاشوا في دمشق او زاروها في ذلك العهد او قريباً منه ، واقتطف من اقواة مقتطفات طويلة، جاءت تضفي على الصورة التي رسمها لدمشق ألوانا أصيلة تساء القارىء على تصور الحياة الدمشقية في دلك الزمن . واستنطق بين هؤلاء الشهو عددا من الرحالين والزوار الغربيين ، فجاءت اقوالهم مكملة لاوصاف الرحال والمؤرخين المسلمين وباعثة اطيافا جديدة توسع مدى الصورة وتغني محتواهـــا

وقد حبك الاستاذ زيادة هده المقتطفات بعضها ببعض ، وبما استخرجه ه من اوصاف واحكام ، فجاء بخلاصة طيبة تلم ، في مـــا يقارب المئة والاربع صفحة من القطع الصغير ، باحوال دمشق في عهد المماليك وتنقل القارىء بذه وخياله الى دلك العهد من عهود التأريخ الاسلامى المتفرد بمنجزاته ومآثره م جهة وبنقائصه وسيئاته من جهة اخرى .

ولقد مضى الزمن الدي كنا نعتبر فيه تأريخ اي عصر من العصور او اي ؛ من البلدان مقصورا على احداثه الحربية وتقلباته السياسية ، وغدا واجب عل ان نتقصى حياته بمجموعها ، وبصفة خـــاصة احواله الاقتصادية والاجتماء

اولاً، ثم الايراني والتركي ، والغرب لا يتعدى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سياسة ، والمسيحية دينا ، والحضـارة الاوربية حضارة . وتدور رحى البحث على هيمنة هذه الثلاث طوال القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين على مقدرات « الشرق الاوسط » ومصيره .

وفي الفصل الثالث يتتبع المؤلف محاولات شعوب الشرق الاوسط للتفلت من السيطرة الغربية والبلوغ الى الاستقلال في تسيير شؤونهم السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية . وفي الفصل الرابع يلقي المؤلف نظرة فاحصة على تجسد هذه المحاولات في اذكاء الروح الوطنية اولا وفي استحالة الوطنية الى قومية على الرغم من تردد الكثيرين من المسلمين في اعتناقها لما في ذلك من محادمة للمأثور لدى الجماعة .

واذ يبلغ المؤلـــف الفصل الخامس تستحيل الحدود الجغرافية والسياسية والحضارية الى حدود دينية ، فإذا « الشرق » عنده يدل على الاسلام، «والغرب» على المسيحية . ويفسر المؤلف جميع القضايا القائمة بين الشرق الاوسط والغرب على اساس الصراع الدائم بين النصرانية والاسلام ويرى انما اسماه المؤرخ ادوارد جبون (١٧٣٧— ١٧٩٤) في مؤلفه الشهير « قيام الامبراطورية الرومـــانية وسقوطها » « بالمناظرة الكبرى » هو القضية الكبرى التي تشتق منهـــا جميع الخلافات القـــائمة بين الشرق والغرب ، ويلمح إلى ان التعايش بينهما بعيد لا بل مستحيل .

وفي الفصل السادس والاخير يعالج المؤلف الشرق الاوسط في الشؤون العالمية او الدولية فيؤكد ثانية على وحدة الاسلام الروحية والزمنية وعلى وجهة النظر الاسلامية الواحدة الى غير المسلمين التي تقسم العالم الى دار الاسلام ودار الحرب ، والبشر الى مسلمين وكفار ويستشهد بحديث ، ينسب الى الرسول ، يقول بأن الكفر ملة واحدة .

وفي آخر المطاف تضيق رقعة الشرق الاوسط ، في الكتاب ، مرة ثانية لتدل

الغرب السياسي والحضاري في الشعوب الاسلامية وتطور التجاوب الاسلامي من هذا الأثر .

ويقدم المؤلف لدراسته هذه بفصل يعرض فيه عرضا سريعـــا للاحداث التـــاريخية التي جرت في هذه البقعة الجغرافية من بدء التاريخ حتى عصرنا هذا مبتدئاً بتاريخ الاصطلاح الجغرافي ومحددا معناه الشامل بتلك البقعة الممتده من شواطيء الخليج الفـــارسي عرض المنطقة الواقعة بين البحر الاسود وافريقيه الاستوائية طولا ، ومن الهند الى المحيط الاتلنتيكي عرضا، ومركّزا دراسته على الشعوب العربية والاسلامية مع ذكر لغيرها من الشعوب التي كان لها شأن في مجرى التاريخ في البقعة نفسها . ثم يحدّد المؤلف في الفصل الثاني معنى «الغرب» اصطلاحا فيرى ان حدوده الغربية تبتدىء بشواطىء اميركا الشمالية الباسيفيكيه والاقاليم التابعة لها (أي اميركا الشمالية) . اما حدود «الغرب» الشرقية فتشمل شواطيء المحيط الاتلنتيكي الشمالي ، الاميركية والاوربية ، وتمتد عرض القارة الاوربية الى نقطة تعين احيانا على مضيق المانش واحيانا على نهر الراين واحيانا على نهر الالب او الاودر او الفيستيولا واحيانا البوسفور واحيانا حبال الاورال اي الحدود الاوربية الاسيوية التقليدية .

واذ تتبين الاشياء باضدادها يحاول المؤلف ان يحدد الغرب بالمقارنة مع الشرق فيجد معاني مستحدثة تسهل التحديد احيانا وتعقده احيانا اخرى. فقد اكتسب هذان الاصطلاحان الجغرافيان اصلا ، معاني لا تخضع للجغرافية البتة . فهناك الشرق والغرب في مصطلح الحرب الباردة اي الكتلة الشيوعية والحلف الغربي . وهنالك ايضا الدول الافريقية الأسيوية (الافريسية ، على النحت) التي تحسب نفسها شرقا مقاوما للغرب . وهنالك ايضـا الغرب «الابيض» جنسا والاوربي موطنا والمسيحي دينا وحضارة . فالتحديد المنطقي لمثل هذه الاصطلاحـــات المستحدثة يبدو عسيرا ان لم يكن غير ممكن على الاطلاق .

ومهما يكن من امر فالشرق فيهذه الدراسة يكاد يكون العالم الاسلامي العربي

محمد في مكة ومحمد في المدينة . ويشتمل على تسعة فصول هي : اليتيم الموهوب ، الدعوة ، المعارضة ، الهجرة الى المدينة ، تحدي المكيين ، فشل الرد المكي ، كسب المكيين ، حاكم في بلاد العرب ، وتقييم عام . ويلي هذه الفصول تعليق على المراجع .

وأول ما يستوقف القاريء في هذا الكتاب هو أن المؤلف يعالج مادة أطال النظر في مراجعها الأساسية ، وقارن وقابل موادها ورواياتها ، وأنعم النظر فيما تنطوي عليه من مشكلات ، وما تستتبعه من تفريعات . ومما هو جدير بالذكر هنا أن المؤلف وقف من المراجع موقفا يختلف عن موقف كثيرين غيره ممن شكوا في صدق المراجع الاسلامية للسيرة ولم يروا اعتماد مرجع غير القرآن . فهو يرى أنه لا بد من قبول مادة تلك المراجع الا حيث يكون هناك ما يبرر الشك في صدق الروايات . ويعتقد المؤلف ان موقفه هذا كفيل باخراج سيرة متماسكة ومنسجمة .

ويستوقف القارىء أيضاً في هذا الكتاب أن المؤلف أقبل على موضوعه وهو يقصد الدراسة العلمية النقدية التي تستهدف الحقيقة وحسب . وقد ساعده هذا على الوصول الى أحكام أكثر اتزانا وعمقا من أحكام كثيرين غيره ممن كانوا قد تصدوا لمعالجة الموضوع ذاته .

ويرى المؤلف أن النبي (ص) اتصف بمناقب أساسية كانت ذات أثر بالغ في حياته وأعماله وهي : النظرة الثاقبة للأمور ، وحكمته السياسية ، ومهـــارته ولباقته في الادارة .

ويعتقد مراجع هذا الكتاب أن المؤلف أضاف الى الكتب الحديثة في السيرة مرجعا متزنا يستحق القراءة .

محمود زايد

على العالم العربي وعلى الشرق العربي فحسب . ويرى المؤلف ان لا حل لقضايا العربية اوالقضية العربية الا باعلان البلادالعربية باسرها بلادا حيادية وان لا امل في اقامة علاقات صداقة سليمة بين الشرق والغرب الا عندمـــا تظهر القوميه العربية استعدادها للتفاهم مع الغرب ، وليته اكـّد على العكس كذلك .

وليس في الكتاب مايحسب لدى التحقيق جديدا ولكن اللهجة الرصينة التي تتصف بهـــا كتابات الاستاذ لويس كافة وسعة اطلاعه وعمق بحثه وتفكيره ووضوح اسلوبه وبيانه ترتفع بالكتاب الى مراتب المؤلفـــات القيمة . ولعلّ الاستاذ افرط في تشديده على « المناطرة الكبرى » وعلى اثرها السيء في مجرى العلاقات بين « الشرق » و « الغرب » كما فرط في تقليله من اثر العلاقات الدنيوية السيئة بين البيزنطيين والدولة الاسلامية الناشئة اولا ، وازدياد الوضع تعقيدا بسبب من الصراع الاسلامي المسيحي في اثناء الحروب الصليبية التي تركت تراثا من سوء النية لا يزال يعتمل في صدور عامة شعوبها ، وفي اوائل العهد العثماني عندما هددت الدولة الاسلامية الناهضة حصن المسيحية في اوربا ، وخلال المائه والخمسين السنة الاخيرة من التجارب السيئة التي كانت للمسلمين مع الاستعمار العربي الحديث .

ومهما يكن من امر فان هذا الكتاب قيم في لهجته واسلوبه وفي وضوحه وبيانه وفيما يثير في الاذهان من قضايا ملحة خطيرة ، جديرة بانتباه الخاصه والعامة على السواء .

نبيه امين فارس

الرسول العربي

وات ، و. مونتجومري : محمد : النبي والسياسي (مطبعة اكسفورد ١٩٦١)

Watt, W. Montgomery, *Muhammad Prophet and Statesman* (Oxford University Press, 1961)

استمد المؤلف مادة هذا الكتاب من سيرة مفصلة للنبي نشرها في كتابين هما:

كتب عربية

اصيفت حديثاً الى مكتبة نعمة يافث التذكارية في الجامعة الاميركية
ببيروت وهي مدرجة حسب تقسيمات ديوي الرئيسية .
كانون الاول ١٩٦٣ — ايار ١٩٦٤

جمعتها

ليندا صدقة

ببليوغرافيا ومباحث عامة

الاخوان المسلمون . لسان حال دعوة الحق والقوة والحرية . القاهرة ، دار الاخوان للصحافة ،
١٩٤٦–١٩٤٨ . ٣ ج في ٤ .

الاشبيلي ، ابو بكر محمد بن خير .
فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وانواع المعارف . بيروت ،
المكتب التجاري ، ١٩٦٣ . ٥٧٩ ص .

البيان . مجلة تبحث في الادب والتاريخ والفلسفة والاخلاق والتربية والاجتماع ونوابغ العالم
والنقد والروايات والصحة وتدبير المنزل وتعنى بنشر آثار العرب وآثار الغرب ... القاهرة ،
١٩١٦ . ج ٢–٤ .

الجمهورية العربية المتحدة . معهد التخطيط القومي . قسم التخطيط الزراعي .
المرشد للابحاث الاقتصادية الزراعية والمجتمعية الريفية في الجمهورية العربية المتحدة . القاهرة ،
١٩٦٣ . ٧٠ ص .

كتّاب

هذا الجزء من الأبحاث

الدكتور جبرائيل جبور، احد اساتذة الادب العربي ؛ الدكتور جوزيف مالون، احد اساتذة التاريخ الحديث ورئيس دائرة التاريخ ، (وقد كتب دراسته ؛ للابحاث بالانكليزية ونقلت الى العربية) ، الدكتور نقولا زياده ، استاذ التــاريخ العربي المعاصر ، الدكتور بيلي وايندر ، احد اساتذة جـــامعة برنستون ، ومساعد عميد كليتها ، وفي باب مكتبة الابحاث ، الدكتور ماجد فخري ، استاذ الفلسفة الاسلامية ، الدكتور قسطنطين زريق الاستاذ الممتاز للتاريخ العربي ، الدكتور نبيه فارس احد اساتذة العربي ، والدكتور محمود زايد، احد اساتذة التاريخ العربي ، وجميعهم – ما عدا الدكتور وايندر – من اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت .

محجوب فاطمة .
دائرة معارف الشباب . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ١٢٠٢ ص .

المصور . مجلة اسبوعية تصدرها ادارة الهلال . القاهرة ، ١٩٢٤ – ١٩٦٢ . ٧٢ ح .

المليجي محمد حامد.
تاريخ نقابة الصحفيين . القاهرة ، مؤسسة التضامن العربي ، ١٩٦٢ . ٦١ ص .

موسى ، سلامه .
الصحافة .. حرفة ورسالة . القاهرة ، سلامة موسى للنشر والتوزيـــع ، ١٩٦٣ .
١٢٣ ص .

ويربرجر ، برنارد .
الصحفي الامريكي . تر . وديـع سعيـد . القاهرة ، مؤسسة سجـل العرب ، ١٩٦٢.
٢٥٧ ص .

الفلسفة وعلم النفس

ابن سينا ، ابو علي الحسين بن عبد الله .
الشفاء . الالهيات (١ – ٢) راجعه وقـدم له ابراهيم مدكور، تحقيق الاب قنواتي وسعيد زايد . القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ١٩٦٠ . ٢ ق .

الشفاء . المنطق – البرهان . تصدير ومراجعة ابراهيم مدكور ، تحقيق ابو العلاء عفيفي . القاهرة ، الادارة العامة للثقافة ، ١٩٥٦ . ٣٤٦ ص .

الشفاء . المنطق – السفسطة. تصدير ومراجعة ابراهيم مدكور ، تحقيق احمد فؤاد الاهواني. القاهرة ، الادارة العامة للثقافة ، ١٩٥٨. ١٣٤ ص .

ابن طفيل ، ابو بكر محمد بن عبد الملك .
حي بن يقظان . قدم له وعلق عليه البير نصري نادر . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٣ . ٩٨ ص .

ارسطوطاليس .
في النفس . « الاراء الطبيعيـة » المنسوب الى فلوطرخس « الحـاس والمحسوس » لابن رشد « النبات » المنسوب الى ارسطوطاليس . راجعها على اصولها اليونانية وشرحها وحققها وقدم لها عبد الرحمن بدوي . القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٤ . ٢٩٠ ص .

حليل ، شعوبي ابراهيم .
المقامات . ادب – تاريخ – فن – فكاهة . بغداد ، مطبعة اسعد ، ١٩٦٣ . ج ١ .

ديوى ، ملفل .
موجز التصنيف العشري (الجداول) وضع اسسه ملفل ديوى وترجمه معدلا للمكتبات العربية محمود الشنيطي (و) احمد كابش . القاهرة ، الجمعية المصرية ، ١٩٦٠ . غير مرقم.

رشاد ، حسن .
المكتبات العامة . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦١ . ١٧٦ ص

رور ، ارنستين .
المكتبة العامة واثرها في حياة الشعب الامريكي . تر . حبيب سلامه . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ . ٢٤٩ ص .

السياسة . (جريدة) لسان حال الاحرار الدستوريين . القاهرة ، ١٩٢٢ . ٢ ج في ٥ .

السيف والناس : جريدة سياسية ادبية ... القاهرة ، ١٩٢٨ – ١٩٣٩ . ج ١٠ – ٢ و ٢٢ – ٢٣ .

الشنيطي ، محمود.
قواعد الفهرسة الوصفية للمكتبات العربية اعداد محمود الشنيطي ومحمد المهدي . القاهرة الجمعية المصرية للوثائق والمكتبات ، ١٩٦٢ . ٦٨ ص .

العلم ، جريدة يومية سياسية ادبية تجارية ، لسان حال الحزب الوطني . الاسكندريه ١٩١١ . ٢ ج.

عواد ، كوركيس ، جا .
جمهرة المراجع البغدادية ، جمع واعداد وتنسيق كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٦٢ . ٦٤٣ ص .

القاهرة ، . الكتبخانة الخديوية .
فهرست الكتب التركية الموجودة في الكتبخانة الخديوية . القاهرة ، المطبعة العثمانية ١٣٠٦ هـ . ٤٠٦ ص .

فهرست الكتب الفارسية والجاوية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية المصرية . القاهرة ، المط العثمانية ، ١٣٠٦ هـ . ١٥٢ ص .

الكندي ، ابو يوسف يعقوب بن اسحق .
التصانيف المنسوبة الى فيلسوف العرب . بحث بمناسبة احتفالات بغداد والكندي . رتشرد يوسف مكارثي ، الاب . بغداد ، العاني ، ١٩٦٢ . ١٢٢ ص .

الفارابي ، ابو نصر محمد بن محمد .
آراء اهل المدينة الفاضلة . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٠٦ . ١٢٨ ص .

فان وست ، هـ . ب .
الحكماء السبعة . نقله عن الانكليزية يوسف الخال وانيس فاخوري . بيروت ، دار مجلة شعر ، ١٩٦٣ . ٣٦٠ ص .

القصيمي ، عبد الله علي .
العالم ليس عقلا . بيروت ، دار الغد ، ١٩٦٣ . ٥٨٠ ص .

القوصي ، عبد العزيز .
اسس الصحة النفسية . الطبعة السادسة . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ . ٥٥٢ ص .

كامو ، البير .
الانسان المتمرد . تر . نهاد رضا . بيروت ، عويدات ، ١٩٦٣ . ٣٩٠ ص .

الكرماني ، احمد حميد الدين .
كتاب الرياض في الحكم بين الصيادين ، صاحبي الاصلاح والنصرة . تحقيق وتقديم عارف تامر . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٠ . ٢٥٣ ص .

الدين

ابن العربي ، ابو بكر محمد بن عبد الله .
احكام القرآن . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٧ — ١٩٥٩ . ٤ ج .

ابن بابويه القمي ، ابو جعفر محمد بن علي .
علل الشرائع . قدم له محمد صادق بحر العلوم . النجف ، المكتبة الحيدرية ، ١٩٦٣ . ٢ ج في ١ .

ابن تيمية الحراني ، تقي الدين احمد بن عبد الحليم .
الايمان . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦١ . ٤٠٨ ص .

شرح حديث النزول . الطبعة الثالثة . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦١ . ١٩١ص.

افلاطون .
الاصول الافلاطونية « فيدون » او النفس . تر . وتعليق نجيب بلدي وغيره . الطبعة الثانية .
القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ح ١ .

امين ، عثمان .
الفلسفة الرواقية . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ . ١٦٤ ص .

بدوي ، عبد الرحمن .
الموت والعبقرية . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ . ٢٦٤ ص

بن ميلاد ، محجوب .
تحريك السواكن . تونس ، ١٩٥٦ . ١٦٠ ص .

تايلور ، م .
الفلسفة اليونانية ، مقدمة . تعريب عبد المجيد عبد الرحيم ، مراجعة وتقديم ماهر كامل
القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ . ١٦٤ ص .

الحندي ، انعام .
دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية . بيروت ، منشورات الشرق الاوسط للطباعة والنشر ،
لا . ت . ٢٨٤ ص .

دائرة المعارف السيكولوجية . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤ . ٢ ح .

راندال ، جون هرمان ، الابن .
مدخل الى الفلسفة . تأ . جون هرمان راندال الابن وجوستاس بوخلر . تر . ملحم قربان .
بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٣ . ٣٣٤ ص .

زايد ، سعيد .
الفارابي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ١١١ ص .

الطبرسي ، ابو علي الفضل بن الحسن .
مكارم الاخلاق . القاهرة ، بولاق ، ١٣٠٠ هـ . ٢١٥ ص .

الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد .
اخلاقيات . قدم لها وجمعها جورج يونس . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٣ .
٢٠٥ ص .

منطق تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم . تحقيق سليمان دنيا . القاهرة ، دار المعارف ،
١٩٦١ . ٤٠٠ ص .

الالباني ، محمد ناصر الدين .

سلسلة الاحاديث الضعيفة والموصوعة واثرها السيء في الامـة . دمشق ، المكتب الاسلامي، ١٩٥٩ . ح ١ .

صفة صلاة النبي من التكبير الى التسليم كأنك تراها . الطبعة الثالثة وفيها زيادات هامة . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦١ . ٢٠٠ ص.

مساجلة علمية بين الامامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصلاح حول صلاة الرغائب المبتدعة . دمشق ، المكتب الاسلامي ، لا. ت. ٥٩ ص.

حش ، جودا .

الحضارة الاسلامية . تر. وتعليق علي حسني الخربوطلي . القاهرة ، دار احيـــاء الكتب العربية ، ١٩٦٠. ١٩٢ ص.

الجديلي ، محمد عبد الرحمن .

نظرات حديثة في التفسير . بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٣ . ٩٤ ص .

حسلاط ، كمال .

في ما يتعدى الحرف ، بين الاسلام والنصرانية . . . بيروت ، لا. ت. ١٤٠ ص.

خالد ، خالد محمد .

انه الانسان . القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، لا. ت. ٢٦٣ ص.

كما تحدث القرآن . القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٦٢ . ١٧١ ص .

مع الضمير الانساني في مسيره ومصيره . القـــاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ٢٤٤ ص .

الخطيب ، محمد عجاج .

السنة قبل التدوين . القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٦٣ . ٦٥٦ ص .

دراز ، محمد عبدالله .

النبأ العظيم . نظرات جديدة في القرآن . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٦٠ . ح ١ .

زيدان ، عبد الكريم .

احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام . بغداد، مطبعة البرهان ، ١٩٦٣ . ٧٠٤ ص.

الساداتي ، احمد محمود .

تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم. القاهرة، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٥٧. ح ٢ .

ابن حجر الهيثمي ، ابو العباس احمد بن محمد .
الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة ويليه كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن ابي سفيان . كتب مقدمته وعلق حواشيه .. عبد الوهاب عبد اللطيف . القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٣٧٥هـ ٢٦١ ص .

ابن دقيق العيد ، ابو الفتح محمد بن علي .
الالمام باحاديث الاحكام . راجعه وعلق عليه محمد سعيد المولوي . دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٣ . ٤٥١ ص .

ابن رجب ، ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد .
بغية الانسان في وظائف رمضان . ويليها عدة رسائل . دمشق ، المكتب الاسلامي ١٩٦١ ١٦٦ ص .

ابن عبد الهادي ، ابو عبد الله محمد بن احمد .
رسالة في حكم صيام يوم الشك . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٣ . ٢٧ ص

ابن عبد الوهاب ، محمد .
كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد . الطبعة الثانية . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٢ . ١١٢ ص .

ابن قيم الجوزية ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر .
زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وامام المرسلين . القاهرة ، المطبعة المصرية ، لا. ت. ٤ ج في ١ .

ابو زهرة ، محمد .
تاريخ المذاهب الاسلامية . القاهرة ، دار الفكر العربي ، لا. ت. ٢ ج .

ابو شادي ، احمد زكي .
لماذا انا مسلم ؟ تونس ، ١٩٥٨ . ١١٥ ص.

الاسفرايني ، ابو المظفر عماد الدين .
التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . القاهرة ، الخانجي ، ١٩٥٥ . ٢٤٥ ص .

الالباني ، محمد ناصر الدين .
تخريج احاديث فضائل الشام . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٥٩ . ٢٤ ص .

رسالة الاجوبة النافعة عن اسئلة لجنة مسجد الجامعة ويليها احكام الجمعة وبدعها . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٠ . ٧٠ ص .

عثمان ، فتحي .
الدين في موقف الدفاع . القاهرة ، مكتبة وهبه ، لا. ت. ٣٣٢ ص .

العروردي ، محمد العربى ، حا .
الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم . بيروت ، مطبعة الانصاف ، ١٩٦٠ . ح ١ .

عطية الله ، احمد .
القاموس الاسلامي . موسوعة للتعريف بمصطلحات الفكر الاسلامي ، ومعالم الحضارة الاسلامية . . . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ . ح ١ .

الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد .
الجام العوام عن علم الكلام . . . القاهرة ، المطبعة الميمنية ، ١٣٠٩ هـ. غير منتظم الترقيم .

الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد .
معارج القدس في مدارج معرفة النفس . . . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٢٧ . ١٣٧ ص .

المعارف العقلية . حققه وقدم له عبد الكريم عثمان . دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٣ . ١١٢ ص .

مكاشفة القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب . المختصر من مكاشفة القلوب الاكبر . القاهرة ، بولاق ، ١٣٠٠ هـ. ٢ ح في ١ .

الفقي ، محمد حامد .
اثر الدعوة الوهابية في الاصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها . القاهرة ، مطبعة النهضة ، ١٣٥٤ . ١١٣ ص .

القاضي الازدي ، اسماعيل بن اسحاق .
فضل الصلاة على النبي . تحقيق محمد ناصر الدين الالباني . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٣ . ٤٥ ص.

القرضاوي ، يوسف .
الحلال والحرام في الاسلام . الطبعة الثانية . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٢ . ٢٦٣ ص .

قطب ، سيد .
خصائص التصور الاسلامي ومقوماته . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٢ . ٢٣٤ ص .

سال ، جورج .
مقالة في الاسلام . معربة عن الانكليزية بقلم هاشم العربي . طبعة ثالثة . القاهرة ، المطبعة الانكليزية الاميركية ، ١٩١٣ . ٤٧٦ ص .

السخاوي ، ابو الخير محمد بن عبد الرحمن .
المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة . القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٦ . ٥١١ ص .

السفاريني ، شمس الدين محمد بن احمد .
. . . ثلاثيات مسند الامام احمد . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦١ . ٢ ج .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر .
لباب النقول في اسباب النزول . الطبعة الثانية . القاهرة ، الحلبي ، ١٩٥٤ . ٢٤٧ ص.

شارل ، ريمون .
الهلال الشهيد ، مصير الاسلام في ظل الانظمة القيصرية والسوفياتية . لا. م. ، المعهد الدولي للبحوث والدراسات الشرقية ، ١٩٦٣ . ٢٣٦ ص .

شرف الدين ، عبد الحسين .
المراجعات . الطبعة الخامسة منقحة . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ٣٥٧ ص .

الشرقي ، احمد بن ابراهيم بن عيسى .
توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الامام ابن القيم الموسومة بالفكاهية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٣ . ٢ ج .

شلبي ، احمد .
المجتمع الاسلامي ، اسس تكوينه – اسباب تدهوره – الطريق الى اصلاحه . القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ . ٢٨٨ ص .

الصابي ، ابو الحسين هلال بن الحسن .
. . . رسوم دار الخلافة . لا. م. ، ٤٥٥ هـ. (مخطوط) ٢٠٣ ورقة .

عاشور ، سعيد عبد الفتاح .
المدنية الاسلامية واثرها في الحضارة الاوروبية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ ٢٢٦ ص .

عبده ، محمد .
الاسلام دين العلم والمدنية . عرض وتحقيق وتعليق طاهر الطناحي . القاهرة ، دار الهلال ، لا. ت. ١٦٦ ص .

ابن ضويان ، ابراهيم بن محمد بن سالم .
منار السبيل في شرح الدليل على مذهب ... احمد بن حنبل . دمشق ، دار السلام ، ١٩٥٨ . ٢ ج .

ابن قدامة المقدسي ، ابو محمد عبدالله بن احمد .
الكافي في فقه ... احمد بن حنبل . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٣ . ج ١.

ابو الخير ، كمال حمدي .
تطور التعاون وفلسفته في ضوء الاشتراكية العربية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة ، لا.ت. ١٦١ ص.

ابو راشد ، حنا .
تاريخ المحاكمة الدولية لمجرمي الحرب النازية ، ملحق تاريخ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ . بيروت ، مكتبة الفكر العربي ومطبعتها ، ١٩٦٤ . ١٤٨ ص .

ابو زهرة، محمد .
اصول الفقه . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٧ . ٣٩٩ ص

الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية . قسم البحوث .
دراسة مقارنة للتعريفات الجمركية المطبقة في البلاد العربية بخصوص السلع التي تناولتها الاتفاقيات التجارية العربية الثنائية والجماعية . بيروت ، ١٩٦٣ . ٣٤٣ ورقة .

احمد، احمد كمال .
الخدمة الاجتماعية والمجتمع . تأ. احمد كمال احمد وعدلي سليمان . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣ . ٥٥٢ ص .

الاردن . وزارة التربية والتعليم .
التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٦١ – ١٩٦٢ . عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، لا.ت ج ١٠ .

الاردن وزارة الزراعة .
التقرير السنوي العاشر ١٩٦١ لمحطة الابحاث الزراعية ديرعلا . عمان ، ١٩٦٢ . ج ٩.

الاعسر ، يس .
اسس التربية وعلم النفس في المدرسة الابتدائية . الطبعة الثانية . حلب ، مكتبة الشرق ، ١٩٦٢ . ٢ ج .

الامير الكبير ، محمد بن محمد .
مطلع النيرين في ما يتعلق بالقدرتين . القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٨٩٦ . ٣٢ ص.

القنوحي ، ابو الطيب محمد صديق خان بن علي .
الموعظة الحسنة بما يخطب في شهور السنة . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٢.
٣١٦ ص .

مكي ، حسين يوسف .
عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الائمة . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ .
٣٧٨ ص .

مهدي ، محمود احمد .
ما الفوارق بين السنة والشيعة . بيروت ، حمد ، ١٩٦٣ . ٢٨٦ ص .

المودودي ، ابو الاعلى .
الجهاد في سبيل الله . معرب عن الاردية . كوجر انواله ، دار العروبة للدعوة الاسلامية ،
لا . ت. ٤٨ ص .

منهاج الانقلاب الاسلامي . معرب عن الاردية . لاهور ، دار العروبة للدعوة الاسلامية .
لا . ت. ٦٥ ص .

نظام الحياة في الاسلام . . . معرب عن الاردية . حيدر آباد ، دار العروبة للدعوة
الاسلامية ، لا . ت. ٧٣ ص .

الندوى ، مسعود .
الاسلام ودعوته . . . لاهور ، دار العروبة للدعوة الاسلامية ، لا . ت. ٢٠ ص

نوفل ، عبد الرزاق .
الله والعلم الحديث . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا.ت. ٢٧٠ ص

النووى ، ابو زكريا يحيى بن شرف .
رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٥ .
٧١١ ص.

العلوم الاجتماعية

ابراهيم ، اكرم نشأت .
الاحكام العامة في القانون العراقي . بغداد ، المكتبة الاهلية ، ١٩٦٢ . ١٦٠ ص.

ابن الشحنة ، ابو الوليد محمد بن محمد .
لسان الحكام في معرفة الاحكام . الاسكندرية ، مطبعة جريدة البرهان ، ١٢٩٩ .
٢٤٤ ص .

جمعية تعليم الكبار الامريكية ، مح .

التخطيط من اجل برامج افضل . تر . سعد دياب ، القـــاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٣ .
٨١ ص .

تقويم الاسلوب الديمقراطي في المؤتمرات . تر . عبده ميخائيل رزق . القاهرة ، دار القلم ،
١٩٦٣ . ٨٩ ص .

العمل في المجتمع . تر . هدى محمد بدران . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٣ . ٨١ ص .

العمل مع المتطوعين . تر . رهيان حنا بخيت . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٣ . ٨٤ص.

الجمهورية العربية المتحدة . لجنة التخطيط القومي .

اطار الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للسنوات الخمس يوليه سنة ١٩٦٠ – يونيه
سنة ١٩٦٥ . القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، ١٩٦٠ . ٤٩٦ ص .

الجمهورية العربية المتحدة . لجنة التخطيط القومي .

الخطة التفصيلية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في السنة الاولى ١٩٦٠ – ١٩٦١ . . .
القاهرة ، لجنة التخطيط ، ١٩٦٠ . ح ١ .

الجمهورية العربية المتحدة . مصلحة الاستعلامات .

الكتاب السنوي ١٩٦٣ . القاهرة ، مصلحة الاستعلامات ، ١٩٦٣ .

الجهيمان ، عبد الكريم .

الامثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية . بيروت ، دار الكتب ، ١٣٨٣هـ . ٣ ح .

الجواهري ، رشاد اسماعيل .

الخدمات الطبية والاسعاف الاولي للدفاع المدني . بغداد ، مديرية الدفاع المدني ، ١٩٦٢ .
٣٩ ص .

جري ، شارل .

السباق بين الانسان والطعام . تر. محمد الشحات . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٣ .
٩٤ ص .

حافظ ، حسن .

علم النفس والتعلم . تأ. حسن حافظ ، عزيز حنا وابراهيم وجيه . القـــاهرة ، مكتبة
الانجلو المصرية ، ١٩٥٨ . ٢٢٥ ص .

حداد ، ابراهيم .

العدالة الاجتماعية عند العرب . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ١٧٥ ص .

ايوب ، سهيل .
الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، ١٩٢٢ — ١٩٥٨ . بيروت ، دار الحرية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ . ١٨٩ ص .

البراوي ، راشد .
ثورة البترول في افريقية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ٢٧٠ ص .

البلباني ، شمس الدين محمد بن بدر الدين بن عبد القادر .
اخصر المختصرات في فقه الامام احمد . القاهرة ، دار مصر للطباعة ، لا. ت. ١٠٧ ص.

البنا ، جمال .
القانون والقضاء في المجتمع الاشتراكي . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٣. ١٨٨ ص .

بهنسي ، احمد فتحي .
نظريات في الفقه الجنائي الاسلامي . القاهرة الشركة القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ٢٣٢ ص .

التطور التربوي في العصر الحديث . تأ . جماعة من اساتذة التربية . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٣ . ١٤٣ ص .

الحاوشلي ، هادي رشيد .
الاحكام المتعلقة بالامن والنظام العام في الجمهورية العراقية . بغداد ، مطبعة الادارة المحلية ١٩٦١ . ٢١٦ ص .

الجمعيات والنقابات في التشريع العراقي . بغداد ، مطبعة الادارة المحلية ، ١٩٦١. ١٧٠ ص .

قانون الدفاع المدني وتشكيلاته في الجمهورية العراقية . الطبعة الثانية . بغداد ، مطبعة الادارة المحلية ، ١٩٦٢ . ٨٧ ص .

الحريتلي ، علي .
السكان والموارد الاقتصادية في مصر . القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٦٢ . ٢١٢ ص.

الحريري ، عبد الرحمن .
. . . الفقه على المذاهب الاربعة . القاهرة ، مطابع مختلفة ، ١٩٣٣–١٩٥٧ . ج ١-٢ و ٤ .

رنيبر ، محمد .
وابرفانون او معركة الشعوب المتخلفة دراسات كتبها : محمد رنيبر ، مولود معمري ومحمد برادة . المغرب ، دار الكتاب ، لا. ت. ١٣١ ص .

ريادة ، نقولا .
الحسبة والمحتسب في الاسلام ... بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٣ . ١٦٢ ص .

الساعي ، محمود محمد .
ادارة الشرطة في الدوله الحديثة . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ .
٢ ح .

سعفان ، حسن شحاته .
تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ .
٣٣١ ص .

السعيد ، صادق مهدي .
خلاصة نظرية حقوق الانسان في العمـــل والعيش . بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٢ .
٢١ ص .

من حقوق وواجبات العمال واصحاب العمل في قانون العمل العراقي . بغـــداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٢ . ١٨٤ ص .

سوريا . قوانين ، انظمة ، الخ .
قانون اصول المحاكمات الجزائية . دمشق ، مطابع ابن زيدون ، ١٩٦٣ . ١٤٤ ص .

السيوطي ، مصطفى بن سعد بن عبده .
مطالب اولي النهى في شرح غاية المنتهى . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦١. ٦ ح .

شراره ، عبد اللطيف .
فلسفة الحب عند العرب . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠ . ١٩٨ ص .

الشريف ، محمد .
على هامش الدستور . القاهرة ، لا. ن. ، ١٩٣٨ . ٢ ح في ١ .

شريف يحيى .
الطب الشرعي والبوليس الفني الجنائي . القـــاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٥٨ .
٢ ج .

حداد ، ادور .
نظام المشاركة او حقوق العمال واصحاب المـــال . بيروت ، دار الريحاني ، ١٩٦٣
١٤٨ ص .

حزب البعث العربي الاشتراكي .
نضال البعث في سبيل الوحدة الحرية الاشتراكية . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ٣ ج.

الحزب الوطني .
رد الحزب الوطني على تقرير المعتمد البريطاني في مصر . القاهرة ، مطبعة الهداية ، ١٩١١ .
٦٧ ص .

الحكيم ، محمد تقي .
الاصول العامة للفقه المقارن . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ج ١ .

حلمي ، احمد .
السجون المصرية في عهد الاحتلال الانكليزي . القاهرة ، مطبعة النجـــاح ، ١٩١١
١٤٢ ص .

حيدر ، علي مهدي .
الادارة العامة للالوية في الجمهورية العراقية . الطبعة الثانية . بغـــداد ، مطبعة الارشاد .
١٩٦٢ . ٣٨٨ ص .

خالد ، خالد محمد .
لكي لا تحرقوا في البحر . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٥
٢٠٢ ص .

الخوري ، فؤاد اسحق .
عين على لسان . بيروت ، دار مجلة شعر ، ١٩٦٣ . ١٨٤ ص .

الخولي ، البهي .
الاشتراكية في المجتمع الاسلامي بين النظرية والتطبيق . القاهرة ، مكتبة وهبه ، لا . ت .
١٨٣ ص .

الرافعي ، عبد الرحمن .
نقابات التعاون الزراعية ، نظامها وتاريخها وثمراتها في مصر واوروبا . القاهرة ، مطبعة
النهضة الادبية ، ١٩١٤ . ٣٤٥ ص .

زرقانه ، ابراهيم احمد .
بعض مشكلات الجغرافية السياسية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٠ . ٢٠٨ ص.

عبد المحسن ، عبد العزيز امين .
التربية في السودان من اول القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر والاسس النفسية والاجتماعية التي قامت عليها . القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٤٩ . ٣ ج في ١ .

العراق وزارة المالية . مديرية المحاسبات العامة .
التقرير السنوي لمديرية المحاسبات العامة للسنة ١٩٥٨ المالية . بغداد ، مطبعـــة الحكومة ، ١٩٦٢ . ١ ج .

عزيز ، محمد .
تاريخ الافكار الاقتصادية . بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٦ . ٣٠٩ ص .

عصفور ، محمد .
ازمة الحريات في المعسكرين الشرقي والعربي . القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦١ . ٣٤٤ ص .

الحرية في الفكرين الديمقراطي والاشتراكي . القـــاهرة ، المطبعة العالمية ، ١٩٦١ . ٣٥٢ ص .

عون ، عبد الرؤوف .
الفن الحربي في صدر الاسلام . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ . ٣٥٢ ص .

عيسى ، محمد طلعت .
التأمين الاجتماعي ، فلسفته وتطبيقاته ، الطبعة الثانية . القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثـــة ، ١٩٦٢ . ٣٧٤ ص .

عياش ، جرمان .
جوانب من الازمة المالية بالمغرب بعد الغزو الاسباني سنة ١٨٦٠ . الرباط ، معهد الدروس العليا المغربية ، ١٩٥٩ . ٣٩ ص .

غالب ، مصطفى .
سم الله الشيوعية ... وكفى . سلمية ، مجلة الغدير ، ١٩٦٣ . ١٥١ ص .

غولت ، توم .
كيف تعمل الامم المتحدة . تر. حسين كامل الانصاري . بغداد ، دار التضامن ، ١٩٦٢ . ٣٣٠ ص .

غيث ، محمد عاطف .
القرية المتغيرة (القيطون – محافظة الدقهلية) دراسة في علم الاجتماع القروي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ٢٩٥ ص .

الشنشوري ، عبد الله بن محمد .
الدرة المصية في شرح الفارضية على مذهب الامام ... احمد بن حنبل . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦١ . ٥٧ ص .

شو ، جورج برنارد .
الاشتراكية الفابية . تر . برهان الدجاني . بيروت ، دار الطليعة ، لا . ت. ٢٨٣ ص .

الشيباني ، احمد .
دراسات في العقائد . الرأسمالية – الاشتراكية – الشيوعية – الصهيونية . بيروت ، دار الكاتب العربي ، لا . ت. ١٥٨ ص .

شيموف ، ادفيك جريديبي .
الطبيب الصغير ، قصة للاولاد . بيروت ، المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ، لا . ت ١٥١ ص .

الشيرازي ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي .
اللمع في اصول الفقه . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٦ هـ. ٩٥ ص .

صفر ، الطاهر .
الاقتصاد السياسي . تونس ، ١٩٥٨ . ٩٢ ص .

صفوت ، محمود محمد .
مراحل البحث الاحصائي . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ . ٥٧٠ ص.

الصكمان ، عبد العال .
الضرائب على التركات ، اهدافها وتنظيمها . بغداد ، مطابع الشعب ، ١٩٦٣ . ٥٨٤ ص .

الصنم الذي هوى . تأ. ستة من كبار كتاب العرب . تر . فؤاد حمودة . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٠ . ٣٣٥ ص .

عاصم ، محمد .
المرافعات في اشهر القضايا . . . القاهرة ، مطبعة نشر الثقافة القانونية ، ١٩٣٣ . ٣٢٣ ص .

عبد الجواد ، محمد .
في كتّاب القرية . القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٣٩ . ١٥٢ ص.

عبد العزيز ، صالح .
التربية وطرق التدريس . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ – ٦٣ . ٣ ج .

اباظه ، فكرى .
ابو حلك الماكي ، المرحلتان الاولى والثانية . القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٥٨ . ٣٤٣ ص .

ابن ابي الخطاب ، ابو زيد محمد .
جمهرة اشعار العرب . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٣ . ٣٦٥ ص .

ابن ابي طالب ، علي .
نهج البلاغة الحليمة . . . شرح محمد عبده ، اشرف على تحقيقة وطبعه عبد العزيز سيد الاهل.
الطبعة الثانية . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ٤ ج في ١ .

ابن الداية ، ابو جعفر احمد بن يوسف .
المكافأة . عني بتنسيق وضعه وتصحيح طبعه وتعليق حواشيه وتفسير غريبه امين عبد العزيز.
القاهرة ، المطبعة الجمالية ، ١٩١٤ . ١٢٨ ص .

المكافأة وحسن العقبى . حققه وشرحه وصححه محمود محمد شاكر . القاهرة ، مطبعة
الاستقلال ، ١٩٤٠ . ١٦٠ ص .

ابن المقرب ، ابو عبد الله محمد بن علي .
ديوان علي بن مقرب العيوني مع شرح للشيخ عبد العزيز بن احمد العويصي . . . دمشق ،
المكتب الاسلامي ، لا . ت . ٩٤٠ ص .

ابن عمر دكور ، محمد .
قرة عين المتسع . ارجوزة في الاصلاح الديني وانكار البدع . بيروت ، دار الكتاب الجديد،
١٩٦٣ . ٣١ ص .

ابو العتاهية ، ابو اسحق اسماعيل بن القاسم .
ديوان ابي العتاهية . بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٤ . ٥١١ ص .

الاحرس ، عبد الغفار بن عبد الواحد .
مخطوطة شعر الاحرس شاعر العراق في القرن التاسع عشر . تحقيق يوسف عز الدين .
بغداد ، دار البصرى ، ١٩٦٣ . ٦٤ ص .

ادريس ، يوسف .
أليس كذلك ؟ القاهرة ، مركز كتب الشرق الاوسط ، ١٩٥٧. ٣٦٥ ص.
حادثة شرف . مجموعة قصص . بيروت ، دار الاداب ، ١٩٥٨ . ١٧٩ ص .

الادلبي ، الفة .
وداعاً يا دمشق . دمشق ، مكتبة اطلس ، ١٩٦٣ . ١٩٥ ص .

غيث ، محمد عاطف .
مقدمة في علم الاجتماع . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ٣٧٤ ص .

فهمي ، عبد العزيز ، متر .
قواعد وآثار فقهية رومانية . القاهرة ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، ١٩٤٧ . ١٩١ص .

فيدرستون ، وليم بلند .
الطفل البطيء التعلم « خصائصه وعلاجه » . تر. مصطفي فهمي . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ . ٢٨٤ ص .

قربان ، ملحم .
المنهجية والسياسة . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ٢٧٠ ص .

القسيمي ، عبد الله عبد العزيز .
الوان كشفية . بيروت ، دار الاندلس ، لا. ت. ١٤٢ ص .

كارتر ، جويندولين .
نظم الحكم والسياسة في القرن العشرين . القاهرة ، دار الكرنك ، ١٩٦٢. ٢٢٨ ص

كرونين ، جورج .
٢٠٠ سؤال وجواب عن الشيوعية . القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٢ ٢٤٢ ص .

كوسولاس ، ديمتري .
مفتاح التقدم الاقتصادي . تر. محمد ماهر نور . القاهرة ، دار الفكر العربي ، لا. ت. ١٣٢ ص .

الكويت ، وزارة التربية والتعليم .
التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٦٢ – ١٩٦٣ . الكويت . ح ٥ .

كيره ، سيد .
السوق الاوروبية المشتركة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٥٦ . ٩٨ص.

لاسكي ، هارولد جوزف .
تأملات في ثورات العصر . تر. عبد الكريم احمد . القاهرة ، دار القلم لا. ت. ٥١٧ ص .

قله ، ىيس حليل .

آدم وحواء ، حكايات اصلاحية في شؤون عائلية . دمشق ، مطابع اس ريدون ، ١٩٦٣ . ١٣٠ ص .

انا وماري . دمشق ، مطابع اس ريدون ، ١٩٤٨ . ١٠٦ ص .

حورفين ، رواية عرامية مواعطية . طبعة ثانية . دمشق، مطابع اس ريدون ، ١٩٥٨ . ٩٦ ص .

ديوان رباعيات الحياة . دمشق ، مطابع اس ريدون ، ١٩٥٨ . ١١٤ ص .

ملاك العرام ، « رواية عرامية حيالية » . دمشق ، مطابع اس ريدون ، لا . ت . ١١٢ ص .

الوحه الداحلي ، رواية عرامية حيالية تهديبية . دمشق ، مطابع اس ريدون ، لا . ت . ١١٤ ص .

بلبع ، عبد الحكيم .

ادب المعترلة الى بهاية القرن الرابع الهحري . القاهرة ، مكتبة بهضة مصر ، ١٩٥٩ . ٤٣٢ ص .

براك ، اوىوريه دو .

الاب عرريو . بيروت ، عويدات ، ١٩٦٢ . ٢٧٧ ص .

ں ثابت ، عبد الكريم .

حديث مصباح . تونس ، ١٩٥٧ . ٨٨ ص .

ں دريل ، عدنان .

في المسرحية مع تلحيص حديث لكتاب الشعر لارسطوطاليس . دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٣ . ١٥٨ ص .

بياتي ، عبد الوهاب .

محاكمة في بيسابور « مسرحية في ثلاثة فصول » . بيروت ، دار الصحافة ، ١٩٦٣ . ١١٠ ص .

تامر ، زكريا .

ربيع في الرماد . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ . ١١٥ ص ،

تطيلي ، ابو حعفر احمد بن عبد الله .

ديوان الاعمى التطيلي ومحموعة من موشحاته . تحقيق احسان عباس . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ٣٣٩ ص .

ارسطو .
منطق ارسطو . حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي . القاهرة ، مكتبة نهضة مصر
١٩٤٨ - ٥٢ . ح ٣ .

اسماعيل ، عز الدين .
التفسير النفسي للادب . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ٢٧٨ ص .

اسماعيل ، محمود حسن .
نار واصفاد . شعر . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ . ١٧٩ ص .

اسيس ، ماشادو دو .
كونكاس بوربا . تر . سامي الدروبي . دمشق ، دار دمشق ، ١٩٦٣ . ٣٤٨ ص .

الاشقر ، اميل حبشي .
فتاة الشام . رواية تاريخية ادبية غرامية . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦؟ . ٢٠٠ص

هند ، اسيرة كليب . . . بيروت ، دار الاندلس ، لا . ت . ٢٢٣ ص .

هند والمنذر . رواية تاريخية ادبية غرامية ، دهاء وحزم ، سياسة وغدر ، غرام وغيره
بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ٢٢٧ ص .

اليتيمة الساحرة . رواية تاريخية ادبية غرامية . الطبعة الثانية . بيروت ، دار الاندلس ،
١٩٦١ . ٣٣٦ ص .

الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم .
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ،
دار المعارف ، ١٩٦٣ . ٧١٩ ص .

باكثير ، علي احمد .
الزعيم الاوحد . مسرحية فكاهية في اربعة فصول . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا . ت .
١٣٣ ص .

البدوي ، محمود .
الاعرج في الميناء وقصص اخرى . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، لا ت .
١٥٩ ص .

عذاري الليل . القاهرة ، دار الجمهورية ، لا . ت . ١٨٧ ص .

بعلبكي ، ليلى .
سفينة حنان الى القمر . قصص قصيرة . بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ،
١٩٦٣ . ١٩٠ ص .

الصالحي ، عبد الرضا .
الكيمياء النظرية والحسابات الكيمياوية لطلبة الكليات . بغداد ، كلية العلوم ، لا . ت .
ج ١ .

الطقار ، فؤاد محمد .
الثروة المعدنية بالاقليم المصرى . القاهرة ، النهضة العربية ، ١٩٦١ . ٣٨٢ ص .

طلبة ، مصطفى .
الدروس العملية في فسيولوجيا النبات . بغداد ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٥ . ٨٠ص .

فورستر ، فرانك .
رواد الاحواء . تر . لجنة من الادباء باشراف نسيب وهيبه الخازن . بيروت ، دار الثقافة ،
لا . ت . ٧٠ ص .

فيرمي ، لورا .
قصة الطاقة الذرية . تر . عمر كامل الوكيل . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣ .
١٧١ ص .

قسوع ، توفيق .
تجارب في علم الفيزياء الطبيعية . . . بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٩٣١ . ١٩٠ ص .

مؤتمر تدريس العلوم في المرحلة الابتدائية الذى عقدته وزارة التربية والتعليم في المملكة الاردنية
الهاشمية بالتعاون مع قسم التعليم في بعثة العمل الاميركية في الاردن بتاريخ ٦ — ٩ ايار ،
١٩٦١ . عمان ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦١ . ٧٥ ص .

هيئة الدراسات العربية ،
نشاط العرب العلمي في مائة سنة . بيروت ، الجامعة الاميركية ،١٩٦٣ . ٤٤١ ص .

العلوم التطبيقية

ابن لوقا ، قسطوس .
الفلاحة اليونانية ، دراسة جديدة لاثر زراعي قديم . بيروت ، ١٩٦٢ . ١٢٧ ص .

ابو النصر ، عادل .
تربية الدجاج والارانب . الطبعة الثانية . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ٢٠٦ ص .
الخرنوب واصنافه في لبنان . بيروت ، المطبعة الوطنية ، ١٩٦٣ . ٥٧ ص .

تقي الدين ، خليل .

عشر قصص من صميم الحياة . الطبعة الثانية . بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٦١ . ١٩٦ص

تيمور ، محمود .

ابا القاتل وقصص اخرى . القاهرة ، دار القلم ، لا . ت . ١٥٨ ص .

دنيا جديدة . القاهرة ، المطبعة النموذجية، لا . ت . ٢٥٥ ص .

شباب وغانيات واقاصيص اخرى . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨ . ٢٢٠ ص .

شفاه غليظة وقصص اخرى . الطبعة الثالثة . القاهرة ، مكتبة الاداب ، ١٩٥٩ ٢٣٩ ص .

قلب غانية . الطبعة الثانية . القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٦١ . ٢٣٠ ص .

مكتوب على الجبين وقصص اخرى . القاهرة ، مكتبة الاداب ، لا . ت . ٢٢٤ ص .

نبوت الخفير . القاهرة ، مكتبة الاداب ومطبعتها ، ١٩٥٨ . ٢٥٦ ص .

ثورب ، ويلارد .

الادب الامريكي في القرن العشرين . تر. مصطفى حبيب . القاهرة، مكتبة مصر ، لا.ت. ٣٠٤ ص .

جبران . جبران خليل .

عرائس المروج . بيروت ، دار الاندلس لا . ت . ٧٩ ص .

الحر ، شكر الله .

اغاني الليل . شعر . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ١٧٣ ص .

الحسر ، حسين .

هدية الالباب في جواهر آلاداب . دمشق ، المكتب الاسلامي ، لا . ت . ١٦ ص .

الجندي ، انور .

المعارك الادبية في الشعر والنثر والثقافة واللغة والقومية العربية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا . ت . ٦٨٨ ص .

حريق ، اسكندر .

رفة جناح . بيروت ، دار الريحاني ، لا . ت . ٢٥٠ ص .

حسين ، طه .

من ادبنا المعاصر . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨ . ١٩٥ ص .

شركة نفط العراق ، دائرة مواصلات الادارة والمستخدمين .
دراسة في النفط . بغداد ، الشركة الوطنية للطباعة والاعلان ، ١٩٦٣ . غير مرقم .

شريف ، ابراهيم .
نهر الأردن ومشاريع الري . بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٢ . ١١٠ ص .

الشطي ، احمد شوكت .
الطب عند العرب . القاهرة مؤسسة المطبوعات الحديثة ، لا . ت . ٢٠٢ ص .

طرابيشي ، حيدر .
مبادىء الامواج الميكروية والرادار ، دراسة وتحليل . القاهرة ، دار العروبة ، لا . ت .
٤١١ ص .

عابوتي ، جميل .
واقعنا الصحي . دراسة صحية عامة تتناول الوضع الصحي في اقليم شرق البحر الابيض المتوسط وفي لبنان . بيروت ، مطبعة حبيب عيد ، ١٩٦٣ . ٩٧ ص .

العراق . مديرية الري العامة .
الري في العراق ومصر . بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٤٢ . ٣٤ ص .

عون ، حلمي ابراهيم سلامه .
تنسيق الازهار ، فن ، فلسفة ، لغة . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١ .
١٩٢ ص .

عواد ، ميخائيل .
صناعة الزجاج والبلور . بغداد ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية، ١٩٦٢ . ١٨ ص .

عواد ، ميخائيل .
صناعة الصفر . بغداد ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية ، ١٩٦٢ . ٢٦ ص .

كلارك ، مارجوريت .
الطب الحديث . تر . محمد نظيف . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٣ . ٣٨٢ ص .

كوليس ، جون ستيوارت .
انتصار الشجرة . تر . مروان الجابري ، مراجعة انيس فريحه . بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ٣٠٢ ص .

الناموسي عبد الحميد .
مبادىء المحاسبة . بغداد ، مطبعة شفيق ، لا . ت . ج ٢ .

ازيموف ، اسحق ،
عناصر الحياة . الاريمات ، الفتيامينات الهورمونات . تر . محمد الشحات . القاهرة ، مؤسسه سجل العرب ، ١٩٦٢ . ١٧٣ ص .

سعد الله ، عبد العزيز ،
الطب والاطباء بالمغرب . الرباط ، المطبعة الاقتصادية ، ١٩٦٠ . ١٠٩ ص .

بير لنجيم ، روجير .
آلات صنعت امة . تر . احمد عبد الرحمن حموده . القاهرة ، مكتبة الاداب ، لا . ت . ٢٣٢ ص .

بيلي ، جيرالد .
قياس الوقت للحركات الاساسية . تأ . جيرالد بيلي ورالف بريجريف . تر . عمر القباني . القاهرة ، دار الكرنك ، لا . ت . ٢٤٦ ص .

خميس ، علي شكرى .
ذكريات وملاحظات عن احوال السودان الزراعية والتجارية والاجتماعية بمناسبة زيارة البعثة المصرية للسودان في اوائل سنة ١٩٣٥ . الاسكندرية ، مطبعة جريدة البصير . ١٩٣٥ . ١٤٢ ص .

رمضان ، محمد حافظ .
الخطاب الذى القاه بمجلس النواب . . . رئيس الحزب الوطني . . . القاهرة ، المطبعة الحديثة ، ١٩٣٢ . ٢٤ ص .

روص ، فرانك .
الرادار وغيره من المخترعات الالكترونية. تر. زكريا احمد البرادعي. القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢ . ٢٣٣ ص .

زكريا ، صفوت .
عيون السعادة المنزلية . دمشق ، مكتبة اطلس ، لا . ت . ١٠٤٠ ص .

سري ، حسين .
علم الري . القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٣٣ ، ح ٢ .

السقا ، حمدي .
المحاسبة التجارية الحديثة . دمشق ، مطبعة الجمهورية ، ١٩٦٢-١٩٦٣ . ٣ ج .

شاكني ، ستيوارت .
البترول في خدمة العالم . تر . حسن حسني ابو السعود . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ١٣٦ ص .

لبنان . وزارة التصميم العام .
تقرير مجلس التصميم والانماء عن اعماله خلال سنة ١٩٦٢ . بيروت ، مطبعـــة صادر ، لا . ت. ٤١ ص .

ليبيا . مصلحة الاحصاء والتعداد .
ملخص الاحصاءات الليبيـــة للسنوات ١٩٥٨ – ١٩٦٢ . طرابلس الغرب ، مصلحة الاحصاء والتعداد ، ١٩٥٨ . ١ ج .

ليله ، محمد كامل .
النظم السياسية . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٣ . ١١٧٧ ص.

المالكي ، عبد الرحمن .
السياسة الاقتصادية المثلى. لا . م . ، لا. ن. ، ١٩٦٣ . ٢٣١ ص.

مجلس النقد الكويتي .
التقرير السنوي الاول للمدة المنتهية في ٣١ مارس ١٩٦٢ . الكويت ، ١٩٦٢ . ١ج .

محمود ، عبد المنصف .
من هدهد سليمان الى طابع البريد . الاسكندرية ، مطبعة نصر ، لا . ت . ٢٠٤ ص .

مختار ابن احمد مؤيد العظمي .
فصل الخطاب او تفليس ابليس ، من تحرر المراة ورفع الحجاب ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٣١٨هـ . ٢٧٩ ص.

مدكور ، محمد سلام .
المدخل للفقة الاسلامي . تاريخه ومصادره ونظرياته العامة . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٠ . ٧٧٦ ص.

الوصايا في الفقة الاسلامي . الطبعة الثانية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ٤٩٦ ص .

مصر . مجلس الشيوخ .
تقرير لجنة القانون المدني عن مشروع القانون المدني . القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٤٨ . ٣٠٠ ص .

الدستور . تعليقات على مواده بالاعمال التحضيرية والمناقشات البرلمانية . القاهرة ، مطبعة مصر ١٩٤٠ ، ٤ج .

هاين ، ريتشارد .
مبادىء صب المعادن . تر. صلاح الدين محمد المهدى . القاهرة ، دار النهضة العربية، ١٩٦٢.
٩٨٦ ص .

الفنون الجميلة

الاسمر ، سلمى وصل الله .
الغناء الكلاسيكي العربي . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٣ . ٩٤ ص .

تيمور ، احمد .
الموسيقي والغناء عند العرب . القاهرة ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، ١٩٦٣ ١٨٣ص.

حمدان ، جمال .
جغرافية المدن. القاهرة ، لجنة البيان العربي ، لا . ت . ٥٨٣ ص .

ديوي ، جون .
الفن خبرة . تر . زكريا ابراهيم . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ . ٥٩٩ ص.

الراوى ، نورى .
تأملات في الفن العراقي الحديث . بغداد ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية ، ١٩٦٢ .
٦١ ص .

الرياشي ، لبيب .
الجمال والحب والفن . بيروت ، دار الاندلس ، لا . ت . ١٥٩ ص .

شبر ، سابا جورج .
العلم وتنظيم المدن العربية . الكويت ، بلدية الكويت ، ١٩٦٣ . ٣٠٢ ص .

ديو ماير ، ساره .
قصة الفن الحديث . تعريب رمسيس يونان . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا ت .
١٩٩ ص .

هيور ، لانجستون
موسيقى الجاز . تر . بلي عبد النور . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ٨٣ص.

الادب

اباظه، عزيز .
شجرة الدر ، القاهرة ، ١٩٥١ . ٢٦٢ ص .

ويرت ، حون فيليب .
الرجاء بدون تصحم . تر . حسين عمر . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، لا . ت .
١٨٠ ص .

اليارحي ، كال
ملامح من فلسفة العرب الاحتماعية في نصوص من آثار اعلامها . بيروت ، مكتبة راس بيروت ، ١٩٦٣ . ١٧٣ ص .

فقه اللغة

ابن فارس ، احمد .
الصاحبي في فقة اللغة وسنن العرب في كلامها . القاهرة ، المكتبة السلفية ، ١٩١٠ .
٢٠٥ ص .

الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم
كتاب الاضداد . عني بتحقيقه عن نسخة فريده محمد ابو الفضل ابراهيم . الكويت ، دائرة المطبوعات والنشر ، ١٩٦٠ ، ٥١٧ ص .

بشر ، كال .
قضايا لغوية . القاهرة ، دار الطباعة القومية ، ١٩٦٢ . ١٧٣ ص.

تركي ، فؤاد حنا .
الوسائل السمعية والبصرية المساعدة في تعليم اللغة العربية . بيروت ، مكتبة راس بيروت ، ١٩٦٢ . ٧١ ص .

التميمي ، ابو الطاهر محمد بن يوسف .
المسلسل في غريب لغة العرب . قدم له وحققه وعلق عليه محمد عبد الجواد ، القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٥٧ . ٤١٦ ص .

جسبرسن ، اوتو .
اللغة بين الفرد والمجتمع . تر . بتصرف وعلق عليه عبد الرحمن محمد ايوب . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٤ . ٢٣٨ ص .

الحملاوي ، احمد .
شذا العرف في فن الصرف. الطبعة الرابعة عشرة. القاهرة ، البابي ، ١٩٦٣ . ١٩٣ ص.

مصر . مجلس الشيوخ .

. . . قانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ بفرض ضريبة على ايرادات رؤس الاموال المنقولة وعلى الارباح... القاهرة، المطبعة الاميرية، ١٩٣٩. ٤٥٥ ص.

مصر . مجلس الشيوخ . دور الانعقاد غير العادى .

مضبطة الجلسة الاولى المنعقدة في . . . ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٦ . . . مصر ، ١٩٣٦. غير منتظم الترقيم

مصر . مجلس شورى القوانين .

مجموعة محاضر جلسات سنة ١٩٠٠ – ١٩١١ . القاهرة ، فتح‌الله ، ١٩٠٣. ٣ج .

المصرف الزراعي العراقي . بغداد .

التقرير السنوى عن اعمال المصرف الزراعي للسنة المالية ١٩٦٢ – ١٩٦٣ بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٦٣ . ج ١٦ .

مغنية ، محمد جواد .

الفقه على المذاهب الخمسة . الجعفري ، الحنفى المالكي ، الشافعي ، الحنبلي . بيروت ، دار العلم للملايين ، لا. ت. ١٢٧ ص.

مؤتمر البترول العربي الثاني . بيروت ، ١٩٦٠ .

مجموعة البحوث المقدمة الى المؤتمر . بيروت ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٠ . ٢ج

مورلاند ، كارول .

النظام القضائي في الولايات المتحدة . تر . محمد لبيب شنب . القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٥٧ . ١٩٢ ص .

الميلي ، محمد مبارك .

الفاشية العالمية الحديثة . بيروت ، دار الاداب ، ١٩٦٣ . ١١٢ ص.

نجاتي ، محمد عثمان .

اتجاهات الشباب ومشكلاتهم . بحث حضاري مقارن لشباب الجمهورية العربية المتحدة ولبنان والعراق وسوريا والاردن والولايات المتحدة الاميركية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ٢٠١ ص .

الهداوى ، حسن .

الوجيز في القانون الدولي الخاص ، تنازع القوانين . بغداد، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٢. ج ٣

ويدت ، بول ر .

التعليم بالوسائل السمعية والبصرية . تر . احمد محمود طنطاوى. القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٣ . ٧٥ ص.

من الادب التمثيلي اليوناني سوفوكليس . . . القاهرة ، دار المعارف ، لا . ت . ٣٨٤ص .

الحسيني ، حسن جمال .
الاصدقاء . بيروت المؤسسة الاهلية للطباعة ، لا . ت . ٤٥٥ ص .

الحلي ، علي .
ثورة البعث . شعر . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ١٧١ ص .

حميد ، بدير متولي .
من ادب الحركات الاسلامية . القاهر ، دار المعرفة ، لا . ت . ٢١٠ ص .

حميده ، عبد الحسيب طه .
ادب الشيعة الى نهاية القرن الثاني الهجري. القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٦ . ٣٦٨ص .

حنا ، جورج .
عشرون رسالة الى حميدتي . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٣ . ١٥١ ص .

حاوي ، خليل احمد .
الصوت الآخر . شعر ، صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٣ . ١٠٦ ص ،

الخليلي ، جعفر .
القصة العراقية قديما وحديثا . بيروت ، مطبعة الانصاف ، ١٩٦٢ . ٣٦٩ ص .

الخوري ، توما .
عناق الافعى . بيروت دار الريحاني ، ١٩٦٣ . ٢٠٣ ص .

الخوري ، خليل .
لا در في الصدف ، شعر ، صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٣ ، ٢٠٦ ص ،

خوري ، رفيق .
غابة الحجارة ، شعر . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ١٢٥ ص .

داغوت ، رشاد المغربي .
في العشايا . مسرحيات وقصص واحاديث للاولاد . بيروت ، دار الكتب ، ١٩٦٣ .
٢٣٩ ص .

ديوكس ، اشلي .
الدراما . تر . محمد خيري . القاهرة ، عالم الكتب ، لا. ت . ١٧٥ ص .

دياب ، جميل .
عبحر ملحمة شعرية لمعركة الاستقلال عام ١٦٢٣ . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ .
١٠٨ ص .

الدهان ، سامي .
المرجع في تدريس اللغة العربية للمدارس الاعدادية والثانوية . دمشق ، مكتبة اطلس ١٩٦٣ . ٣١٢ ص .

زيدان ، جرجي .
الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها مراد كامل . القاهرة . دار الهلال ، ١٩٦٠ . ١٨٢ ص .

العقاد ، عباس محمود .
اشتات مجتمعات في اللغة والادب . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ١٥٦ ص .

الفراء ، ابو زكريا يحي بن زياد .
الايام والليالي والشهور ، بتحقيق ابراهيم الابياري . القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٥٦ . ٩٨ ص .

العلوم الطبيعية

اسيموف ، اسحق.
ينابيع الحياة . تر . ثابت جرجس قصبجي . بيروت ، مكتبة منيمنة، ١٩٦٣ . ٢٩٤ص.

باتس ، مارستون .
الغابة والبحر . تر . لجنة من الادباء باشراف نسيب وهيبه الخازن. بيروت، دار الثقافة، لا . ت. ١٥٧ ص .

بيكر ، روبرت هـ .
عندما تطلع النجوم. تر. محمد قياص . بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣. ١٩٥ ص ،

تشامبرر ، روبرت واربر .
من الخلية الى انبوبة الاختبار ، علم الكيمياء . تر . وتقديم حسين سعيد . القاهرة ، مكتبه الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ١٩٢ ص .

الخفاجي ، صادق .
مصور علم النبات مع الشرح الموجز . بغداد ، دار المدير ، ١٩٦٢ . ج ٢ .

زريق ، جلال امين .
مبادىء علم الهيئة . بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٢٧ . ٢٧٠ ص .

سليمان ، نور .
يبقى البحر والسماء . قصص قصيرة . صيدا . المكتبة العصرية ، ١٩٦٣ . ١٤٢ ص .

سليمان ، فؤاد .
القناديل الحمراء . بيروت ، دار الحضارة ، ١٩٦٣ .

سمعان ، ابراهيم .
المومس العذراء . بيروت ، مطابع بيروت ١٩٦٣ . ١١٤ ص .

السمان ، غادة .
لا بحر في بيروت . . قصص . بيروت ، دار الاداب ، ١٩٦٣ . ٢٠١ ص .

سميرة بنت الجزيرة العربية .
بريق عينيك . « قصة » . بيروت ، المكتب التجارى ، ١٩٦٣ . ٣٦٥ ص .

سربيير ، بول .
مكائد النساء في بلاط القياصرة . بيروت ، دار الكاتب العربي ، لا . ت . ٢٤٤ ص .

الشارف ، احمد .
احمد الشارف ، دراسة وديوان . بقلم علي مصطفى المصراتي . بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٣ . ٣٠٣ ص .

شامي ، جورج .
اعصاب من نار ، قصص . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٣ . ١٤١ ص .

شما ، منير .
سوء تفاهم . تونس ، ١٩٥٧ . ٩٦ ص .

صايغ ، توفيق ، مح .
٥٠ قصيدة من الشعر الامريكي المعاصر اختارها وترجمها وقدم لها توفيق صايغ . بيروت ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٣ . ٣١٦ ص .

صدقي ، نجاتي .
الشيوعي المليونير . بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٣ . ١٩٤ ص .

الصوفي ، عبد الباسط .
ابيات ريفية . شعر . بيروت ، دار الاداب ، ١٩٦١ . ١٩٩ ص .

ضيف ، شوقي .
الادب العربي المعاصر في مصر . طبعة ثانية . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ . ٣٠٧ص.

دو الرمة ، غيلان بن عقبة .
ديوان شعر دي الرمة . عي بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري مكارتني . كمبردج كلية كمبردج ، ١٩١٩ . ٦٧٥ ص .

الراوي ، عدنان .
المشانق والسلام . بيروت ، الاداب ، ١٩٦٢ . ١١٩ ص .

رتشاردز ، اقور ارمسترنج .
مبادىء النقد الادبي . تر . وتقديم مصطفى بدوي . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ٣٧٨ ص .

رياض . حسين مطاوع .
تاريخ ادب الشعب، نشأته. تطوراته، اعلامه. القاهرة. مطبعة السعادة. ١٩٣٦، ج ١ .

زمخشري . طاهر .
الخان معتوب . بيروت، دار الاندلس، ١٩٦٣ . ١٨٩ ص .

الزوزني ، الحسين بن احمد .
شرح المعلقات السبع . ضبطه وكتب مقدمته وتراجمه وتعليقاته محمد علي حمد الله . دمشق ، المكتبة الاموية ، ١٩٦٣ . ٣١١ ص .

السباعي ، فاضل ،
ثريا . بيروت ، دار الاتحاد ، ١٩٦٣ . ٢٢٢ ص .

السباعي ، مراد .
الشرارة الاولى . دمشق ، دار الثقافة ، ١٩٦٢ . ١٣١ ص .

السباعي ، يوسف .
ايام مشرقة . القاهرة ، الخانجي ، ١٩٦١ . ٤٣٦ ص .

السحار ، عبد الحميد جودة .
ارملة من فلسطين . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٥٢ ص .

صدى السنين . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا . ت . ١٩٠ ص .

همزات الشياطين . القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٤٦ . ١٤٤ ص .

سلام ، محمد زغلول .
الادب في عصر صلاح الدين الايوبي . الاسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٩٥٩ . ٣٩٩ ص .

عرابي ، كلثوم مالك .
مشردة . شعر . بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٣ . ١١٠ ص .

عرام ، سميرة .
الساعة والانسان ، مجموعة قصص . بيروت ، المؤسسة الاهلية ، لا . ت . ١١٧ ص .

العسكري ، ابو احمد الحسن بن عبد الله .
المصون في الادب . تحقيق عبد السلام محمد هارون . الكويت ، دائرة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦٠ . ٢٩٤ ص .

عسيران ، ليلى .
الحوار الاخرس . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ١٧٨ ص .

عميمي ، محمد الصادق .
القصة المغربية الحديثة . الدار البيضاء ، مكتبة الوحدة العربية ، ١٩٦١ . ٢٩٩ ص .

العميدى ، ابو سعد محمد بن احمد .
الابانة عن سرقات المتنبي . تقديم وتحقيق وشرح ابراهيم الدسوقي البساطي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٠ . ٢٨٤ ص .

عوض ، لويس .
دراسات في النقد والادب . بيروت ، المكتب التجارى ، ١٩٦٣ . ٢٤٣ ص .

عواد ، ميخائيل .
الف ليله وليله مرآة الحضارة والمجتمع في العصر الاسلامي . بغداد ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية ، ١٩٦٢ . ٦٦ ص .

عياد ، شكرى محمد .
ميلاد جديد . قصص . القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، لا . ت . ١٧٤ ص .

غارسيا لوركا ، فيدريكو .
مختارات من شعر لوركا . تر. عدنان بغجاتي . دمشق ، دار دمشق ، لا . ت . ٢٢١ ص.

غانم ، جورج .
اصوات وراء الحدود . دراسات في القصيدة واضواء على الادب والادباء . بيروت ، دار الشرق ، ١٩٦٣ . ٢٤٩ ص .

غانم ، شكري .
عنترة . مسرحية ذات خمسة فصول . دمشق ، الفن الحديث العالمي ، لا . ت . ١٤٧ ص.

الطاهر ، علي جواد .

المنهل في الادب العربي في العصر العباسي والاندلسي . بغداد ، المكتبة الاهلية ، ١٩٦٢ . ٢١٢ ص .

الطعمه ، سلمان هادي .

الاشواق الحائرة ، شعر . بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٢ . ٨٨ ص .

عاصي ، ميشال .

الفن والادب ، بحث في الجماليات والانواع الادبية . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ٢٤٧ ص .

عباس ، احسان رشيد .

تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٢ . ٣٥٩ ص .

شعر الخوارج . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ٢١٨ ص .

عبد القدوس ، احسان .

لا شيء يهم . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا . ت . ٧٢٧ ص .

عبد الله ، محمد عبد الحليم .

اشياء للذكرى وقصص اخرى. القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، لا. ت. ١٤١ص.

الوان من السعادة . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا . ت . ٢٠١ ص .

الصفيرة السوداء . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا . ت . ٢١١ ص .

لقيطة . ليلة غرام . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا . ت . ٢٢٣ ص .

الماضي لا يعود : مجموعة اقاصيص . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا . ت . ١٨٣ ص .

النافذة الغربية . القاهرة ، دار الفكر العربي ، لا . ت . ١٦٤ ص .

الوشاح الابيض . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا . ت . ١٨٦ ص .

العجيلي ، عبد السلام .

الحب والنفس . قصص . بيروت ، دار الاداب ، ١٩٥٩ . ١١٩ ص .

الحائر . قصص . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٠ . ١١٢ ص .

ساعة الملازم ، مجموعة قصص . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥١ . ١١٦ ص .

اكارلوني ، جان كلود .
تطور النقد الادبي في العصر الحديث . تر . جورج سعد يونس . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٣ . ١٤٣ .

كاشف الغطاء ، الهادي .
مستدرك نهج البلاغة . . . ويليه كتاب مدارك البلاغة ودفع الشبهات عنه. بيروت، مكتبة الاندلس ، لا . ت . ٢٦٨ ص .

كمالي ، غسان .
موت سرير رقم ١٢ وقصص اخرى . بيروت ، مكتبة منيمنة ، ١٩٦٠ . ٢٠٥ ص .

كيلي ، جورج .
عاشق المطاهر . تر . كامل يوسف . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ١٧٤ ص .

كينهام ، ساره .
الورود المتحجرة . تر . فؤاد معمعت . بيروت ، دار الكتاب ، لا . ت . ٢٧٨ ص .

الكيالي ، سامي .
من خيوط الحياة . حلب ، المطبعة التجارية ، ١٩٦٣ . ٢٦٣ ص .

لبيد ابو عقيل بن ربيعه .
شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . حققه وقدم له احسان عباس . الكويت ، وزارة الارشاد والانباء ، ١٩٦٢ . ٤٥٩ ص .

المازني ، ابراهيم عبد القادر .
ع الماشي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٦٧ ص .

مالرو ، اندريه .
الوضع البشري . تر . نبيه صقر . بيروت ، عويدات ، ١٩٦٣ . ٣١٨ ص .

المالكي ، شرف الدين يونس .
الكنز المدفون والفلك المشحون المنسوب لجلال الدين السيوطي . بولاق ، ١٢٨٨ . ٢٦٠ ص .

محفوظ ، عصام .
السيف وبرح العذراء . شعر . بيروت ، دار مجلة شعر ، ١٩٦٣ . ٨٥ ص .

محفوظ ، نجيب .
دنيا الله . مجموعة اقاصيص . القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٦٣ . ٢٦١ ص .

عراب ، امين يوسف .
ارض الخطايا . القاهرة ، مكتبة مصر ، لا . ت . ٢٠٥ ص .

ساحر النساء . القاهرة ، دار التحرير للطبع والنشر ، ١٩٥٤ . ١٦١ ص .

قلب في لسان . القاهرة ، دار الجمهورية ، لا . ت . ١٦٤ ص .

نساء الآخرين . بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٥٨ . ٢٥٤ ص .

هذا النوع من النساء . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٥٨ ص .

عريّض ، جورج .
سعيد عقل والغزل الحلاق . بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٣ . ١٤٧ ص .

فاخوري ، جورج .
شتاء في الربيع . قصص . بيروت ، مطبعة معتوق ، ١٩٦٣ . ١٥٩ ص .

فرحات ، الياس .
احلام الراعي . الطبعة الثانية . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٢ . ١٥٨ ص .

فلوبير ، غوستاف .
مدام بوفاري . طبعة جديدة منقحة . بيروت ، عويدات ، ١٩٦٢ . ٤١٥ ص .

فهمي ، ماهر حسن .
حركة البعث في الشعر العربي الحديث . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ . ٢٤٦ ص .

المذاهب النقدية . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ . ٢٢٧ ص .

فوكس ، جون (الاب)
سباق مع الفجر . تر . فوزي قبلاوي . بيروت ، المؤسسة الشوقية ، لا . ت . ٣٠٢ ص .

فوكنر ، وليم .
الصخب والعنف . تر . وقدم له جبرا ابراهيم جبرا . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٣ . ٣٨٩ ص .

فولتير ، فرنسوا ماري اروية دو .
كنديد او التفاؤل . تر . عادل زعيتر . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥ . ٢٩٢ ص .

القويري ، عبدالله .
المعاناة من اجل شيء . بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٣ . ١٠٩ ص .

ابراهيم ، محسن .
مناقشات حول نظرية العمل العربي الثورى . بيروت ، دار الفجر الحديد ، ١٩٦٣ .
١٤٠ ص .

ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن محمد .
التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل تحقيق عبد القادر احمد طليمات . القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٣ . ٢٦٥ ص .

ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله .
الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة . اعدها وحققها احسان عباس . بيروت ، دار الثقافة ، لا . ت . ٣١٩ ص .

ابن الفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق .
تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب . حققه مصطفى جواد . دمشق ، المطبعة الهاشمية، ١٩٦٢ . ج ٤ ق ، ١ .

ابن القيسراني ، ابو الفضل محمد بن طاهر .
الانساب المتفقة ، تح . ب . دي يونغ ، ليدن ، بريل ، ١٨٦٥ . ٢٣٩ ص ،

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد .
جمهرة انساب العرب . تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ، دار المعارف، ١٩٦٢ . ٧٠٩ ص .

ابن شاهين ، غرس الدين خليل .
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك . اعتنى بتصحيحه بولس راويس . باريس ، المطبعة الجمهورية ، ١٨٩٤ . ١٥٧ ص .

ابن شداد ، ابو المحاسن يوسف بن رافع .
في سيرة صلاح الدين الايوبي ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . صححه وحققه وشرح غريبه محمد محمود صبح . القاهرة ، دار الكتاب العربي ، لا . ت . ٤٢٣ ص .

ابو الليل ، محمود نجيب .
الاماني الوطنية والمشكلات المصرية في الصحف الفرنسية منذ عقد الاتفاق الودي حتى اعلان الحرب العالمية الاولى . القاهرة ، مطبعة النحرين ، ١٩٥٣ . ٣٠٤ ص .

ابو راشد ، حنا .
حياة انسان . بيروت ، مكتبة الفكر العربي ، ١٩٦٣ . ج١ .

محمود ، زكي نجيب .
شروق من العرب . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٢ . ٣٤٨ .

مسعد ، نجيب .
تراثنا الادبي المعاصر . . . بيروت ، المكتبة اللبنانية ، لا . ت . ٣٢١ ص .

المقدسي ، انيس الخوري .
الفنون الادبية واعلامها في النهضة العربية الحديثة . بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٣ . ٦٦٢ ص .

موریاك ، فرنسوا .
بيرير ديكيرو ، رواية . تر . جورج سالم . بيروت ، عويدات ، ١٩٦٣ . ١٤١ ص .

موسى ، سلامه .
الادب للشعب . القاهرة . الخانجي ، ١٩٦١ . ٢٠٧ ص .

النديم ، عبدالله .
سلافة النديم في منتخبات عبدالله النديم . القاهرة ، مطبعة هندية ، ١٩١٤ . ٢ح في ١

نيكول ، الارديس ،
المسرحية العالمية . تر . عثمان نويه . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، لا . ت . ٣ ح .

وارتون ، اديث .
عصر البراءة . تر . سميرة عزام . بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ٥٢٤ ص .

الوشاء ، ابو الطيب محمد بن احمد .
الموشى او الظرف والظرفاء . تحقيق كمال مصطفى . الطبعة الثانية . القاهرة ، الخانجي ، ١٩٥٣ . ٢٦٦ ص .

وولف ، توماس .
مختارات من فنه القصصي . تر . سميرة عزام . بيروت ، دار مجلة شعر ، لا . ت . ٣٥٨ ص .

التاريخ والجغرافيا والتراجم

آصاف ، يوسف .
تاريخ عام ١٨٨٧ . القاهرة ، مطبعة القاهرة الحرة ، ١٨٨٧ . ٢١٦ ص .

بزاز ، عبد الرحمن .
بحوث في القومية العربية . القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢ . ٤٤٨ص.

البكر ، احمد حسن
المنهاج المرحلي للمجلس الوطني لقيادة الثورة . بغداد ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية ، ١٩٦٣ . ٣٦ ص .

بن هاشم ، محمد .
حضرموت ، تاريخ الدولة الكثيرية . القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٤٨ . ج ١ .

بوردن ، تشارلز .
هاواي ، جنة الباسيفيك . تر . عمر ابو النصر . بيروت ، المكتبة الاهلية ، لا. ت. ١٨٠ ص .

بيان تكوين الدولة العربية الاتحادية ، الجمهورية العربية المتحدة . بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٦٣ . ٣٩ ص .

بيريني ، جان جاك .
الخليج العربي . تر . هاجر ، نجدة وسعيد الغز . بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٥٩ . ٢٤٧ ص .

البيطار ، محمد بهجة .
حياة شيخ الاسلام ابن تيمية . دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦١ . ٢٢١ ص .

بيلا ، شارل .
الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء . تر . ابراهيم الكيلاني . دمشق ، دار اليقظة العربية، ١٩٦١ . ٤٧٠ ص .

البيومي ، محمد رجب .
ابن حنبل . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر ، لا. ت. ١٦٣ ص .

التجاني ، ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد .
رحلة التجاني ، قام بها في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي . تونس ، المطبعة الرسمية ، ١٩٥٨ . ٥٠٢ ص .

ترمينسي ، عدنان .
اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة . بيروت ، دار مكتبة الحيـــاة ، لا. ت. ٣١٩ ص .

ابو شب ، عادل .
حياة الفنان عبد الوهاب ابو السعود . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ .
١٢٥ ص .

الاتحاد العام لطلبة فلسطين . لبنان .
معركة استرداد فلسطين . بيروت ، الاتحاد العام ، لا . ت . ٦١ ص .

احمد ، احمد يوسف .
فنان الشعب محمود بيرم التونسي . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ٣٤٠ ص .

احمد امين، بقلمه وقلم اصدقائه ، بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته ٣٠ مايو ١٩٥٥ . القاهرة ،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٥ . ١١٢ ص .

ارمان ، ادولف .
مصر والحياة المصرية في العصور القديمة . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، لا . ت .
٦٧٤ ص .

اعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة من ٢ الى ٦ يناير ١٩٦٢ . القاهرة ، المركز
القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٢ . ٦٣٨ ص .

ايوبيدس ، ميشيل جورج .
فرق . . . تحسر . ثورة العرب ١٩٥٥ – ١٩٥٨ . تعريب خيري حماد . بيروت ، دار
الطليعة ، ١٩٦١ . ٣٠٧ ص .

باقر ، طه .
المرشد الى مواطن الاثار والحضارة ، الرحلة الثانية بغداد – سامراء – الحضر . بغداد ،
مديرية الفنون والثقافة الشعبية ، ١٩٦٢ . ٤٦ ص .
ملحمة كلكامش . بغداد ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية ، ١٩٦٢ . ١٠٨ ص .

بحري ، يونس
وحدة ام اتحاد ؟ ٣ ثورات تخلق اقداراً جديدة. بيروت ، مكتبة العرب، ١٩٦٣. ٣٣ص.

برو ، توفيق علي .
العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ – ١٩١٤ . القاهرة ، معهد الدراسات
العربية العالية ، ١٩٦٠ . ٦٥١ ص .

برون ، جفري .
الحضارة الاوروبية في القرن التاسع عشر ١٨١٥ – ١٩١٤ . تر . عبلة حجاب . بيروت،
المكتبة الاهلية ، ١٩٦٣ . ٢٤٩ ص .

الحسني ، عبد الرزاق ، حا .
الاصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي الزائل . صيدا ، مطبعة العرفان، ١٩٦٤ . ٣٣٢ ص .

الحسين ، ملك الاردن ، ١٩٥٣ —
قصة حياتي لصاحب الجلالة الملك المعظم ، . عمان ، المديرية العامة للمطبوعات والاعـــلام والنشر ، لا. ت. ١٠٨ ص .

الحصري ، خلدون ساطع .
ثورة ١٤ تموز وحقيقة الشيوعيين في العراق . الطبعة الثانية . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ١٥٠ ص .

الحصري ، ساطع .
الاقليمية جذورها وبذورها مع خريطتين ملونتين . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٣ . ٣٠٤ ص .

الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله .
صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار . عني بنشرهـــا وتصحيحها وتعليق حواشيها لافي بروفنصال . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧ . ٢٢٩ ص .

الحوفي ، احمد محمد .
التيارات المذهبية بين العرب والفرس . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا. ت. ١٨٢ ص .

الحيمي ، الحسن بن احمد .
سيرة الحبشة . بتحقيق مراد كامل . القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابـــع الأميرية ، ١٩٥٨ . ٦٨ ص .

الخشاب ، مصطفى .
دروس في مقومات المجتمع العربي ونظمه . القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٦٢ . ٣١٢ ص .

خليفة ، الحبيدي .
من وحي الثورة الجزائرية . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ٢٥٢ ص .

دافيدسون ، بازيل .
افريقيا تحت اضواء جديدة . تر. جمال م. احمد . بيروت ، دار الثقافـــة ، لا. ت. ٤٨٠ ص .

تقي الدين ، منير .
مقامات لبنانية . بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٣ . ١٨٦ ص .

توفيق ، عمر كمال .
مملكة بيت المقدس الصليبية . الاسكندرية ، مطبعة رويال ، ١٩٥٨ . ٢٢١ ص .

تيمور ، احمد .
الاثار السوية ... الطبعة الثانية . القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٥ . ١٢٣ ص .

حاماتي ، حبيب .
الناصر صلاح الدين . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ٢١٥ ص .

الحاوشلي ، هادي رشيد .
شؤون مناطق الحدود في الجمهورية العراقية . الطبعة الثانية . بغداد ، مطبعة الادارة المحلية ، ١٩٦١ . ١٨٧ ص .

الحلاوي محمد طاهر .
ذكرى طاعور . القاهرة ، مكتبة الاحلو المصرية ، ١٩٥٧ . ١٥١ ص .

الجندي ، درويش .
القومية العربية في الادب الحديث . القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٢ . ١٥٧ ص.

الحومرد ، عبد الجبار .
داهية العرب ابو جعفر المنصور مؤسس دولة بني عباس . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ٤٦٢ ص .

جوهر ، حسن محمد .
العراق . تأ. حسن محمد جوهر ومحمد مرسي ابو الليل . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ١٣٥ ص .

جيمس ، برستون اي .
ملحمة امريكا الشمالية ، تر. جورج قاعي . بيروت ، المؤسسة الشرقية ، لا. ت. ٢٠٨ ص .

حاتم ، عبد القادر .
مع الميثاق . القاهرة ، الدار القومية ، لا. ت. ٢٠٢ ص .

حافظ ، حمدي .
الجزائر بين الامس والغد . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر ، لا. ت. ١٤٤ ص .

رويحه ، رياض محمود .
حمار ثقيف الحجاج بن يوسف ، مالىء الدنيا وشاغل الناس . بيروت ، دار الاندلس ،
١٩٦٣ . ٢٥٣ ص .

زكي ، احمد .
كلمة على رياض باشا وصفحة من تاريخ مصر الحديث تتضمن خلاصة حياته . القاهرة ،
المطبعة الاميرية ، ١٩١١ . ٥١ ص .

زكي ، عبد الرحمن .
تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية . القاهرة ، المؤسسة العربية الحديثة ،
١٩٦١ . ٢٤٦ ص .

زلوم ، عبد القادر .
عمان والامارات السبع . دراسة جغرافية انسانية . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٣ .
١٤٣ ص .

السخاوي ، ابو الخير محمد بن عبد الرحمن .
الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . حققه وعلق عليه بالانكليزية فرانز روزنثال . ترجم
التعليقات والمقدمة ، واشرف على نشر النص صالح احمد العلي . بغداد ، مطبعة العاني ،
١٩٦٣ . ٤٦٠ ص .

السفرجلاني ، محيى الدين .
تاريخ الثورة السورية . دمشق ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦١ . ٦٤٢ ص .

سمبسون ، انتوني .
حول افريقية . تر. احمد حمزه ومحمد الحولي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ،
لا . ت. ١٩٤ ص .

سوسة ، احمد .
الدليل الجغرافي العراقي . بغداد ، مطابع مختلفة ، ١٩٦٠ . غير مرقم .

السيد ، جلال .
اسرائيل وكيف خلقها الاستعمار. القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر والتوزيع ،
لا . ت. ٥١ ص .

السيد ، عبد الحميد .
التاريخ في التعليم الثانوي . اهدافه . مناهجه . تدريسه. القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية،
١٩٦٢ . ٣٣٢ .

الدباغ ، مصطفى مراد .
الجزيرة العربية ، موطن العرب ومهد الاسلام . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ١ج.

الدر ، نقولا .
هكذا ضاعت . . وهكذا تعود . دور النفط والمدفع في تحرير فلسطين . بيروت ، دار الحوادث ، ١٩٦٣ . ٣٣٥ ص .

الدرة ، محمود .
القضية الكردية والقومية العربية في معركة العراق . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ٢٧٦ ص .

دوروكل .
التراتيب الادارية . تعريب علي كمون . تونس ، المطبعة التونسية، ١٩٥٣ . ٣٢٠ص

ديسو ، رينه .
العرب في سوريا قبل الاسلام . تر. عبد الحميد الدواخلي . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٩ . ١٦٣ ص .

ديلماس ، كلود .
تاريخ الحضارة الاوربية . تر. كوليت حبيب . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، لا. ت. ٢٠٠ ص .

الذهبي ، ابو عبد الله محمد بن محمد .
المشتبه في الرجال ، اسمائهم وانسابهم . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٢ . ٢ ج .

الرافعي ، مصطفى بن محمد .
عنوان النجابة في معرفة من مات بالمدينة المنورة من الصحابة . القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣ هـ. ١٦٨ ص .

رضا ، ممدوح .
مذكرات الملك طلال . القاهرة ، مؤسسة روز اليوسف ، ١٩٦٢ . ٢٢٩ ص .

رفعت ، ابراهيم .
الثائر العربي عبد الرحمن الكواكبي . القاهرة ، المؤسسة العامة للانباء والنشر والتوزيع لا. ت. ٤١ ص .

رفله ، فيليب .
جغرافية الوطن العربي . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ . ٤٠٢ ص .

عبد السيد ، حسني .
روح الثورية في الميثـــاق . القـــاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر ، لا . ت .
٧٤ ص .

عبد القادر ، لطفي .
في المعركة الفاصلة مع العدوان . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر ، لا . ت .
١٤١ ص .

العراقي ، ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين .
القرب في محبة العرب . حققه وقدم له وعلق عليه وترجم للمؤلف ابراهيم حلمي القادري .
الاسكندرية ، عادل محمد البهي ، ١٩٦١ . ١٨٧ ص .

العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك .
سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي . القاهرة ، المكتبة السلفية ، ١٣٧٩ ٣ج .

علوش ، ناجي .
في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ٤٠ ص .

علي ، علي محمد .
فلسطين بين عصبة الامم والامم المتحدة . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر ،
لا . ت . ٢٧٧ ص .

عواد ، كوركيس .
يعقوب بن اسحاق الكندي . حياته وآثاره . القـــاهرة ، مديرية الفنون والثقافة الشعبية ،
١٩٦٢ . ٢٤ ص .

العتيبت ، محمد علي .
العرب والشرق : من الحـــروب الصليبية الى حرب السويس . القـــاهرة ، الدار القومية ،
لا . ت . ٣ ج .

. . . من الحروب الصليبية الى حرب السويس . القاهرة ، الدار القومية ، لا . ت . ٢ج.

العوري ، اميل .
فلسطين . بغداد ، مؤسسة الفنون والثقافة الشعبية ، ١٩٦٢ . ١٦٨ ص .

عودتر ، جون .
الاسكندر الاكبر . تر . فاروق حـــافظ القاضي . القـــاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ،
١٩٦٣ . ١٣٣ ص .

شكري ، غالي .
سلامة موسى وازمة الضمير العربي . القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٢ . ٤٠١ ص .

شميس ، عبد المنعم .
الثورة العربية الكبرى ، ٢٣ يوليو . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ .
٦٤٠ ص .

الصباغ ، محمد .
شلال الاسود . الطبعة الثانية . تونس ، ١٩٥٧ . ٩٩ ص .

صفر ، احمد .
مدنية المغرب العربي في التاريخ . تونس ، دار النشر – بوسلامة ، ١٩٥٩ . ح ١ .

صرار ، صرار صالح .
العرب من معين الى الامويين . الطبعة الثانية . بيروت ، دار مكتبة الحيـــاة ، ١٩٦٣ .
١٦٨ ص .

الطعمه ، سلمان هادي .
ابو المحاسن الشاعر الوطني الخالد . كربلاء ، مطبعة كربلاء ، ١٩٦٢ . ٥٠ ص .

طه ، رياض .
فلسطين اليوم لا غدا . بيروت ، دار الكفاح ، ١٩٦٣ . ١٠٠ ص .

محـــاضر محـــادثات الوحدة ، محـــاولات في تحليلها . بيروت ، مطابع الكفاح ، لا . ت .
٢٥٥ ص .

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن .
رجال الطوسي . حققه وعلق عليه وقدم له محمد صـــادق آل بحر العلوم . النجف ، المطبعة
الحيدرية ، ١٩٦١ . ٦٦٣ ص .

الطيباوي ، عبد اللطيف .
محاضرات في تاريخ العرب والاسلام . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ح ١ .

العاني ، محمد طه الفياض .
سعود المعظم ملك ناهض يقود امة ناهضة . بغداد ، مطبعة السجل ، لا . ت . ٨٠ ص .

عبود ، مارون .
فارس آغا . حكاية جيل مضى . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٤ . ٢٧٩ ص .

كريستنسن ، ارثر .
ايران في عهد الساسانيين . تر . يحي الخشاب . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧ . ٥٩١ ص .

كيتو ، ه . د .
الاغريق . تر . محمد صقر خفاجه . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٢ . ٣٣٢ ص .

كين ، فيليب .
عباقرة العلم . تر. اديب يوسف . دمشق ، دار دمشق ، ١٩٦٢. ٣٢٣ ص .
عمالقة العلم . تر . جلال مظهر . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ . ١٥١ ص .

اللخمي ، ابو الحسن علي ابن محمد .
الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان . تح . هانس ارنست . القاهرة ، البابي ، ١٩٦٢ . ٢٧ ص.

لجيل ، كورنيل .
اربعة ايام من يوليو . تر . احمد عبد الرحمن حمودة . القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٦١ . ٤٩٩ ص .

اللواسانى ، حسن .
تواريخ الادباء . بيروت ، دار الاتحاد ، ١٩٦٤ . ج ١ .

لمي - بروفنسال ، ايفاريست .
حضارة العرب في الاندلس . تر . ذوقان قرقوط . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، لا ت . ١٤٥ ص .

المارك ، فهد .
لمحات عن التطور الفكري في جزيرة العرب في القرن العشرين . دمشق ، مطبعة ابن زيدون، ١٩٦٢ . ١٩٧ ص .
من شيم العرب . الطبعة الثانية . لا . م . ، لا . ن . ، ١٩٦٣ . ج ١ .

محمود ، حسن سليمان .
ليبيا بين الماضي والحاضر . القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٢ . ٤٣٧ ص .

مخلوف ، الياس .
الكويت بلد يولد من حديد . بيروت ، مكتبة راس بيروت ، ١٩٦٣ . ١٨٣ ص

المرزباني ، ابو عبد الله محمد بن عمران .
معجم الشعراء . تحقيق عبد الستار احمد فراج . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٠ . ٥٩٠ ص .

فخري ، احمد .
الاهرامـــات المصرية · تر. احمد فخري . القـــاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ .
٣٨٤ ص .

الفرحان ، راشد عبدالله .
مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية . القاهرة ، دار العروبة،
١٩٦٠ . ١٨٥ ص .

فوزى ، احمد .
قاسم . . والاكراد ، خناجر وجبال . لا . م . ، لا . ن . ، ١٩٦١ . ٣٠٩ ص .

قاسم . . قصة « عبد الكريم قاسم كاملة » . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ،
١٩٦٣ . ٣٧٢ ص .

فيرسرفس ، ولتر .
اصول الحضارة الشرقية . تر . رمزي يسي . القاهرة ، دار الكرنك ، ١٩٦٠ .
٢٧٨ ص .

الـكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد .
مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية . عني بتحقيقها ونشرها كوركيس عواد وميخائيل
عواد . بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٢ . ٣٠ ص .

كامل كيلاني في ذكراه الاولى ، ١٠ اكتوبر ١٩٥٩ - ١٠ اكتوبر ١٩٦٠ . المراثي وحفلات
التأبين . لا . م ، لا . ن . ، ١٩٦٠ . غير منتظم الترقيم .

كامل ، محمود .
مصر في السودان . القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، لا . ت . ٤٨ ص .

كرد علي ، محمد .
ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية . دمشق ، المكتب الاسلامي ، لا . ت. ٢٣ ص .

الكركوكلي ، رسول .
دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء . نقله عن التركية موسى كاظم نورس . بيروت،
دار الكاتب العربي ، لا . ت . ٣١٢ ص .

كرومر ، افلين بيرنغ لورد .
الثورة العرابية . تر . عبد العزيز عرابي . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة ، ١٩٥٨ .
٢٥٤ ص .

مونتغومري ، برنارد لو مونتغومري ، فيكونت .
مذكرات المرشال مونتغومري فيكونت العلمين . تر . فريد جبر . الطبعة الثانية . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٢ . ٣٧٨ ص .

ميخائيلوف ، نقولاي .
نظرة الى الاتحاد السوفييتي : لمحة جغرافية اقتصادية موجزة . موسكو ، دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية ، لا . ت . ٢٢٠ ص .

الميلي ، محمد مبارك .
جميلة بو حيرد . تونس ، ١٩٥٨ . ١٢٤ ص .
صحراؤنا . تونس ، ١٩٥٨ . ١١٨ ص .

ناجي ، هلال .
اضواء على حكم عبد الكريم قاسم . القاهرة ، دار الكرنك ، ١٩٦٢ . ٢٣٦ ص .

النجار ، حسين فوزي .
الشرق العربي بين حربين . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٠٢ ص ،
نحن والعالم . . . تأ . فاروق بربير وغيره . بيروت دار النشر العربية ، ١٩٦١ ، ٩٨ ص .

نصحي ، ابراهيم .
دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ . ٢٣٠ ص .

نصار ، فايز سليمان .
مذكرات عن السودان . بيروت ، دار الريحاني ، ١٩٦٣ . ٩٦ ص .

النقاش ، رجاء .
ادب وعروبة وحرية . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر ، لا . ت . ١٣٦ ص .

هدو ، حميد مجيد .
قابل : الشاعر والفيلسوف والانسان . النجف ، مطبعة القرى الحديثة ، ١٩٦٣ . ٢٠٤ ص .

هوايت ، ثيودور .
انتخاب الرئيس في الولايات المتحدة . القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٢ . ٥٦٩ ص .

مرعشلي ، نديم .
المعتمد بن عباد بطل حسد مأساة الاندلس وشاعر عبى مجدها المفقود . بيروت . دار الكاتب العربي ، ١٩٦٣ . ١٥٩ ص .

مصر . الجمعية العمومية .
مجموعة محاضر دور انعقاد الجمعية العمومية سنة ١٩١٠ ويليها ملحوظات الحكومة على تقرير اللجنة المشكلة بالجمعية العمومية لنظر مشروع الاتفاق مع شركة قناة السويس . القاهرة . المطبعة الاميرية ، ١٩١٠ . ٥١١ ص .

مصطفى ، ابراهيم .
فصل محمد علي على مصر . القاهرة ، مطبعة العلوم ، ١٩٤٦ . ٥٧ ص .

مصطفى ، حسن .
البـــاررانيون وحركات بارزان ١٩٣٢ – ١٩٤٧ . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ١٨٤ ص .

معنية ، محمد جواد .
علي والفلسفة . بيروت ، دار الـكاتب العربي ، لا . ت . ٢١٥ ص .

مكي ، محمد كاظم .
الحركة الفكرية والادبية في جبل عامل . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ٢٨٥ ص .

المميز ، امين .
المملكة العربية السعودية كما عرفتها . مذكرات دبلومـــاسية . بـــيروت ، دار الكتب . ١٩٦٣ . ٦٣٧ ص .

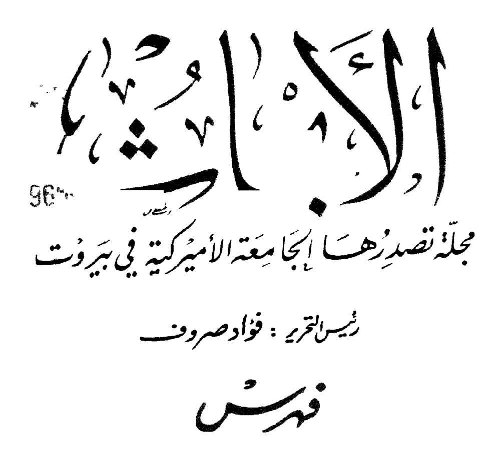
من وراء الاسوار . مناقشة سياسية حول مستقبل اليمن اشترك فيها داخل سجن حجة كل من عبدالله السلال ، احمد محمد نعمان ، احمد المروني وغيرهم . بيروت ، دار الكـــاتب العربي . لا . ت . ١٢٧ ص .

المنجد ، صلاح الدين .
اعلام التاريخ والجغرافيا عند الغرب . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٣ . ج ٣ .
المشرق في نظر المغاربة والاندلسيين في القرون الوسطى . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٣ . ١٢٢ ص .

مهري ، محمد .
رحلة مصر والسودان . القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٩١٤ . ٥٠٦ ص .

موسى ، سلامه .
هؤلاء علموني . . . القاهرة ، الخانجي ، لا . ت . ١٩٩ ص .

١٧ - الجزء ٣   ايلول ١٩٦٤





الهيئة العربية العليا لفلسطين .
القضية الفلسطينية في الدورة السابعة عشرة للامم المتحدة . خريف ١٩٦٢ . بيروت ، الهيئة العربية العليا ، ١٩٦٣ . ١٨٨ ص .

والكر ، ستانلي .
العودة الى الارض الطيبة . تر . عمر ابو النصر . بيروت ، المكتبة الاهلية ، لا . ت . ١٥٩ ص .

الويسي ، حسين بن علي .
اليمن الكبرى ، كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي . القاهرة ، مطبعة النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ج ١ .

وينوار ، فرانسيس .
ايطاليا . . . شعبها وارضها . تر . محمد بطيف . القاهره ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ . ٢١٢ ص .

اليازجي ، كمال .
الشيخ ابراهيم الحوراني . عصره . حياته . ادبه . ومختارات من شعره وابحاثه . بيروت ، مكتبة راس بيروت ، ١٩٦٣ . ٣٩٩ ص .

ياقوت الرومي ، شهاب الدين عبدالله بن عبدالله .
المشترك وضعا والمفترق صقعا . تح . فرديناند وستنفلد . كوتنكن ، دراك وفارلاك ، ١٨٤٦ . ٣٧٥ ص .

اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب .
البلدان . الطبعة الثالثة . النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٧ . ١٢٨ ص .

يونس . محمد عبد المنعم .
الصومال ، وطنا . . . وشعبا . . . تقديم عبد العزيز كامل . القاهرة ، دار النهضة العربية، ١٩٦٢ . ٢٣٦ ص .

يونغ جورج .
تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل . تر . علي احمد شكرى . القاهره ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٣٤ . ٦٠٨ ص .

الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

«الابحاث» مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت اربع مرّات في السنة ، وهي منبر حرّ لاهل الفكر ولكنها لا تتحمل تبعة الآراء التي تنطوي عليها بحوثهم ، وهي تدعو الباحثين والكتّاب الى التعاون معها في خدمة البحث العلمي والمعرفة الصحيحة وبخاصة في شؤون الشرق العربي .

بدل الاشتراك في السنة : تسع ليرات لبنانية او ما يعادلها تدفع عند طلب الاشتراك او تجديده لأمر رئيس التحرير . جميع المراسلات الخاصة بالتحرير والادارة ترسل الى مكتب رئيس تحرير «الابحاث» ، الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ، لبنان .



مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

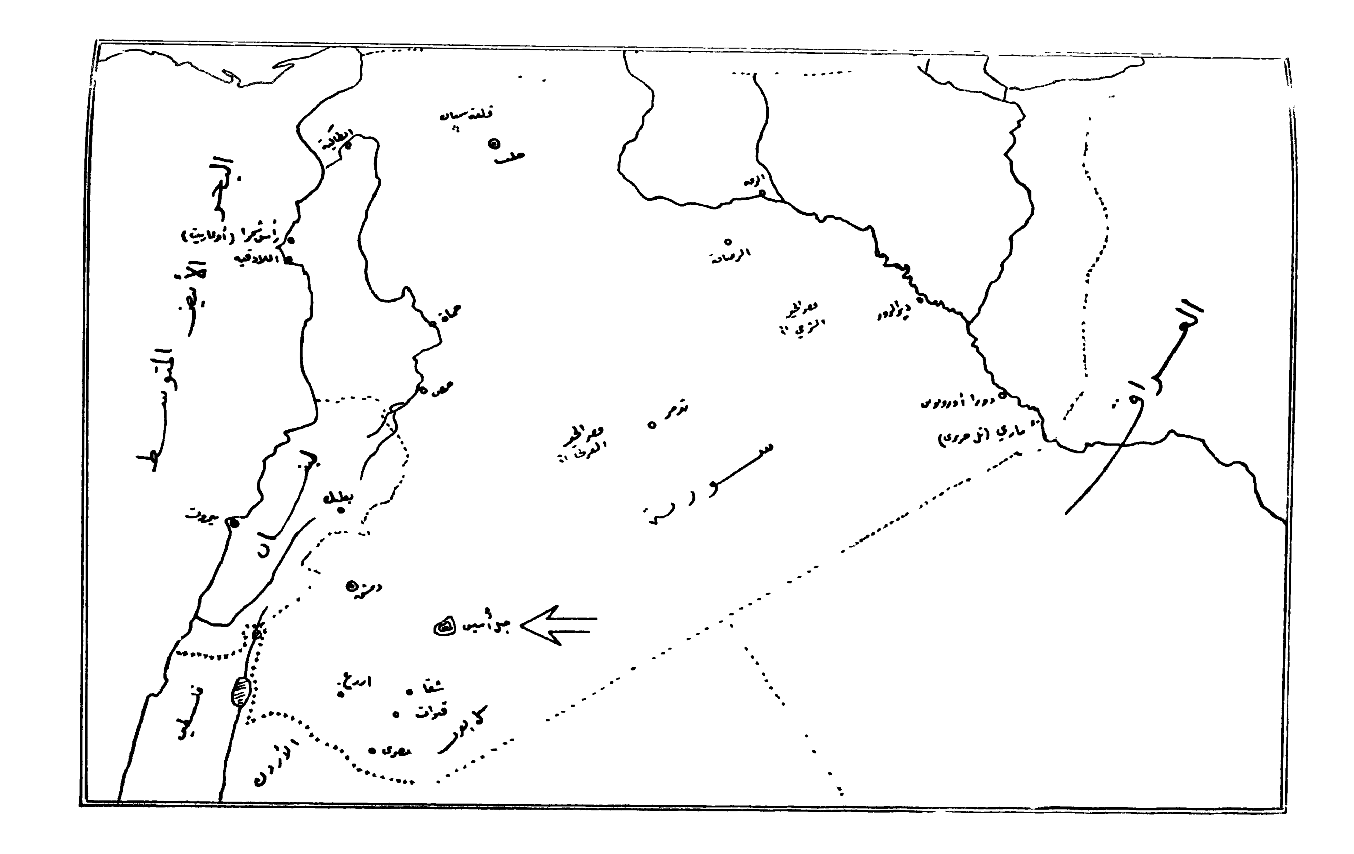
السنة ١٧ – الجزء ٣ رئيس التحرير : فؤاد صروف ايلول سنة ١٩٦٤

كتابات عربية غير منشورة في جبل أُسيس

محمد ابو الفرج العش

لقد رافقت البعثة الاثرية الالمانية برئاسة الدكتور كلاوس بريش في موسمي التنقيب اللذين جريا في جبل أُسيْس[1] في ربيعي سنتي ١٩٦٢ – ١٩٦٣ ممثلا للمديرية العامة للآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية .

لقد كانت اعمال التنقيب تستهدف في بادىء الامر الكشف عن القصر الاموي الذي بناه الوليد بن عبد الملك على الارجح . لم يظهر في القسم المنقب فيه من القصر دلائل تشير الى بانيه بوضوح ، وكنا نأمل ان يُكتشف ما يفصح عن بانيه الا اننا مع ذلك اصبحنا على مثل اليقين بأن القصر يعود الى العهد الاموي . اول من انتبه الى ان القصر عربي من العهد الاموي هو الاستاذ سوفاجه فقد كتب



البحر الأبيض المتوسط
قلعة سمعان
حلب
أوغاريت (رأس شمرا)
اللاذقية
حماة
حمص
الرصافة
دير الزور
دورا أوروبوس
ماري (تل حريري)
تدمر
سورية
العراق
لبنان
بيروت
بعلبك
دمشق
جوأسيس
فلسطين
الأردن
جبل العرب
شقا
قنوات
بصرى

مقالا في مجلة (سيريا ٢٠ / ١٩٣٩) شرح فيه الدلائل التي تشير الى عهده العربي الا ان الرحالة الاجانب والباحثين الذين سبقوه كانوا يعتقدون ان هذه المنشآت تعود الى ما قبل العهد الاسلامي .

اوضح الدكتور بريش بمقاله المنشور في مجلة الحوليـات الاثرية (ح ١٣ عام ١٩٦٣) الامور المتعلقة بهذا الموقع الاثري، وكتبت مقالا وصفت فيه هذا الموقع في مجلة المعرفة الدمشقية (العدد ٨ السنة الثانية ١٩٦٣) ، وكتبت مقالا في مجلة الحوليات السورية (ج ١٣ عام ١٩٦٣) درست فيه شيئاً من هذه الكتابات.

قمت بجولة بين الاطلال المحيطـــة بالقصر ، وصعدت جبل أسيس المشرف على المنطقة فعثرت في قمة الجبل او قرب القمة على كتابات صفوية ويونانيةوعربية ورسوم حيوانات (ابـل ، خيـــل ، اسد ، نمر ، ضبع ، كلب ، معزى ، غزال....) ورسومأناس (رجالونساء واطفال) باوضاع مختلفة. هذهالكتابات والرسوم نفذت بالحفر الغائر او الدق على جلاميد الصخر البركاني بشكل عفوي فهي تدل بصدق على حياة الانسان في تلك المنطقة في الايام الخوالي منذ القرن الثاني حتى القرن الثامن الميلادي .

بعض الرسوم والكتابات الصفوية نشرت في المرجع :

Corpus, Inscriptiorum Semiticarum, Pars quinta, Tomus I, faciculus Primus, Parisiis MDCCCCL

وبعضها الآخر غير منشور، واعتقد ان هذه الرسوم تعود الىعصور مختلفة وهي تعاصر الكتـابات من العهد الصفوي حتى العهد الاموي . اما الكتابات الصفوية فقد اعطيتُ صورها ورسومها الى مختص ليقارنها مع ما هو منشور ويحل رموز ما ليس منها منشورا لأنشرها مع الرسوم الحيوانية والانسانية المذكورة .

يهمني هنا الكتابات العربية فهي هامة جدا لأنها تعطي فكرة عن سكان القصر وما حوله في العهد الاموي . الذين كتبوا اسماءهم او اسماء المتوفين كانوا حتما من السكان المستقرين او الموسميـين وهم من الامراء الامويين واتباعهم . وقد

لاحظت ان هذه الكتــابات تعود جميعا الى العصر الاموي وهي مرقومة بالخط الكوفي ، وقد يكون منها بعض كتابات قليلة جدا من العهد العباسي الأول الا اننا لا نستطيع التأكد من ذلك ابدا .

يمكن تصنيف الكتابات الى الفئات التالية :

١ - كتابات تذكر بالذين قضوا نحبهم في تلك المنطقة .

٢ - كتابات ذكرى تعبر عن شوق الاحياء الى اهلهم .

٣ - آيات قرآنية .

٤ - أدعيــــة .

٥ - حث على التمسك بالصلاة والعبادات .

لم تنتشر الكتابات العربية سابقا ما خلا عدة كتـــابات بسيطة رسمها باليد الرحالة De Vogué ونشرها في كتابه سورية الوسطى [٢] في اللوحة ١٨ وفسرها الباحث شيفر Schefer الا ان الرسم لم يكن امينا تمـاما بسبب جهل الراسم اللغة العربية ، وفك الرموز لم يكن موفقا تمامـا بسبب خطأ الرسم . وسأشير الى هذه الكتابات في مواضعها وأبين خطأها .

لقد أعطيت هذه الاحجار ارقاما كبيرة متسلسلة منذ كشفها وتصويرها ورسمها ولما كان كل حجر يحوي كتابة او اكثر فقد أعطيت كلا من هذه الكتابات المنقوشة عليها رقما صغيرا وجعلتها ايضا متسلسلة ضمن تسلسل أرقام الاحجار ، وابي افضل المحافظـــة على هذا التسلسل . لقد اسميت الحجر لوحة اعتباطا مع العلم انه حجر طبيعي لم يطرأ عليه اى تهذيب .

احب ان اذكر قبل البدء بالبحث ان الرسوم اليدوية للكتابات منقولة عن الصور الضوئية (الفوتوغرافية) ، وقد آثرت هذه الطريقة ابتغاء الدقة ، بالرغم من اني نقلتها رسما باليد عن الحجارة في مواضعها بكثير من الامانة ، ولا شك ان نقلها من الاصل ساعدني كثيرا على قراءتها منذ بادىء الامر .

الاسم فيه غير واضح فكأن هناك تشويهاً مقصودا اصاب الاسم في كلا الحرين ؛ الا اني اخيرا وجدت كتابة هامة تحمل بوضوح الاسم نفسه (المخوّل بن عمار [٤])

ب - كلمتا (الكتاب) و (العالمين) كتبتا دون الف . وقد وردت كلمة (العالمين) على هذا الشكل عدة مرات في النصوص الاخرى ، ولكن ليس يعني ان هناك قاعدة ثابتة لاهمال الف المد على الدوام ، وانما تثبت احيانا كما أثبتت في كلمة (العالمين) نفسها في النص (٢٧) من اللوحة - ١٤ - وفي كلمة (الصالحين) في النص (٣٦) من اللوحة - ٢١ - .

ج - لا يمكن ان نعرف تماماً من هذا النص ان القصد من كتابته كان للذكرى او ان الكتابة شاهدة على وفاة الشخص المذكور اسمه. نرجح انها كانت للذكرى . وفي هذه الحال تكون الكتابة بخط الشخص نفسه على الاكثر .

د - وردت كلمة (اصلح) في كثير من هذه النصوص والنصوص المعاصرة ، وهي تعني الدعاء : «رب اجعل عبدك فلانا صالحا » وقد وردت ترجمتها الى الفرنسية في R. C. E. A. I[٥] و C.I.A[٦] بالكلمة Favorise. اني اجد هذا المعنى بعيدا عن المقصود من الدعاء وافضل ان تكون الترجمة على النحو التالي :

« O'Dieu ! Rends ton esclave . . . bon et correct »

هـ - لم اجد في المراجع الاسم الكامل للمُخوَّل بن عمار ، لكني وجدت (المُخَوَّل) فقط كمحدث [٧] . بحثت عنه في كتب طبقات المحدثين ، فلم اجد الا في لسان الميزان [٨] محدثاً اسمه (مخول بن ابراهيم بن مخول بن راشد النهدي الكوفي) . اعني ان اسم (المخوّل) او (مخول) مستعمل عند العرب . اما الاسماء الاخرى التي يمكن ان تقرأ من الكلمة مثل : المِجْوَل ، المحوِل ، المحوِّل ، المحوَّل . فانها ليست مستعملة كأسماء اعلام ، ولم اجدها في اي مرجع .

و - اما (عمار) فقد ذكر في المراجع اشخاص كثيرون يحملون هذا الاسم أختار منهم من كان قريباً من العهد الاموي الاوسط :

تحت كل رسم سأكتب كلمات كل نص سطرا سطرا – كما هو في الاصل – لكني سأجعل الكلمات منقوطة مهموزة لتسهل قراءتها، وسأضع الى جانب الكلمة المبهمة اشارة استفهام وسأقدر الحروف الناقصة او الكلام الناقص في النص، وأضعه بين معترضتين [ ] ليكمل المعنى، كما سأضع نقاطاً مكان الكلمات غير المقروءة والناقصة . سأترك كل كلمة كما جاءت مرسومة بحسب الاملاء القديم، ولكني سأشير الى ذلك في الملاحظات . سأتعرض في الملاحظات لاظهار الخطأ وتقدير النقص ومناقشة معنى الكلمات او الاسماء غير المفهومة والى شرح الكلمات الناقصة التي لها تأثير في المعنى، كما سابحث في الاسماء الاعلام التي وردت في النصوص .

سأنهي البحث بدراسة تطور الحروف العربية معتمداً بالدرجة الاولى على هذه النصوص التي أعطتنا اشكالاً متنوعة للحرف العربي، وردت عفواً من اشخاص مختلفي المستويات الثقافية .

* * *

اللوحة – ١ – أ –

النص (١) ٨٥ × ١٢ سم (٣)

١ – اللهم أصلح عبدك المخوّل
بن عمار آمين

٢ – رحم الله من قرأ هذا
الكتب .

٣ – وقال آمين رب العلمين .

١-١

الملاحظات: أ – جميع الكلمات واضحة ما عدا الاسم العلم الاول (المُخَوَّل).
ومن الغريب ان للشخص نفسه نصاً آخر في النص (٣٤) من اللوحة – ١٩ –

حـ - يوجد تحت (اللهم اغفر) بضع كلمات غير واضحة في سطرين يميز منها كلمتا ، بن الوليد)

* * *

٢

اللوحة - ٢ -

النص (٣) : ٢٦ × ٤ سم .

١ - اللهم اغفر لجماع[ة]

الملاحظات : أ - الكلمة الاخيرة ناقصة ، ربما كانت جماع[ة المسلمين] . ويجوز ان تكون اسما لشخص (جماعة) قد ذكر الطبري [١٤] جماعة بن محمد بن عرير ابو حلف.

ب - يجوز ان تكون العين البادية اخيرا ميا كما يجوز ان يكون الحرف الثاني زاء او راء فتكون الكلمة مثلا (حزام) او (حرام) وقد ذكر الطبرى [١٥] عدة اشخاص باسم (حزام) وذكر الذهبي [١٦] (حرام بن ملحان) من شهداء بئر معونة .

حـ - واذا جاز ان تكون الكلمة (حمّاد) فان في النص (٥٠) من اللوحة - ٣١ - حمَّاد بن زياد ، يرجى مراجعته هناك .

النص (٤) ٢٦٫٥ × ١٢٫٥ سم

عمار بن يزيد الكلبي [٩] : ذكر الطبري انه قتل سنة ٧٧ هـ — ٦٩٦ م في فتنة العراق . كما ذكره ياقوت .

عمار بن سعد القُرَظ [١٠] : المحدث الذي توفي سنة ١١٠ هـ — ٧٢٨ م .

عمار بن سعد التجيبي [١١] : احد من فتح مصر . لقد كان محدثا . توفي سنة ١٠٥ هـ = ٧٢٣ م .

احب اخيرا ان اشير الى عمار [١٢] الذي بنيت على يده بركة ريمة حارم في عهد هشـــام بن عبد الملك . ذكر اسمه على الحجر الذي خلد هذا العمل . وقد نشر الكتابة الاستاذ عبد القادر ريحاوي . لا بد ان يكون عمار هذا عاملا لهشام في جبل العرب او كان قيما على بناء البركة او مهندسا .

— — —

اللوحة — ١ — ب انطر صفحة ٢٣٠

النص (٢) : ٢٨ × ٥و٢ سم

اللهم اغفر ..... ؟ سنة مائة .

الملاحظات : أ — ذكر في هذا النص كلمة (مائة) . وهذا هام ، لانه يحدد تاريخ الكتابة ، الا ان اسم الشخص مع الاسف غير واضح .

ب — رسمت كلمة (مائة) مع الالف الخرســاء لتمييزها من كلمة (منه) . وكانت هذه القاعدة قد نشأت قبل استعمال التنقيط ، الا ان هذه القاعدة قد سرت على مر العصور حتى ان الناس وهموا بأن الصحيح ان يلفظوا الالف مع الميم . وهنا يجب ان اشير الى ان كلمة (مئة) رسمت على العملة الاموية وأول العهد العباسي بدون الف .

يمكن مراجعة مقالي (الكنز الذهبي الاموي [١٣]) للوقوف على هذه النقطة .

ب – رسمت عين (العلمين) مغلقة من الاعلى مع ان اكثر العينات رسمت في النصوص مفتوحة .

ﺟ – سلمان اسم مألوف وقد ذكرت المراجع عددا كبيرا اكثرهم احرار . ذكر الطبري [١٩] ايضا احد الغلمان وهو سلمان غلام عبيدالله بن العباس الكندي الذي كان قائد اهل الشام لتأديب حركة زيد بن علي في الكوفة ، وكان لواؤه مع علامه سلمان سنة ١٢٢ ﻫ = ٧٣٩/٧٤٠ م .

ومن المعلوم ان الموالي والغلمان ينتقلون من حيازة شخص الى آخر ، فهل يجوز ان يكون سلمان المذكور بالنص هو سلمان مولى عبيد الله بن العباس ؟

د – أما علي بن الوليد فهو ليس بأحد ابناء الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك لان المؤرخين ذكروا اولاده واخص منهم الطبري [٢٠] فقد ذكر تسعة عشر ولدا ذكراً هم : عبد العزيز ، محمد ، العباس ، ابراهيم ، تمام ، خالد ، عبد الرحمان ، مُبَتِّشر ، مسرور ، ابو عبيدة ، صدقة ، منصور ، مروان ، عنبسة ، عمر او (عمرو) [٢١] ، رَوْح بُسر* ، يزيد ، يحيى .

لم اعثر في احد المراجع على اسم علي بن الوليد الذي يوافق العهد الذي نبحث فيه ، ربما كان رجلا مغمورا .

— — —

النص (٧) ٣٠ × ٥٠و٤ سم

١ – اما سعيد ابن

ما اكثر من اسمهم سعيد في المراجع ، ولكن لا نجد من الفائدة ذكرهم ما دام اسم الوالد غير موجود .

— — —

النص (٨) ٢٣ × ٤،٥ سم

١ – اللهم اغـ[فر]

* بُسر ضبطت حسبما جاءت في المشتبه في اسماء الرجال للذهبي – طبعة بريل – ليدن ١٨٦٣ – ص ٤٢ .

١ — اللهما (كذا) أصلح
٢ — عبدك تمّام
٣ — بن عُلَيْم .

الملاحظات : أ — يلاحظ أن كلمة (اللهم) زيد على آخرها ألف . وهي الكلمة الوحيدة التي وردت على هذا الشكل في جميع النصوص التي سنذكرها .

ب — لم نجد في المراجع المعروفة (تمام بن عليم) الا ان الطبري[١٧] ذكر بني عُليم من قبيلة كلب . وذكر أنه قتل رجل من بني عليم مع الضحاك الثائر على مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ = ٦٨٤ م وذكر ايضا [١٨] نُعَيْم بن عُلَيْم التعلي في سنة ٧٧ هـ = ٦٩٦ م أنه كان فيحيش عتاب بن ورقاء لمحاربة شَبيب * (بفتح الشين) بن يزيد ابي المدله الخارجي.

فاذا كان لنعيم هذا اخ اسمه تمام فانه يكون صاحب الكتابة ، لان حياته تناسب عصر الكتابة .

النص (٥) ١٨ × ٣ سم .
بسم الله ا [لرحمن الرحيم]

* * *

اللوحـــة — ٣ — نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ١٤٣٩٤/٢ .

— — —

النص (٦) ٣١ × ١٣٫٥ سم
١ — اللهم اغفر لسلمن
٢ — غلام علي بن الوليد
٣ — آمين رب العلمين

الملاحظات : أ — كتبت (سلمان) بدون الف لكنها ذكرت مع الالف في النص (٩) اللوحة —٤—

* ابن خطيب الدهشة : تحفة ذوي الارب في مشكل الاسماء والنسب ، مطبعة ، ليدن عام ١٩٠٥ ص ٧١ .

(١) ليست المغفرة المطلوبة عن ما تقدم من الذنب او ما تأخر وانمـــا عن ما تقدم و مـــا تأخر لذا استغرب استعمال كلمة ou والافضل استعمال كلمة et

(٢) استعملت كلمة lointaine للتعبير عن ما تقدم من الذنب وكلمـــة proche للتعبير عن الخطيئات القريبة . ان معنى الكلمة الاولى يعطينا فكرة عن البعد ولا تفيد معنى التقدم بوقوع الخطأ في الماضي البعيد بوضوح ؛ والكلمة الثانية تفيد معنى وقوع الذنب قريبا . للمترجم الحق في فهم الدعاء على هذا الشكل على اعتبار ان الدعاء يستعمل احيانا في طلب المغفرة لمتوفى . لكن الدعاء في الاصل يشمل الانبياء لأن الله – سبحانه وتعالى – عصمهم عن الوقوع في الخطأ وغفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر : أي ذنوبهم قبل النبوة – اذا كان ثمة ذنوب – كما حفظهم من الوقوع بالذنب في ايامهم المقبلة ؛ والدعاء بهذا المعنى يستهدف ألا يقع المؤمن بالخطأ في المستقبل .

ورد هذا الدعـــاء في سورة الفتح (٤٨) ، الآية (٢) ، كما ورد في الحديث والدعاء المأثور .

اذاً للمحافظة على اصل الدعاء وروحه وجب ان يترجم التعبير على الشكل الآتي :

Pardonne-lui ses fautes commises antérieurement et ses fautes qui pourraient étre commises postérieurement.

(٣) قد يستغرب القـــارىء تفضيلنا لهذه الترجمة مع ان الميت بعد موته لا يمكن ان يقع منه خطـــأ ، وكيف نطلب المغفرة عن ذنب لم يقع بعد ؟ هذا صحيح لكن الترجمة لا تتفق مع اصل الدعـــاء وروحه ، كما انه لا معنى لطلب المغفرة عن الذنوب البعيدة والقريبة لانها كلها مسجلة على المخلوق وهي جميعها بدرجة واحدة . لقد طلبت للحي والميت على هذا الشكل ليحفز المؤمنين على اجتناب اقتراف الذنوب ، ويلاحظ فيه المبالغـــة في طلب المغفرة املا بالحصول على النعيم اسوة بالأنبياء ليحشرهم الله معهم في يوم الدين .

– – –

اللوحة – ٤ –

النص (٩) ٥٣×١٦ سم

١ – بسم الله الرحمن الرحيم

٢ – اللهم اغفر للعـــلا [ء]
بن سلمان ما

٣ – تقدم من ذنبه ومـــا تأخر
آمين .

الملاحظات: أ – رسمت الرحمن الرحيم خفيفة جدا على الحجر.

ب – الهمزة لم تستعمل بالكتابة في دلك العصر لذا كتبت (العلاء) بدونها.

جـ – رسمت كلمة (سلمان) مع الالف مع انهـــا رسمت في النص (٦) من اللوحة –٣– بدون ألف .

د – العلاء بن سلمان غير مذكور في المراجع ، لعله ابن سلمان بن نافع المذكور في النص (٣١) من اللوحة –١٧–

هـ – ورد في النص دعاء طلب المغفرة عن (ما تقدم من ذنبه ومـــا تأخر). تحريت الكتابات المنشورة التي تعود الى العهـــد الاموي واخترت واحدة من R.C.E.A.I. [٢٢] وهي ذات الرقم 20 كما اخترت كتابة اخرى من A.A.E.S. [٢٣] وهي دات الرقم 57 ، الاولى تعود الى قصر خرّانة تخلد انشاءه والثانية تعود الى شاهدة قبر . اذن استعمل هذا الدعاء في محالين.

و – لاحظت ان ترجمة الدعاء في المرجعين المذكورين في الفقرة السابقة وفي كتابات ماكس فان برشم اتت على الشكل التـــالي "Pardonne-lui sa faute lointaine ou proche" ولا تختلف الترجمـــة الانكليزية عن مؤدى الترجمة الفرنسية .

يحسن بنا أن نناقش مدى التوفيق في اختيار التعبير ليؤدي المعنى المطلوب.

السس (١١) ١٦×٩ سم
الحم [د]

* * *

اللوحة — ٥ —

النص (١٢)

١ — اللهم ارحم

٢ — عون مح ؟ آخر او (مني آخر)

٣ — رجب .

ل للهم ا رحم ⑫
عو (مداحر
رحب

الملاحظات : أ — يجور ان تكون الكلمتان الثانية والثالثة في السطر الثاني منفصلتين او متصلتين . فاذا افترضنا انها منفصلتان كانت الكلمة الثالثة (آخر) وهي تنسجم مع كلمة السطر الثالث فتكونا (آخر رحب) . ويكون المعنى انه حدث حادث لعون آخر رحب. يجور ان يكون الحادث الوفاة. ومن الصعب ان نقرأ الكلمة (مح) بما يناسب المعنى والاقرب ان تكون (مني) اي اصابته المنية .

واذا كانت الكلمتان متصلتين يمكن ان تقرأ (محاجر) ، (مناحر): والثانية لها معنى مع كلمة (رجب) اذ افترضنا ان (رجب) اسم لشخص . اما محاجر فهي مستبعدة ولا تتلاءم مع طلب الرحمة .

على اي حال افضل ان يكون النص دالا على الوفاة ويكون عندئذ : (اللهم ارحم عون ، مني آخر رجب) مع تقدير ان الدي كتب النص كانت ثقافته صعيفة فلم ينصب (عونا) ، ولم يجعل الكلمات مترابطة تماما بالمعنى . وعندئذ نستطيع ان نقول ان هذا النص هو الوحيد بهذا التركيب بين النصوص المعروفة الدالة على الوفاة .

النص (١٠) ١٠٠×٢٠ سم

١ – اللهم [ا] غفر لسويد [وتقبل] منه ابنه عبيد .

٢ – اللـ[ـه] (يوجد كلمة قبل كلمة الله لا علاقة لها بالنص .)

الملاحظات : أ – هذا النص غير مفهوم اذا لم نقدر الكلمات والحروف بين معترضتين . يبدو ان عبيد الله قد توفي ، وقد صبر ابوه سويد على فقده فاحتسبه عند الله .

ب – لا يوحد في المراجع عبيد الله بن سويد وانما ذكر ياقوت [٢٤] عبد الله بن سويد .

اما سويد فلم يذكر اسم ابيه لنستدل عليه . وقد ذكرت المراجع اشخاصا كثيرين باسم سويد في العهد الاموي . ذكر الطبري سويد بن سرحان الثقفي [٢٥] الوالي في ايران سنة ٧٧ هـ = ٦٩٦ م ، سويد بن سليم الهندي من بني شيبان [٢٦] في سنتي ٧٦و٧٧ هـ = ٦٩٥ – ٦٩٦ م، سويد بن مقرّن المزني [٢٧] ارسله خالد بن الوليد الى تستر سنة ١٢ هـ =٦٣٣ م، سويد بن عبد الرحمن التميمي المُنَقِّري من بني سعد [٢٨] شهد على بعض المناوئين لمعاوية سنة ٥١ هـ = ٦٧١ م ، وله اخبار كثيرة حتى كان اخيرا واليا على حلوان (العراق) سنة ٧٧ هـ = ٦٩٦ م في عهد عبد الملك بن مروان ، سويد بن غفلة الجعفي [٢٩] كان يحب علي بن ابي طالب وآل البيت وقد روي عن لسانه سنة ٦٧ هـ = ٦٨٦ دفاع علي عن عثمان الذي طعن به الناس لانه شق المصاحف(ويذكر الذهبي انه حدث عن أُبَـي بن كعب). سويد بن القعقاع التميمي [٣٠] الذي كان من قواد مسلمة بن عبد الملك عند محاربة يزيد بن المهلب سنة ١٠٢ هـ = ٧٢٠ م .

ذكر الذهبي ايضا سويداً [٣١] غلام عتبة بن غزوان والي البصرة، ارجح ان يكون سويد غلاما او مولى لأنه لم يذكر اسم ابيه .

– – –

مرجع اسم شخص بهذا الاسم ، وانما يقتصر هذا الاسم الطائر المعروف . يوجد (قطام)ويمكن تجوزا قبول الحرف الاخير على انه (ميم) مع ان (التاء المربوطة) مقبولة اكثر .

النص (١٤) ٢٢و٥ سم × ٣ سم

اللهم احز (او أحد) ؟ ؟

القراءة الاولى اوفق من حيث انشــاء الجملة . ان كلمة (اجزى) تفيد معنى الثواب والعقاب .

النص (١٥) ٢٢ × ٥و٦ سم .

١ – اللهم لا اله الا أ

٢ – نت .

هذا جرء من دعاء مأثور

* * *

اللوحة – **٧** –

نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع / ١٥١٠٢ .

النص (١٦) ٤٧×٢٥ سم

٧

١– الله لا اله الا هو الحي ا

(١٦) الله لا اله الا هو الحي ا لقيوم و كتب علي بن عبد الله في شوال سنه ثلث و تسعين

٢ – لقيوم (ا؟) وكتب علي بن عبد .

٣ – الله في شوال سنة .

٤ – ثلث وتسعين .

الملاحظات : أ – هذا النص واضح جدا وهام لأن الاسم فيه صريح وقد

ب – ورد اسم عون في المراجع بكثرة اختار منهم من كان قريبا من العصر الاموي : عون بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب [٣٢] الذي ارسله ابوه ليثني الحسين بن علي عن الذهاب الى العراق سنة ٦٠ هـ = ٦٧٩ م ، ثم قتل مع الحسين دفاعا عنه سنة ٦١ هـ = ٦٨٠ / ٦٨١ م .

عون بن ابي جُحيفة[٣٣] : روى الحديث عن ابيه الذي كان صحابيا صغيرا.

عون بن عبد الله بن عتبة [٣٤] : حدث عن عبد الله بن عمر

عون بن عبدالله بن الحارث [٣٥] : حدث عن اخيه عبد الله بن عبد الله بن الحارث .

* * *

اللوحة – ٦ –

النص (١٣) ٢١×١٧٫٥ سم .

١– بسم الله

٢ – اغفر لرويد او للول (ـيـ) د

٣ – بن قطاة او قطام .

الملاحظات : أ – لا يوجد اسم (رويد) ولا (بورد) ولا (نويد) ولا (بويد) ولا (نويك)، هذه الاسماء التي يمكن ان تعطى للكلمة الثانية من السطر الثاني حسب رسمهـــا . اذاً وجب ان يكون كاتب الكلمة اخطأ واراد ان يكتب (الوليـــد) .

ب – تقرأ الكلمة الثانية في السطر الثالث (قطاة) لكنني لم اجد في أي

الله عيره .

يذكر ياقوت عددا كبيرا من الاشخاص الذين يحملون الاسم علي بن عبد الله ، لكن اكثرهم بعيدون عن العهد الاموي .

اما الدهبي فقد ذكر ايضا علي بن عبد الله بن العباس [٤٤] ، كما ذكر اثنين من هدا العهد هما : علي بن عبد الله البارقي[٤٥] الذي روى الحديث عن عبد الله بن عمر ، وعلي بن عبد الله التميمي [٤٦] وهو مؤرخ القرن الاول الهجري ، الا ان الدهبي لم يذكر لنا اسم كتابه المندثر .

ذكر ابن خلكان [٤٧] علي بن عبد الله بن العباس ، واورد خبر زواجه من لبابة مطلقة الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فنقم منه الخليفة واهانه ، ثم اخرجه الى الحميمة سنة ٩٥ هـ = ٧١٣/٧١٤م ، واجبره على الاقامة فيهـا. عيّن ابن خلكان عدة سنوات لوفاته نقلا عن كتـاب متعددين : ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ هـ = ٧٣٢ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٤٠/٧٤١م .

* * *

اللوحة – ٨ – نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع/١٥٣٩٥

النص (١٧) طول السطر ٣٠ سم ٨

بسم الله الرحمن

وهو بخط يختلف عن خط النص الرئيسي وبعيد عنه

– – –

ذكر فيه الشهر والسنة ، الا انه يوجد ندبة على الحجر قبل واو (وكتب) تشبه الالف . اعتقد انه ليس لها علاقة بالنص لان الالف المرسومة في النص وفي جميع النصوص لها في اسفلها انكسار الى الجهة الوحشية من الكتابة .

ب) ان ذكر جزء من آية الكرسي يدل على ان هذه الكتابة لشاهدة تحفظ ذكرى رجل توفي هناك . لكني استبعد هذا الاحتمال لأن تتمة النص تظهر ان علي بن عبد الله كتب النص بنفسه . ترى هل يجوز قراءة (كتب) مبنية للمجهول ? في هذه الحال يفهم من النص الرجاء بأن يكتب علي بن عبد الله في عداد الصالحين وتقبل عندئذ فكرة اعتبار الكتابة لشخص متوفى .

يمكن اللجوء ايضا الى تقدير (واكتب) اي بصيغة الامر الذي يعبر عن الرجاء (وهذا مألوف في الدعاء) ، ويكون النص عندئذ موافقا لشاهدة .

حـ – **علي بن عبد الله** : ذكر المؤرخون عدة اشخاص باسم علي بن عبد الله ، لكن احدا منهم لم يذكر ان احدهم مر بجبل أسيس او مات فيه . على اي حال نذكر بعضا منهم :

علي بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب[٣٦] : ذكر في صدد الحديث عن زوجة لبابة ابنة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

علي بن عبد الله بن العباس[٣٧] : الملقب بالسجّاد ، وهو جد الخلفاء العباسيين. عيّن الطبري[٣٨] ولادته سنة ٤٠ او ٤١ هـ = ٦٦٠ – ٦٦١ م وذكره ايضا بصدد لجوء عبد الله بن يزيد بن اسد اليه سنة ٧١ [٣٩] هـ = ٦٩٠ م لأنه كان مغضوباً عليه بسبب ثورته في الشام (هذا يدل على ان لعلي بن عبد الله بن العباس منزلة لدى الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان) وذكر الطبري[٤٠] اخيرا انه توفي بالحميمة سنة ١١٩ هـ = ٧٣٧ م . لكن ياقوتا[٤١] ذكر انه توفي سنة ١١٨ هـ ، كما ذكر خبر بيعته الى يزيد بن معاوية[٤٢] واخبر عن وجود قبره في تربة الباب الصغير[٤٣] في دمشق . اذكر هذا بحذر لأنه توفي في الحميمة على الارجح وليس يوجد اي داع الى نقله الى دمشق. ربما كان القبر في دمشق لأحد المسمين بعلي بن عبد

(هو) ديكون النص (وكتب بحر وهو ...)

هـ ــ كتبت كلمة (يسل) في السطر الثالث . وهي بلا شك (يسأل) المخففة وهي مألوفة في اللغة العربية وقد وجدتها بكثرة في النصوص المنشورة من هذا العهد ويوحد صمن هذه الكتابات ثلاثة امثلة .

و ــ من هو محمد بن الوليد؟ ــ سنجد في اللوحة ــ ١٠ ــ وفي اللوحة ــ٢٧ــ اسم محمد بن الوليد . في اللوحة ــ ١٠ ــ النص (٢١) يبدو شوق محمد بن الوليد للقاء احيه ابراهيم وفي اللوحة ــ ٢٧ ــ النص (٤٣) يطلب المغفرة والدخول برحمة الله في عباده الصالحين، اما هذه اللوحة فربما كانت شاهدة على موته ، وقد كتبها (بحر)

لقد دكرنا عند الكلام عن اللوحة ــ ٣ ــ النص (٦) اسماء اولاد الوليد بن عبد الملك التسعة عشر ، ولقد ذكر بينهم محمد وابراهيم . اذن يجور ان يكون محمد بن الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فادا صح هذا فان الطبري [٤٨] لم يذكر شيئاً كثيرا عنه بل أخبر ان امه هي ام البنين بنت عبد العزير بن مروان .

ـــ ـــ ـــ

النص (١٩) طول السطر ٣٣،٥ سم

اللهم ادخل محام او مدامـ

الملاحظات : أ ــ الكلمة الثالثة ناقصة، ربما كان الحرف الثاني فيها متصلا بالثالث او منفصلا ، فان كان متصلا لا يمكن ان تكون الا احد الحروف حيم ، حاء ، واذا كان منفصلا كان دالا او ذالا . اما الحرف الاخير فهو (ميم) دون شك . ولكن حتى لو افترضته انه (ميم) فلا يمكن ان يكون الحرف الاخير ، اذ لو كانت الكلمة تامة لوجب نصبها على انها مفعول به ، وهي في هذه الحال لا تعطي اسم شخص يمكن ان نقبله . اذن ارجح ان تكون الكلمة ناقصة. ولا ارى مجالا لتقدير الاسم كاملا لأن النص غير كامل ولأن اسم الوالد غير موجود . فلن يكون التحقيق فيه مجديا .

* * *

النص (١٨) ٥٨،٥×١٦،٥ سم

١ – اللهم ادخل محمد بن الو (?) ليد

٢ – بذمة الحنة امين رب العلمين و كتبه

٣ – ... بحر وهو يسل الله الجنة .

الملاحظات : أ – طرأ على كلمة الوليد شيء من الخطأ اثناء الكتابة او حصل عليها تشويه فيما بعد . الف كلمة (الوليد) غير واضحة وهي تبدو كأنها نقطة كبيرة لابن ، ولا ندري لماذا كرر ناقش النص اللام في الوسط . على كل حال لا يمكن ان نقرأ الكلمة غير (الوليد)

ب – الكلمتان (بذمة الحنة) ليستا واضحتين عند ارتباط التاء المربوطة (بذمة) بألف تعريف (الجنة) التي أتت بشكل مـــائل كثيرا . يمكن ان تقرأ الكلمتان بشكل آخر (بذمتك الجنة) الا ان رسم الكاف بهذا الشكل غريب مع انها وردت في النص نفسه كما جاءت في كلمـــة (كتب) ، وعندما نقدر الكلمة الاولى (بذمتك) فاننا نجد الف التعريف في كلمة (الجنة) ناقصة . لذا نرجح الشكل الذي اثبتناه .

جـ – تركنا فراغا في اول السطر الثالث لأن كلمـــة (اللهم) لا علاقة لها بالنص ويجوز انها كانت مكتوبة سابقا ، وتجنبها ناقش النص عند كتابة السطر الثالث .

د – في السطر الثالث يلاحظ تركيب غريب ، نقرؤه – اذا اردنا الدقة – (بحرومو) فهل يوجد شهر بهذا الاسهم (حرومو) ? او هل يوجد شخص اسمه (بحرومو) كتب النص واراد ان يسجل اسمه ? في هذه الحال يمكن ان نقبل بوجود (هاء الضمير) في آخر كلمة (كتب) لأن في ذيلهـا انعطافاً وشيئاً غير واضح يمكن تقديره بهاء . لكننا نستبعد ايضا وجود شخص باسم بحرومو .

لم يبق لنا الا ان نقدر كلمتين هما (بحر) (وهو) على اعتبار المميم هـاء في

الملاحظات : أ – النص واضح تماما والخط فيه جيد جدا.

ب – يلاحظ في السطر الرابع ان ان فوق خاء (اخيه) نقطة . ربما كان هذا مقصودا وليس هذا بغريب لأن نقط الحروف حصل في العهد الاموي في عهد عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف الثقفي ، الا انه لم يستعمل الا عند الضرورة. والضرورة تكون على الغالب عند الخوف من حصول الالتباس. فقد وجدت عند دراسة النقود الاموية نقطة تحت باء كلمة (سبع) على الدينار [٥٠] لتمييزها من كلمة (تسع) .

ح – في السطر السادس كلمة (قلبه) مكتوبة ومقروءة بهذا الشكل دون غموض ولكن اذا افترضنا ان وصل اللام بالياء كان اعتباطا فانه يمكن قراءتها (فإبه) والمعنى يستقيم في الحالين ، وليست حال افضل من حال .

د – كلمة (أد) المذكورة في السطرين الاول والثاني فعل امر يستعمل للرجاء لأن المخاطب هو الله عز وجل ، وذلك بمعنى (اوصل) ، فيكون المعنى :اوصل محمد بن الوليد الى اخيه ابراهيم .

ه – ذكرنا في اللوحة – ٨ – النص (١٨) ، في الفقرة (ه) من الملاحظات ان من الثابت ان محمدا وابراهيم هما ولدا الخليفة الوليد بن عبد الملك . يبدو أن محمدا كان يقضي وقتا في جبل اسيس ، وكان اخوه ابراهيم بعيدا عنه فاشتاق اليه فرقم هذه الكتابة .

اما ابراهيم [٥١] فقد كانت امه (ام ولد) ، وكان واليا على فلسطين [٥٢] في زمن اخيه يزيد الثالث . بايع يزيد الثالث اخاه ابراهيم بولاية العهد [٥٣] في ذي الحجة سنة ١٢٦ ه = تشرين الاول ٧٤٤ م وذلك لمرض الم به . وعندما توفي الخليفة بايعه الناس سوى اهل حمص [٥٢] فقد بايعوا مروان بن محمد ، ثم خلع ابراهيم في ربيع الآخر سنة ١٢٦ [٥٤] ه = كانون الثاني ٧٤٤ م

ذكر الطبري هذا وقال مكث في الحكم اربعة اشهر – حسب رواية – وسبعين ليلة – حسب اخرى – .

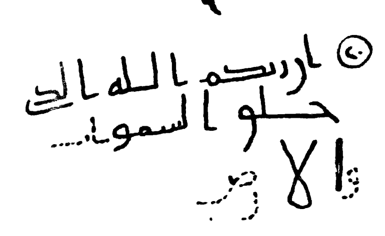
اللوحة — ٩ —

النص (٢٠) ٢٨×١٧ سم

١ — ان ربكم الله الذي

٢ — خلق السموات

٣ — والارض



الملاحظات: أ — الالف والتاء من السموات رسمها خفيف وهما غير واضحتين.

ب — الواو والراء والضاد من كلمة (والارض) رسمها خفيف ايضا وتكاد الضاد لا تستبين .

ج — هذا جزء من الآية الكريمة (٥٤) من سورة الاعراف [٤٩] (٧).

* * *

اللوحة — ١٠ —

نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع/١٥١٠٣ .

النص (٢١) ٤٧×٧٣ سم

١ — اللهم ا

٢ — د محمد

٣ — بن الوليد

٤ — الى اخيه

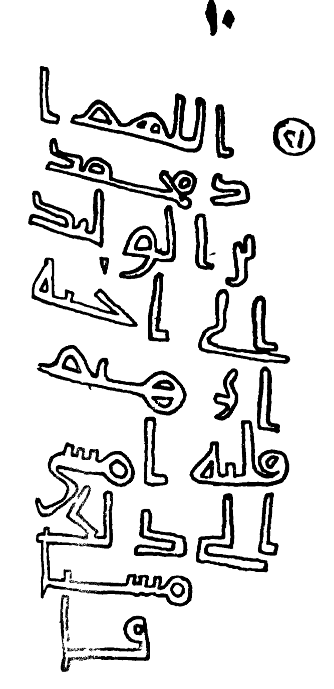
٥ — ابراهيم

٦ — قلبه امسى

٧ — الى ذلك

٨ — مشتا

٩ — قا



اللوحة – ١٢ –

النص (٢٣) ٧٨×١٨ سم

١ – لله [٥٩] الأمـــر من قبل ومن بعد ويومئذ

٢ – يفرح المؤمنون

ملاحظة : النص واضح وهو جزء من آية قرآنية [٦٠] (٣٠ / ٤)

– – –

النص (٢٤) طول السطر ٢٥٫٥ سم

لا اله

وتوحد في اللوحة نفسها كتابات ثانوية لا اهمية لها ، وخاصة الى يمينها توجد مة كأنها كلمة (الله) كتبت مقلوبة.

* * *

اللوحة – ١٣ –

النص (٢٥) ٢٠×١٠ سم

١ – الله لا اله الا

٢ – الله محمد

– – –

النص (٢٦) ٤٦ × ١٧٫٥ سم

١ – الله لا اله الا هو

٢ – الحي القيوم لا تأ[خذه] ... وكتب

٣ – حفص .

اما زمباور[٥٥] فانه يعين مدة حكمه بدقه بين ٧ ذي الحجة سنه ١٢٦ هـ = تشرين الاول ٧٤٤ م و ١٤ صفر سنة ١٢٧ هـ = كانون الاول ٧٤٤ م .

تنازل عن الحكم الى مروان بن محمد بواسطة ابي محمد السفياني [٥٦] ، وبقي حيا الى ان انهار الحكم الاموي سنة ١٣٢ هـ = ٧٤٩ م فقتل .

لفت نظرنا ابن الاثير الى حادثة جرت عند احتلال مروان بن محمد مدينة دمشق فقد اخبرنا ان ابراهيم فر الى مكان مجهول . ترى هـل يجوز ان يكون هذا المكان المجهول احد القصور المنعزلة ؟ وهل يجوز ان يكون هذا القصر هو قصر جبل اسيس بالدات ؟

* * *

اللوحة — ١١ — نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت رقم ١٥٣٩٦/ع

١١

النص (٢٢) ٤٦×٣٠٫٥ سم

١ — اللهم ا
٢ — غفر للهذيل بن
٣ — جناح آمين رب ا
٤ — لعلمين .

الملاحظات : أ — النص واضح لا لبس فيه .

ب — لم اجد في المراجع الهُذَيل بن جناح ، وانما وجدت فقط في الطبري[٥٧] جناح مولى الوليد بن عبد الملك الذي كان متوليا الكتابة في ديوان الرسائل . انه لا يستبعد ان يكون ابنه مرافقا لابناء الوليد بن عبد الملك في جبل اسيس . كما وجدت[٥٨] جناح بن نُعَيم الكلبي الذي قتل من اصحاب الخليفة الوليد الثاني عثمان الخشبي . وقد كان هذا احد اولاد الذين حاربوا مع المختار في ثورته .

* * *

ب – الكلمة الثانية من السطر الثاني يمكن ان تقرأ (تغدر) او (تعذر). اما (تغدر) فلا يمكن ان تتسق مع الكلام ولكن اذا قدرنا ان الكلمة مكتوبة بقصر الالف اي كانت (تغادر) بمعنى تترك فهي مقبولة ويصبح المعنى : اللهم اعفر مغفرة لا تترك ذنبا [إلا وتمحوه] .

اما (تعذر) فهي ايجاد العذر او التذرع بالعذر فيكون المعنى عندئذ اللهم اعفر معفرة لا تجد مبررا للاعتذار عن ذنب يقع بعد هذه المغفرة . وهو معنى مقبول لكني افضل المعنى الاول .

حـ – يلاحظ ان كلمة (العـالمين) رسمت مع الالف ، وهي الوحيدة التي وردت في هذا النص على هذا الشكل . وكنت اشرت الى ذلك سابقا .

د – سليمان بن جناح : كنا تكلمنا عن جناح في النص (٢٢) ، وقد بحثت عن سليمان بن جنـــاح فلم اجد عنه خبرا ، ربما كان هذا احد ابناء جناح مولى الوليد الاول واخا الهذيل المار دكره في ذلك النص .

* * *

١٥

اللوحة – ١٥ –

النص (٢٨) ٢٢،٥ × ٢٤سم

الحوسق

(٢٨) الحوسـ

حاء في القاموس المحيط للفيرورىادى : الجوسق هو القصر ولقب محمد بن مسلم المحدث ، وقرية بدُجَيْل ، وقرية اخرى ببغداد . وقرية بالنهروان منها الخليل بن علي ، وقرية بنهر الملك ، وقرية تجاه بلبيس ، وقلعة وقريتان بالري ، ودار سيت للمقتدر في دار الخلافة في وسطها بركة من الرصـــاص ثلاثون ذراعا في عشرين ا اه) .

لعل كاتب الكلمة كان من قرية من احدى هذه القرى المذكورة .

* * *

الملاحظات : أ ــ رقم الكاتب آية الكرسي (٢٥٥) من سورة البقرة (٢) فوصل الى كلمة (لا تأخذه) ولم يكملها .

ب ــ (حفص) ذكر دون ذكر اسم ابيه ، سيرد اسم حفص بن عبد الله في اللوحة ــ ٢٦ ــ النص (٤٢) كما سيرد في اللوحة ــ ٥٣ ــ النص (٧٢)؛ وسيرد (حفص) وحده في اللوحة ــ ٦٧ ــ النص (٨٧) ، واللوحة ــ ٨٧ ــ النص (١٠٩) . لا بد ان استعرض بعض اسماء حفص الواردة في المراجع .

حفص بن ابي جمعة الاموي [٦١] الشاعر : وهو مولى عبَّاد بن رياد ، صيره المنصور مؤدبا للمهدي وكان مداحا لبني امية في ايام بني امية وايام المنصور ، ولم ينكر عليه المنصور ذلك . مات قبل ان يلي المهدي الخلافة .

حفص بن عمر بن عباد التميمي [٦٢] : كان واليا على سرخس سنة ١٢٠ هـ ٧٣٧ / ٧٣٨ م .

حفص بن الوليد بن يوسف بن عبد الله بن الحارث [٦٣] : ولي مصر ثلاث مرات بين ١٠٨ــ١٢٧ هـ = ٧٢٦ــ٧٤٤/٧٤٥ م .

* * *

اللوحة ــ ١٤ ــ نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع / ١٥٣٩٧

النص (٢٧) ٧٠×٢٩ سم

١ ــ اللهم اغفر لسليمن بن جناح .
٢ ــ مغفرة لا تغ[ا]در ذنبا
امين رب .
٣ ــ العالمين وكتب .

١٤

الملاحظات : أ ــ الكلمة الاخيرة (وكتب) ليست من خط الذي كتب النص وليست من قوة حفر كلمات النص .

اللوحـــة - ١٧ -

نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت رقم ع/١٥١٠٤ .

١٧

النص (٣١) ٦٥،٥×٣١ سم .

١ - اللهم اصلح جبل ؟ ن

٢ - الوليد وانبته نباتا

٣ - حسنا و (؟) كتب سلمن ن.

٤ - نافع .

الملاحظات : أ - كلمة (جبل) غير واضحة مع انها مألوفة جدا في ذلك العصر ، الا انه يوجد فوق الجيم ما يشبه السن . في هذه الحـــال يمكن قراءتها نحيل) او (نخيل) او (نحيل) وكلها غير مستعملة كاسماء اعلام. لاحظت في النص (٥٠)من اللوحة-٣١-مثل هذه السن وهي جديرة بالاهمال فقد أتت قبل حتى ا وادخله) . لذا افضل ان تكون الكلمة (حمل) .

يلاحظ بعد الحرف (ج ، ح ، خ) ما يشبه (الميم) فاذا افترض ان الحرف الاول هو الجيم ، فان الكلمة تقرأ عندئذ (جميل) .

ب - كنت ذكرت سابقا ابناء الوليد بن عبد الملك فلم اجد بينهم جبل او جميل.بحثت عن اسماء اولاد الوليد الثاني فلم اجد سوى الحكم وعثمان.الا ان اسم جميل في ذلك العصر مألوف كثيرا وخاصة في البيت المرواني ، ليس ببعيد ان يكون لأحدهم ولد يكون صاحب النص .

ج - يلاحظ ان دعاء «وانبته نباتا حسنا» يدل اولا ان جبل بن الوليد حي، ثانيا هو في سن الطفولة ، ثالثـــا ليس هو بكاتب النص . هذا الدعاء مأخوذ من القرآن الكريم (الآية ٣ / ٣٧) « وانبتها نباتا حسنا »

اللوحة – ١٦ –

النص (٢٩) ٢٥×١١ سم

المسموح (أو المسفوح)

وردت هذه الكلمة في صلب النص الذي يليه ، واعتقد ان الخط في الكلمة والنص التالي واحد .

– – –

النص (٣٠) ٤٣٫٥ × ١٢٫٥ سم

١ – اللهم اصلح

٢ – عبدك المسموح (أو المسفوح)

لم اجد في المراجع شخصا اسمه المسموح او المسفوح ولكني وجدت مسروح[٦٤] ومشرح[٦٥] وهما بعيدان عن الكلمة المذكورة . لم يبق الا ان اقدر كلمة السموح مع اغفال (الميم) التي قد تكون بدت بسبب خشونة الصخر . لدى مطالعة كتب اللغة لم اجد هذه الصيغة (السموح) مستعملة كاسم وانما وجدت (السمح) .

اما المسفوح في كتب اللغة[٦٦] فهو البعير الذي سفح في الارض ومدّ ، وفي مجال الوصف (الواسع والغليظ) ، وفرس صخر بن عمرو بن الحارث .

* * *

١٨

اللوحة — ١٨ —

النص (٣٣) ١٤،٥×٣٥،٥ سم

١ — أقبل على صلوتك

٢ — اقبل

الملاحظات : أ — صلوة تكتب بالواو حسب القاعدة الاملائية القديمة التي ما زالت مستعملة في القرآن الكريم .

ب — اعادة (أقبل) للتأكيد . والجملة للحث على التمسك بالعبادة .

* * *

١٩

اللوحة — ١٩ —

النص (٣٤) ٢٨×٧٩ سم

١ — الله ولي المُخَوَّل بن عمَّار

٢ — ومولى المتقين و

الملاحظات : أ —) يرجى الرجوع الى اللوحة — ١ — النص (١) من احل المحول بن عمار

ب — لقد نقل هذا النص السيد De Vogué في سنة ١٨٦٢ م ونشره مع قليل من النصوص التي سنأتي على ذكرها في كتابه [٧١] الا انه لم يكن دقيقا في النقل . ودرس الاستاذ Schefer النص دون ان يتمكن من قراءة الكلمات على نحو ما صنعنا وانما كانت قراءته كما يلي : الله و .... بن عمار وهو ....

No. 18 - "Dieu . . . fils de Ammar , et lui . . ."

ح — يحسن بنا شرح كلمتي (ولي) و (مولى) كما جاءتا في القاموس المحيط :

د ـ سلمن بن نافع هو كاتب النص. يبدو من الدعاء الذي كتبه من احل ابن الوليد انه رجل راشد ، ربما كان احد اقرباء الطفل او مؤدبه او صديق والده. ومما يؤسف له انني لم اجد اسمه في المراجـع . لكني وجدت الكثير ممن يحمل اسم نافع اليكم بعضهم :

نافع [٦٧] بن علقمة الكناني والي مكة سنة ٩٦ هـ = ٧١٤ / ٧١٥ م .

نافع [٦٨] مولى ابن عمر (توفي سنة ١١٦ او ١١٧ = ٧٣٤ او ٧٣٥ م)و١٢٠ هـ = ٧٣٧ / ٧٣٨ م حسب رواية ابن خلكان [٦٩] فقد ذكر انه مشهور بالحديث من الثقات . يمكن ان يكون الاسم (يافع) [٧٠] .

هـ ـ يلاحظ فوق (وكتب) حرف يشبه (ط) ليس لوجوده في هـــذا المكان اي معنى . اقول ربما كان الحرف ممحوتا سابقا فأتى بين الكلام .

— — —

النص (٣٢)

١ ـ اللهم اصلح عمرو

٢ ـ بن الوليد [وادخله] فـ [ي] النعـ [يم]

الملاحظات : أ ـ عمرو بن الوليد هو ابن الخليفة الوليد بن عبد الملك.ولقد ورد اسم عمر مرة وعمرو مرة اخرى في الطبري واشـار المحقق في الحاشية الى هذا تحت الحرف (ا) (ينظر الى الحاشية (٢١) من هذا البحث)

* * *

نستطيع ان نستنتج مما ذكر ان اسم وردان اسم استعمله العرب كما استعمله الاعاجم .

حـ ـ في الدعاء بعض الغرابة : يرجو ان يغفر لوردان مغفرة عن ما لا يعمل . اي عن ما لا يعمل من الخطأ . ومن الطبيعي ان الله لا يؤاخذ احدا عن ذنب لم يقترفه الانسان . كأن الكاتب يعني انه لم يقترف ذنبا وهو عالم به ، او انه لن يقترف ذنبا عن قصد .

* * *

اللوحة — ٢١ —

نقلت اللوحة الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع / ١٥١٠٥

النص (٣٦) ٦٨،٥×٣٥،٥ سم .

١ — اللهم اغفر لخلد بن أمير ا

٢ — لمؤمنين وأدخله بر

٣ — حمتك في عبادك

٤ — الصالحين

الملاحظات : أ— النص واضح جدا ، الخط فيه متقن .

ب— رسمت (خالد) بدون الف .

حـ— خالد بن امير المؤمنيـــن : بحثت عن اسماء ابناء الخلفاء من اسمه خالد فوجدت : خالد [٧٧] بن عثمان بن عفان : لم يذكر عنه شيء هام .

خالد [٧٨] بن الوليد بن عبد الملك : لم يذكر عنه شيء هام .

خالد [٧٩] بن يزيد بن معاوية : ذكر عنه اشياء كثيرة في صدد ابحاثه العلمية لكني استبعد ان يكون هو ، كما استبعد ان يحمل باستمرار لقب ابيه .

الولي : المحب والصديق والنصير . (نختــار هنا الصفة الاخيرة) لأن الصفة لله سبحانه وتعالى فهو النصير والمعين .

المولى : المالك والعبد والمعتِق والمعتَق والصاحب والقريب (كابن العم ونحوه) والجار والحليف والنزيل والشريك والمولى والناصر والمنِعم والمنَعم عليه والمحب والتابع .

وهنا يرى القارىء ان الكلمة الثانيــة تحتمل معنى ونقيضه . يوجد في اللغة العربية عدة كلمات من هذا النوع . (نختار بالطبع كلمــة الناصر بمعنى الحامي والمدافع) .

د ـ (الله ولي) منتحل من الآية الكريمة ٢/٢٥٧، و (مولى المتقين) منتحل من الآية الكريمة ١٨/٤٥ .

* * *

اللوحة ـ ٢٠ ـ

النص (٣٥) ٨١×١٥ سم

١ ـ اللهم اغفر لوردان مغفرة عن ما

٢ ـ لا يعمل .

الملاحظات : أ ـ (يمكن ان يقرأ اسم الشخص (وَردان) وهو الذي يرجحه ويمكن ان يقرأ ويدار ، وندار ، ويدان ، وندان .... الا اننا لم نجد اسماً بهذا الشكل .

ب ـ ورد اسم (وردان) في الطبري دون ذكر اسم ابيه [٧٢] وهذا يدل انه ليس من سراة القوم او انه مولى [٧٣] . وورد هذا الاسم مع اسم ابيه في عهد الرسول [٧٤] ـ ص ـ كما ورد هذا الاسم لأحــد ملوك بخارا [٧٥] (وردان خذاه) الذي غزاه قتيبة سنة ٨٩ هـ . وذكر ياقوت وردان مولى [٧٦] عبد الله بن سعد بن ابي سرح .

الملاحظات : أ — انقص كاتب النص الف (الحر) .

ب — يوحد ندبة بعد كلمة (الحر) تشبه (التاء المربوطة) يعني ان الاسم يصبح (الحرة) الا انني افضل ان يبقى (الحر) لان كلمــة (ابن) صريحة . هذا اذا افترضنا الحرف الاول من الاسم (لامــــا) لانه طويل ، ولكن اذا افترصناه (باءً) يصبح الاسم مع الندبة (بحرة) وهو اسم مشهور كثيرا عند العرب وذكرته المراجع .

حـ — ورد اسم الحر في المراجع نذكر بعضا منها :

الحر (٨٠) بن عبد الله بن عوف : قتل دهقانين من دهاقنة الفرس وفر ملتحقا بشبيب الحارحي . امن الحجاج كل من تبع شبيب فاستأمن سنة ٧٧ هـ = ٦٩٦م، الا اهل الدهقانين استعدوا عليه الحجاج فطلبه لكنه عفا عنه براً بوعده .

الحر (٨١) بن يريد التميمي : لقي الحسين بن على داهبــا الى العراق فنصحه بالعودة ، اقتنــع الحسين ، الا ان اهل مسلم بن عقيل ابوا ؛ سار معه الحر وقتل دفاعا عنه سنة ٦١ هـ = ٦٨٠ م .

الحر (٨٢) بن يوسف بن يحيي بن الحكم والي مصر سنة ١٠٥ — ١٠٨ هـ = ٧٢٣ — ٧٢٦ م .

الحر (٨٣) بن يوسف الثقفي توفي سنة ١١٣ هـ = ٧٣١ م .

* * *

اللوحة — ٢٤ —

النص (٣٩) ٥٦×١٤٥ سم

١ — لله الامر من قبل ومن

٢ — بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . . .

مر هـــذا النص سابقا (ارجع الى النص ٢٣)

— — —

ارجح ان يكون صاحب النص خـالد بن الوليد بن عبد الملك . اني اعتبر هذا النص هاما جدا وقاطعا للشك الذي قد يخالج بعض البـاحثين فهو يدلنا بكل وضوح ان هذه الكتابات لسكان القصر في العهد الاموي . ولقد مر معنا عدد من اسماء الامراء الامويين : محمد ، ابراهيم ، عمرو ، وهذا هو خالد يذكر اسمه منسوبا الى لقب ابيه امير المؤمنين. اني اعتبر ذكر اللقب اهم من ذكر اسم ابيه. فلو كتب خالد بن الوليد لطل لدينا شك بأن يكون أحد من كان اسم ابيه الوليد .

د ـ الدعاء « وادخله برحمتك في عبادك الصالحين » منتحل من الآية ١٩/٢٧ « وادخلني برحمتك ... »

* * *

اللوحة ـ ٢٢ ـ

النص (٣٧) ٤٣×١٣ سم

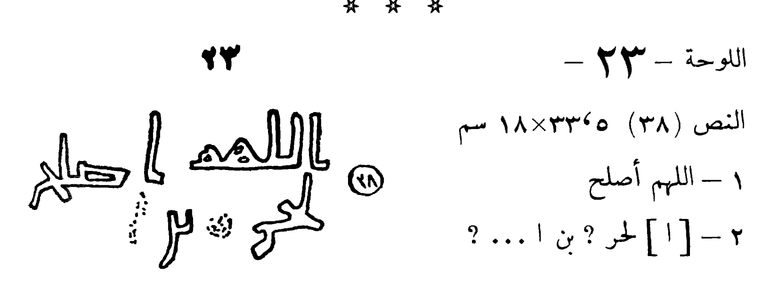
١ ـ أقبل على صلاتك

٢ ـ وما أنت وداك [بخالد]

الملاحظات : أ ـ رسمت كلمة صلاة هنا بالالف خلافا لكلمة الصلوة في النص (٣٣)

ب ـ لم يتم كاتب النص الكلام ، ورأيت ان اتمه بما يناسب المعنى . (بخالد او بباق او بدائم) .

* * *



اللوحة ـ ٢٣ ـ

النص (٣٨) ٣٣،٥×١٨ سم

١ ـ اللهم أصلح

٢ ـ [ا] لحر ؟ بن ا ... ؟

اللوحـــة -٢٦- نقلت اللوحة الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم / ١٥١٠٦

النص (٤٢) ٣٩×١٧سم

٢٦

١ - اللهم أصلح عبدك

٢ - حفص بن عبـــد الله وكتب

٣ - في ذي القعدة سنة ثلث

٤ - عشرة ومائة

الملاحظـــات : أ- النص واضح حدا وهام لأن فيه اسما صريحا وتاريخاً محـــدداً .

ب - لدى البحث عن اسم (حفص بن عبد الله) لم اجده الا في مرجعـــين : حفص [٨٤] بن عبد الله بن أنس محدث ، حدّث عن ابي هريرة .

حفص، [٨٥] بن عبدالله بن ابي طلحة (ابن اخي انس بن مـــالك) وهو ايضا محدث وثقه الدار قطني ، روى عن عمـــه ، وروى عنه عكرمة بن عمار وابو معشر وخلف بن خليفة . يذكر الذهبي انه ربمـــا مات سنة ١٢٠ هـ = ٧٣٧ / ٧٣٨ م .

ليس بعيدا ان يكون احد هذين المحدثين اقام في جبل أسيس بعض الوقت لتأديب وتعليم الامراء امور دينهم .

حـ - النص لا يعطينـــا اية فكرة عن أن الشخص المذكور اسمه متوفى فهو نص لذكرى حي .

* * *

النص (٤٠) طول السطر ٤٩ سم
وكتب محمد بن مر [وان] او مرّ[ة]

ملاحظات : أـ يختلف خط هذا النص عن خط النص الذي قبله من حيث ثخن الحرف والقاعدة .

ب ـ محمد بن مروان : ذكر عدد من الاشخاص بهذا الاسم نختار منهم .

محمد بن مروان بن الحكم : ذكر الطبري (٢ / ٥٩٢ – ١٨٧٦) والذهبي (تاريخ الاسلام ٤/٢٠١) وهو والد الخليفة الاموي الاخير واخو عبد الملك بن مروان . امه ام ولد كان واليا على الجزيرة (الموصل) ٧٣ – ٩١ هـ = ٦٩٢ – ٧٠٩ / ٧١٠ م . توفي سنة ١٠١ هـ = ٧١٩ م .

جـ ـ محمد بن مرة :لم اجد له ذكرا في المراجع .

* * *

اللوحة –٢٥–

النص (٤١) ٦١×١٣ سم

٢٥

١ – أنا عبد الله آتني الكتب
٢ – وجعلني نبيـــا وجعلني مبار[كا]. . .

الملاحظات : أـ (آتانيّ) و (الكتاب) وردتا بدون الف .

ب ـ وردت هذه الآية في سورة مريم (١٩) مبتدئة ب « قـــال اني عبد الله ... » ١٩ / ٣٠ – ٣١ على لسان السيد المسيح .

اللوحة -٢٨-

٢٨

النص (٤٥) ٢٢×٢٧ سم

١ — اللهم

٢ — اغفر لأ

٣ — يسر الحر

٤ — ابن

الملاحظات : أ — ارجح ان يقرأ اسم الشخص (ايسر) وقد يمكن ان يقرأ (ايس) و (أسر) .

اما (أسر) فهو غير موجود في المراجع حتى في كتب اللغة كأسم شخص .

اما (ايس) فأني ارى ان يكون السن الثاني في الكلمة المرسومة أعلى مما هو عليه .

اما (أيسر) وهو الذي ارجحه فاني ايضا لم اجـــده في مراجع التراجم والانساب لكني وجدته في القاموس المحيط مع (ال) التعريف : الايسر محدّث روى عن ابن منده وعنه الحسين الخلال .

ب — الحر لقب للايسر ويبدو انه كان مملوكا واعتق فتمسك بهذا اللقب . يجوز ان تكون الكلمة ناقصة بسبب تفكك الصخر وضياع القسم المتفكك .

ح — يلاحظ ان (الف) كلمة (ابن) قد اثبتت ، وهذا موافق لقواعد الاملاء اليوم بسبب ورود الكلمة في اول السطر ، ولأن كلمة (الحر) توسطت العلمين .

اللوحة – ٢٧ –

نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع / ١٥١٠٧

النص (٤٣) ٤٨،٥×١٥،٥ سم ٢٧

١ – اللهم اغفر لمحمد بن الوليد

٢ – ؟ وأدخله برحمتك في

٣ – عبادك الصالحين .

الملاحظات : أ– النص واضح جدا الا ان ندبتين وجدتـا في اول السطر الثاني : الاولى في بدء السطر والثانيـة بعد واو (وادخله) ليس لهما علاقـة بالنص .

ب– محمد بن الوليد : مر معنا في اللوحـة – ٨ – النص (١٨) واللوحة – ١٠ – النص (٢١) وهو على الارجح ابن الخليفة الوليد بن عبد الملك .

جـ– نقل الباحث De Vogué النص في كتابه الذي ذكرناه سابقا واثبته تحت الرقم – ١٦ – في اللوح – ١٨ – . كان النقل امينـا تقريبا ، الا انه تشوش بالندبتين اللتين ذكرناهما في الفقرة السابقة . واخطأ فقط في رسم (ياء) كلمة (الصالحين) فجعلها كالفاء .

د– ترجم الاستاذ Schefer النص ترجمة صحيحة لكنها مطولة .

– – –

النص (٤٤) طول السطر ٢٦ سم

اللهم اغفر

* * *

الملاحظات : أ — قاعدة الخط تعود الى العهد الاموي او بعده بقليل كسائر الكتابات لكن الخط رديء وبعض الحروف غير واضحة .

ب — فضلت ان اقرأ الكلمة الثالثة من السطر الثاني (معاذ) بينما يمكن ان تقرأ ايضا عبّاد،عيّاد ، عناد . . . فيما اذا اعتبرت الحرف الاول (عين) مغلقة والحرف الثاني سنا لباء او ياء او نون اما الحرف الاخير فهو دال أو ذال ، لكنه ليس مرسوما بوضوح تام كما هو الامر في جميع النصوص — حسب قاعدة العصر — فهو قابل ان يؤوّل الى حرف آخر لكي افضل احد هذين الحرفين .

حـ — يمكن قراءة الكلمة الاخيرة (الحفي) او (الحمي) . اما الحفني فانه يمكن ان تكون نسبة إلى حفنة ، وقد ذكر (المنجد) **حفنة بلبيس** ، او نسبة الى **حفن** ذكرها ياقوت (٨٦) وقال من قرى الصعيد ، وقيل من ناحية من نواحي مصر ومنها مارية التي اهداها المقوقس الى الرسول — ص — .

هل يجوز ان يكون كاتب النص اخطأ بالكتابة فقدم الفاء عن النون وكان يريد ان يكتب (الحنفي) وهو نسبة الى بني حنيفة ؟ .

اما (الحمني) او (الجمني) فانه يجوز ان تنسب الأولى الى حمنة بنت جحش (٨٧) كما يجوز ان تنسب الثانية الى حمينة (٨٨) .

د — هذه الاحتمالات جميعها لم تساعد على تحديد اسم يمكن ان يوجد في المراجع .

* * *

د — نقل De Vogué هذا النص ونشره ايضـــا في اللوحة (١٨) تحت الرقم (١٧) ، الا انه لم يضع (راء)الحر مع انها صريحة . وكتب كلمة (ابن) لله .

هذا الرسم الخاطىء جعل الاستاذ Schefer لا يستطيع ان يقرأ النص .

* * *

اللوحة — ٢٩ —

٢٩

النص (٤٦) ٣١،٥×١٠،٥ سم

١ — ومن ىبيه عير

٢ — محـ[ـمـ]ـد

هذا النص متصل بالنص الدي يليه ، الا انه يتميز عنه بالخط لدا استطعت قراءته ، ولو كان النصان كتبا بخط واحد لصعبت علي قراءته .

— — —

النص (٤٧) ٢٢و٥ × ١٢و٥ سم

١ — لله الامر من [قىل]

٢ — ومن بعد .....

وهو جزء من الآية (٤) من سورة الروم (٣٠) وقد مرت معنا قبل الآن مرتين .

* * *

اللوحة — ٣٠ —

٣٠

النص (٤٨) ٦٨×١١ سم

١ — بسم الله الرحمن الرحيم

٢ — اللهم اغفر لمعاذ ؟ (او عباد)

ابن الحفني (او الحمني)

الكلام ايام خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ=٨٦٢/٨٦٣م، فقد كان طفلا وكان ابوه علي بن الحسين مهددا لكن يزيد احسن معاملة ابيه (اورد الذهبي [٩٠] القصة) .

عبد الله بن [٩١] علي بن عبد الله بن العباس عم ابي جعفر المنصور وقائده وواليه على دمشق بين سنتي (١٣٢ — ١٣٦ هـ = ٧٤٩ — ٧٥٣ م) وعلى البصرة (١٣٧ — ١٣٩ هـ = ٧٥٤ — ٧٥٦م) توفي سنة١٤٧ هـ = ٧٦٤ م عرف بالقضاء على الامراء الامويين ومنشآتهم .

ترى هل مر بشبابه الى جبل اسيس ، فضاف عند ابناء عمومته وسجل اسمه للذكرى ثم عند نجاح الحركة العباسية وتسلمه القيادة قضى على ابناء عمومته والقصر الذي آواه . ؟

— — —

النص (٥٠) ٤٠ × ٤٩ سم

١ — اللهم اغفر لحمّا

٢ — د بن زياد ما تقـد

٣ — م من ذنبه ومـا

٤ — تأخر وأدخله جنا

٥ — [ت] النعيم رب

٦ — [العلمين]

الملاحظات: أ— النص واضح ، الحجر متفكك من اسفله فذهب بعض الكتابة التي قدرتها .

ب— كنت ذكرت في النص (٣١) من اللوحة — ١٧ — ان زيادة قد تطرأ قبل الجيم فتوهم بوجود حرف كالباء اوسواها . تأمل هنا (حاء) كلمة (ادخله)

اللوحة — ٣١ —

نقلت اللوحة الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع / ١٥١٠٨

٣١

النص (٤٩) ٥،٧٤×٢٠ سم

١ — أنا عبد الله بن علي

٢ — أسل الله [ا] لرحمة وأعوذ

٣ — به من النار يو [م الحساب]
ـاو ـ(يوم يقوم الحساب)ـاو ـ
(يوم المآب) .

الملاحظات : أ — كلمة اسل = أسأل وقد وردت ايضا كلمة (يسل) مرحمة في النص (١٨) من اللوحة — ٨ —

ب — لم يكمل الكلام في السطر الثالث ، اعتقد انه يوجد احـــد الوجوه التي اثبتها . وهذه الملاحظة لا بد من الاشارة اليها لأنّ كثيرا من النصوص لم تكمل. ربما كان السبب شرطاً طبيعيّاً غير مناسب كريح شديدة او مطر . او ان الجماعة المتنزهة قررت الهبوط ، وناقش الحرف لم يتم عمله ، فآثر الالتحاق بالجماعة .

جـ — ورد اسم (عبد الله بن علي) بكثرة في المراجع لكن من البعيد ان يكون واحدا منهم ، نختار ما يوافق العصر :

عبد الله [٨٩] بن علي (زين العـــابدين) بن الحسين اتى ذكره في معرض

ب – نقل De Vogué النص مغلوطا وخاصة كلمــة (سجدا) تحت الرقم (١٤) من اللوحة (١٨) . فلم يستطع الاستاذ Schefer ان يقرأ النص.

* * *

اللوحة – ٣٤ –

النص (٥٣) ٣٠×٢٠ سم

١ – اللهم اغفر

٢ – لطالب ولي

٣ – علي .

الملاحظات . أ– الطاء في كلمة (طالب) ليست واضحة تماما لكن الكلمة احمالا مقروءة .

ب– جاءت كلمة (ولي) موصولة. وهي الوحيدة التي اتت في هذه النصوص على هذا الشكل. ولقد شرحناها في النص (٣٤) من اللوحة–١٤–وهي هنا بمعنى (محب) وصديق ومتحرب . ويقصد بعلي–على الاكثر– علي بن ابي طالب .

ح – يبدو ان طالبا غلام او مولى لأنه ذكر دون ذكر ابيه ، ربما كان محباً لعلي بن ابي طالب وذريته ، فقد كان اكثر هذه الطبقة من المستضعفين يحبون عليـــا .

د – نقل De Vogué النص تحت الرقـــم (١٣) من اللوح (١٨) الا ان الاستاذ Schefer لم يستطع قراءة كلمة (طالب)ولا كلمة (ولي) واتت الترجمة مبتورة .

* * *

فترى هذه الزيادة واضحة مع انه لا يوجد اي داع الى التردد في قراءة الكلمة كما اوردتهـــا .

جـ ـ كنت ناقشت سابقا صيغة الدعـاء (ما تقدم من ذنبه وما تأخر) في النص (٩) من اللوحة ـ ٤ ـ

د ـ حمّاد بن زياد : لم اعثر على هذا الاسم في المراجع التي بحثت فيها . عسى ان اعثر عليه في المستقبل .

* * *

اللوحة ـ ٣٢ ـ

النص (٥١) ٢٤×١٦ سم

١ ـ الله لا اله الا

٢ ـ هو الحي [القيوم].... جزء من الآيـــة (٢٥٥) من سورة البقرة (٢) .

٣٢

(٥١) الله لا اله الا
هو الحي

* * *

اللوحة ـ ٣٣ ـ

النص (٥٢) ١٧،٥×٦،٥ سم

١ ـ خرّوا سجدا

٢ ـ وبكيّا .

٣٣

الله

(٥٢) خروا سجدا
وبكيا

الملاحظات : أ ـ يوجد كلمة في اعلى اللوحة من خط آخر وهي (اللهـ[م]) .

ب ـ هذا هو الجزء الاخير من الآية ٥٨ من سورة مريم (١٩)

الملاحظات : آ ـــ النص واضح لكنه ناقص .

ب ـــ لقد مر في النص (٢١) من اللوحـــــة ـــ ١٠ ـــ كلمة (ادّ) شرحتها هناك . كما مر اسم ابراهيم الذي امسى قلب اخيه محمد بن الوليد مشتاقا اليه . التحق ابراهيم بن الخليفة الوليد بأخيه محمد في اسيس ، وقد كتب محمد النص (٤٣) المثبت في اللوحة ـــ ٢٧ ـــ يرجو الله ان يغفر له وان يدخله برحمتـــــه في عباده الصالحين . الا ان محمدا ـــ كما يبدو من النص (١٧) من اللوحة ـــ ٨ ـــ قد توفي في اسيس . فحزن قلب اخيه ابراهيم فكتب هذا النص . يرجو من ربه ان يخلفه في اهله (اي يلحقه بهم) لانه لم يعد يستطيع الصبر على فقد اخيه . واذا صح ان يكون ابراهيم هذا هو الذي تولى الخلافة سبعين يوماً ، ثم استخفى عندما انتصر مروان الثاني ؛ هل يجوز ان يكون استخفى مدة في اسيس ومدة اخرى في الرقة ان صح هذا فان النص يدل على قلقه وضجره من العزلة ويرجو الله ان يلحقه بأهله.

* * *

اللوحة ـــ ٣٧ ـــ

النص (٥٦) ٢٢×١١ سم

١ ـــ الله لا اله

٢ ـــ الا هو وحد [ه]

لم يكمل الكاتب النص .

٣٧

(٥٦)

* * *

اللوحة ـــ ٣٨ ـــ

النص (٥٣) ٢٤،٥×٥ سم

عون بالله

دعاء يرجو به العون من الله.

٣٨

(٥٧)

* * *

اللوحة -٣٥-

النص (٥٤) ٤٢×٣٩ سم

١ – بسم الله الر
٢ – حمن الرحيم
٣ – من ىكير ؟
٤ – بن بكر
٥ – الى ؟ سبعين ؟

٣٥

الملاحظات : أ– النص غير واضح ، الحفر خفيف الاثر .

ب– رسمت سين (بسم) بدون اسنان .

ج– الكلمة الثانية من السطر ٣ غير واضحة . اذا اغفلت السن الثانيـــة قرئت ىذير او بكير ، واذا لم تغفل السن صعبت قراءة الكلمة .

د – الكلمـــة الاولى من السطر – ٥ – يمكن ان تقرأ (الى) اذا اعتبرنا الألف المقصورة مرسومة الى الخلف بحيث تتصل بالألف .

هـ – كلمة (سبعين) واضحة وهي الكلمة الاخيرة في النص ، لكن المعنى لا يستقيم الا اذا كانت هذه الكلمة اسم علم : من ... الى ...... كما هي العادة في الرسائل القديمة . ومع ذلك هل يجوز ان تكون (سبعين) تاريخا .

و – وجدت في مصنف النقود الاسلامية للاوقاف[٩٢] اسم الامير الوليد بن بكير ؟ وله فلس اموي ضرب بالموصل مسجل تحت الرقم ١٥١٢ فهل يجوز ان يكون بكير هذا هو بكير بن بكر صاحب هذا النص . ؟

اللوحة -٣٦-

النص (٥٥) ٥٧×١٧ سم

١ – اللهم اد ابراهيم بن الو
٢ – ليد وخلفه في اهله و كتب

كلمة لله) فيكون المعنى (ان الله يعاقب من محاه) .

لقد ترددت في اثبات هذا الوجه ، الا اني اطمأننت اليه بعد ما اكتشفت حجراً آخر هو : اللوحة — ٦٧ — النص (٨٧) ، يحمل جملة قريبة من هذا المعنى جعلتني احزم به على هذا الشكل ولقد صححت كلمـة (الله) باضافة اللام في صلب النص .

د — عبد الله بن الحسين : يوجد عدة اشخاص بهذا الاسم ذكروا بالمراجع الا انهم بعيدون عن العصر الاموي . اشهرهم واقربهم الى العصر عبد الله بن الحسين ابن علي ذكره الطبري[٩٣] والذهبي [٩٤] وسواهما وقد قتل مع ابيه سنة ٦١هـ= ٦٨٠ — ٦٨١ م — في كربلاء .

الذي دعاني الى اختياره دون سواه ورود هذه الجملة: « انا عبد الله بن ابنع اهل الله الحسين ». لا اعتقد ان احدا من غير آل البيت يمكن ان يكتب هذه الجمـلة .

اذا ثبت ان صـاحب هذا النص هو عبد الله بن الحسين بن علي الذي توفي سنة ٦١ هـ فان هذا يعني ان هذه الكتـابات اسبق من عهد الوليد ، اي ان المكان مطروق منذ فاتحة العهد الاموي. لا يعني هذا انه من اللازم ان تكون المنشآت العمرانية في جبل اسيس تصعد الى فاتحة العهد ، لكن المكان مطروق ومأهول .



اللوحة — ٤٠ —

النص (٥٩) : ٤١×٢٨ سم

١ — لو تيم س

٢ — وصيل يبدّ

٣ - اباه

اللوحة – ٣٩ –

نقات الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع/١٥١٠٩

٣٩

النص (٥٨) ٤٤×٥٨ سم

١ – انا عبد الله

٢ – ان انفع اهل

٣ – الله الحسين

٤ – واعوذ به من

٥ – النا ر يـــوم ا

٦ – لمـــآب آمين ثم

٧ – آمـــين رب العلمين

٨ – رب موسـ ى وهرون

٩ – رحم الله من قرأه

١٠ – فقال آمين وأجرى ا

١١ – [لـ]له من محاه امين .

الملاحظات : أ – هذا اطول نص وهو واضح .

ب – كلمة (انفع) في السطر الثاني اتت الفهـــا تشبه (ما) ومثيلاتها لكني بعد تقليب النظر وجدت هذه السن امـــا ان تكون قد كتبت خطأ او كان هناك ندبة اتصلت بالالف صدفة . ولا يمكن ان يقرأ ذلك السطر بأفضل مما قرىء به .

جـ – (احرى) تحتمل معنيين : الثواب والعقاب ، ولما كان الكلام يشير الى منع المحو فانه يفهم من (اجزى) العقاب .

وردت كلمة في آخر السطر – ١٠ – واول السطر – ١١ – وهي (اله) يمكن ان تقرأ (آله) و (إله) . لكن المعنى لا يستقيم في كليهما ، ويستقيم مع

اي حال اعتبر هذه القراءة اوليـــة ، وقد ذكرت ان الكتابة غير واضحة اجمـــالا .

* * *

اللوحة -٤٢-

النص (٦١) : ٥٠،٤٥ × ١٥،٥ سم

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - اللهم أبق .

الملاحظات : أ - لا اهمية لهذا النص من حيث المعلومـات لكنه يفيدنا من حيث دراسة تطور الخط

ب - يلاحظ ان الكلمات الثلاث الاولى مكتوبة بشيء من الاتقـان ، اما الكلمات الاخيرة فهي مشوشة ، وكأنها بخط شخص آخر .

* * *

اللوحة -٤٣-

النص (٦٢) : ٥٧×١٤ سم

١ - للهم اغفر لـبُكَيرْ مولى افلح

الملاحظـــات : أ - (بُكَيرْ) اسم مستعمل كثيرا في العهد الاموي. وقد رجحت قراءة الكلمـة بهذا الشكل لأن ذيل الكاف الاعلى طويل . ومع ذلك فانه من الممكن قراءة الكلمة (نظير) لأن انطواء الكاف ضيق جدا ، الا انني لم اجد في المراجع وخاصة في كتاب المشتبه للذهبي اسم نظير مستعملا كاسم علم في ذلك الوقت .

ب - المتـأمل في النص يقرأ الكلمة الاخيرة (املح) لكني لم اجد هذه

الملاحظات : أ – يمكن قراءة هذا النص على وجوه كثيرة ، لكني رجحت هذه القراءة التي يمكن ان توجد شيئا من الانسجـام بين معنى الكلمات . (بذّ) يأتي معناها غلب وفاق وماثل ، والمعنى الاخير هو المرجح ، هناك نوع من التمني ان يماثل تيم اباه

ب – اسم (تيم) مشهور كثيرا أما (وصيل) فلم اجده في اي مرجع ، وهو واضح في النص لا يلتبس على احد ، فهل يجوز ان يكون الكاتب اخطأ في رسم كلمة (واصل) ؟ – على اي حال فان صيغتي الصفـة المشبهة واسم الفاعل مستعملتان كثيرا في مجال واحد . اذا افترضنا ان الكاتب اخطأ في فصل الفاء عن الحرف الثاني ، فان كلمة (فضيل) الاسم المرحح .

جـ – بنية الجملة من الناحية اللغوية ركيكة .

* * *

اللوحة – ٤١ –

النص (٦٠) : ٥٤×٢٦ سم

١ – امره نصر بن [عل]قمة

٢ – فانغاط علي و

٣ – و ؟

الملاحظات : أ – النص احمالا غير واضح ، وهو محكوك حكا مصطربا ، ويبدو انه مشوه فيما بعد ، وخاصة اسم الوالد الذي قدرتـه (علقمة) ، الميم والتاء المربوطة واضحتان ، القاف غير واضحة كثيرا ، لا اعتقد انه يوجد اسم آخر انسب من علقمة .

ب – لم اجد اسم نصر بن علقمة كثيرا ، اورد الطبري[٩٥] راويا واحدا بهذا الاسم .

جـ لم اجد في القاموس صيغة (انغاظ) الصيغة الصحيحة (اغتاظ) على

اللوحة — ٤٥ —

النص (٦٤) : ٣٦×٢٧ سم

١ — عبد الله

٢ — بن حمز[ة] كن

٣ — سحيل ؟ رحيما

الملاحظات : أ — النص غير واضح ويمكن ان يقرأ على عدة وجوه.

ب — الكلمة الثانية من السطر الثاني يمكن ان تقرأ (حمــار[٩٨]) من قصر الألف ، ويمكن ان تقرأ (حمرة) بتقدير التاء المربوطة كما فعلت ، ويمكن ان تقرأ (حمرة [٩٩]) ، ويمكن ان تقرأ (حُمرة[١٠٠]).

حـ — الكلمة الاولى من السطر الثالث اخذت من وقتي طويلا فلم احــد اسما علما يمكن ان ينسجم معها واخيرا وجدت ان الكاتب لم يكن يريد ان يفصح عن اسمه فنوّه بصفته (نحيل او بخيل ...)

د — النص بصيغة الامر المقصود منه الرجاء ، وعلى هذا يجب نصب كلمة (عبد) كما فعلت .

هـ — لم اجد في المراجع عبد الله بن حمزة.

* * *

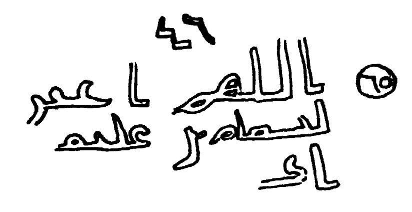
اللوحة — ٤٦ —

النص (٦٥) : ٢٧٫٥×١٥ سم

١ — اللهم اغفر

٢ — لتمام بن عليم

٣ — اكا



الـكلمة مستعملة كاسم علم ، وانما وجدت (افلح [٩٦]) ، ووجدت (الاقلح[٩٧]، وهو قليـــل الاستعمال ، ووجدت الاجلح وهو محدث ذكره الذهبي ، سير ٣٠٠٠ / ٣٤٤)

* * *

اللوحة -٤٤-

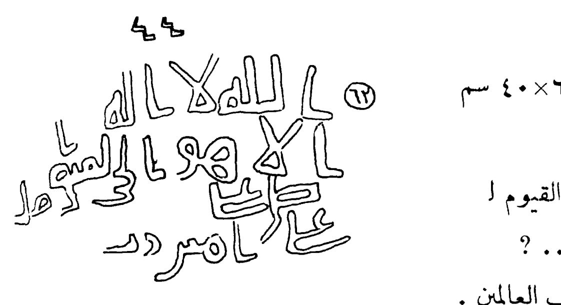
النص (٦٣) : ٦٤×٤٠ سم

١ – الله لا اله

٢ – الا هو الحي القيوم ل

٣ – صل على م .. ؟

٤ – علي آمين رب العالمين .



الملاحظات : أ – نسي الناقش ان يكتب الف (القيوم) ووضعها فوقها.

ب – في السطر الثالث الكلمة غير واضحة ، وربمـــا امكن ان نميز حرف (الميم) ، لكن لا يمكن ان تقرأ (محمد) باي شكل .

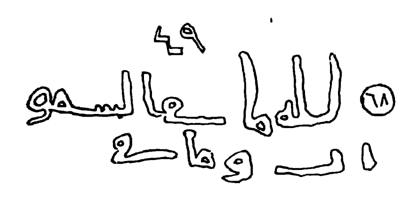
جـ – كلمة (عليّ) واضحة في السطر الرابع ، فهل كان كاتب النص شيعيا متطرفا حتى اثبت عليا مكان محمد؟ او كان يريد ان يكتب: «صل على م[حمد] [و] على [آ له]»

د – الجزء الاول من النص هو من آية الكرسي ٢ / ٢٥٥.

* * *

ب — (الحي القيوم) جزء من الآية ٢ / ٢٥٥ او الآية ٣ / ٢.

* * *



اللوحة — ٤٩ —

النص (٦٨) : ٣٨×١٧ سم

١ — لله ما في السمو

٢ — ات وما في الأرض

الملاحظات : هذا حزء من الآية ٢ / ٢٨٤ او الآية ٣/٢ .

* * *

اللوحة — ٥٠ —

النص (٦٩) : ٥٥×١٤٥ سم

١ — اللهم أصلح ?

٢ — ن ابرا[هيم]

الملاحظات : أ — الكلمة الثالثة في السطر الاول غير واضحة، يوحد ميم ثم س ثم ما يشمه الصاد لكنها مطموسة ثم انحناء غير واضح بسنين وحرف يشبه الراء. فاذا قدرنا الحرف الثالث (صادا) يمكن ان نقرأ كلمة (منصور) اعتباطا، واذا قدرنا مكانه سنين مطموسين امكن قراءة منتشر (١٠١) او مبشر (١٠٢)

ب — اظن تقدير تتمة (ابراهيم) موافقة.

* * *

الملاحظات : أ – الكتابة محكوكة حكا خفيفا ، فهي واضحة للعين ، لكنها لم تتضح في الصورة

ب – مر معنا اسم تمام بن عليم في اللوحة – ٢ – النص (٤) .

اللوحة –٤٧–

النص (٦٦) : ٢٠+١٥،٥ سم

١ – بالله وس

٢ – المنظرين

الملاحظات : أ – الكلمة الاولى يجوز ان تكون (بالله) او (تالله) ، الكلمة الاخيرة تقرأ (المنظرين) او (المبصرين) .

ب – (من المنظرين) يمكن ان تكون جزءا من الآية (قال انك من المنظرين) ٧ / ١٥ .

* * *

اللوحة –٤٨–

النص (٦٧) : ٣٢×٢٧،٥ سم

١ – الله الحي ا

٢ – لقيوم

الملاحظات: أ – ليس للنص اهمية من حيث المعلومات لكنه مهم من حيث تطور الخط .

الملاحظات : أ — النص واضح والخط فيه جيد وهو يمثل بصدق الخط في العهد الاموي .

ب — هذا جزء من الآية ٣٣ / ٥٦ . الكلمة الاخيرة كان يجب ان تكون (النبي) ، الا انها غير واضحة ويخيل الي كأنما كتبت (علي) ثم اتى شخص آخر فشوهها . ان دل هذا على شيء ، فهو يدل على الصراع العنيف بين العلويين المكموتين والسلطة الحاكمة .

* * *

اللوحة — **٥٣** — نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع / ١٥٣٩٩

النص (٧٢) : ٣٦×١٥،٥ سم

١ — أبا حفص بن عبد الله

٢ — اسل الجنة واعوذ

٣ — به من النار

الملاحظات : أ — النص واصح وقد وجدت عدة كتابات تحمل اسم (حفص) ووجدت كتابة اخرى تحمل اسم حفص بن عبد الله وهي مؤرخة من سنة ١١٣هـ اللوحة — ٢٦ — النص (٤٢) . تراجع للتعرف على حفص بن عبد الله .

ب — (اسل) ترخيم (اسأل) وقد وردت (يسل) مرخمة في اللوحة — ٨ — النص (١٨) .

حـ — اسل الجنة واعوذ به من النار ، جرء من دعاء مأثور .

* * *

اللوحة -٥١-

١ - بسم الله [صلِّ] على

٢ - محمد رسول

٣ - الله و كتب

٤ - ابو المـ[ـلـ]ـيح

٥ - علي الآمـــد [ي]

الملاحظات : أ - بسم تنقص سنا .

ب - اذا لم نقدر في السطر الاول كلمة (صلِّ) لا يستقيم المعنى .

جـ - السطر الرابع يمكن ان يقرأ (ابو المنح) ولكن لم اجد هذه الكنية مستعملة وانما وجدت (ابو المليح)[١٠٣].

د - السطر الخامس ربما كان اسم الشخص (علي) وينسب الى مدينة (آمد). وربما كان شيئاً آخر .

هـ - الكتابة محكوكة حكا خفيفا حدا، وهي ليست واضحـــة الا للعين المجردة .

* * *

اللوحة -٥٢-

النص (٧١) : ٥،٤٥×٩ سم

١ - بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - ان الله وملئكته يصلون على .... ؟

اللوحة — ٥٥ —

النص (٧٤): ١٨٫٥ × ١٣٫٥ سم

١ — (بسم) اللهم اغفر
٢ — لأمي آمين رب
٣ — العلمين اغفر اللہ[م]
٤ — [ل]من قال آ مين

الملاحظات : أ — كلمة (بسم) كتبت سينها بدون اسنان وكتبت بعيدة بينا مع ان السطرين التاليين كتب اولها تحت كلمة (اللهم) . وبالرغم من ان الخط في هذه الكلمة والنص واحد ، فانا نعتبرها دخيلة ، ولا تنسجم مع النص الا اذا اضفنا اليها كاف الخطاب فاصبحت (باسمك) ومن الطبيعي ان تتطلب في مثل هذه الحالة الف الوصل بعد الباء .

ب — لا يستقيم الكلام في النص ما لم نضف (ميا) بعد (الله) في السطر الثالث و (لاما) قبل (من) في السطر الرابع .

حـ — هذا هو النص الوحيد في هذه الكتابات الذي يوجه فيه الدعاء الى الام.

د — يلاحظ ان الكاتب فصل الميم عن الياء في كلمة (لأمي) بشكل طريف، لم نجد له مثيلا .

* * *

اللوحة — ٥٦ — نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع/١٥٤٠١

النص (٧٥): ٤٫٠٥ × ٤ سم

اللهم لا تغفر لسليمن بن صليبا الطبيب .

اللوحـة – ٥٤ – نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع / ١٥٤٠٠ .

النص (٧٣) : ٤١×٨ سم

١ – ه[ذا] كتاب إسحق بن
ابراهيم كتب
٢ – كتب وهو

الملاحظـات : أ – الحرف الاول ليس من خط النص على الاكثر. على اي حال يمكن تقدير الكلمة (هذا) وتنسجم مع النص .

ب – هذا هو النص الوحيد الذي يتضمن كلمة (كتاب) في اول الجملة .

جـ – اعيدت كلمة (كتب) في السطر الثاني ولم يتم كتابتها في السطر الاول دون مبرر .

د – اسحق بن ابراهيم : كثير في المراجع من كان اسمه اسحق بن ابراهيم . نورد بعضا منهم من كان قريبا من العهد الاموي :

اسحق بن ابراهيم [١٠٤] : احـد القواد الذين رافقوا موسى بن كعب وأبا الجهم ليلقوا ابا العباس السفاح سنة ١٣٢ ه في الكوفة بعد وفاة الامام ابراهيم . وكان ابو سلمة الخلال منع الناس ان يقابلوه لغاية في نفسه (وهي تحويل الخلافة الى العلويين) .

اسحق بن ابراهيم [١٠٥] بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب . رحّله ابو جعفر المنصور سنة ١٤٤ ه مع سواه من آل البيت الى العراق بعد ثورة محمد ذي النفس الزكية .

اسحق بن ابراهيم [١٠٦] بن صالح بن علي بن العباس : نائب والده في امارة دمشق في سنتي ١٧٥ – ١٧٦ ه

* * *

(دويد) مصغر داود موجود بكثرة في المراجــع ، لكن الحرف الاخير ليس بدال .

ب — لم نجد احد هذه الاسماء يوافق ابناء شخص اسمه عوف فيالمراجــع .

* * *

اللوحة —٥٨—

النص : (٧٧)

اللهم اغفر لخُثَـيْم (او خَيْثَم)

الملاحظات : أ — خُثَـيْم او خيثم اسم علم نادر: ذكر الذهبي الربيع بن خثيم [١٠٧] ، وذكر الفيروزبادي [١٠٨] ابن خثيم عبد الله بن عثمان وذلــك على وزن زبير . وذكر ايضا خيثم على وزن حيدر وقال انه اسم علم .

* * *

اللوحة —٥٩—

النص (٧٨): ٣٣٫٥×٩ سم

اللهم اغفر لمـ[ـحـ]ـد بن

الملاحظات : الاسم العلم يقرأ (محد) لكنني لم اجده في المراجع القديمة . استعمل محد الدين لقبا فيما بعد ثم اصبح في العصور المتأخرة اسم علم . ارجح ان الناقش اسقط حرف الميم سهوا وكان يريد ان يكتب (محمد) .

* * *

اللوحة —٦٠—

النص (٧٩): ٤٩ × ٧ سم

اللهم صلى (كذا) على سلم؟

الملاحظات : أ — هذا نص هام يعلمنا ان طبيبا كان موجودا في المنطقة ومن الطبيعي ان يكون فيها طبيب ما دام بعض الامراء والمربين والحاشية موجودين في القصر ، وقد مر معنا سابقا اسماء تشير الى ذلك .

ب — يبدو ان الطبيب مسيحي ، لم اجد اسمه في المراجع ؛ وانما وجدت في عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ / ١٦٨ يوسف بن صليبا من عهد المعتصم ، وهو متطبب مرتزق — كما وصف — .

جـ — يلاحظ المتأمل ان الكلمة الثانية كانت (اغفر) ثم اتى شخص آخر فاضاف الى اللام (الفا) مائلة ، واضاف (التاء) حتى غدت (لا تغفر) ، لهذا يعتبر هذا النص اطرف من جميع النصوص في هذه المجموعة . وهنا يمكن ان نتساءل عن السبب الذي دعا الرجل الى هذا التشويه : يبدو ان المصحح كان متعصبا حدا ووجد ان المغفرة يجب الا تصيب مسيحيا الا اذا اسلم ، مع اننا نعلم حظوة المسيحيين في البيت الاموي وخاصة منهم الاطباء والشعراء ، او ان هذا الطبيب عالج للرجل ابنه او شخصاً عزيزا عليه فمات ، فاراد ان يعبر عن نقمته منه بهذا العمل .

* * *

اللوحة - ٥٧ -

النص (٧٦) : ١٦،٥×٧٢،٥ سم

١ — اللهم اغفر لكوثر؟. بن عوف

٢ — آمين رب العلمين

الملاحظات : أ — الكلمة الثالثة في السطر الاول غير واضحة يمكن ان تقرأ كوثر ، دُوير ، دُوَيْد. الحرف الاخير اقرب الى الراء منه الى الدال لذا رجحنا قراءة الكلمة (كوثر) وهو اسم رجل ذكره الطبري . اما (دوير) فهو جائز ايضا من حيث القراءة لكننـــا لم نجد هذه الكلمة مستعملة كاسم علم ابدا .

ب – بالرغم من اني اضعت وقتا طويلا في التأمل بهذا النص فاني لم اصل الى حل ارضى عنه ، لذا اتركه للباحثين .

* * *

اللوحة – ٦٢ –

النص (٨١) : ٣٥×٨ سم

١ – اللهم اغفر لمن

٢ – كتب هدا

الملاحظات : النص مفهوم وليست له اهمية الا من حيث تطور الخط .

* * *

اللوحة – ٦٣ –

النص (٨٢): ٢٢×٧ سم

١ – اللهم ارحم

٢ – من صلى

الملاحظات . كلمة (صلى) واضحة ، لكن كلمة (من) مدغمة بها وليست واضحة ، وخاصة فقد رسمت (الميم) بشكل سمح و (النون) بشكل غير واضح ، الا اننا نعتقد انها لم تقرأ افضل من ذلك منها وضعت افتراضات .

* * *

اللوحة – ٦٤ –

النص (٨٣): ٣١×١٠،٥ سم

١ – اللهم تب على عبدك

٢ – ايوب

الملاحظات : أ – كان يجب الا تثبت (الياء) في الفعل.

ب – الصلاة لا تستعمل الا للرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد جوز الشيعة ان تستعمل لآل البيت .

جـ – يلاحظ وجود اربع اسنان ثم لام ثم ميم في الكلمة المبهمة (سيلم) هناك عدة احتمالات .

١) اذا كان الكاتب اخطأ بوضع اربع اسنان وكان يقصد وضع ثلاث نقط فان الكلمة بهذه الحال تقرأ (سلم [١٠٩]) وهو اسم معروف.

٢) يوجد قاعدة املائيـــة في القرآن الكريم تكتب الألف التي تقلب الى واو (واوا) وتكتب الياء المقلوبة الى ياء (ياء) . ربما تأثر الكاتب بها وطبقها في غير موضعها اذ اراد ان يكتب (سالم [١١٠]) فكتبها (سيلم) دون ان يدرك ان تلك القاعدة القرآنية لا توافق الكلمة .

٣) ربما اطال الكاتب اللام وما كان يقصد ان تكون (لاما) بل (سا) وفي هذه الحال يجوز ان تكون الكلمة : (شُتَيْم ، شيم ، شَتَيَم [١١١]) .

* * *



اللوحة – ٦١ –

النص (٨٠) : ٤١×٢٧ سم

١ – بالله

٢ – اللهم ومن

٣ – فماض

الملاحظات : أ – يجوز ان تكون كلمة اللهم لا تعود الى الكلمات الاخرى لانها تختلف عنها من حيث التنفيذ .

اللوحــــة –٦٦– نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع/٢ ١٥٤

النص (٨٥): ٤٩×٢٥سم

١ – لكثير بن د[ا]ود

٢ – الله ربي وديني

٣ – الاسلام عليه توكلت [واليه]

٤ – انيب و

الملاحظات: أ– الكلمة الاولى ارجح ان تقرأ (كَثـَيرّ) او (كُثـَيرّ) للسببين التاليين: (١) الكاف موصولة بالسن التي تليها، (٢) الراء واضحة في الاخير. ومع ذلك يمكن ان تقرأ (دينر) ومن المألوف حذف الالف بعد النون اما قراءتها (الكميت) بتقدير الف التعريف في الاول، وملاحظـــة تضخم بسيط بين الكاف والسن التالية وهي مقبولة لانه ربما كان هذا التضخيم (ميما)، الا ان تقدير الحرف الاخير (تاء) فيه نظر، فهو اصلح ان يكون (راء)، ولكن ما الداعي الى البدء باللام والنص لا يقتضي ذلك، اي ان لوجود (اللام) في اول الكلمة يمكن ان اقدر: [ا] لكميت.

ب– الكلمة الثالثة في السطر الاول تقرأ على طبيعتها (درد) او (درك) ولكن لا يوجـــد اسم علم بهذا الشكل، فاذا اعتبرنا الحرف الاوسط (واوا) لانه شديد الميل كان لنا كلمة (دود) فاذا قدرنا الالف بعد الدال الاولى كانت الكلمة (داود) وهي اقرب الى الصواب.

حـ– لم اعثر على اسم كامل في المراجع يوافق التقديرات السابقة.

د– استفاد كاتب النص من الآيات القرآنية وتأثر بأسلوبها. «الله ربي» جزء من الآية ١٨/ ٣٩، «عليه توكلت واليه انيب» من الآية ١١/ ٨٨، «ذلكم الله ربي، عليه توكلت واليه انيب» الآية ٤٢/ ١٠. اما (ديني الاسلام) فلم تذكر في القرآن الكريم، وانما وردت في الادعية المأثورة.

الملاحظات : أ — كلمة على رسمت (عل) بدون توضيح الالف المقصورة.

ب — ان قراءة الكلمة الاخيرة (ايوب) موافقة لكثرة من اسمهم ايوب في ذلك العصر ولكن مع ذلك يمكن قراءتها على وجه آخر .

نذكر بعض من كان اسمه ايوب وغيرهم كثير :

ايوب [١١٢] بن سليمان بن عبد الملك الخليفة : بايعه سليمان بولاية العهد، ناقصا عهد والده لكنه توفي ايوب قبل ابيه سنة ٩٨ هـ .

ايوب [١١٣] بن ابي حسان التميمي : والي مرو سنة ١١٩ هـ

ايوب [١١٤] بن الحكم بن ابي عقيل : استعمله الحجاج على البصرة سنة ٨٢ — ٨٧ هـ .

ايوب[١١٥] السختياني : حدث عن عمرو بن سلمة .

* * *

اللوحة —٦٥—

النص (٨٤) : ٢٥×١٣ سم

١ — ابا عبد ا

٢ — لله آتن[ي]

الملاحظات : أ — يمكن ان تكون الكلمة الاخيرة (ابن) لكن ذيل النون يرسم دائما طويلا الى الاسفل لذا ارجح هذه القراءة .

ب — مر معنا في اللوحة — ٢٥ — النص (٤١) النص نفسه وقد كما ذكرنا انه جزء من الآية ١٩/ ٣٠ ، الا ان الآية تبدأ « قال اني ... » .

* * *

٤ – لمصير وكتب حفص في

٥ – دي العقدة (كذا) سنة تسع

٦ – عشرة ومائة

٧ – من محاه وأ

٨ – حراه الله

٩ – في الآخر

١٠ – ة آمـــين

الملاحظات : أ– هذا نص هام جدا لأن فيه تاريخا واضحا مع الشهر (سنة ١١٩ هـ) وفيه اسم (حفص) وقد كنا ذكرنا ان اسم (حفص) تردد كثيرا بين هذه الكتابات وخاصة (حفص بن عبد الله) في اللوحة – ٥٣ – النص (٧٢) ، وفي اللوحة – ٢٦ – النص (٤٢) .

ب – التأثر بأسلوب القرآن الكريم : « ربي الله » جزء من الآية ٤٠ / ٢٨ ، « عليه توكلت واليه أنيب » جزء من الآية ١١ /٨٨ ، والآية ٤٢ / ١٠ ، « واليه المصير » جزء من الآية ٥ / ٢٠ .

حـ – الخط متقن جدا في هذه اللوحة وهو محفور حفراً عميقا نسبة للوحات الاخرى ، الا ان لون الحجر يميل الى الاحمرار بفعل التأكسد ، لذا كانت الصورة باهتة .

د– النص « من محـــاه واخراه الله » مر ما يشبهه في اللوحة – ٣٩ – النص (٨٥) ، تحسن مراجعته .

هـ– يلاحظ ان كلمة (القعدة) كتبت خطأ (العقدة)

* * *

هـ ـ من الجائز ان الحجر كان يحوى كلمة (واليه) التي قدرتها ، الا ان اختلاف درجة الحرارة تجعل هذه الصخور تتفكك بعضها عن البعض الآخر وتنهار من حين لآخر ، ربما انفصلت قطعة من الحجر .

* * *

اللوحة ـ ٦٧ ـ نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع/١٥٤٠٣

٦٧

النص (٨٦) : ٥و٤٠ × ٦ سم

بسم الله اللهم اغفر

الملاحظات : سنرى بعد هذا السطر النص التالي على الحجر نفسه . ربما كان النصان من خطين متقاربين او من خط شخص واحد ، ولكن لما كنا لا نجد ارتباطا بينهما ، ولا نقدر احتمالا بسقوط بعض الكلمات بسبب تفكك الحجر ، لذا جعلناهما مفترقين .

— — —

النص (٨٧) : ٥٧ × ٥٩ سم

١ ـ ربي الله وديني

٢ ـ الاسلام عليه توكلت

٣ ـ واليه انيب واليه ا

الملاحظات : النص واضح وهو الآية ٤٢/٥٣ .

* * *

اللوحة — **٧٠** —محفوظة في المتحف وهي محفورة خلف الحجر ع/١٥٤٠١

٧٠

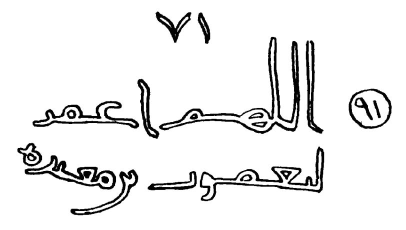
النص (٩٠) : ٣٣×١٨ سم

مالك بن ال

الملاحظات : يجب ان يكون اسم الوالد معرفا بالـ ، ولقد وجدت في المراجع كثيرا من الاسماء المناسبة

* * *

اللوحة — **٧١** — نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع/١٥٤٠٥ .



النص (٩١) : ١٠×٨ سم

١ — اللهم اغفر

٢ — ليعقوب بن مغيرة

الملاحظات : أ— النص واضح جدا وهو محروز عميقا بشيء من الاتقان .

ب— بالرغم من وجود اسم يعقوب كثيرا في المراجع ، وكذا المغيرة او مغيرة ، فاني لم اجد اسم يعقوب بن مغيرة . اشهر مغيرة عرف مع الـ التعريف وبدونها ، المغيرة بن شعبة . فقد ذكره الطبري (١١٦) مغيرة الراوى وقال هو المغيرة بن شعبة . ولما بحثت عن اولاده وجدت في المشتبه ولدا له اسمه يعفور (١١٧) روى الحديث عن والده . ولكني مع ذلك ارى ان الكلمة

اللوحة –٦٨–نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع / ١٥٤٠٤

النص (٨٨): ٤٦,٥ × ٢٦ سم

١ – اللهم اغفر
٢ – لسليمن بن جناح آ
٣ – مين رب العلمين مغفرة
٤ –لا تغ[ا]در ذنبا وكف[ا]ه ما [صنعه] و ا
٥ – نصره على من عاد[ا]ه واعنه

٦٨
(٨٨)

الملاحظات : أ– سليمن بن جناح ذكر اسمه في اللوحة –١٤– النص (٢٧) من هذه الكتابات

ب– « اغفر . . . مغفرة لا تغادر ذنبا » دعاء مر ايضا في النص الملمع اليه، وقد ناقشنا فيه كلمة (تغادر) .

ج – يبدو ان كاتب النص له ميل خاص الى حذف الف المد من وسط الكلام، فقد وردت (سليمان) و (كفاه) بدون الف وكذا (عاداه) . وهي قاعدة املائية جري عليها في ذلك العصر وهي مقبولة بالنسبة للاعلام ، لكنها مربكة في باقي الكلام .

د– اسقط الكاتب كلمة بعد (ما) في السطر الرابع ، لا يستقيم المعنى دون تقدير (صنعه) او ما بمعناها .

* * *

اللوحة –٦٩–

النص (٨٩): ٤٣,٥×٢٢,٥ سم

١ – ألا الى الله
٢ – تصير الأمور

٦٩
(٨٩)

النص (٩٣) : ٣٣ × ١٥ سم

١ — واثق لما يعلم
٢ — وهو يبو[ء] الى الله
٣ — والى اهل اسيس
٤ — بأنه رأى الفرج
٥ — الكل لما ير[يـ]ده الله

الملاحظات : أ— (واثق) يمكن ان تقرأ على نحو آخر ، لكن هذه الكلمة اقرب الى النص .

ب— (يبوء) رسمت بدون همزة منفردة ، هذه هي القاعدة القديمة . (يبوء الى الله) تعني يرجع الى الله ويقر بفضله ويعترف بنعمه .

حـ— اهم ما في النص واهم ما يميزه عن جميع النصوص انه يتضمن (اسيس) بالشكل الذي ورد في كتاب معجم البلدان — كما سبق ان نوهنا في الصفحة الاولى من هذا البحث —

د— وهناك نقطة لا تقل اهمية وهي ذكر (اهل اسيس) مما يدل ان المكان آهل ، والكاتب ايضا يعترف بجميلهم لأنه — على ما يبدو — كان غريبا منقطعا فأكرموا وفادته ، و (انه رأى الفرج) عندهم .

هـ— يلاحظ ان الكلمة الثالثة من السطر الاخير مغلوطة فهي اما ان تكون (يوده) او (يريده) والثانية افضل لذا قدرنا الياء في كلمة (يريده) في النص.

و— السطران الاخيران غير واضحين تماما وقد وجدنا شيئاً من الصعوبة في تحليل كلماتها .

— — —

في النص (يعقوب) لا (يعفور) ، لأن الباء مبسطة ومستطيلة بينما الراء تنقى دائما كثيرة الانحناء وقصيرة .

حـ- لا بأس ان نورد بعض من اسمه مغيرة ، ربما كان لأحدهم يعقوب :

مغيرة [١١٨] بن حكيم الراوي، مغيرة [١١٩] بن عمرو بن حريث، مغيرة [١٢٠] بن مقسم (شهد نهب المدينة المنورة في عهد يزيد بن معاوية) .

* * *

اللوحة- **٧٢** -نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقم ع / ١٥٤٠٦

٧٢

النص (٩٢) : ١٨ × ٧ سم

١ – عون بالله

٢ – مخلصا

الملاحظات : أ- هذه الكتابة محفورة عميقا في جانب اللوحة التي تحوي كتابتين اخريين ، الكتابة المجاورة (٩٣) محزورة حزا خفيفا رفيعا ، لا تكاد تستبين كل كلماتها ، وفي الزاوية السفلى اليسارية كتابة محفورة عميقا كالكتابة (٩٢) وربما كتبت من قبل الشخص نفسه . لا نستبعد ان شخصا واحدا كتب الكتابات الثلاث لكنه استعمل في الاولى (٩٢) والثالثة (٩٤) اداة انفذ .

ب- الجملة تدل على الاستعانة بالله . وقد مر معنا سابقا (عون بالله) اللوحة – ٣٨ – النص (٥٧) .

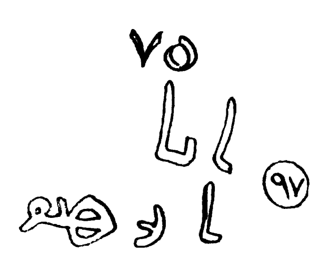
– – –

اللوحة -٧٥-

النص (٩٧) ٢٤×٢١ سم

١ – انا

٢ – ابراهيم



سنستفيد من هذا النص في دراسة تطور الخط .

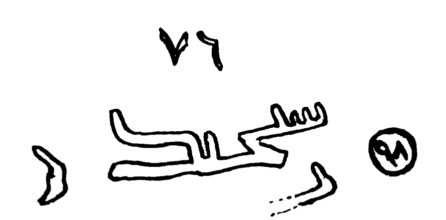
* * *

اللوحة -٧٦-

النص (٩٨): ٢٥،٥×٩ سم

١ – سبحنك ر

٢ – ب



سيفيدنا النص في دراسة تطور الخط .

* * *

اللوحة -٧٧-

النص (٩٩): ٣٠×٤ سم

يعقوب يشهد

ورد معنا اسم يعقوب بن مغيرة اللوحة– ٧١ – النص (٩١). النص مفيد في دراسة تطور الخط .

* * *

النص (٩٤) : ٣٠ × ٨ سم

١ – اللهـ[ـم]

٢ – عون بالله واثق

الملاحظات : ان كان كاتب كلمة (اللهم) هو نفسه الذي كتب السطر الثاني، فانه كان يجب عليه ان يجعل انسجاما بينهما وبين الكلام الذي يليهما .

* * *

اللوحة –٧٣–

النص (٩٥) : ٢٠،٥×١٣،٥ سم

١ – اللهم اغفر

٢ – لمحسن الو[ليد]

الملاحظات : أ – اسقط الكاتب كلمة (بن) بين العلمين.

ب – اظن ان اتمام الكلمة الثانيـــة موافق. لم نجد بين اولاد الوليد الاول والثاني من اسمه محسن .

* * *

اللوحة –٧٤–

النص (٩٦) : ٤٤×١٦،٥ سم

١ – الله لا اله الا

٢ – هوا (كذا) واحد

الملاحظات : أ – الالف بعد (هو) في السطر الثاني زائدة .

ب – (الله لا اله الا هو) جزء من آيات كثيرة في القرآن الكريم، لكن (واحد) لم ترد ابدا مع هذا الجزء .

* * *

اللـوح –٨١– نقلت الى المتحف الوطني بدمشق وسجلت تحت الرقـــم ع/١٥٤٠٧

النص (١٠٣) : ٣٨×٧٢ سم

١ – الله ولي
٢ – المخوّل بن
٣ – عمار و
٤ – كتب في
٥ – شهر ربيـع ا
٦ – لآخر سنة
٧ – ثمان
٨ – [و] مئ[ه]

الملاحظات : أ –هذا نص هام فيه اسم علم والتاريخ ١٠٨ هـ مع الشهر .

ب – مر معنا (المُخوّل بن عمـار) في اللوحة – ١٩ – النص (٣٤)فليرجع اليـــه .

حـ– السطران الاخيران محكوكان حكا خفيفا حتى ان (ومئة) لا تكاد تستبين في الصورة .

* * *

اللوحة– ٨٢–

النص (١٠٤): ٤٠×١٢ سم

اللهم اغفر لجبرّ

الملاحظات : يمكن ان يقرأ الاسم العلم على صور شتى :

اذا افترضنا ان الحرف الاول من الاسم (ميم) والحرف الثالث (سن لباء

اللوحة –٧٨–



النص (١٠٠): ٣٠×٢٥ سم

١ – اللهم ا

٢ – غفر لأيوب

ورد معنا اسم ايوب ، اللوحة – ٦٤ – النص (٨٣) .

* * *

اللوحة --٧٩–



النص (١٠١): ٤٥×٢٠ سم

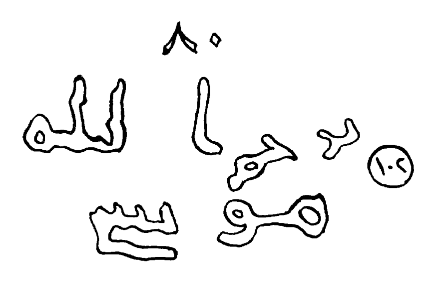
١ – امية [ب]ن

٢ – مد[ر]ك

يمكن ان يكون اسم الوالد (مدرك) او (مدركة)

* * *

اللوحة – ٨٠–



النص (١٠٢): ٣٩×٢٠ سم

١ – يرحم الله

٢ – موسى

النص مفيد من حيث دراسة تطور الخط .

* * *

الملاحظات : أ– النص واضح وهو هام لدراسة تطور الخط .

ب – لم اعثر على زيد بن عبد الواحد الاسدي وانما عثرت في الطبري[122] على الكميت بن زيد الاسدي الذي توفي سنة ١٢٦ هـ ، فعسى ان يكون الكميت ابن صاحب النص .

* * *

اللوحة –٨٤–

النص (١٠٦) : بدون قياس

١ – .. حده ؟ حمربه ؟

٢ – المنذر المنذر ؟ بن حاتم ؟

٣ – ابنت (كذا) حمزة ..... ؟

٤ – بن طلحة رحمة الله و

٥ – كتب خصيب بن

٦ – حناح .

الملاحظات : أ– عثرت على هذا النص في آخر يوم من اقامتي في جبل اسيس ، ولما كانت كتابته محكوكة حكا خفيفا فان الكلمات لم تكن واضحة حتى للعين المجردة .

ب– المهم في هذا النص ورود اسم امرأة (. . . . ابنت حمزة) وهو النص الوحيد الذي يحمل اسم امرأة ، ويلاحظ ان (ابنت) كتبت بالتاء المفتوحة ، كما يلاحظ ان الاسم قبلها يمكن ان يقرأ (حاتم) وهو مذكر .

حـ– خصيب بن جناح : فضلت قراءة الكلمة (خصيب) مع انها اوضح (خطيب) لكن لم اجد هذا الاسم مستعملا . ورد معنا اسم جناح وذكرنا انه مولى الوليد بن عبد الملك المشرف على ديوان الرسائل . اللوحة – ١١ – النص

أو ياء) يكون لدينا الاسماء التالية :

مجبَّر : عبد الرحمن المجبَّر (المشتبه ص ٤٩٢)

مجبِّر : يحيى بن عبد الله المجبِّر (« «)

مُجْبِـر : احمد بن محمد بن الصلت المجبر او المجبِّر (المشتبه ص ٤٩٣)

مُحبَّر: مُحَبَّر بن هرون ويقال هرون بن محبر (« «)

محبِّر : محبر الغنوى شاعر اسمه طفيل بن عوف (« «)

مُخيَّر : محمد بن المخير روى عن مالك (« «)

مُجير : المجير البغدادي (« «)

مُجبِـر : ابو القاسم مجبر بن محمد بن عبد العزيز الصقلي المصري.

اذا افترضنا ان الحرف الثالث (لام)

مجلز : ابو مجلز (تاريخ الاسـلام ٤ / ٢٢٤) محدث ذكر سنة ١١٠ هـ وأرَّخه خليفة سنة ١٠٨ هـ .

اذا افترضنا الحرف الاول (عين) مغلقة والثالث (ياء)

عُجَيْر : نافع بن عُجْير (تاريخ الاسلام ٤/ ٦٣) محدث ذكر سنة ١٠٠ هـ
السُعجْير السلولي (١٢١) شاعر

افضل ان يكون الاسم (محبَّر) لانه ورد دون ال التعريف ولا يلتبس باللقب ، ولأن الحرف الاول مغلق فالاحسن ان يكون ميما لا عينا .

* * *

اللوحة -٨٣-

النص (١٠٥) : بدون قياس

١ ـ اللهم كن انت ولي ريد بن

٢ ـ عبد الواحد الاسدي

٨٣ (١٠٥)

نماذج من الكتابات العربية المنقوشة في منطقة جبل اسيس
كما أخذت بالتصوير الضوئي



اللوحة – ١ — النقشان ، ١ و ٢



اللوحة — ٨ — النص ١٧ وما يليه

(٢٢) ، اللوحة — ١٤ — النص (٢٧) ، اللوحة — ٦٨ — النص (٨٨) .

د— الاسم في السطر الثاني يمكن ان يكون (المنذر بن حاتم) ، لكن (ميم) المنذر ليس لها وجود ، فهل يجوز ان تكون الكلمة (البدر) ? على اي حال النص بحاجة الى تأمل اكثر .

* * *

اللوحة —٨٥—

النص (١٠٧) : دون قياس

١ — ابراهيم بن مغيرة الاوسي .

٢ — أرسلي الحرث الملك على

٣ — سليمن مسلحه?سنت (كذا)

٤ — ..... ? ومائة ?

٨٥

١٠٧

الملاحظات :

أ — هاء (ابراهيم) رسمت كالميم ، و (الياء) في آخر الكلمات رسمت بشكل غريب يختلف عن جميع ياءات النصوص المدروسة سابقا . (سنت) رسمت بتاء مفتوحة خلافا لجميع الكلمات المماثلة الواردة في النصوص السابقة وهذا يلفت النظر .

ب— الكلمة الثانية من السطر الثالث واضحة على الشكل (مملحه) لكن من الصعب قراءتها الا اذا افترضنا ان الحرف الثاني (سين) ، ولقد قرب الكاتب بين نهايتي السنين الاخيرتين ، فبدتا كأنهما (ميم) . اذا صح هذا الافتراض فان الكلمة (مسلحة) اي ان الحارث ارسل ابراهيم بن مغيرة الاوسي الى سليمان ناقلا اليه السلاح سنة (.. ?) .

ح— المهم في هذا النص وجود كلمة (الملك) في السطر الثاني . وهي واضحة تماما يعني ان الحارث كان ملكا . ونحن لا نعلم في العهد الاسلامي الاول ان شخصاً من العرب مهما سمت منزلته قد تسمى ملكا . اذن يجوز ان



اللوحة — ١٠ —
النص ، ٢١



اللوحة — ٣١ —
النصان ، ٤٩ و ٥٠



اللوحة — ٣٩ —
النص ، ٥٨

اللوحة — ١٢ —
النصان ، ٢٣ و ٢٤



يكون النص قبل الاسلام وأن آخر ملك غساني اسمه (الحارث) كان الحارث بن جبلة الذي توفي سنة ٥٧٠ م . وهو الملك صـــاحب النفوذ الكبير الذي انتصر على المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وسمت منزلته في الامبراطورية البزنطية ، حتى اصبح الامبراطور يخشى بأسه . ان صح هذا فان لهذا النص اهمية عظيمة جدا .

د - التاريخ غير واضح ولكن يمكن ان نميز (مائة) بصعوبة ، ويمكن تقدير كلمة (خمس) قبلها ولكن دون تأكيد . اي انه اذا جـاز هذا التقدير فان التــــاريخ مذكور بالتقويم الميلادي (خمسمئة) . اترك هذا الامر الآن دون تعمق . عسى ان يظهر ما يوضحه في المستقبل .

ه - لم احد في المراحع ابراهيم بن مغيرة الاوسي .

خاتمـــــة

ان هذه الكتابات تعتبر بنظري ثروة اثرية وتاريخية . الدين كتبوهـــا لم يكونوا يبغون شهرة او نفوذا « سياسيا » وانما كان عملهم عفويا « بحتا » .

رودتنا هذه الكتــــابات بعدد من الاسماء الاعلام منهم الامراء والمرشدون والاتباع والغلمان .... ولقد ميزت مى الامراء اربعة من اولاد الخليفة الوليد بن عبد الملك هم محمد وخالد وابراهيم وعمرو ، ثم ذكر المرشد سلمان بن نافع وابناء مولى الوليد جناح رئيس ديوان الرسائل هم سليمان والهذيل وخصيب ، كما ذكر اسم محدث هو حفص بن عبد الله الذي يجور ان يكون مؤدبا « لاولاد الوليد » ودكر اسم الطبيب سليمان بن صليبا ، كما دكر اهل اسيس في صيغة المدح .

وربما كان زوار المكان علي بن عبد الله بن العبــاس حد الحلفاء العباسيين وعبد الله بن علي عم الخليفتين العبــاسيين الاولين ، وربما كانت زيارة كل منهما في وقت كان الامويون يعاملون فيه ابناء عمومتهم معاملة حسنة ليأمنوا على انفسهم من نقمتهم بسبب احتكارهم الحكم ، لقد مر معنا ان احد الثوار قد لجأ مرة الى علي بن عبد الله فحماه ، وهذا يدل على نفوذ الرجالات العبـــاسيين في عهد بني

في الواقع ان مكان جبـــل اسيس له صفات كثيرة تجعل له مزية يفوق بها المواضع المطروقة في البادية . فوهة بركانية كبيرة منخفضـــة تمتلىء في السنين الخصبة بالماء ، فتغدو بحيرة مساحتها ٢ × ٣ كم تقريبا ، ينهض الى غربيها جبل اسيس البركاني ، اذا علاه امرؤ وجد فوهة واسعة اخرى ضمن الفوهة الكبرى ، — ووجد في الفوهة الثانية عدة براكين صغيرة اندفعت بعد خمود البركان الثاني .

منظر جميل من اعلى الجبل الذي يشرف على الحرة الكبيرة والبحيرة الهادئة حيث يسرح البط هنا وهناك ، وتحف الحشــائش والازهار بها من كل جانب في ربيع سنة مخصبة .

اختار الوليد ان يجعل قصره في الجهة الجنوبيــة من البركة وبنى الى شرقيه حماماً ، توضعت الدور حول هذه المجموعة وبنى هو أو سواه دارا في سفح جبل اسيس غربي البحيرة ، وتوضعت حوله ايضا عدة دور .

دبت الحياة في المنطقـــة ، وليس اجمل من جبل اسيس في الربيع الخصب يقضي به ساكن القصر بعض وقته ، لقد تسلق سكان القصر الجبل وطافوا سطوحه هنا وهناك فاسترعى انتباههم كتابات قديمـة نقشت على الصخر الاصم فأوحت لهم ان يتركوا كتابة للذكرى فكتبوا ، وماذا يكتب العربي المسلم غير الدعاء والاستغفار وتذكر الاهل والاحباب وتخليد ذكرى بعض من قضوا هناك وبعض آي الذكر الحكيم والادعية المأثورة والجمل التي تحث المرء على العبــادة .

ان كثرة الكتابات هناك تدلنـــا على مستوى التعليم في ذلك العصر ، كما توقفنا على درجة الثقــافة وتطور الخط وتطور قواعد الاملاء واسلوب الانشاء المتأثر — بالقرآن الكريم والادعية المأثورة . وهي في الواقع صورة صادقة عن العهد الاموي وثروة هـــامة جدا للتاريخ وعلم الآثار .

نرى ان نختم البحث باستخراج الفباء كاملة فيها اشكال الحروف التي رسمت بها هذه الكتابات ، خصصنا لها لوحة تضم اهم الاشكال . ومن الجدير بالذكر ان بعض الكتــابات كتبت بخط جيد ، واكثرها بخط سريع لا كلفة فيه ولا تصنع .

امية ، ولقد كانت احيـــانا تسوء . لقد زودتنا ايضـا هذه الكتابات بخمسة تواريخ ثابتة: ٩٣، ١٠٠، ١٠٨، ١١٣، ١١٩ هـ، وتاريخاً اخر نترك امر تحقق منه الى المستقبل ، وهو الذي ورد في الكتابة الاخيرة.

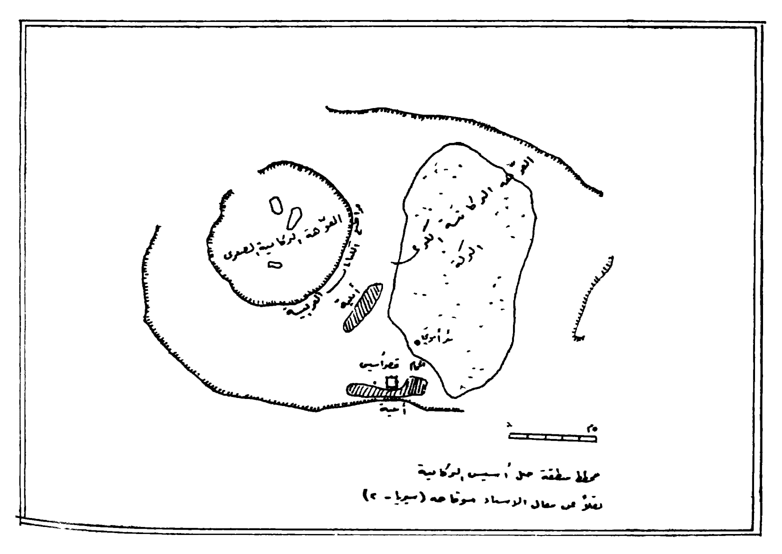
لقد اعطتنا هذه النصوص صورة صـــادقة عن حياة اهل اسيس الاجتماعية وتعرفنـــا على بعض احاسيسهم كشوق محمد الى اخيه ابراهيم ، وسأم ابراهيم ودعائه ليخلفه في اهله بعد ان اختطفت يد المنون اخاه محمداً .

لقد عمر الوليد بن عبد الملك القصر في وقت ما ، وعاش فيه بعض الوقت ، ولاقى فيه الشاعر عدى بن الرقاع الذي كان يتردد كثيرا على خلفـاء بني امية وخاصة الوليد الاول .

ذكر ياقوت (١٢٣) قول ابن السكيت الذي اورد شعر عدى بن الرقاع :

قد حباني الوليد يوم اسيس بعشـار فيهـا غنى وبهـاء

ثم فسر ابن السكيت (١٢٤) اسيس بقوله « اسيس ماء في شرقي دمشق »



مخطط منطقة جبل أسيس البركانية
منقول عن مقال الاستاذ سوفاجه (سيريا - ٢)

الهوامش والتعليقات

١) ياقوت الحموي – معجم البلدان – طبعة ليبزيغ ١٨٧٠م ١/٢٧١ اللفظ الشائع الآن بدون همزة وكسر السين الا أن البدو يفتحون السين قليلا مما يدل على الكلمة الأصيلة .

٢) De Vogué· Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques, Paris 1868-77.

٣) الرقم الأول لأطول سطر ، والرقم الثاني لأكبر ارتفاع في المساحة المكتوبة

٤) سيأتي الكلام عن هذه اللوحة – ٨١ – النص (١٠٢) .

٥) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe.T. I,No. 44

٦) M. V. Berchem Corpus des Inscriptions Arabes (Asie Mineure)

٧) القاموس المحيط للفيروزابادي .

٨) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان – طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣١ هـ ح ٦ ، ص ١١

٩) الطبري : تاريخ الرسل والملوك – ليدن – بريل ١٨٧٩–١٩٠١ م ٢/٩٥٣ و ٩٥٤ ، ياقوت ٤/٢٩١ و ٨٩٣ .

١٠) و ١١) الذهبي : تاريخ الاسلام (طبع بعناية حسام الدين القدسي) القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ – ٤/١٦١ .

١٢) مجلة الحوليات الأثرية : ج ١١ و ١٢ عام ١٩٦١ – ١٩٦٢ – القسم الأجنبي . ص ٢٠٧ .

١٣) الحوليات الأثرية السورية . ج ٥ عام ١٩٥٤–١٩٥٥ ص ٢١

١٤) الطبري ٢/١٩٢٥

١٥) « ١/٣٤٧١ ، ٢/٣١٦ و ٣١٩ ، ٢/١٧٠٤ ، ٣/٢٣٣٥

١٦) الذهبي . سير أعلام النبلاء (تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد) ٢/١٧٤

١٧) الطبري ٢/٤٧٨

١٨) « ٢/٩٥٠

١٩) الطبري : ٢/١٧٠٥

٢٠) « ٢/١٢٧٠

الألف — ٢١

الباء

الجيم — ٢٢ و ٨٨ — ٢٧ — ٤ و ٦٦ — ١١ — ٢٨ — ٤٢

الدال — ٢١ — ٢٦ — ١٠٥

الراء

السين

الصاد

الطاء — ٥٢ — ٧٥

العين — ٩٢ — ٨٧ — ٩١ — ٦

الفاء

القاف — ٢

الكاف — ٤٢ — ٢٦ و ٢٧ — ٢٠ — ٩٢ — ٢١ — ٧٢

اللام — ٢١

الميم — ٢١ — ٤٨

النون — ٢ — ٢١ — ١٠

الهاء — ١٦ — ٤ — ١٠ — ١ — ١

الهاء — ٢٢ — ٥١ — ١٠٥ — ٨٨ و ٨٧ و ٩٦ — ٨٧ — ٨٨

الواو — ٥٧

الياء — ٥٨ — ٢٢ — ٢١ — ٦٢ — ٦٦ — ١٠

تركيب اللام والألف — ٨٥

السين مع أسنان — ١٠٢ — ٨٧ — ٩٢

اللام والياء — ١٠٥ — ١٢

الميم والياء — ٧٤

الياء والنون والياء — ٨٥

النون والياء — ١٠٧

أشكال الحروف الواردة في الكتابات مع أرقام النصوص الحروف غير المرقمة شائعة كتابة م ٠ أ الصحيفة - تحبير السيد محمد الحولي

٤٢) « « ٢/٢٥٣

٤٣) « « ٢/٥٩٥

٤٤) الدهبي (سير) ٢/٢٢٥

٤٥) « « ٣/١٣٦

٤٦) « « ٣/٢٨٤ و ٣٤١

٤٧) ابن خلكان، وفيات الاعيان (مكتبة النهضة) المصرية القاهرة ١٩٤٨م — ٢/٤٣٦ — ٤٤٠.

٤٨) الطبري ٢/١٢٧٠

٤٩) اعتمدنا في البحث عن الآيات الكريمة على المرجع دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن ترتيب الحاج صالح ناظم مصر ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م، المرشد الى آيات القرآن الكريم وكلماته : جمع محمد فارس بركات — دمشق ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م

٥٠) يحسن مراجعة بحثي (الكنز الذهبي) في الحوليات الاثرية السورية، ج ٤ — ٥، ١٩٥٤ — ١٩٥٥، ص ٢١ .

٥١) الطبري ٢/١٨٧٥ .

٥٢) « ٢/٨٣٩

٥٣) « ٢/١٨٦٩

٥٤) « ٢/١٨٧٥ يلاحظ أن الطبري أخطأ في تاريخ خلعه الذي يجب أن يكون سنة ١٢٧ هـ

٥٥) زمباور . معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي - ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وساعدهما عدد من خريجي كلية الآداب - مطبعة جامعة فؤاد الاول ١٩٥٢ .

٥٦) ابن الاثير . الكامل في التاريخ (دون ذكر مكان الطبع والسنة) .

٥٧) الطبري ٢/٨٣٨

٥٨) « ٢/١٧٩٨

٥٩) بدأت هذه الآية تظهر على النقود العباسية منذ عهد المأمون

٦٠) الرقم الاول للسورة والثاني للآية .

٢١) ذكر المحقق في الحاشية (وعمرو) وسرى في اللوحة – ١٧ – اسم عمرو بن الوليد مذكورا في النص (٣٢) .

٢٢) Combe, Sanvaget et Wiet· Répertorie Chronologique d'Epigraphie Arabe, T. I

٢٣) Enno Littmann, American Archaeological Expedition to Syria (1902-1906), Princeton University. Division IV-section D, 1949.

٢٤) معجم البلدان ١٦٦/٣

٢٥) الطبري ٩٩٣/٢، ١٠٠١/٢

٢٦) « ٨٨١/٢، ٩٨٥/٢

٢٧) « ٢٠٥٢/١ ، الذهبي (سير) ٢٩٠/٢ (لعله عاش الى العهد الأموي)

٢٨) « ١٣٣/٢

٢٩) « ٢٣٧٦/١ ، الذهبي (سير) ٢٨٠/٢

٣٠) « ١٤٠٢/٢

٣١) الذهبي (سير) ٢٢٢/٢

٣٢) الطبري : ٢٧٩/٢ ، ٣٥٧/٢ – ٣٥٨ ، الذهبي . (سير) ٢١٧/٣ .

٣٣) ابن خطيب الدهشة : تحفة ذوي الادب ، الذهبي (سير) ١٣٤/٣ .

٣٤) الذهبي (سير) ١٣٦/٣ .

٣٥) الذهبي (سير) ١٤٦/٢ .

٣٦) الطبري . ٢٣٣٥/٣

٣٧) « : ٢٠١٣/١

٣٨) « : ١٦/٢

٣٩) « : ٨١٧/٢

٤٠) الطبري . ١٥٩٢/٢

٤١) ياقوت (معجم) ٢٧١/٣

٨٣) ياقوت ٢٣٩/٣

٨٤) الدهبي (سير) ٤١٩/٢

٨٥) « تاريخ الاسلام ٢٤٢/٤

٨٦) ياقوت ٢٩٥/٢

٨٧) اں خطيب الدهشة تحفة ... ص ٤٠ ، الدهبي المشتبه ص ١٧٣

٨٨) ياقوت ٩٣٧/٢

٨٩) الطبرى ٤١٠/٢—٤٢٠

٩٠) الدهبي (سير) ٢١٧/٣ .

٩١) الطبرى ١٧٣٢/٢

٩٢) Lavoix . Catalogue des monnaies musulmanes, Vol. I, p. 402

٩٣) الطبرى ٣٦٠/٢ و٣٨٧ ، ٢٣٣٢/٣ و٢٥٣٨

٩٤) الدهبى (سير) ٢١٧/٣

٩٥) الطبري ١١٦٦/١

٩٦) الدهبي . المشتبه ص ١٥ ، سير ..... ح ٢ ص ٢٨٩

٩٧) « . « ص ١٥

٩٨) (حمار الاسدي) الدهبي . تاريخ الاسلام ١٠٨/٤ .

٩٩) الدهبي . المشتبه ص ١٧٢

١٠٠) « « « «

١٠١) « « ص ٥٠٦

١٠٢) « « « «

١٠٣) (أبو المليح الرقي) الدهبي : المشتبه ص ١٦٦ .
(أبو المليح بں أسامة الهذلي) الدهبي : تاريخ الاسلام ٢٥/٥

١٠٤) الطبري ٢٨/٣و٢٦

١٠٥) « ١٧٠/٣و١٨٤

١٠٦) رمباور ص ٤٣

٦١) الطبري ٣/٤٤١

٦٢) « ٢/١٦٦٠

٦٣) رمباور المرجع نفسه صفحة ٣٨ و ٣٩ .

٦٤) الطبري ٣/١٧٠٨ ، ابن حطيب الدهشة ص ١٠٨ ، الذهبي (سير) ٣/٥

٦٥) الطبري ٣/٢٥٥٤ و ٢٣٣٥ ، ١/٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ .

٦٦) القاموس المحيط للفيروزبادي .

٦٧) زمباور ص ٢٨

٦٧) ياقوت ٢/٤١٤

٦٩) ابن خلكان ٥/٤

٧٠) الذهبي : المشتبه ص ٥١٦

٧١) De Vogué : Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques, Paris 1868-77, Pl. 18.

٧٢) الطبرى ١/٣٤٥٨ - ٥٩ وردان من تيم الرباب هو أحد من اشتركوا في مقتل علي بن أبي طالب ، هو وشبيب بن بحرة وابن ملجم .

٧٣) الطبري ١/٢٥٨٩ ، ٣٢٥٧ و ٣٣٢٨ ، ياقوت ٣/١٩٤ وردان الرومي مولى عمرو ابن العاص .

٧٤) الطبري ١/١٧٦٢ وردان بن محرر التميمي .

٧٥) « ٢/١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠١ .

٧٦) ياقوت ٣/١٩٥

٧٧) الطبرى ١/٣٠٥٦ .

٧٨) « ٢/١٢٧٠

٧٩) « ٢/٣٧٧

٨٠) « ٢/٩٤١

٨١) « ٢/٢٨١

٨٢) زمباور ص ٣٨

ثبت بالاعلام الواردة في الكتابات مرتبة حسب الحروف الهجائية

رقم اللوحة	رقم النص	الاسم
٧٥	٩٧	إبراهيم
٨٥	١٠٧	إبراهيم ن مغيرة الأوسي
١٠	٢١	إبراهيم بن الوليد
٢٦	٥٥	» »
٥٤	٧٣	إسحاق بن إبراهيم
٧٢	٩٣	أُسَيْس (موضع)
٧٩	١٠١	أمية بن مد[ر]ك
٢٨	٤٥	أيسر الحر
٦٤	٨٣	أيوب
٧٨	١٠٠	أيوب
٨٤	١٠٦	البدر بن حاتم ؟
٣٥	٥٤	بُكَيْر بن بكر
٤٣	٦٢	بُكَيْر مولى أفلح
٢	٤	تمَّام بن عُلَيْم
٤٦	٦٥	» »
٤٠	٥٩	تَمِيم بن وصيل أو فضيل
١٧	٣١	جبل بن الوليد
٢	٣	جماء[ة] ؟
٨٥	١٠٧	الحارث الملك
٢٣	٣٨	الحـرّ بن ...

١٠٧) الدهمي ، تاريخ الاسلام ١٥/٣ ، ٢٤٧ ، ٣٦٥ .

١٠٨) القاموس المحيط، ختم .

١٠٩) الدهمي : تاريخ الاسلام ٨١/٥ سلم س الرحمن الكوفي ، سلم س عطية المقيمي ، سلم س قيس العلوي .

١١٠) الطبري ١٦٠٨/٢ سالم س حماح ، ١٦٥٢/٢ و ١٦٥٣ ، سالم زنبيل مولى يوسف س عمر الثقفي (والي اليمن ثم العراق سنة ١٢٠ ه) ، سالم صاحب ديوان هشام س عبد الملك سنة ١٢٠ ه ، ٨٣٨/٢، سالم مولى سعيد س عبد الملك كان متوليا ديوان الوليد الثاني ابن يزيد ....

١١١) الدهمي. المشتبه ص ٢٩٥ شُتَيْم س خويلد الفراري شاعر، شُيَيْم أبو مريم السكري، شَتْتَم روى الحديث عن النبي - ص - وكدا ابنه عاصم .

١١٢) الطبري ١٢١٣/٢ و ١٣١٧ و ١٣٣٥ ، الدهبي : تاريخ الاسلام ٣٤٤/٣ .

١١٣) « ١٦٣٣/٩

١١٤) « ١٠٦٩/٢ ، ١٠٩٢ ، ١١٨٢ .

١١٥) الدهمي ، تاريخ الاسلام ٣٤٤/٣

١١٦) الطبري ٢٣٢٢/٢

١١٧) الدهمي : المشتبه ص ٥٥٩

١١٨) الطبري ٩/١

١١٩) الذهبي . سير ٢٧٩/٣

١٢٠) « « ٢١٩/٣

١٢١) البلادري : أنساب الاشراف - تحقيق الدكتور محمد حميد الدين - القاهرة (دون تاريخ) ج ١ ص ٥٩

١٢٢) الطبري ٨٤٧/٢ و ١١٨٩

١٢٣) ياقوت ٢٧٢/١ ، البكري : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع - القاهرة ١٩٤٥ ج ١ ص ١٥٢ .

١٢٤) عاش ابن السكيت في المئة الثالثة للهجرة ، عدى س الرقاع . : دكره ابن قتيبة . الشعر والشعراء ٦٠/٢ ، الاصفهاني : الاعاني ١٧٢/٨

١٢٥) المسجد الموجود في عربي القصر يعود الى ما بعد العهد الاموي، حجارته مأخوذة من انقاض القصر .

الاسم	رقم النص	رقم اللوحة
حفص	٢٦	١٣
»	٨٧	٦٧
حفص بن عبد الله	٤٢	٢٦
» »	٧٢	٥٣
حمَّاد بن رياد	٥٠	٣١
...؟ ابنت حمزة	١٠٦	٨٤
خالد بن أمير المؤمنين	٣٦	٢١
خُثَيْم او خَيْثَم	٧٧	٥٨
خصيب أو خطيب بن جناح	١٠٦	٨٤
دُوَيْد بن عوف	٧٦	٥٧
دينار بن د[ا]ود	٨٥	٦٦
رُوَيد بن (أو الوليد ؟)	١٣	٦
ريد بن عبد الواحد الأسدى	١٠٥	٨٣
سالم او سَلْم	٧٩	٦٠
سليمان غلام علي بن الوليد	٦	٣
سليمان بن نافع	٣١	١٧
سليمان	١٠٧	٨٥
سليمان بن جناح	٢٧	١٤
سليمان بن جناح	٨٨	٦٨
سليمان بن صليبا الطبيب	٧٥	٥٦
سُوَيد	١٠	٤
شُتَيْم ، شَنْتَم ، شُيَيْم	٧٩	٦٠
طالب ولي علي	٥٣	٣٤
...؟ بن طلحة	١٠٦	٨٤

النقوش العربية في البادية السورية

ديمتري برامكي

قامت المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية بالاشتراك مع دائرة الآثار القديمة بالاردن في ايلول وتشرين الثاني من سنة ١٩٥٠ برحلتين الى جاوى في بادية الشام وهي تقع على نحو ١٠٠ ميل شرقي المفرق في شمالي الاردن ، وذلك بحثا عن الكتابات القديمة في المنطقة . فتكللت مساعيها بالنجاح وعثرنا على كتابات عديدة في جاوى وضواحيها وخاصة في مكانين يدعيان حثوم وتل العبد .

ان معظم هذه الكتابات منقوشة على حجارة كبيرة من البازلت او على حجارة تكون رجوما صغيرة . واغلبها منقوش بالخط الكوفي الا ان البعض منها نقش بالخط النسخي . وعدا ذلك عثر على كتابات صفوية عديدة وعلى كتابة يونانية واحدة . ومعظم هذه الكتابات كناية عن دعوات وتضرعات وصلوات ، وان كان اغلبها خاليا من المعلومات التاريخية ولا تصلح لان تكون مصادر او مراجع ذات بال للمؤرخين ، الا انها ذات شأن كبير من ناحيتين : الاولى ، انها تدل على خط القوافل التي كانت تعمل ما بين الحجاز وسورية والعراق ، والثانية ، فنظرا لكثرتها ونقشها في عصور متسلسلة ومتفاوتة فأنه اصبح لها شأن عظيم في دراسة تطور الكتابة العربية عبر العصور .

الكتابات في جاوى

ان جاوى مضارب بدو تقع في الطرف الغربي من ارض منبسطة على بعد ١٣

رقم اللوحة	رقم النص	الاسم
١٦	٢٩و٣٠	المسفوح او المسموح
٣٠	٤٨	معاذ بن الحفني
٥٠	٦٩	منبشر ، منتشر أو منصور
٨٤	١٠٦	المنذر بن حاتم ؟
٨٠	١٠٢	موسى
٤١	٦٠	نصر بن [عل]قمة
٤٣	٦٢	نظير مولى أفلح
١١	٢٢	الهُذَ يْل بن جناح
٢٠	٣٥	وردان
٧٧	٩٩	يعقوب
٧١	٩١	يعقوب بن مغيرة

وفي كلمة « الارض » ناقص. ولست متأكدا من الكلمة الاولى في السطر السادس ربما كانت « مطيبة » . على كل فالكتابة في حالة جيدة ولكن التهجئة ليست على ما هو مألوف كما يظهر في كلمـــة « الهدا » بدلا من « الهدى » ، بشير ونذير بالسطر الثالث تنقصها الالف المنونة ، علامة النصب ، في آخرهما .

وجاءت النقوش من الثاني الى الرابع على الحجر نفسه ، وهي تبدو و كأنهامن عصر اقدم من عصر النقش الاول لان الخط المنحرف في حرف الحاء يقطع الخط الافقي ، وحرف الميم له دائرة اوسع بينما حرف النون شكله اقدم من الكتـــابة نفسها .

النقش رقم (٢) :

١ — اللهم اغفر
٢ — سلم بن عبد الرحمن
٣ — ولوالديه ولما ولدا
٤ — وابعثه مقاما محمودا امين
٥ — رب العالمين

النقش رقم (٣) :

١ — اللهم اغفر لحامل
٢ — بن سالم ولولديه ولما
٣ — ولدا غفر الله لمن قرأ
٤ — هذا الكتاب ثم قال
٥ — امين رب العالمين

النقش رقم (٤) :

١ — اللهم اغفر ليحمر بن قر
٢ — دم ولولديه امين وا
٣ — لحمد لله رب العالمين
٤ — واسلم على المرسلين

ميلا شمالي محطة شركة النفط العراقيــة H5 . تنتشر هذه المضــارب على ثلاث هضبات مفصول بعضها عن الآخر بواديين صغيرين . وقد وجدت الكتـــابات منقوشة على اكوام من الحجارة قائمة على كل من هذه الهضبات :

الهضبة الجنوبية

عثر في وسط هذه الهضبة على ٢١ نقشا نسردها فيما يلي .

النقش رقم (١) : وهو يرجع الى العصر العباسي وقد نقش بالاحرف الكوفية التي ترتقي الى القرن التاسع الميلادي. فحرف الحاء مكتوب في اول الكلمة بدون خط افقي في مقدمتــه ، والخط المنحرف لا يتجاور الخط الافقي كما هو مألوف في الاحرف الكوفية التي ترتقي الى القرن الثامن ، وحرف العين في وسط الكلمة يتراوح بين هــذا الشكل والشكل المربع ، واللام الف لها قاعدة مستديرة .

النص :

١ — رحم الله صهيبا بن رباح رحمة لا تبور وهو يشهد (ان)
٢ — لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده ورسوله
٣ — ارسله بلهدا (كذا) ودين الحق بشير ونذير صلى الله
٤ — عليه وسلم
٥ — على صهيب بن رباح وعلى والديه صلاة طيبة
٦ — مطيبة امين رب العالمين ورب السماوات والارض

وفي اسفلها كتابة اخرى بخط يختلف عنها ومن عصر تابع :

٧ — رحم الله ثابت
٨ — بن مسعو(د)

في هذه الكتابة حذفت كلمة « ان » بعد كلمـــة « يشهد » وحرف الياء يسبق حرف الراء في كلمة « شريك » وحرف الالف في ال التعريف في كلمة « لهدا »

وبمقارنته بالنقشين الاول والسادس يمكن تأريخ هذه النقوش بالقرن التاسع .

١ – غفر الله لصهيب

٢ – بن رباح يوم يموت ويوم

٣ – يبعث

النقش رقم (٨) : الخط في هذا النقش يشبه الخط في النقوش الاول والخامس والسادس والسابع وهو بدون شك من التاريخ نفسه .

١ – رحم الله صهيب بن

٢ – رباح الهارثي رحمة ... (والديه) ....

٣ – واخيه وغفر له واللمؤمنين جميعا

ان الكلمتين بعد «رحمة» في السطر الثاني والكلمة الأخيرة في السطر نفسه ليست واضحة ولكن يجب ان تكون الكلمة الثانية بعد رحمة «والديه» واما الكلمتان الأخريان فلا تمكن معرفتها كما ان الالف في كلمة «واللمؤمنين» في السطر الثالث زائدة .

النقش رقم (٩)

١ – اللهم عفر لصهيب

٢ – بن رباح الهارثي والوالديه

٣ – يوم تذهل كل مرضع(ة) عم(ا) ارضعت

ان اول الف في كلمة « والوالديه » زائدة وفي السطر الثالث كلمة « مرضع » يجب ان تكون « مرضعة » وكلمة « عم » ينقصها حرف الالف في آخرها .

النقش رقم (١٠) :

١ – عفر الله للصهيب بن

٢ – رباح

وهذا الحجر يحتوي على حروف اخرى غير واضحة .

والنقشان التاليـــان موجودان في البقعة نفسهـا ويحملان اسم صهيب بن رباح وقد اكتفينا بنقلها دون ان نصورهما .

ان افتقاد الالف في كلمتي « ســالم » و « والديه » في الكتابتين الثالثة والرابعة وفي كلمة «السلام » في الكتابة الرابعة امر مألوف في الخطوط القديمة، اما حذف حرف اللام من ال التعريف في كلمة « السلام » في الكتابة الرابعة فهو من خطأ الكــاتب . واسم « يحمر » في السطر الاول من النص الرابع غير اكيد ولا يجوز ان تقرأ « نجم » لان حرف الراء في آخر الاسم واضح جدا ولا يمكن تجاهله .

النقش رقم (٥) : النقش مكتوب بالطريقة نفسهــا التي كتب بها النقش الاول ولكن في خط اوضح ويمكن نسبته الى العصر نفسه .

١ ــ صلى الله وملكته والمؤمنون
٢ ــ جميعا على محمد ابي
٣ ــ الامي خاتم الانبياء
٤ ــ وكتبه مياد بن
٥ ــ عبد الرحمن

ان الاحرف التالية ناقصة في هذه الكتابة ٠

أ) كرسي الهمرة في كلمة « ملئكته »

ب) حرف اللام في ال التعريف في كلمة « النبي » .

النقش رقم (٦) : ان الخط في هذا النقش يشبه الخط في النقشين الاول والخامس وربما كانت الكتابة في التاريخ نفسه .

١ ــ صلى الله وملئكته على محمد
٢ ــ النبي واشرف (أ) نبيائه و (أ) عظم بر
٣ ــ هانه وكتبه صهيب

ان حرف الالف محذوف في اول كلمة « ابيائه » وكلمة « اعظم » .

النقش رقم (٧) : ان هذا النقش مكتوب على الوجــه الثاني للحجر نفسه ٠

لا يتبدل . اما في النقوش الثلاثة المذكورة فان الآلة التي نقشت بهـا الاحرف كانت اغلظ . اما النقوش الثمانيـة التي تشمل النقش الاول والنقوش من السادس حتى الثاني عشر فيمكن تأريخها باوائل العصر العبـاسي اي في القرن التاسع . اما البقية فيمكن ان تكون معاصرة او متأخرة قليلا ، وممتدة الى القسم الاول من القرن العاشر ، ولا يمكن ان تكون اي منها احدث من ذلك . اما النقش الرابع عشر فقد نقل عن الحجارة دون ان تؤخذ له صورة ضوئية .

ووجدت ايضا سبعة نقوش اخرى صغيرة متشابهة في اسلوب الكتابة .

النقش رقم (١٥) :

١ – عفر الله للمهلل
٢ – بن عقمة

النقش رقم (١٦) :

١ – غفر الله لجذيم
٢ – بن عبد الحسن

النقش رقم (١٧) :

١ – اللهم اغفر لمن
٢ – كتب هذا الكتب
٣ – ولحمد

النقش رقم (١٨) :

١ – غفر الله لوائل
٢ – بن سعيد امين رب
٣ – العالمين

النقش رقم (١١) :

١ — غفر الله لصهيب بن

٢ — رباح ورضي عنه

٣ — رحم الله من كتب هذا

٤ — الكتاب امين

النقش رقم (١٢) :

١ — صلى الله وملئكته والمؤمنون

٢ — على صهيب بن رباح يوم

٣ — يقوم الحساب اللهم صلى

٤ — على محمد النبي

٥ — الامي وكاتب

٦ — هذا الكتاب

النقش رقم (١٣):

هذه الكتابة وجدت قرب رجم من الحجـارة في المكان الدى ينحدر فيه التل نحو الارض المنبسطة قرب جاوى .

١ — اللهم اغفر لمسرور بن

٢ — ملاح

٣ — غفر الله

النقش رقم (١٤) :

١ — اللهم اغفر

٢ — لعبد الله بن مرة .

من النقوش الاربعة عشر التي ذكرناها يوجد واحد منهـا فقط وهو النقش السادس الدي كتبه صهيب بنفسهوسبعة نقوش اخرى مكتوبعليها اسم رباح، ابي المذكور ، وباستثناء النقوش الثلاثة من الثاني الى الرابـع فان اسلوبالكتابة

النقش رقم (٢٤) :

١ – هذا الكتاب

٢ – كتبه عبد الله

٣ – بن بقعة

النقش رقم (٢٥) : هذا النقش مكتوب بخط يختلف عن النقوش الاخرى

١ – غفر الله

٢ – هذا الكتاب

٣ – كتبه اسعد

٤ – بن المشرب

النقش رقم (٢٦) :

١ – عفر الله

٢ – لسعيد بن

٣ – حسي

النقش رقم (٢٧) :

١ – هذا الكتاب

٢ – كتبه سعيد

٣ – بن حميد بن جمعة

٤ – رحمه الله

النقش رقم (٢٨) :

١ – رحم الله

٢ – الصعيب

النقش رقم (٢٩) :

١ – رحمة الله على

٢ – معن بن عبد

النقش رقم (١٩) :

١ — اللهم لا تغفر

٢ — لها ذنوبها

النقش رقم (٢٠) :

١ — اللهم اغفر

٢ — للمهلل بن جنيد

٣ — يوم

النقش رقم (٢١) :

١ — اللهم اغفر

٢ — لذهيب بن

٣ — صالح

الهضبة الوسطى

لم نتمكن من تصوير الكتابات التي وجدت على هذه الهضبة ، ولكنها كلها درست ونقلت في مكانها .

النقش رقم (٢٢) :

١ — اللهم اغفر

٢ — لبشر بن الاقبل

٣ — وكل من قال امين رب الـ

٤ — عالمين من رد ا

٥ — لسلام غفرا

النقش رقم (٢٣) :

١ — غفر الله

٢ — لبشر بن

٣ — حسني

١٠- الرحيم
١١- واغفر لمن
١٢- قرأ(ه) وقال آمين
(وفي خط مختلف بعدها) .
١٣- غفر
١٤- الله لعبد
١٥ - المر (غير مكتملة)

هده النقوش مكتوبة بالخط الكوفي العباسي في القرن التاسع . وكلمة « رسوله » في السطر الثالث مشكوك في امرها والكلمة التي تليها ايضا ليست واضحة لسبب تشويه في الصخر .

النقش رقم (٣٤) :

١ - اللهم اغفر لابتح
٢ - بن سعيد المنيجي
٣ - ولوالديه ولما
٤ - ولدا آمين
٥ - رب العالمين

ان الكتابة كوفية متأخرة نقشت بدون شك بعد القرن العاشر . فحرف الميم ليس مستديرا تماما كما ان حرف اللام تطور تطورا كبيرا نحو الخط النسخي.

النقش رقم (٣٥) :

(بخط صغير)
١ - غفر الله
٢ - لنعمن
(بخط اكبر)
٣- اللهم ارض عن

٣ — الاحد

النقش رقم (٣٠) :

١ — غفر

٢ — الله

٣ — لنصير بن المعين

٤ — بن الر (غير واضحة)

النقش رقم (٣١) :

١ — هذا الكتاب

٢ — كتبه (غير مكتملة)

النقش رقم (٣٢) :

١ — رحم الله

٢ — بشر بن حسني

الهضبة الشمالية

عثرنا في هده الهضبة على اربعة وثلاثين نقشا اليك نصوصها :

النقش رقم (٣٣) :

١ — صلى الله على

٢ — محمد عبده

٣ — ورسوله ... لا

٤ — في العض وكمم

٥ — بهلول بن مشاو

٦ — ر الكلب مع من محا

٧ — هذا الكتاب

٨ — آمين رب ا

٩ — لعلمين الرحمن

٢ – بن ابي المغيرا
٣ – صلى الله وملئكته وصالحون (كذا)
٤ – على محمد النبي المي (كذا) خاتم ا
٥ – لانبياء كتب سعيد
٦ – بن ابي المغر رحمه الله
٧ – رحمة تمكنه من جنة والسلام

ان الاسم على النقشين الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين هو اسم سعيد بن ابي المغيرة نفسه . وقد كتب الجزء الثاني من الاسم بكامله في النقش الثامن والثلاثين. وفي السطر الثاني من النقش التاسع والثلاثين كتب « المغرا » بحذف الياء ، وفي السطر السادس حذفت الياء والالف . وكلمة « الصالحون » ينقصها الـ التعريف، وفي السطر الرابع كتبت كلمة الامي « المي » بحذف الهمزة ، والخط عباسي ويرتقي الى القرن التاسع . نقشت الكتابة بالخط الكوفي ، واسم محمد في السطر الرابع محدوش قسم منه ، والكلمتان الاخريان فيالسطر السابع محي قسم منهما.

النقش رقم (٤٠) :

١ – غفر الله لرعـ ....
٢ – الحمد لله رب
٣ – العالمين الرحمن
٤ – الرحيم مر
٥ – ربنا وتعالى
٦ – عما يشركون

والنقوش الثلاثة التالية كتبت على حجر واحد :

النقش رقم (٤١) :

٢ – اللهم اغفر ..... هذا الكتاب
٣ – وللذي كتبه
السطر الاول في هذه الكتاب غير واضح

٤ — مثقل بن ثعلب
٥ — اللهم اغفر
٦ — للنعمان بن سعيد
٧ — التمامي امين
٨ — رب العالمين

الكتابة هنا منقوشة بالخط الكوفي الاموي الناعم ما عدا السطر الاول والثاني.
والنقوش (٣٦) ، (٣٧) ، (٣٨) منقوشة على الحجر نفسه .

النقش رقم (٣٦) :

١ — غفر الله لخالد بن لاسو(د)

السطر الثاني غير واضح وحرف الالف في كلمة « الاسود » محذوف

النقش رقم (٣٧) :

١ — اللهم اغفر لروح بن
٢ — بشر ولوالديه ولما و
٣ — لدا وصل على المؤ
٤ — منين كافة

النقش رقم (٣٨) :

١ — للهم اغفر
٢ — سعيد بن ابي
٣ — المغرا

ان الالف في اول كلمة « اللهم » ناقصة كما ان كلمة « المغـــيرا » تنتهي بالالف بدلا من التاء المربوطة والنقوش الثلاثة ترتقي الى العصر الاموي .

النقش رقم (٣٩) :

١ — اللهم اغفر لسعيد

٢ – العزيز الحكيم لصهيب بن رباح ولمن قال

٣ – امين

في السطر الاول كلمة رحيم تنقصها الـ التعريف .

النقش رقم (٤٦) :

١ – غفر الله لوبيض

النقش رقم (٤٧) :

١ – اللهم اغفر

٢ – لابي المغرا بن سعيد

٣ – صلى الله وملئكته

٤ – والصلحون على محمد النبي

٥ – خاتم الانبياء كتب سعيد

النقش رقم (٤٨) :

١ – اللهم اغفر لمعزو

٢ – ر بن بشر المتابلي

٣ – ولوالديه ولما

٤ – ولدا امين رب ا

٥ – لعالمين

النقش رقم (٤٩) :

١ – الله ام (كذا) (اغفر)

٢ – ولوالديه ولما ....

٣ – وولد عمر

ان كتابة « اللهم » كما تظهر في السطر الاول فيها شيء من الغرابة

النقش رقم (٥٠) :

١ – عفر الله لبشر بن

النقش رقم (٤٢) :

١ — غفر الله لعزايمة بن

٢ — عبد العزيز ولوالديه

النقش رقم (٤٣) :

١ — غفر الله لسهل بن سعد

٢ — عن سهوة عندما لا يكتسب

٣ — بعدها عطة ولا آت

٤ — بغير قر(ا)ر بعدها اما امعن

٥ — له بالنعم للمتنبهين

اننا لسنا متأكدين من الكلمتين الاخيرتين من السطر الخامس .

وقد كتبت هذه النقوش في القرن التاسع بالخط الكوفي العباسي .

النقش رقم (٤٤) :

٣ — بسم الله الرحمن

٤ — صلى الله

٥ — وملئكته والصلحون

٦ — على محمد خاتم الانبياء

٧ — وكتب مياد بن عبد

٨ — الرحمن ورضي الله عنه

٩ — رضي الله عن

١٠ — سهل بن سعيد رضا (كذا) لا

١١ — ... سعيد ....

ان السطر الاخير مكسور ومنقوش بالخط الكوفي الامـوي . امـــا السطران الاولان فغير واضحين

النقش رقم (٤٥) :

١ — غفر الله الغفور رحيم الحليم

٤ ــ اللهم غفر له امين

حذفت الالف في السطر الرابع من كلمة « اغفر » .

الكتابة رقم (٥٦) :

١ ــ اللهم

٢ ــ غفر لعبد

٣ ــ الله بن عبد

٤ ــ ولمن قال امين رب

٥ ــ العالمين

النقش رقم (٥٧) :

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ــ اللهم صلِّ على محمد

٣ ــ عبدك ورسولك

ان الاسطر السبعة الباقية غير واضحة .

ان الكتابات التسع التالية لم تصور بل نقلت فقط :

النقش رقم (٥٨) حذف

اللهم لا تغفر لعبيد

النقش رقم (٥٩)

اللهم اغفر للنعمان ابن عمر

النقش رقم (٦٠) :

١ ــ اللهم

٢ ــ اغفر

٣ ــ لسهلول

٤ ــ بن مشاور

٥ ــ امين

٦ ــ رب العالمين

هذا هو الشخص نفسه الذي نعت بالكاب في النقش الثالث والثلاثين .

٢ — حسي الهارثي
٣ — يوم تذهل كل مر
٤ — ضعة عما ارضعت
٥ — وير (كذا) الناس سكا
٦ — را (كذا)

ان الاسطر الثالث والرابع والخامس والسادس تحريف للآية الثانية من سورة الحج .

النقش رقم (٥١) :

١ — اللهم اغفر
٢ — لمغيرة بن بشر

النقش رقم (٥٢) :

١ — اللهم اغفر لعدوان
٢ — ابن فرداس ولولديه وما ولد
٣ — ا والمؤمنين والمؤمنات
٤ — لمحمد عبدك

النقش رقم (٥٣) :

١ — اللهم اغفر لجبارة
٢ — بن ثلج ما تقدم من
٣ — ذنبه وما تأخر

النقش رقم (٥٤) :

١ — رحم الله نصيب

النقش رقم (٥٥) :

١ — اللهم صل
٢ — على محمد عبد
٣ — ك ورسولك

٢ — اللهم اغفر لمحمد بن شكير
٣ — بسم الله الرحمن الرحيم
٤ — اللهم اغفر لكريم بن المقدام السمّي
٥ — الضيرمي ولوالديه وما ولدا ولمن استغفر
٦ — لهم[1] (كذا) انك انت السميع العليم واغفر للمؤمنين
٧ — والمؤمنات والمسلمين والمسلمات

النقش رقم (٦٨) :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم
٢ — اللهم اغفر لعمرو بن
٣ — داود الهوار
٤ — ولوالديه وما ولدا انك
٥ — رب العالمين

تل العبد

ان النقوش التي وجدت في حاوى كانت جميعها كوفية ، الا ان الكتابات التي عثر عليها في تل العبد وعددها ٣٧ ترتقي الى عهود متفاوتة تمتد من القرن الثامن الى القرن الرابع عشر الميلادي. فالنقشان التاسع والستون والسبعون يبدوان امويين، والنقوش من الحادي والسبعين الى السادس والسبعين ترجع الى القرن العاشر والقرن الحادي عشر ، اما النقوش من السابع والسبعين الى الرابع والثمانين ومن الخامس والثمانين الى المئة والخمسة فتعود الى القرن الرابع عشر والبعض منها مؤرخ .

النقش رقم (٦٩) :

١ — لا يكلف الله

(١) يجب ان تكون الكلمة « لهما ».

النقش رقم (٦١) :

١ — اللهم اغفر لمسعود بن

٢ — مشاور وانعم عليه لهدا (كذا)

٣ — والنور

النقش رقم (٦٢)

اللهم اغفر لسعيد بن جمعه

النقش رقم (٦٣) :

١ — اللهم غفر لرماح

٢ — بن حمعة ولوالديه

٣ — وما ولدا امين رب

٤ — العالمين

النقش رقم (٦٤) :

١ — اللهم اغفر لسلامة بن عبد

٢ — الرحمن ذنوبه وستر عيوبه

النقش رقم (٦٥) :

١ — اللهم اغفر

٢ — لبهلول بن مشاور

٣ — ولمن قال امين

(راجع النقشين الثالث والثلاثين والتاسع والخمسين لهـذا الاسم).

النقش رقم (٦٦) :

١ — اللهم اغفر لابي المغر

٢ — بن سعيد ما أحصيت

٣ — من ذنبه ولسعيد

النقوش التي وجدت في الموقع المدعو بالجثوم وهما اثنان .

النقش رقم (٦٧) :

١ — غفر الله مهلها

٤ — وللسلمن بن
٥ - عبد الرحمن ولو (الديه)
٦ — وللحسين بن عطية

النقش رقم (٧٢) .
١ — سبحا(ن) الذي لا ساء
٢ — س دكره وسبحه وحمده
٣ — وكتب سعد بن عثمان
٤ — رحمه الله وغفر له
٥ — وهو يشهد ان الله لا اله الا
٦ — هو وحده

النقش رقم (٧٣) : (مؤرخ)
على الحجر نفسه ولكنه بكتابة دسخية .
١ — قرأ هذا المحطوط الكوفي هارون
٢ — اس حماعة رحم الله من علمه وعلمه
٣ — انه وحميع المسلمين عامة وكتب
٤ — سنة خمس وثلاثين وسبعماية .

النقش رقم (٧٤) :
١ — اللهم صلّ على محمد النبي
٢ — كما تصلي لعبادك وخل
٣ — قك في دنياك (?) واستقام لسبيل
٤ — امرك بشيرا وبشره في منتهى
٥ — عن المسكر رضوان وكتبه عمر
٦ — س محمود الكناني حفظه الله

٢ — نفسا الا وسعها
٣ — لها ما كسبت
٤ — وعليها مـا اكتسبت
٥ — ربنا لا تؤاخذنا
٦ — ان نسينا واخطأنا ربنا
٧ — لا تحملنا امرا كما
٨ — حملته على الذين من
٩ — قبلنا ربنا ولا تحملنـا ما لا
١٠ — طاقة لنا به واعف عنا
١١ — واغفر

هذه هي آخر آية من سورة البقرة مـع بعض التحريف الطفيف مثل التنديل في السطر السابـع حيث ظهرت كلمة «تحملنا» بدلا من «تحمل علينا» .

النقش رقم (٧٠) :

١ — اللهم رحم المسكين
٢ — وارزق المقلين

كالعادة حذفت الالف من كلمة «ارحم» في السطر الاول .

النقش رقم (٧١) :

١ — اللهم اغفر
٢ — لبهلول بن مشاو
٣ — ر ولمن قال امين

(راجع النقوش رقم ثلاثة وثلاثين وتسعة وخمسين وخمسة وستين لتكرار اسم بهلول بن مشاور) .

وتحت هذه الكتابة كتابة اخرى بخط يختلف عنها :

٢ — ابن مبارك

٣ — ما ذنب

٤ — ابي كتبته سنة

٥ — ثمان وستة مائة

طبعا ان كلمة « ادنب » في السطر التالث تنقصها الالف كالعادة .

النقش رقم (٨٠) :

١ — اللهم اغفر لرحال

٢ — ابن نمر ابن عبد الله

وضع كاتب هذه الكتابة الالف في غير مكانها في كلمة « بن » الثانية

النقش رقم (٨١) :

١ — صلى الله

٢ — وملئكته والصلحو

٣ — ن على محمد

٤ — وكتب سويد

٥ — بن الحمير رحمه

٦ — الله وغفر

٧ — له

النقش رقم (٨٢) :

١ — اللهم صل على

٢ — محمد عبدك

٣ — ورسولك

النقش رقم (٨٣) :

١ — اللهم اغفر

النقش رقم (٧٥) :

١ — اللهم اغفر

٢ — لسلمان بن مسلمة

٣ — يوم يموت وميو (كذا) بعث حيا

٤ — امين رب العالمين

ان كتابة كلمة «يوم» على هذا الشكل في السطر الثالث أمر غريب .

النقش رقم (٧٦) :

١ — رضي الله عن غيث بن

٢ — رباح وغفر له ما تقدم

٣ — من ذنبه وتأخر

النقش رقم (٧٧)

١ — اللهم غفر لمسعو

٢ — د بن العدوان التمامي ولولد

٣ — يه ولما ولدا وللمؤمنين

٤ — والمؤمنات غفر الله لمن

٥ — قال امين رب العالمين

النقش رقم (٧٨) :

١ — هذا ما

٢ — غفر الله لصالح بن حمادة

٣ — شهد ان الله لا اله (الا) الله الحمد

٤ — لله الله اكبر وكتب رضه (= رضي الله عنه)

٥ — هذا من رحمة الله ......

النقش رقم (٧٩) : (مؤرخ)

١ — اللهم اغفر لزهوة (او رهوة)

النقش رقم (٨٨) : (وهو مؤرخ)

١ — اللهم اغفر لكليم بن حمدان الفرقدي
٢ — وكتبه سنة اربعة وعشرين
٣ — وسبعمائة

النقش رقم (٨٩) :

١ — رحم الله المسكين حلال
٢ — بن عمر وغفر له

النقش رقم (٩٠) :

١ — بسم
٢ — بسم الله الرحمن الرحيم
٣ — الله نح عمنا صعب
٤ — بن عامر اللهم
٥ — من كل سوء والشر (كذا)

ان النقوش من الواحد والتسعين الى الخامس والتسعين ومن السابع والتسعين الى المئة واربع منقوشة بالخط النسخي

النقش رقم (٩١) : (وهو مؤرخ) :

١ — حضر في هذا المكان
٢ — المبارك الجارم ابن
٣ — محمد بن الهون واحمد بن نصر
٤ — غفر الله لهم ولوالديهم
٥ — وللمسلمين سنة سبع
٦ — واربعين وسبع مائة

٢ — لساعد ابن

٣ — هلال ابن ساعد

٤ — ابن احمد ابن مياس وكاتب

٥ — هذا الكتاب

النقش رقم (٨٤) :

١ — بسم .....

٢ — اللهم غفر لصو .....

٣ — ابن عدوان

٤ — وكتبه سلمان

٥ — بن عمر بن حمد الله

النقش رقم (٨٥) :

١ — اللهم صلى (كذا) على

٢ — محمد عبدك ورسولك

النقش رقم (٨٦) : (وهو مؤرخ)

١ — الله ام (كذا) اغفر لساعد بن هلال ابن

٢ — ساعد غفر الله له ولوالديه ولعمه

٣ — ابو سلمان وكتبه سنه ثمانية وست مائة

٤ — وعشرين

قارن بين هذه الكتابة والكتابة التاسعة والاربعين للشبه بين تهجئة كلمة « اللهم »

النقش رقم (٨٧) : (وهو منقوش بخط نسخي)

١ — حضر هاهنا سعيد ابن جميل

٢ — غفر الله له حضر جماعة من

٣ — العرب غفر الله للجميع

ان هـ -ين النقشين مكتوبان على حجر واحد وهنـــالك نقش آخر مكتوب بالاحرف الصفوية بأسفل الحجر .

النقش رقم (٩٧) :

الملك لله

(وعليه احرف صفوية)

النقش رقم (٩٨) : (وهو مؤرخ) .

١ – بسم الله الرحمن الرحيم
٢ – اللهم صلى (كذا) على
٣ – سيدنا محمد عبدك ورسولك
٤ – البشير بالجنة ونذير من
٥ – النار كتب خلد بن على بن نصير
٦ – ابن نصير ابن ناصر ابن
٧ – طوال اثابه الله الجنة وجميع المسلمين
٨ – امين يا رب العالمين وكتبه (سنة)
٩ – تسعين وسبع ماية

النقش رقم (٩٩) :

١ – غفر الله لـ محمد بن خلد ابن جرى
٢ – من الحصن
٣ – وقرا عور حل (غير واضحة) غفر الله لمحطه ولمن قر(ا)ه

النقش رقم (١٠٠) (وهو مؤرخ)

١ – اللهم اغفر لساعد ابن
٢ – هلال ابن ساعد ولوالديه
٣ – ولجميع المسلمين امين

النقش رقم (٩٢) : (وهو مؤرخ) :

١ — حضر في هذا المكان المبارك

٢ — . . . .

٣ — الزبيدي

٤ — وبنا هاذه (كذا) المسطبة سنة اثنين (كذا)

٥ — وعشرين وسبع ماية

٦ — غفر الله ولوالديه

النقش رقم (٩٣) : (وهو مؤرخ)

١ — اللهم اغفر لاحمد ابن رحيل المناغي اغفر له ولوالديه

٢ — ولجميع المسلمين وكتبه سنة اربعة وعشرين وسبع ماية

النقش رقم (٩٤) :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم

٢ — اللهم رب موسى وهارون اغفر لجماعة

٣ — ابن رحب المحمي يوم الفرع الاكيد يوم

٤ — يكون الناس كالفراش المبثوث

ان السطر الرابع هو الآية الثالثة من سورة القارعة

النقش رقم (٩٥) : (وهو مؤرخ)

١ — عفر الله لثابت بن حميس بن سهل من المساعيد

٢ — ولكاتبه يوسف بن ابراهيم بن محمد مؤذن عرفات

٣ — كتبه سنة سبع وستين وسبعماية

لعل هذه النقش يحتوي على معلومات تهم المؤرخين .

النقش رقم (٩٦) : (وهو مؤرخ)

١ — غفر الله لجمعة ابن ظاهر من مذلح كتبه سنة

٢ — تسعة (كذا) وسبعين وسبع ماية .

النقش رقم (١٠٤) :

١ ـ عفر الله لحمد ابن (كذا) سرحان

٢ ـ الدميري تاب الله عليه وعلى

٣ ـ جماعة المسلمين امين

٣ ـ اقاريء الخط اغفر ذنب كاتبه   الله يغفر ذنبك ايا (ا)لقي

٥ ـ اكتب بعونه اما فوز تذكيره   نفنا ويبقا (كذا) لنا ذكر وآثلي

ان السطرين الرابع والخامس محاولة غير موفقة لكتابة الشعر

النقش رقم (١٠٥) :

١ ـ الله ام (كذا) اغفر لحماد بن نهاد ابن (كذا) احمد

٢ ـ س ساعد بن احمد بن مياس الزبيدي

٣ ـ كتبت وقد علمت بأن كمي   سيلقى فائزا عمر طويلي

٤ ـ رحيقا من دعدى رمان   ويذكرني به يوما خليلي .

اما في ما يختص بالاسماء الموجودة في النقوش، فانه كما يظهر لها قيمة تاريخية محدودة . ان اسم صهيب بن رباح يظهر في تسعة نقوش في جاوى (النقش الاول ثم من السادس الى الثاني عشر ، وفي الخامس والاربعين) وفي اثنين منها (الثامن والتاسع) يظهر اسم قبيلة الهارثي . هذا هو ايضا اسم القبيلة التي ينتمي اليها بشر بن حسى الذي يظهر اسمه في النقش الخمسين . ان اسم بشر بن حسنى نفسه يظهر ثلاث مرات في النقوش الثالث والعشرين والثاني والثلاثين والخمسين في جاوى . كما ان اسم بهلول بن مشاور يظهر ايضا ثلاث مرات في جاوى (في النقوش الثالث والثلاثين والستين والخامس والستين) ومرة واحدة في تل العبد. ويظهر اسم ساعد بن ابي المغيرة مرتين (النقشين الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين) واسم ابيه يظهر ايضا مرتين (في النقشين ، السابع والاربعين

٤ — وكتب سنة اربعة (كذا)
٥ — وعشرين وسبعماية

النقش رقم (١٠١) : (وهو مؤرخ)

١ — اللهم اعفر لساعد بن هلال الزبيدي ولوالديه
٢ — ولجميع المسلمين وكتب سنة اربعة (كذا) وعشرين
٣ — وسبعماية

النقش رقم (١٠٢) :

١ — الله ام (كذا) اغفر لهذا
٢ — فقير الناس له
٣ — بلوان ولساعد

النقش رقم (١٠٣) :

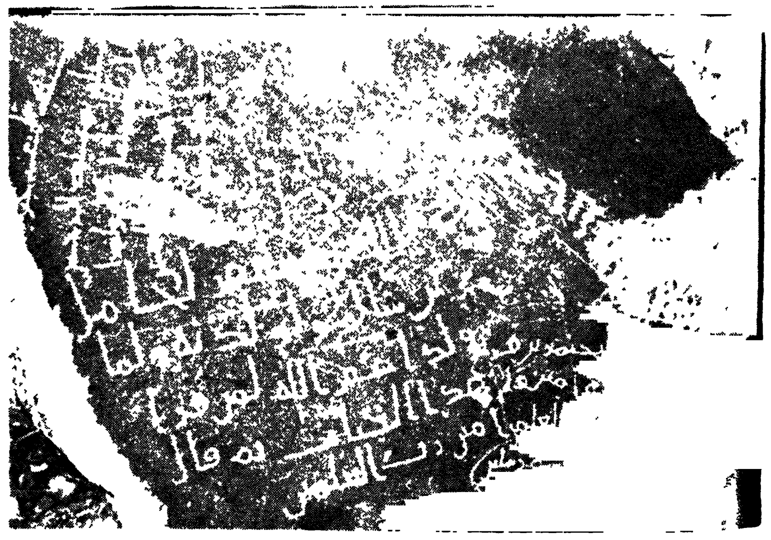
١ — اكتلنا الحنطة من المجدل الدي شرقي
٢ — سلخد سنة سبعماية بثلاث ماية وستين
٣ — درهم الغرارة ، واكتلنا من المجدل عقب هاذا (كذا)
٤ — بست وستين الغرارة من هرى المقطع
٥ — حنطة حيدة باتنعشر درهم اول النهار
٦ — وسبعة دراهم وجازفوا عقاب
٧ — الهرى قامت كل غرارة بدرهم
٨ — فلا تقنطو (كذا) من رحمة الله
٩ — كتبه محمد ابن سلطان
١٠ — ابن الشيخ
١١ — دياب

الاسلوب في هذا النقش من العامي الدارج

نماذج من الصور الضوئية التي صورها الكاتب لطائفة من النقوش في جاوى فى البادية السورية



١ — النقش رقم (١)



النقوش رقم (٢) و (٣) و (٤)

والسادس والستين) وذلك في جاوى . امـــا اسم ساعد بن هلال فيظهر اربع مرات في تلّ العبد (في النقوش الثـــالت والثامين والسادس والثماين والتسع والتسعين والمئة) واسم قبيلة الزبيدي يظهر ثلاث مرات (في النقوش الثـــاني والتسعين والرابع بعد المئة) . ويظهر ان لهذه الاشخاص بعض المكانة المحلية في رمانهم كأمراء قوافل . وريادة على اسماء القبائل التي ذكرت في الفقرة الاحيرة، فان النسب التالية قد ذكرت ايضا : المنيجي (في النقش الرابع والثلاثين) ، التمامي (في النقشين الخامس والثلاثين والسابع والسبعين) ، المتابيلي (في النقش الثامن والنقش الاربعين) ، الديمري (في النقش السابع والستين) ، الفرقدي (في النقش الثامن والثماين) ، المـــانمي (في النقش الثالت والتسعين) ، المحمي (في النقش الرابع والتسعين) ، المساعد (في النقش الخامس والتسعين) ، والدميرى (في النقش الثالث بعد المئة) .

من هده السب الاحدى عشرة ، اربع فقط موضوعة في كتاب « Peake » عن «تاريح شرقي الاردن وقبائله»(الذي لم ينشر بعد) وهذه النسب الاربع هي. الزبيدات ، المساعدة ، الدمور، والماهي. ويمكن وجود قبيلة خامسة هي قبيلة الحوارثة . انه ليس واضحا من كتاب بيك « Peake » اذا كان اسم القبيلة هذه « الحوارثة » او « الهوارثة » ، ولكن في الاكثر انها « الحوارثة ». ان اسماء القبائل الاخرى الواردة في النقوش لم تذكر وربما كانت قبـــائل حجارية او عراقية .

يظهر ان هذه النقوش كان قد نقشها امراء القوافل العاملة بين الحجار وشمالي العراق وسورية ، في الاماكن المذكورة نظرا لكونها محطـــات استراحة على الطريق بسبب الجدول الصغير قرب جاوى .

ويمكننا ان نستنتج المنافسة بين اصحاب القوافل من النقش الثالث والثلاثين حيث يصف احد امراء القوافل منافسة مهلول ابن مشاور بأنه كلب عضاض .

٥ – النقش (٤٠)



٦ – النقش رقم (٤٤)

٣ ـ



النقش رقم (٣٣)



المقش رقم (٣٥)

التوزع الطبقي في كفر أرز
ومضاعفاته التربوية

نعيم عطية

هذا البحث هو الحلقة الثانية من الدراسات « الاجتماعية – التربوية » التي نقوم بها مع فريق من الزملاء عن طبيعة التوزع الطبقي ومضاعفاته العقلية والنفسية في بعض البيئات اللبنانية. وقد عنيت الحلقة الاولى[1] بدراسة العلاقة بين المكانة الاجتماعية والاقبال على العلم في بلدة كفر ارز ، واما هذه الحلقة فتهدف الى دراسة التقسيم الطبقي في البلدة نفسها وابراز اهم خصائصه ومميزاته . ونأمل ان ينشط هذا النوع من البحوث ويمتد الى مناطق مختلفة من المجتمع اللبناني ، فيتسنى لنا ان نكوّن في النهاية ميزانا للتورع الطبقي في لبنان يمكننا من ان نقيس بسهولة ودقة مكانة الفرد اللبناني في سلم المراتب الاجتماعية .

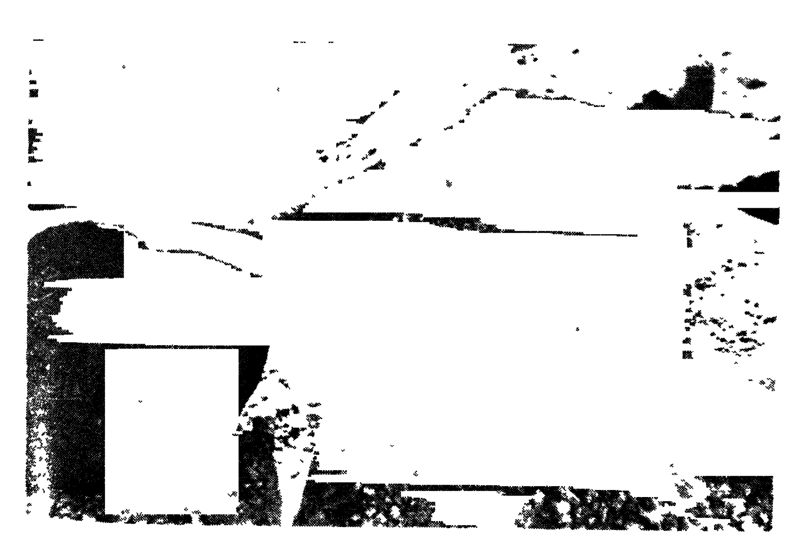
فدراسة هذا الجانب من الوضع الاجتماعي تستأثر اليوم باهتمام الباحثين في العلوم الاجتماعية قاطبة في البلدان المتطورة، من المربين الى علماء النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد، لما في ذلك من افادة في تفهم الفرد وعلاقته بالمجتمع .

فمنذ اواسط القرن التاسع عشر ، حين بدأ علم النفس يتركز على اسس علمية، موضوعية ، اتجهت البحوث في دراسة الشخصية الى ابراز عامل البيئة واثره في طبع السلوك وتنمية العقل والفكر . ولا شك في ان هذا الاتجاه كان قد بدأ يبرز في حركات القرن الثامن عشر الاصلاحية في اوروبة ، حين اعتبر قادة هذه الحركات ان الفروق في الاهلية والجدارة العقلية تأتي نتيجة للفروق في الفرص المتاحة

1) الابحاث مجلد ١٧، جزء ١ ، اذار ١٩٦٤ .



٧ – النقوش رقم (٥٥) و(٥٦) و(٥٧)



٨ – المقتان رقم (٨٧) و (١٠٣)

ونعرف ان التفكير الماركسي خطـا خطوة جديدة في هذا السبيل ، فربط مصلحة التكيف مباشرة باوضاع المجتمع المادية والعلائق التي تسود بين افراده ، وجعل بذلك التفكير والعقل (او الضمير) منوطين بالنظام الاجتماعي وتابعين لـه .

ومرد ذلك ان ماركس جعل المصلحة الاقتصادية في اساس مصالحنا للتكيف والبقاء ، موقنا انها المصدر الرئيسي للنشاط الانساني . واعتبر ان شروط الحياة الجماعية تفرض على النـاس بحكم الواقع والضرورة ، ان يتعـاونوا على الانتاج ويشتركوا في تنميته لتأمين المصلحة الاقتصادية العامة وتبادل المنـافع . ولقد رأى ماركس بحق ان ادوار الافراد في عملية الانتاج تختلف في الكمية والنوع ، بحيث ان كلا منهم يسهم بطريقة ما وبمقدار ما . وفي اعتقاده ان ذلك يؤدي ، لاسباب كثيرة تتعلق باسلوب الانتاج ومـا ينطوي عليه من قوى وعلائق لا يسعنا التطرق اليها في هذا المجال ، الى اختلافات جذرية في مصـالح الافراد واوضاع حياتهم ، فيتوزعون نتيجة لذلك في طبقـات اقتصادية تجمع فيما بينها مصالح مشتركة ، مرتبطة في الاكثر بدور كل من هذه الطبقات في عملية الانتاج. وفي رأي ماركس ان المصالح متشابهة في الطبقة الواحـدة ، ومتباينة من طبقة الى اخرى . ولا بد من ان ينتج في اعقـاب ذلك صراع طبقي حثيث من اجل العلية والبقاء ، واعادة التوازن في النظـام الاجتماعي ، على اساس توزيع اعدل للمنافع ومقومات العيش .

واذ يعتبر ماركس كما مر آنفا ، ان الحياة الفكرية نتاج لاوضاع الحياة المادية وانعكاس لها ، فانه يفسر الحياة الفكرية عامة ،والنظريات السياسية والاجتماعية خاصة ، على اساس ارتباطهـا بشروط الحياة المادية للمجتمع ولا سيما الصراع الطبقي فيها .

وهكذا يكون ماركس قد جارى الحركة الفلسفية الواقعية الناشئة في القرن التاسع عشر ، فجعل نشوء الفكر منوطا باوضاع الحياة المادية من جهة ، وبمصلحة

للتعلم والاختبار . فالعقل كان الى حد كبير في ظنهم وليد البيئة الخارجية ، ان لم يكن في نشأته فعلى الاقل في نموه وتطوره ومحتواه .

وفي رأي الباحثين ان هذا الموقف اتخذ معنى جديدا ، عندما اظهر دارون، وتبعه في ذلك ديوى وجماعة الفلسفة « البراغماتية » ، ان العقل ليس عقلا محصا، منعزلا عن رغبات الانسان وحاجاته ؛ انما هو في جوهره ذو وجود بيولوجي ، وظيفته الرئيسية مساعدة الانسان على حل مشكلاته والتكيف باوضاع الحياة . ومغزى ذلك ، ان العمليات العقلية ليست عمليات منطقية بحتة ، انما تخضع في نشأتها وعملها لضرورات الحياة وحاجاتها ، كما ان المعرفة ليست مجرد انعكاس تصويري للاشياء التي يختبرها الفرد ، بلا مزيد او نقصان ، او خلاصات يبلغ اليها العقل بمعزل عن تداخلات العوامل الاخرى في الشخصية. فان العقل في هذه النظرية مرهف الاحساس بحاجات الانسان، وما ينتج عنها من انفعالات هي اساس وجوده ومصدر حيويته . فالرغبات والمطالب البشرية تتداخل اذن في العمل العقلي وتؤثر الى حد عظيم في نظام عمله .

ولا يخفى ان العقل انزل هكذا من برجه العاجي ، واريح من انعزاله ، ليصبح ، الى حد ما ، رهنا بعوامل البيئة اولا ، ومرتبطا بمصالح البقاء البشري ومتطلباته ثانيا . كما ان المعرفة لم تعد تأملا لمثل موروثة تكمن في العقل من الاساس ، او استنباطا عقلانيا مجردا عن الاختبار وسابقا له ، بل اصبحت وليدة الاحتكاك بعناصر البيئة الخارجية ووسيلة للعمل ولحل مشكلات الوجود وللتكيف العام للانسان ؛ فلا تثبت في النهاية الا بمقدار ما تساعد على استمرار البقاء وتحسينه . فمعرفتنا بالشيء مرتبطة اذن بوجود هذا الشيء ككيان مستقل، خارج الانسان ، وبوسائل الادراك التي لدينا، من اعضاء الحس الى العقل المفكر، واخيرا لا آخرا ، بمصلحتنا في التكيف، التي تلون رؤيتنا وتنعكس في ادراكنا. ولا شك في ان التشديد على اثر البيئة يلتقي في النواحي الاجتماعية بآراء كبار المفكرين الاجتماعيين امثال اوغست كونت واميل دوركهايم .

عدد من العلماء في هذه الحقول دراسة الشخصية والادراك من راوية جديدة تبرز اثر البيئة الاجتماعيـــة في الادراك الحسي ، واسلوب التفكير ، وانماط اللغة ، والاستعداد للتعلم والتكيف ، الى ما سواها من نواحي السلوك والشخصيـــة . وتركزت البحوث ، فيما يخص علاقة التوزيـع الطبقي بالشخصية والتفكير ، على اعتقادين : اولا « **ان السلوك الاجتماعي مرتبط بالمكانـة التي يحتلها الفرد في النظام الاجتماعي في محيطه** » ؛ ومن اشهر هذه الدراسات دراسة شبيبة «المتاون» للعالم الاجتماعي هولنزهيد ، ودراسة اثر الطبقات الاجتماعيـــه في التعلم للمربي اليسون دايفس . ثانيا ، « **ان الحاجات والقيم الاجتماعية تنعكس في الادراك وتوجهه** . ومن اشهر الدراسات واشدها اثارة في هذا المجـــال دراسات برونر ورفاقه عن تباين الادراك الحسي للمنبهات الغامضة لدى اولاد الطبقات الاجتماعية المختلفة [٣] . فكل يرى هذه المنبهات في ظنه بحسب الحاجـات التي تصاحب نفسية طبقته والطبائع التي تنبع منها . ولا يسعنا ان نتطرق هنا الى الدراسات العديدة التي تنطلق من هذا الاطار للوع فهم اوفى وادق للسلوك والشخصية ، وانما نكتفي بما ذكرنا منها على سبيل التمثيل .

ومن الطريف ان نعرف ان معظم النتائج التي انتهت اليها هذه الدراسات تؤيد الى حد كبير مذهب اجتماعية الادراك والشخصية ، دون ان تتجاهل العوامل الاخرى التي تؤثر فيها . ومهما يكن من امر ، فلا يمكن ان نتغاضى في دراسة الانسان بعد اليوم عن القوى الاجتماعية ، واخصها سلم المراتب الطبقيـة واثرها في سلوكه العام .

ويلوح لنا انه من المفيد ان نحاول تطبيق هذا المنهج على دراسة السلوك ، في

---

١) Hollingshead, A.B. Elmtown's Youth. New York, John Siley & Sons Inc. 1949.

٢) Davis, Allison, "Social - Class Influences Upon Learning" Cambridge, Harvard University Press, 1952.

٣) Bruner, J.S., & Goodman, C. C., "Value and Need As Organizing Factors in Perception", Journal of Abnormal and Social Psychology. Vol. 42, 1947.

الانسان في البقاء من جهة اخرى . غير انه خطا بهذا الاتجاه خطوة الى امام ، اذ جعل الاوضاع المادية للمجتمع ، من قوى الانتاج الى توزع الافراد الى طبقات ، في صدارة الاوضاع المادية التي تؤثر في الحضارة ونشوئها ، وجعل المصلحة في البقاء مرتبطة الى حد كبير بمصلحة الانسان الاقتصادية كما تتجلى في صراع الطبقات . وبذلك تسنى له ان يخلص الى القول بان جميع مظاهر الحضارة مرتبطة باوضاع المجتمع المادية ، وبان الوجه « الاجتماعي – السياسي » منها هو انعكاس للصراع الطبقي وما يكمن وراءه من خلاف على المصالح .

ومن ثم تحولت هذه الطريقة على يد المفكر كارل مانهايم الى منهج اسلوبي لتفسير نشوء الفكر ونموه . فاعتبر ان كل فكر انما ينشأ من خلال العمل الجماعي وضروراته ، فتعطي الجماعة الى الفرد لا القوالب التي يفسر الكون بها فحسب ، بل تحدد له ايضا اطاره التفكيري العام ونوع المسائل التي تشغل ذهنه ، وتؤثر الى حد كبير في الحلول والمواقف التي يتخذها تجاهها . ولذلك فانه يصعب ، في رأيه، ان نتفهم اية فكرة او اي اتجاهات نفسية ، ولا سيما تلك التي تمس المجتمع وقضاياه، ما لم نتقصّ جذورها « الاجتماعية – التاريخية » ، والوضع «الطبقي – الاجتماعي » للفرد الذي ابتكرها او تقبلها .

واذا كان داروين وديوي قد جعلا العقل مرتبطا بمصالح التكيف والبقاء ، فان ماركس جعل تطور التاريخ ، ما بعد المرحلة البدائية الاولى ، مرتبطا باوضاع المجتمع المادية والجهاد الطبقي فيه ، كما جعل مانهايم مقولات العقل بالذات وبنيته الاساسية انعكاسا للعمل الجماعي وتوزع القوى « الاجتماعية – السياسية » في المجتمع. وليس الجديد في ذلك، الدعوة ، في فهم العقل والتفكير والقيم ، الى تفهم نظام الحوافز الداخلية لدى الانسان ومايحدث فيها من تحولات، بل حصر المصلحة في التكيف والبقاء بمصالح العمل الجماعي والتكيف لوضع اجتماعي متصارع .

وسرعان ما انتقلت هذه الطريقة في التفكير الى علم السلوك والتربية ، فحاول

الاقتصادي عندنا ، فاننا على يقين بانه ينعكس بوضوح في علاقاتنا الاجتماعية . فللناس عندنا سلم قيم ، يصنفون بحسبه مراتب الافراد وادوارهم في الهيئة الاجتماعية ، وينعكس بالتالي في التصرف تجاههم وطريقة المعاملة معهم . وقد يكون هذا التصنيف عملية لا واعية يرسخ الميل اليها عبر الاختبارات الطويلة التي يمر بها المرء .

غرضنا من هذه الدراســة مقتصر على ابراز طبيعة التورع الطبقي في احدى بيئات المجتمع اللبناني ، ومحاولة تعيين الخصائص الرئيسية المميزة لكل طبقة ، ويتلخص ذلك في الاجابة عن الاسئلة التالية : —

١) هل هنالــك وعي طبقي في لبنان ، كما هو متمثل في بيئة نختارها للدراسة ؟

٢) وما هو عدد الطبقات في تلك البيئة ، ومــا هي الخصائص المميزة لكل منها ؟

وسنحاول ان نثبت بكل تفصيل الطريقة التي اتبعت للاجـــابة عن هذه الاسئلة ، عسى ان ينهج عليها من يرغب في القيام بدراسة مماثلة على مناطق اخرى من لبنان ، فتأتي النتائج قابلة للمقارنة وللمقابلة ، ويتكامل فهمنا لطبيعة التورع الطبقي للمجتمع اللبناني عامة .

مفهوم الطبقة ودلالته

نود ان نثبت قبل كل شيء مفهوم الطبقة كما يستعمل في الدراسات الاجتماعية ، تمييزا له عن مفهومه الماركسي الاقتصادي . وطبعا فان المفهومين يلتقيان في نقاط مشتركة ، منها ان الطبقة تمثل فئة من النــاس تشترك في بعض الصفات ، فتتميز بها عن غيرها . ولكن المفهوم الماركسي يحدد الطبقة تحديدا اقتصاديا — سياسيا ، فيعتبر ان العوامل التي تؤدي الى نشوء طبقات في المجتمع هي اولا ، الدور الذي يقوم به الاشخاص في عملية الانتاج ، وثانيا ، العلائق التي تسود بينهم وبين اشخاص آخرين يقومون بدور مختلف في الانتاج . فتتكون الطبقة كمجموعة من الاشخاص يقومون بدور متماثل في الانتاج ، كأن يكونوا اصحاب

لبنان ، لما في ذلك من فائـــدة للمربين عندنا والمرشدين النفسيين والمصلحين السياسيين والاجتماعيـين . فينبغي ان ندرس الى اي مدى يؤثر التورع الطبقي عندنا في نظام العلاقات الشخصية وسير المجتمـــع ، وبالتــالي الى اي حد يؤثر ذلك في سير حضارتنا وتحديد طبائع افراد المجتمع اللبناني وسجاياهم .

غير ان تأسيس المجتمع اللبناني على مبدأ التعايش بين الطوائف الدينية المختلفة التي يتكون منها ، وما رافق ذلك من مضاعفات في تاريخنا الحديث ، قد جعل الطائفية محورا رئيسا في الصراع « السيــاسي – القومي » ، يطغى على تحسسنا بواقع التجمع الطبقي ودوره في حياتنا . ولذا يسود الاعتقاد لدى الكثيرين انه ليس في لبنان طبقات اجتماعية متمايزة ، او حتى انه ليس هنـــاك وعي طبقي يصح ان يؤخذ اساسا لفهم الاحداث الفكرية – الاجتماعيــة وتفسير الاتجاهات النفسية التي تؤثر في سلوك الافراد وتحدد قراراتهم وقيمهم .

وقد يكون صحيحا ان التوزع الطائفي في لبنان وصراع الاتجاهات القومية فيه اشد خطورة من اي عامل اجتماعي آخر في فهم الاتجاهات والقيم التي يتميز بها الافراد ، ولكن يجب الا ننسى ان بنية المجتمع تتكون من منبنيات[١] عديدة تتجاور ، ومن عوامل كامنـــة متعددة تتشابك في عملها ؛ وفي رأينا ان التورع الطبقي هو من اهم هذه العوامل في تعيين الاتجـــاهات النفسية وطبع السلوك في المجتمع اللبنــــاني ، ولا يقـــل شأنا في ذلك عن التورع الطــــائفي في اي حـــال .

ومع اننا ندرك ان التورع الطبقي لم ينعكس الا انعكاسا جزئيا في تاريخنا ، ولم ينتقل بعد الى مرحلة الصراع الطبقي ، وقد لا ينتقل بسبب طبيعة النظـــام

---

١) لقد اعتمدنا تعبير « المنبنى » على اقـــتراح الدكتور نزار الزين للدلالة على مفهوم "Sub-Structure" وقد اعتمده الدكتور الزين للدلالة على مفهوم "Structure" بالذات ففضلنا ان نحفظ تعبير البنية للدلالة على "Structure" وتعبير « منبنى » للدلالة على "Sub-Structure".

عير ان المجتمع الذي يقوم اساسا على مبدأ الاقتصاد الحر ، او المجتمع الذي يبقى فيه رغم الحرص على تنمية التعاون الاجتماعي والتعاضد ، مجال للمبادرة الفردية والمنافســـة ، وتنشأ فيه مراتب في النفوذ الاجتماعي بسبب الفروق في القدرة على احرار السبق في مجال النمو الاقتصادي والنفوذ الاجتماعي العام . ولا بد من ان ينعكس هذا التفاوت، ان عاجلا او آجلا، في نظام معايير يصنف به الافراد وتقاس اقدارهم ومكاناتهم . وقد لا يكون هذا التصنيف مبنيـا على اسس واعية ، واضحة في الذهن ، وقد لا تبدو مظاهره بارزة للعيان في التصرف اليومي والمعاملة العــادية بين الناس ، ولكن لا بد من ان تنشأ مناسبات يدرك فيها كل فرد مكانته بالقياس الى عيره من ابناءعشيرته او قومه او بلدته ، كما يدرك مكانة الآخرين وقدرهم. فالنـــاس يقوّمون عند ذلك بعضهم بعضا ويصنفون الافراد الى مراتب متباينة في القدر والمكانة . وهذا مـا يؤدي في آخر المطاف الى نشوء الطبقة ، وبالتالي الى جعل الناس طبقات طبقات ، لا من حيث الدور الاقتصادي – السياسي ، بل من حيث المكانة والنفوذ الاجتماعي .

ولا يعني هذا انه يولد بالضرورة وعي مشترك بين ابنـــاء الطبقة الواحدة ، لانه ليس لهم ان يعملوا صفا واحدا من اجـل غاية مشتركة ، بل ان يتمتعوا في سلم المراتب الاجتماعية بمكانة متماثلة وان تتقارب اساليب حياتهم . وقد يحصل لديها احيانا تقارب في القيم التي يعتمدونهـــا والمقاييس التي يستهدونهـا في النظر الى شؤون البلدة او الجماعة او الحياة عامة .

فنرى اذن ان العامل الرئيسي الاول لبروز التصنيف الطبقي هو الفروق في المواهب والقوى الطبيعية الموروثة، وما ينتج عنها من فروق في المغانم والمكاسب ، والعامل الرئيسي الثاني هو التقاء ذوي الحظوظ المتشابهة في النفوذ والنجاح، على اساليب حياة متجانسة ذات قيم مشتركـة ، والعامل الثالث هو قيام النظام الاجتماعي الذي يغذي الميل الى تقييم هذه الاساليب وتصنيف اصحابها في مراتب مختلفـة .

« رساميل » او متملكين لادوات وآليات صناعية او اراض زراعية ، او ان يكونوا اصحاب اليد العاملة التي تقدم خدماتها مقابل اجر معين ، شرط ان يصاحب هذا التجانس في دورها الانتاجي وعي مشترك تجاه الفئات الاخرى ونوع العلاقةالتي تربطها بها. فالعضوية الطبقية مرتبطةاذن بقوى الانتاج التي يحورها الفرد ونوعيتها، دون ان تكون منوطة بها نهائيا وكليا. فان حيارة قوى انتاجية متجانسة مثلا لا تقرر آليا نشوء طبقة متلاحمة . فذلك راجع الى تولد الشعور لدى اصحاب هذه القوى، اذا كانهناك ما يدعو الىذلك، بضرورة التكاتف معا في صف متآلف يعي مصالحه المشتركة تجاه فئات اخرى مسيطرة على غير قطاع من قوى الانتاج ودائبة في المنافسة من احل الغلبة والبقاء .

وعلى ما لهذا المفهوم من خطورة في فهمنا لتطور التاريخ البشري وتفسير الحركات الفكرية والسياسية ، فان مفهوم الطبقة في الدراسات النفسية - الاجتماعية يتخطى الفروق في الادوار الانتاجية وعلائقها ليولي عنايته للمكانة التي يحتلها الافرادفيالنظام الاجتماعي بالنسبة الى نوع الحياةالتي يعيشونها. فدراسة الطبقية من هذه الزاوية تفترض كما في التحديد الماركسي ، توزع الاعمال بين الافراد واختلافالادوار الانتاجيةاما بحسب الامكانات المادية اوبحسب الطاقات والمواهب الطبيعية؛ كما تفترض وجود تفاوت في حظوظ الافراد بالافادة من انعام الحياة وفرصها . ولكنها تتعدى ذلك الى الاهتمام بانعكاس هذا التفاوت في نهج الفرد واسلوبه في الحياة ، وما ينتج عنها من مميزات اجتماعية تعطيه ان سلبا او ايجابا مكانا فريدا في النظامالاجتماعي. وتعتبران التنوع فيالاعمال والاختلاف في الطاقات لا يكفيان وحدهما لنشوء الطبقات المتمايزة ضمن المجتمع الواحد . فالمجتمع الذي يعتبر العمل خدمة اجتماعية عامة ، مثلا ، والجهاز الاجتماعي تعاونية كبرى يقوم فيها كل فرد بما هو مؤهل له او بما يطلب منه من احل هناءة المجموع ، يميل الى الاقرار بكل عمل كقيمة بحد ذاته ، واعتباره ضروريا لتأمين السلامة العامة وتكامل النظام الاجتماعي العام ، وبذلك يخف الشعور بالفرق في قيمة انواع العمل المختلفة وقدر الاشخاص الذين يتورعونها .

٢) النفوذ الذي لها في البلدة وفي تصريف الشؤون العامة .

٣) الوضع المـالي ، بما في ذلك كيف تكسب العائلة عيشها ، وما هي اهم مواردها وما هو مقدار تلك الموارد ، ويدخل في ذلك نوع المهنة .

٤) تاريخ العائلة

٥) المستوى الثقافي

٦) المؤهلات الشخصية .

ويجب ان نوجه النظر هنا الى انه قد يمكن ان يتوافر لفرد من الافراد حظ كبير من هذه العوامل ، دون ان يحظى مع ذلك بالمقام الاجتماعي اللائق . فـان تعيين المقـــام الاجتماعي يعتمد على تقدير افراد البيئة ، وذلك لان مكانة الفرد تتوقف في النهاية على ردود الفعل التي يستجيب بها الافراد لتصرف شخص مـا ونوع الاحترام الذي يبدون تجـــاهه . فان المكانة الاجتماعية هي اولا وآخرا مسألة معيارية، اى مسألة تقييم لمكانة الشخص والدور الذي يقوم به في البيئة ، لا للممتلكات والمقتنيات التي له .

على ان هذا التقييم قد لا يكون احياناً مستمداً مباشرة من الدور الذي يقوم به الشخص هو نفسه ، بل من الارث الاجتماعي المتراكم الذي ينعم به والمكانة التي لاجداده . لذا يجب التمييز بين نوعين من المكانات الاجتماعية ، المكانه التي يبلغها الفرد عن كفاية واهلية ، والمكانة التي ينالها بالوراثة ؛ ويكون المجتمع تقدميا او محافظا بمقدار ما تتوقف مكانة الفرد فيه على الجدارة الشخصية او على الارث الاجتماعي المتراكم .

الشعور الطبقي في كفر ارز

ان بيئة كفر ارز التي نحن بصددها الان تمثل المجتمع اللبناني الريفي الآخذ بالتطور ، فهي ليست بعد بلدة ريفية تعيش على نمط من العلاقـــات الاجتماعية الاولية وتربط مصيرها بمصير الارض التي تعيش منها، وليست هي ذلك المجتمع

وسرعان ما ينتقل هذا التقييم الى العوامل التي تقترن بالنجاح الحاصل او التي مهدت السبيل له ، ولا شك في انهـا تختلف من مجتمع الى مجتمع ومن زمن الى زمن . واكبر الظن ان في طليعتها ، المهنة ، ومستوى الدخل المـالي ، ومستوى الاهلية الثقافية او الفنية او الشخصية . فتبرز في البلدة او البيئة عند ذلك معايير اخرى تصنف الناس بحسب مهنهم او دخولهم او مستوى ثقـــافتهم وجدارتهم الشخصية . فالطب قد يكون اعلى مرتبـــة من المحاماة والمحاماة اعلى مرتبة من التجارة، وهكذا دواليك حتى اصغر مهنة. ومن جهة اخرى ، قد يؤهل التاجر لمركز اسمى من مركز المحامي ، لان دخله يفوق دخل المحامي ، فيصنّف الناس كذلك تصنيفا جديدا بحسب دخولهم او بحسب مستواهم العلمي .

ولا ريب في ان هذه العوامل التي ذكرنا من المهنة ، الى الثقافة ، او الاهلية العامة للفرد،هي عوامل مقتصرة على الشخص بذاته وجهده الخاص واستحقاقه. ولكنه من الطبيعي ان تتحول مظاهر النجاح الى نواح ملموسة،فتعرب عن نفسها في بيت واثاث وملابس ومقتنيـــات وممتلكات ، وفوق كل ذلك في اسلوب من الحياة متميز. فتصبح هذه رموزا للمكانة ودلائل عليها ، دون ان تكون شرطا لها. واذ تنتقل هذه الرموز بعامل الوراثة من جيل الى جيل لتتيح للابناء ان ينعموا بمكاسب الآباء ويبدأوا في الحياة بداية ارقى تقوم على مزيد من الشعور بالثقة ورفعة المقام ، يصبح عامل الاسرة التي ينتمي اليها الفرد وتاريخ مجدها ونفوذها من الشروط الكبرى لتقرير المكانة الاجتماعية وتدعيمها .

ولا شك على وجه العموم في ان اي عامل من هذه العوامل لا يحدد المكانة الاجتماعية منعزلا عن العوامل الاخرى، وان كان بعضها انجع واقوى من البعض الاخر في تحديدها . فان تشابكها معا هو الشرط الاساسي لتقرير المقـام الذي يحتله الفرد في سلم المراتب واسلوب الحياة الذي ينهج عليه . ويمكننا ان نلخص اهم هذه العوامل فيما يلي :

١) نوع الحياة التي تحياها العائلة،بما في ذلك نوع المسكن والملبس والمقتنيات الاخرى .

هي بلا شك كون الناس متعـــارفين الى حد كبير ، رغم طول البلدة وتبعثر مساكنها . فكل راشد يعرف جميع الناس في كفر ارر ، وان لم تكن بينه وبينهم علاقات حميمة او علاقات مكاملة ، فانه على الاقل يعرف من هم ، واين يسكنون وما نطام حياتهم وما هي عقائدهم او ميولهم السياسية الى ما هنالك.

ولكي ببرز العامل الطبقي في حياة كفر ارز ، ونتفهم الى اي مدى يمكن ان يؤثر في ابنائها وعلاقاتهم الشخصية ، ينبغي ان نشير الى القوى الاخرى التي تكمن وراء التفاعل الاجتماعي فيها . فمن الناحية الجغرافية ، تقسم كفر ارر الى حيّين كبيرين ،يبرر لدى ابناء كل حي منهما بعض الشعور بالوحدة والاستقلال دون ان يطغى في اي حال على الولاء الى البلدة ككل . كما انه يوجد في كل حي تجمعات سكن اخرى ، او حارات ، تشعر كل منها بشيء من الولاء الخاص .

وفوق دلك ، فهي نتوزع نشريا في عائلات لا تزال علاقاتهـــا الى حد ما ، قبلية ، بمعنى ان الفرد فيها ينمو على الشعور بنوع من الولاء لعائلته بدافع القربى ، متعدياً حواجز الحي والحارة . ويضاف الى دلك احيانا الولاء الحزبي ، اد يشهد اي مراقب لحياة كفر ارر بروز نوع من التكتل الحزبي العقائدي يتعدى الحواجز التقليدية .

وبذلك نرى ان الولاء لدى اهـــل كفر ارر متعدد ، بمعنى انه يتوزع على مستويات عدة ، منها الحارة ، والحي ،والحزب السياسي ، والعائلة وفروعها. ولكن يبدو ان الرابط العائلي لا يزال الاقوى ، فيتعدى في حالات التأزم الحرجة نطاق الحارة والحي والحزب السياسي . أما العامل الطائفي فلا يدخل في حياة كفر ارر ، نتيجة لتجانس الولاء الديني فيها . فجميع ابنائها ينتمون الى مذهب واحد . وطبعا ، يجب ان نضيف الى كل ذلك العلاقات التجارية اليومية والعلاقات الاجتماعية التي تفرضها تقاليد البلدة .

وتجاه طغيان هذه العوامل جميعا ، ولا سيما العـامل العـائلي منها ، لم يعد غريبا ان يبقى العامل الطبقي خافيا على كثير من المراقبين ، حتى على كثيرين من

المتمدين حيث يذوب الفرد في خضم البيئة الضخمة والكثرة الجامحة . فلا تزال كفرارز بدائية في نظامها الاجتماعي بمعنى ان سلوك كل فرد فيها ما يزال يعني سائر ابناء البلدة ويستثير انتباههم ؛ وهي متمدينة بمعنى ان الفرد بدأ يبرز فيها كوحدة تحرص الى حد ما على استقلالها وكيانها . فلها من المدينة مؤسساتها واشكالها ، ولها من القرية روح العلاقات الشخصية التي ما تزال ترين على سائر اساليب حياتها .

فاين هي كفر ارز ؟ وما هي اهم خصائصها ؟

تقع كفر ارز ، كما ذكرنا في المقال الاول من هذا البحث[1]، في شمال لبنان، على بعد ١٨ كيلومترا من طرابلس جنوباً ، على سلسلة من الهضاب التي تطل على سهل فسيح من شجر الزيتون . ولقد كادت لطولهـــا تنقسم الى بلدتين ، لكل منها لهجتها وعاداتها وقيمها واتجاهاتها ، على انها لا تزال تحافظ على شخصيتهـا كوحدة رغم الاختلاف في العادات والقيم والتباعد في المزاج والعلاقات الشخصية.

في كفر ارز شبكة جديدة من الطرق تربط جميع احياء البلدة بعضها ببعض، مما بدأ يمحو عقلية التجمعـات المحلية ضمن البلدة والاحيـــاء المعزولة ، ويجعل الافراد يتخطون العلاقات الشخصية الاولية ليوسعوا نطـــاق اتصالاتهم الثابتة ويقتربوا رويدا من نموذج العلاقات الرسمية .

وفيها مدارس عديدة منها ابتدائية ومنها ثانوية ، كانت من العوامل الرئيسية في دفع كفر ارز خطوات سريعة في طريق النهضة والتقدم ، كما لها كنـــائسها ومستشفياتها وملاهيها ؛ على ان الملاهي فيها لا تزال بدائية ، من نوع المقاهي التي يرتادها الرجال دون النساء لقتل الوقت باحتساء القهوة والمحـــادثة اللاهية او التسلي بلعب الورق او النرد .

وعلى صعيد العلاقات الانسانية ، فان ابرز ميزة لنظام الحياة في كفر ارز

---

١) راجع ، الابحاث ، مجلد ١٧ ، جزء ١ ، آذار ١٩٦٤ .

وجاءت النتيجة معكوسة ، اذ كان الاقبال على الحفلة اقل بكثير مما كان ينتظر ، وذلك ان اهل البلدة رفضوا ان يواجهوا الواقع ويصنف كل منهم نفسه بنوع البطاقة التي يشتريها .

فهل يعني عدم استعداد ابناء كفر ارز للاقرار بواقع التورع الطبقي عدم وجود مثل هذا التورع وعدم وجود الطبقية الاجتماعية ؟ ان دراسة البلدة عن كثب عن طريق الاحتكاك باهلها والتحدث اليهم ومراقبة سلوكهم في المناسبات الاجتماعية ، كالاعراس وحفلات الاستقبال والتجمعات العامة وسير الانتخابات البلدية والنيابية فيها تدل بصورة جازمة على وجود شعور واضح بالفروق الطبقية واختلاف المراتب والمكانات الاجتماعية . فاهل كفر ارز يقسمون الناس مثلا الى « اولاد دوات » ، او احيانا ولو مع شيء من التهكم « ذوات الصيعة » او « الوجهاء » و«المشافين» و «المفاتيح الانتخابية » و « اولاد العيلة » ، والى «المستورين» « وفئة « الفقراء والمعترين »، او بالنسبة الى حديثي النعمة الى فئة « مين كان ابوهم ؟ » !

ونجد في هذه التعابير ما يكفينا للدلالة على وجود سلم للمعايير الاجتماعية في كفر ارز ، يصح ان ننطلق منه الى دراسة ممطمة حول عدد الطبقات الاجتماعية والاوصاف التي تصاحب كلا منها ، والعوامل التي تكمن وراءها . وقد يرغب القارىء في تفصيل اوفى عن نوع الاوصاف التي يستعملها ابناء كفر ارز في تقويم مكانات الناس ، ولكن يكفينا هنا ان ندل على وجود الشعور بالفروق الطبقية ، تاركين الاسهاب في ذلك حتى كتابة الدراسة الكاملة عن حياة كفر ارز الطبقية بما فيه قيمها واساليب التربية فيها وعلائق الزواج ووسائل اللهو والترفيه والى ما سواها، وذلك متى تجمعت لدينا المعلومات الكاملة التي نحتاج اليها[1] . اما المسألة الثانية التي تعنينا هنا فهي عدد الطبقات الاجتماعية ومميزاتها والعوامل المرتبطة بها .[2]

---

١) تعد دراسة وافية عن حياة كفر ارز ستصدر في كتاب مستقل بالاشتراك مع الدكتور منير بشور والدكتور فؤاد خوري .

٢) عني بالقيام بعملية التصنيف الطبقي الاستاذ فؤاد خوري ، باشراف الكاتب .

ابناء كفر ارر انفسهم . واذ افترضنا في هذا البحث ان مسألة الطبقية مرتبطة بمسألة كيف يقيم الناس بعضهم بعضا ويصمون المكانات، فلا يخفى ان «الأنا الذاتي » متضمن في هذا التقييم ومستهدف له .

ولذلك تواجه الباحث في التورع الطبقي صعوبة قصوى في حمل ابناء كفر ارر على الاعتراف بالفروق التي يقيمونها في سرّهم بين فرد وفرد والاقرار بها، لان ذلك سينعكس عليهم فيما بعد ، ويضطرهم لمواجهة حقيقة طالما ارادوا ان يحرصوا على اخفائها حتى عن انفسهم. وقد يكون ان هذا القلق يساور، اكثر ما يساور، الافراد الذين لا يشعرون بالاستقرار في وضعهم الاجتماعي. والطريف في الامر انك اذا سألت اهل كفر ارر عن الطبقات الاجتماعية في بلدتهم ، فانهم يجيبون اول الامر انلا طبقات في كفر ارر، وان جميع الناس اخوة ومتساوون. ويرفض الكثيرون منهم اولا السؤال من اساسه ، ويعتبرونه تحديا لمشاعر ابناء البلدة ودعوة لبث الخلاف فيما بينهم . فهم يرفضون اذن ان يقروا علنا بواقع اي فروق اجتماعية . وقد يكون ذلك دلالة واضحة على ان البلدة في معظمها تشهد تطورا جذريا في علاقاتها الاجتماعية ، وبالتالي في اوضاع افرادها الطبقية. فكل منهم يحاول ان يرقى بمركزه ، وقد ساعد ازدهار كفر ارر الاقتصادي في السنوات العشر الاخيرة على تنمية الشعور بالارتقاء وتقدير الذات ورفض الفروق التقليدية في المكانة .

وفي مجال التحدث مع احد ابناء البلدة المثقفين عن شعور الناس تجاه الفروق الطبقية ، روبت الحادثة الطريفة التالية التي تنم الى حد كبير على عقلية هذا المجتمع الصغير الذي يتكون من حديد . فقد جرت العادة ان يقوم فريق من شبان البلدة وشاباتها كل صيف بتمثيل رواية يعود ريعها الى احد المشروعات العمرانية في البلدة . وفي مرة من المرات ، طرأ لبعضهم فكرة جديدة في تسعير بطاقات الدخول ليحل مشكلة الزحام على المقاعد ويكسب دخلا اعلى للمشروع، وذلك بان تباع البطاقات بثلاثة اثمان: عشر ليرات، خمس ليرات، ثلاث ليرات.

اكتشاف رأي الناس فيه وموقفهم منه . وتعرف هذه الطريقة بطريقة « توافق الحكام » ، وهي الطريقة التي اعتمدها العالم الاجتماعي العالم الاجتماعي وارنر Warner والعالم هولنزهد Hollingshead وكثيرون من اتباعهما .

فما هي اسس هذه الطريقة وافتراضاتها الاساسية ؟

تقوم هذه الطريقة اولا على الاعتقاد بان الناس يقيّم بعضهم مراتب بعض ويتصرفون واحدهم تجاه الآخر في المناسبات الاجتماعية بحسب المكانة التي ينسبونها لانفسهم ضمنا ، بالقياس الى الآخرين . فيفترض ذلك انهم يصنفون مكانة الآخر ايضا ، فيختلف سلوكهم بوعي او دون وعي ، من شخص الى شخص ، بحسب المكانة التي ينسبونها الى انفسهم والمكانة التي ينسبونها اليه . ويعني ذلك ، ثانيا ، ان افضل حَكَم على مكانات الناس هم الناس انفسهم ، وذلك في ضوء طرق المعاملة التي تسود حياتهم اليومية ، ولا سيما في المناسبات الاجتماعية الرسمية الهامة .

وتثير هذه الافتراضات مشكلة عملية دقيقة ، فهل يجب ان نسأل جميع الناس عن جميع الناس ، وذلك يكاد يكون متعذرا ، ام يكفي ان نختار عددا من الاشخاص كي يقوموا بدور الحكام، فنعتبر اجماعهم او اجماع الاكثرية منهم مقياسا لتقرير المكانة ؟ وطبعا لا خيار في هذه المسألة ، فالضرورات العملية تقضي باعتماد الحل الثاني ؛ وعند ذلك يبرز السؤال التالي : من يجب ان يختار كحاكم ، الاحداث ام البالغون الراشدون، ابناء الطبقات العليا ام ابناء الطبقات الوسطى او الدنيا ، المثقفون ام العامة ؟

يصعب ان نخرج بحل سريع لهذه المعضلة ، وانما يمكن التأكيد بكثير من اليقين اولا ، ان الشخص الذي يتمتع بمركز ثابت في النظام الاجتماعي اقدر على اعطاء حكم سليم على مكانة الآخرين من الشخص الذي لا يزال مركزه قلقا ، متأرجحا ؛ وثانيا ، ان الشخص المعتدل في نظرته الى المجتمع وطريقة معيشته اسلم في آرائه من الشخص الذي يتقيد بآراء ومذاهب جامدة ، متطرفة ؛ وثالثا ،

عدد الطبقات الاجتماعية في كفر ارز
مميزاتها وعواملها

في الدراسات العديدة حول المجتمع اللبناني التي تدعو الى ضبط الوضع الطبقي نكاد نجد ان مبدأ العامل المنفرد هو الطريقة السائدة في تقرير المكانة الاجتماعية، ومن العوامل التي دخلت في هذه البحوث الدخل المالي للعائلة التي ينتمي اليها الفرد ، او المهنة التي يمارسها الاب او الام او درجة الثقافة التي يتمتعان بها . ولا يخفى ان ضعف هذه الطريقة يكمن في اعتمادها على عامل منفرد في تقرير المكانة الاجتماعية ، بينما تكون العوامل المقررة في الواقع متشابكة ، متداخلة . فانها مجتمعة ، لا منفردة ، ترجح الانحيار الى هذه الطبقة او تلك .

وقد يعتمد بعض هذه الدراسات على مجموعة من العوامل ، كالدخل والمهنة والمستوى الثقافي معا فيعطى الفرد علامة تعين درجته بالنسبة الى كل من هذه العوامل ، وتجمع هذه العلامات لتعطي علامة واحدة نهائية . ومن ثم يستخرج المعدل العام لجمهور الدراسة . ويقرر وضع الفرد الطبقي في ضوء علامته ونسبتها الى المعدل العام . ويمكننا ان نسمي هذه الطريقة ، طريقة الدلائل الموضوعية ، وهي تقوم على استخراج المكانة الاجتماعية من الصفات والمميزات العينية التي يحوزها المرء .

ولا شك في ان هذه الطريقة تتيح فرصاً صالحة للبحث من حيث هي طريقة موضوعية تعتمد العوامل الوضعية الملموسة التي تقترن بالمكانة الاجتماعية للفرد . ولكننا مع ذلك نعتبر ، كما قدمنا، ان ما يقرر مكانة الفرد في نهاية المطاف هو موقف ابناء البلدة منه وتقديرهم لمقامه . فقد ينال شخص ما علامة عالية على سلم الدلائل الموضوعية ، اي انه قد يجمع عامل المال الى عامل المهنة الى عامل الثقافة ، دون ان يستطيع التصرف في مجتمعه تصرفا يكسبه مقاما متناسبا مع ما يحوزه من الدلائل المصاحبة للمكانة . والعكس قد يكون صحيحا .

ولذلك ينبغي ان نلجأ الى طريقة تهدف الى تعيين مقام الفرد عن طريق

ان في كفرارر شعورا بالفروق الاجتماعية ، كما مرّ آنفا، بات ضروريا ان يتعين عدد الطبقات فيها .

ومن اجل هذه الغاية وقع الاختيار على لجنة مخبرين يفون بالشروط المذكورة اعلاه للحكام، وبلغ عددهم التسعة عشر، وكانت مهمتهم اولا ان يبدوا رأيهم في عدد الطبقات في كفرارر. ولما كان مفهوم الطبقة غير واضح لديهم، كان ضروريا ان تفسر لهم غاية الدراسة وفكرة الطبقة في جلسات طويلة ، تناولت امثلة حسية للتمثيل عن معنى الفروق الاجتماعية ، وما ينتج عنها من طبقية . وتظهر نتائج التحقيق معهم عن عدد الطبقات في البيان التالى : —

بيان . ١ توزيع الطبقات في كفرارر بحسب لجنة المخبرين الاولى

عدد المخبرين	عدد الطبقات
١٣	٤
٣	٥
٢	٣
١	٦

اي ان ١٣ مخبرا قسموا كفرارز الى ٤ طبقات، بينما قسمها ٦ مخبرين، على تباين، الى غير ذلك . وتأكيدا لهذا التقسيم انتخب فريق آخر من المخبرين يبلغ عدده الستة عشر ، واعطى كل منهم اسماء ٢٠ عائلة اختيرت بطريقة اتفاقية ، على بطاقات يحمل كل منها اسم عائلة واحدة . وكلف افراد الفريق ان يصنفوا هذه البطاقات في فئات تمثل كل منها العائلات التي تتوازن مكانتها الاجتماعية. واتى توزيعهم لها كما يلي : —

ان أكثر الناس اتصالا بالنـــاس امـا بحكم العمل او النشاط الاجتماعي اعرف بالمكانات من الشخص المحدود في اتصالاته ؛ ورابعا ، ان التوافق في الاحكام التي يمثل اصحابها المكانات الطبقية المختلفة اقرب الى الصواب منه في الاحكام التي يمثل اصحابها طبقة معينة .

وعندما يتم اختيار اللجنة الحاكمة بحسب هذه الاصول تجري دراسة التوزيع الطبقي في مرحلتين ، الاولى تسعى الى تقرير عدد الطبقات ، والثانية الى تقرير ترتيبها من حيث المكانة ، وتوزيـع الاهالي عليها كل بحسب مكانته .

ويتراءى لنا، اذا ما قبلنا بمبدأ ان الطبقة تقوم اساسا على فكرة المكانة التي يحتلها الافراد في نطام العلاقات الاجتمــاعية ، ان هذه الطريقة في تعيين عدد الطبقات ومراتبها ، اي طريقة توافق الحكام ، هي من اسلم الطرق ، على الرغم مما يدخل فيها من تقديرات واحكام شخصية . ولكن لهذه الطريقة حدودها، فهي تصلح في الاكثر لتصنيف ابناء بلدة واحدةاو جماعة واحدة، حيث يكفي عدد معقول من الحكام لتصنيف ابناء البلدة جميعا او افراد الجماعة. اما في مجتمع كبير كالمجتمع البيروتي او الطرابلسي ، فقد يكون اللجوء الى مثل هذه الطريقة متعذرا عمليا ، اذ يحتاج الباحث الى عدد ضخم من الحكام ليوزع عليهم افراد الجمهور المزمع تصنيفه ، بحسب درجة معرفتهم بهم . وهذا يدفعنا الى الايمـــان بضرورة ايجاد ميزان موضوعي يمكن تطبيقه على لبنان بكامله وذلك باستخلاص المميزات الرئيسية التي تقترن بالمكانة الاجتماعية في عدة مناطق من لبنان . ان هذا الميزان يكون ذا فائدة كبرى اذ يتيح تعيين طبقة الفرد اللبناني بسهولة في ضوء المميزات التي يحوزها وقيمتها بالقياس الى متوسط القيمة العامة .

عدد الطبقات

اما تفاصيل الطريقة المتبعة ، فيمكن تفحصها بمتـــابعة الاسلوب الذي نهجـــه البحث في تقسيم كفر ارز الى طبقـــات . فبعـــد ان تم الاقتناع ، في ضـــوء الاتصـــالات باهل كفر ارز والمكوث بينهم ،

في الطبقة الاولى ، وعلامة ٢ لكل مرة يصنّف في الطبقة الثانية ، وعلامة ٣ لكل مرة يصنف في الطبقة الثالثة ، وعلامة ٤ لكل مرة يصنف في الطبقة الرابعة . فاذا اعتبر خمسة حكام هذا الاسم من الطبقة الرابعة واعتبره اثنان من الطبقة الثالثة والباقون من الطبقة الثالثة، نحصل على علامة هذا الاسم بحساب معدل العلامات التي اعطاها اياه الحكام في مجموعهم. ونتيجة لذلك، حصل لدينا التوزيع التالي :

بيان ٣ التوزيع الطبقي في كفرارر بحسب المعدل الحاصل من احكام عشرة حكام

وسحة العلامة	الطبقة	عدد العائلات
٠،٥٠—١،٥٠	الاولى	٨
١،٥١—٢،٥٠	الثانية	٣٩
٢،٥١—٣،٥٠	الثالثة	٨٦
٣،٥١—٤،٥٠	الرابعة	٤٧

اي ان الطبقة الاولى تضم حوالى ٤،٥٪ من جمهور الدراسة ،
والطبقة الثانية تضم حوالى ٢١،٥٪ ،
والثالثة تضم حوالى ٤٨٪ ،
والرابعة حوالى ٢٦٪ .

وقد اختلف الحكام في آرائهم من عائلة الى عائلة، ولذلك فلا تحوز العائلات المشمولة في طبقة واحدة المعدل نفسه ، ونثبت ادناه توزيع الحكام في تقديراتهم كي نرى الى اي مدى يصح ان نعتبر التوزيع الطبقي في كفرارر مسألة مفروغا منها ومتفقا عليها .

بيان : ٢ توريع الطبقات في كفرارر بحسب لجنة المحبرين الثانية

عدد المحبرين	عدد الطبقات
١٢	٤
٢	٦
١	٥
١	٣

اي ان ١٢ محبرا قسموا كفرارر الى ٤ طبقات ايضا، بينما قسمها ٤ محبرين الى غير ذلك . واذا جمعنا الفريقين وجدنا ان ٢٥ محبرا قسموها الى ٤ طبقات بينما قسمها عشرة منهم الى غير ذلك . فيكون ان ٧٢٪ يقسمونها الى اربع طبقـات بينما يقسمها ٢٨٪ الى غير ذلك ، والفرق بين النسبتين اكبر مما ينتظر ان يحدث اتفاقا بمستوى ٢٪ . ولذلك فيمكننا القول ان هناك غـالبية واضحة تميل الى تقسيم كفرارر الى اربع طبقات .

وفي المرحلة الثانية ، تمّ انتخـاب لجنة حكام يبلغ عددهم ٥٪ من جمهور الدراسة، وظيفتهم ان يصنفوا عائلات كفرارر طبقيا ويعينوا مرتبة كل طبقة. ولما كان جمهور العائلات المتضمنة في الدراسة ، كما مرّ في الحلقة الاولى من هذا البحث [١] يبلغ ١٨٠ عائلة ، كان عدد الحكام عشرا . كتب اسم كل عائلة على بطاقة منفردة ، واعطي كل من الحكام مجموعة من بطاقات الاسماء وطلب اليه ان يصنفها الى اربع فئات ، جامعا في كل منها الاسماء التي يعتقد انها متساوية في المكانة . وبعد فراغهم من التصنيف طلب اليهم ان يعينوا مرتبة كل مجموعة بالنسبة الى الاخرى ، فتواري هذه المرتبة مكانة الطبقة .

كان من الطبيعي ان نجد خلافا بين الحكام العشرة على تصنيف اسم من الاسماء، فبعضهم قد يعتبره من الطبقة الاولى ، وبعضهم من الثـانية او الثالثة . ولذلك تمشيا مع طريقة هولنزهد اعطي كل اسم علامة ١ لكل مرة يصنفه احد الحكام

١) الابحاث ، مجلد ١٧ . جزء ١ ، ايلول ١٩٦٤ .

مميزات الطبقات في كفرارز

ماذا يعني ان نقسم سكان كفرارر الى اربع فئات اجتماعية ؟ من الممكن ان يتم هذا التقسيم الى فئة او فئتين او عدة فئات ، بحسب المقـــاييس المختلفة التي يعتمدها الباحث . واما مـــا يعطي هذه الفئات الاربع معنى هو انه طلب الى لجنة الحكام القيام بتقسيم سكان كفرارر من حيث المكانة الاجتماعية. فجمعوا معا الناس الذي يعتقدون انهم يتمتعون بمكانات متوازية ، واعطوا كل فئة مرتبة من حيث دورها او نفوذها في نظام العلاقات الاجتماعية في كفرارز ؛ وعلى اعتبار ان آراء الحكام تعكس فعلا الوضع الاجتماعي في البلدة ، فان نتيجة احكامهم هي ما تجعل هذه الفئات طبقات اجتماعية تتفاوت في المنزلة والمكانة، وقد عمد الباحثون في طبيعة التوزيع الطبقي في الغرب الى تسمية هذه الطبقات بحسب منزلتها كما يلي :الطبقة العليا، والطبقة الوسطى، والطبقة الدنيا، وصنفوا كلا منها بالنسبة الى البيئات المعقدة ثلاث طبقات ، فاصبحت التسميات كما يلي : —

الطبقة العليا العليا—الطبقة العليا الوسطى—الطبقة العليا الدنيا

الطبقة الوسطى العليا—الطبقة الوسطى الوسطى—الطبقة الوسطى الدنيا

الطبقة الدنيا العليا—الطبقة الدنيا الوسطى— الطبقة الدنيا الدنيا .

وقياسا يمكننا ان نعطي فئات كفرارر الاربع التسميات التالية —

الطبقة الاولى : الطبقة العليا

الطبقة الثانية : الطبقة الوسطى+

الطبقة الثالثة : الطبقة الوسطى—

الطبقة الرابعة : الطبقة الدنيا

ولكن لن تكتسب هذه التسميات معنى واضحا ما لم نتحقق الى اي مدى تختلف الطبقات المشار اليها في مقدار حيازتها الامتيازات او العوامل التي تكمن وراء المكانات الاجتمـــاعية . وهذا يعني وجوب استخراج المميزات الطبقية ومقارنتها .

بيان ٤ . توزيع توافق الحكام على المكانة الاجتماعية في كفرارر بالنسبة الى عدد الحكام والمعدل الحاصل

الطبقة	عدد العائلات	عدد الحكام	المعدل
الاولى	٧	١٠	١،٠٠
	١	٧	١،٣٠
الثانية	٢٦	٨—١٠	١،٨٠—٢،٢٠
	٥	٧	١،٧٠—٢،٣٠
	٦	٦	١،٦٠—٢،٤٠
	٢	٥	٢،٥٠
الثالثة	٥٢	٨—١٠	٢،٨٠—٣،٢٠
	٩	٨	٢،٦٠—٢،٧٠
	١٠	٧	٢،٦٠—٣،٣٠
	٥	٦	٢،٦٠—٣،٤٠
	١٠	٥	٣،٥٠
الرابعة	٣٨	٨—١٠	٣،٨٠—٤،٠٠
	٢	٨	٣،٧٠
	٥	٧	٣،٧٠
	٢	٦	٣،٦٠

ويبدو جليا في هذا البيان ان معظم التوافق في اراء الحكام قد حصل بالنسبة الى الطبقتين الاولى والرابعة، بينما حصل مزيد من الخلاف حول تصنيف عائلات الطبقتين الثانية والثالثة . وسنعود الى ذلك في التعليق الاخير .

الاسرى . وهذه المميزات مجموعة هي التي كانت تؤهل المرء للمراكز السياسية المرموقة في البلدة وبالتالى تحبوه بنعمة النسب الكريم . وهكذا فاذا ما اردنا ان نصنف المميزات الطبقية بحسب شأنها فاننا نجعل ، مع قليل من التردد ، النسب والمركز السياسي في الدرجة الاولى ، والثروة والثقافة في الدرجة الثانية . ومما يؤيد ذلك ان ابناء الطبقات التالية للاولى في المرتبة ، كابناء الطبقات الوسطى مثلا ، يطمحون الى العلم كوسيلة لجمع الثروة ، وفي العلم والثروة يأملون ان يجدوا سلما يرقون به الى الطبقات العليا ، اما عن طريق الفوز بمركز قيادي في البلدة واما الفوز برواج داعم للنسب .

ولا شك في ان النسب الكريم لم يأت بالدم اساسا ، فهو قد نشأ لاقترانه بميزات النفوذ السياسي لاهلية شخصية او بالثروة او الثقافة . ولذلك قد نجد في كفرارز اخوين من بيت واحد يتمتع كل منهما بمكانة اجتماعية مختلفة . فان اثر النسب لا ينتقل آليا من الآباء الى الابناء، غير ان اختراق حاجز النسب عن طريق الثروة والبيت الجميل والسيارة الكبيرة والثقافة والمهنة الحرة ليس بالامر الآلي ايضا. فيبقى هناك في كفرارز من يذكر الثري الحديث النعمة والمثقف غير الموسر والطبيب الحديث ممن كان ابوه او حتى جده .

واذا ما اردنا ان نقارن الثروة بالتربية ، فاننا نجد دون ريب ان التربية افعل في تخويل المرء اختراق الحواجز الطبقية التقليدية . فالثروة الكبيرة جدا التي لا تقترن بالثقافة او بمهنة حرة تتطلب العلم ، تبقى اضعف اثرا من الثقافة الجامعية التي لا تقترن بالثروة . وذلك من الاسباب التي تبعث في ابناء كفرارز عزما لا مثيل له لتقبل اعظم التضحيات من اجل الدراسة العليا . اما الثقافة المقترنة بالثروة، او فلنقل الثقافة المؤهلة لاكتساب الثروة، فهي من انجع الوسائل للوصول الى مركز اجتماعي مرموق .

وعلى مثال ما يقع في كل مجتمع تقوم فيه طبقات متمايزة، فان الفروق الطبقية تقترن ايضا بممتلكات المرء من البيت الجميل الحديث، الى السيارة، الى جهاز التلفزة

ومن اجل هذه الغاية كان من الصروري متـــابعة اوصــاف الطبقـــات ، لاستخراجهـا وتحليلها . ونتيجة لتحليل المقابلات التي تمت في هذ الصدد ، ومن دراسة اوضاع كفرارز العامة ، برزت الحقائق التالية :—

اولا — ان اهالي كفرارز يعطون قيمة للنسب وكرم المحتد، فهم يقيّمون الاشخاص .

ثانيا — ان الدور الذي يقوم به الفرد في تقرير شؤون البلدة المحلية والعـامة ذو اثر خطير فيتقرير مكانته.

ثالثا — ان الوظيفة التي يقوم بها الشخص وثروته عاملان رئيسانفي التصنيف الطبقي .

رابعا — لمستوى الثقافة ورن خاص في دفع المرء نحو مكانة اعلى

وربما كان للنسب الدور الاكبر في نظام كفرارز الطبقي ، ولدلك اسباب تاريخية ما ترال فاعلة حتى الان ، وان كان فعلها آخذا في النقصان . ودلك ان كفرارز كانت تقسم الى عدد من العائلات ، لكل زعيمها او رئيسها او وحيهها الذي تختاره العائلة ، او مالاحرى يختــــار نفسه لعضوية مجلس البلدة للبت في سياستها وشؤونها العامة. وكانت ترتفع قوة الزعيم طردا بنسبة ما تكون عائلته كبيرة ، وكان ينعكس نفوذه بالتالى على ابناء العيلة . ومن بقايا ذلك ان اهالى كفرارر ما يزالون يشيرون الى الشخص ، كابن فلان او ابن فلان . ويتجلى اثر هذه الظاهرة الآن في وحوب اعتماد التوارن العائلى في انتخابات كفرارر البلدية . على انه يجب الا نسيء تفسير هذه الظاهرة فنسارع الى اعتبار العائلة مجتمعا متجانسا ، فهي تتضمن فى داخلها مستويات طبقية مختلفة ، وان كان انتساب المرء اليها يؤثر، الىحد ما، فيمكانته بالقياس الىافراد العائلات الاخرى.

وفي ظني ان النسب العائلى ما يزال يكون العامل الدي يعطي الى حد كبير المميزات الاخرى قيمتها . فالعائلات التي تنعم بالنسب الكريم اليوم هي وريثة تلك العائلات التي كانت تحور الثروة والثقافة ووسائل الارتقاء الاجتمـــاعي

الارض جزء من كون المرء كفرارزيا، وهي من الرموز الهامة للمكانة الاجتماعية في كفرارر ، ان لم تكن من عواملها الرئيسية . ومن بقايا عقلية عهد الملكيات ان العمل للغير ، مهما كان نوعه ، نوع من الاستخدام الذي ينعكس بدوره على مكانة الفرد ، ولا سيما ان مثل هـذا الاستخـدام لا يؤتي دخلاً كافيا للتقدم والارتقاء في المكانة . ولذلك فان المهن الحرة ، وان كانت احياناً وضيعة ، اخذت تستميل الناس لتحملهم على العزوف عن العمل للغير ، ولا سيما انها تقترن بشكل خاص بشيء من الثقافة ، وبامكان الحصول على دخل اوفر. ومن نتائج ذلك تضاؤل اليد العاملة التي يفتقر اليها العمل في الاراضي وحصول القناعة بافضلية المهن الحرة على الملكيات كمصدر للكسب والرزق . فليس غريباً بعد ذلك ان تشهد كفرارر افول مجد الملكيات القديمة وانحدارهـا الى مرتبة ثانوية كرمز للمكانة والرفعة .

على ان المهن الحرة اتاحت للكثيرين مجـال الادخار والتوفير ، فتراكمت الاموال السائلة في الجيوب داعية بالحاح الى خلق مجالات جديدة لنوع من التملك العقاري . ولكن مواطن كفرارز ، وهو يسعى الى الارتقـاء الاجتماعي ، لن يفكر اولا بالعودة الى الاراضي الزراعية ، بل الى اقتناء بيت جميل وحديث يتيح له فرصة التنعم بكماليات الحياة ويعرب بشكل عياني عن الطموح الى مقام اجتماعي افضل . ولذلك فان حركة البناء في كفرارر ناشطة الى حد يفوق قدرة المجتمعات الصغيرة ، وانما لا بد لفائض الادخار من ان يوظف من جديد فيما بعد في العقارات الزراعية .

واما التجارة فانها تقترن بالمكانة الاجتماعية بالنسبة الى حجمها وموردها . على ان معظم الذين يتعاطون التجارة في كفرارر هم من اصحاب الدكاكين الصغيرة الذين يتوزعون في احياء البلدة المختلفة لتأمين حاجاتها اليومية . ويكاد الا يكون فيها تجارة واحدة يمكن ان تسمى كبيرة، فالتجار الكبار يجعلون مراكز اعمالهم في المدن المجاورة لكفرارز .

والبراد ، الى التليفون والاثاث الجميل . غير ان هذه الرموز لا تقوم في اي حال مقام المميزات الرئيسية الاولى : النسب والنفوذ السياسى والثقــافة والثروة . والثروة تعنى هنا اما الملكية العقارية او الثروة النقدية السائلة .

ولا يخفى ان فقــدان هذه الممتلكات قد يبعث بشيء من الحجل والشعور بالغضاضة ، دون ان يحط بحد ذاته من مقام المرء .

يبقى عامل المهنة ، فما دوره في نظام العلاقات الاجتماعية في كفرارر ؟

يدخل في نظام التصنيف الطبقي في كفرارر نوع المهنة التي يقوم بها المرء ، بالاستقلال عن شخصه وعائلته وثقافته . فالمهنة بحد ذاتها تحتمل التقييم ، وبالتالي تؤثر في المكانة الاجتماعية لصاحبها . فالطبابة ، والهندسة ، والى درجة اقل المحاماة ، تأتي في طليعة المهن الحرة التي يقيم لها اهالي كفرارز وزناً . وقد يحتل التعليم الجامعي او الوظيفة السياسية الكبيرة في الدولة مركزاً ضحما ، غير ان جميع الافراد الذين لهم مثل هذه المهن في كفرارر يعيشون خارجهــا ، ولا يتفاعلون بشكل دائم مع حياة البلدة . ولا شك في ان ضخــامة المركز الذي يحتلونه ، فيما لو انتفت العوامل الاخرى ، مستمدة الى حد كبير من الهالة التي تحيط باسمائهم ، لبعدهم عن البلدة ولجهل الناس بطبيعة عملهم الحقيقية . اما من جهة المهن الادنى مرتبة ، فيبدو ان هناك تبايناً هاما بين المهن التي قد تكون متوارية في منتوجها المالي. فالخياط مثلا يحظى بقدر اكبر من الاحترام بالقياس الى صانع الاحذية ، كما ان الحلاق يفوق صانع الاحذية مكانة على ما لصنع الاحذية من فائدة بالقياس الى الحلاقة وتزيين الشعر .

وهناك صفة مهنية خاصة بكثير من اهالي كفرارر ، وهي الملكية . فالملاك الكبير ، وحتى المتوسط ، لا يقوم بعمل خاص خارج اهتمامه بأرزاقه وعقاراته. ولا يجد الناس غضاضة في ذلك ما دام المرء يعمل لنفسه ، لا لغيره . وبعض ذلك ، وربما اكثر ، يعود الى ان معظم اهالى كفرارر بعد الحرب العــالمية الاولى ، ملاكون ؛ ولذلك فان شيئا من الفخر يقترن بالعمل في الارض الخاصة ، فملكية

والاديب والعالم ، بينما قلما وجدنا مثل نصف مستوى هؤلاء في الطبقات العليـــا العليا في المجتمع المعقد.

وبالمقارنة مع مدينة «الم تاون» التي قام بدراستها العالم الاجتماعي هولنزهد ، وفيها خمس طبقات، يبدو ان اوصاف الطبقة العليا في كمرارر تتشابه في الاكثر مع اوصاف الطبقة الثانية في «الم تاون»، كأنه ليس في كمرارز طبقة عليا حقيقة اذا ما قيست بعقلية الطبقات العليا في المجتمعات المعقدة، بل نوع من الطبقة الوسطى العليا. فالطبقة العليا في آلمتاون تشمل العائلات المثرية التي لها من المال والكفاف ما يسمح لها بالرفاه والتمتع بالحياة دون عناء ، يضاف الى ذلك ارثها التاريخي العريق في الثروة او في الجاه . بينما تجد ان الطبقة العليـــا في كفرارر تعتمد للمحافظة على مركزها الموروث قيم الطبقة الوسطى من حيث الاهتمام بالعلم وبذل الجهـــد لاكتساب المميزات الاجتماعية الحديدة القـــائمة على الجهد الشخصي والاستحقاق .

وتمثل الطبقة الثانية اصحاب المهن الحرة وكبار الملاكين والتجار وخريجي المعـــاهد العالية. وباستثناء كبار الملاكين الذين يرثون في الغـــالب ارزاقهم عن آبائهم، فـــان معظم افراد هذه الطبقة من العصاميين ، اي من الاشخاص الذين احتلوا مراكزهم بالجهد الشخصي؛ ولذلك تراهم شديدي الحساسية للفروق الاجتماعية كما وتراهم يحسبون لانفسهم حسابا كبيرا ، فيتقربون كثيرا من عائلات الطبقة الاولى من حيث طريقة العيش واسلوب الحياة واقتناء رموزهـــا ، بينما ينتقدون تصرفاتها وتفردها في السلطة المحلية .

وتمثل الثالثة عامة الملاكين واصحاب التجـــارات الصغيرة والصناعات البسيطة ، وهم عادة من العائلات المحترمة ، التي تحرص على كيانها وسمعتها ، ولكنها غير ثرية او مثقفة فوق المستوى الابتدائي . اما الرابعة فتمثل صغـــار الملاكين واصحاب الحرف والعائلات التي ليس لها من خيرها سوى كفافها .

ويمكننا القول انه باستثناء الطبقة الاولى، فان حركة التجاور في كفرارز

وخلاصة القول فان القيم او المقاييس التي يستخدمها اهالى كفرارز في تصنيف واحدهم الاخر ، كثيرة ومتشعبة ، والقيم الاولى مقترنة بنسب العائلة وتاريخها والنفوذ السياسي؛ والقيم التي تأتي بعدها مباشرة مقترنة بالثقافة والثروة والملكية والمهنة . ولاشك في ان الاخلاق والسمعة الطيبة ذات شأن كبير في هذا المجال ، كما ان السن يؤخذ بعين الاعتبار .

وعلى سبيل المقارنة نجد ان بلدة «الم تاون» في اميركا تعكس آية كفرارر ، فتجعل الطريقة التي يكسب فيها المرء عيشه في الطليعة ، بينما تجعل النسب والنفوذ السياسى والمستوى التربوى في الدرجة الثانية . وذلك يعود الى طبيعة اختلاف حضارى بين كفرارر و«الم تاون.»

فان كفرارر بيئة ريفية—رراعية في اساسها ، حيث الاقطاع العائلى يجد ارضا خصبة لتمكين جذوره ، بينما «الم تاون» بيئة تجارية—صناعية ، حيث تخف كثافة العلاقات الشخصية في المعاملة ويخبو وجه العائلات دات الاسماء الكبيرة. وقد لا يكون غريبا ان تتبدل الحال في كفرارر في الجيل القادم متى ضعف اثر العامل الزراعي في حياتها وبالتالي متى تغيرت عوامل النفوذ البلدي .

واما بالنسبة الى بنية الطبقات المختلفة، فيبدو ان الطبقة الاولى تضم العائلات النافذة سياسيا في البلدة ، ذات التاريخ المؤصل . ولئن كانت هذه العائلات تحوز الثقافة والثروة ، فان مكانة افرادها متوارثة اكثر منها مكتسبة . ومن بين العائلات الثماني التي تضمها هذه الطبقة ، هناك عائلة واحدة استطاعت الارتقاء الى مرتبة الطبقة الاولى بالجهد الشخصي وحده . وقلما حدث ذلك في المجتمعات المعقدة ، اذ لا يستطيع المرء فيها ان يبلغ الطبقة العليا في جيله . وعندي ان في ذلك دلالة على مرونة النظام الطبقي في كفرارر وامكان اختراق الحواجز التقليدية ، على ما في ذلك من مشقة وصعوبة. وخلافا للطبقات العليا في مجتمعات غربية ، فان الطبقة العليا في كفرارر تقدم العلم والثقافة وتهتم بتعليم ابنائها اهتمام الطبقة الوسطى ، ان لم يكن اكثر . فتجد فيها الطبيب والمحامي والمهندس

مر كزها، اذ قد تكون فى حالة انتقال من طبقة الى طبقة، ولا سيما ان عائلات هذه الطبقات قد اصابها حظ كبير من الازدهـــار المادي في السنوات العشر الاخيرة. ولذلك فلم يتسن لها ان تتركز تماما بعد في نظام المكانات الاجتماعية. وذلك دليل دينــامية في مجتمع كفرارز ودليل تقــدمية تساعد على التطور والنماء .

وانما ينبغي ان نتساءل ما كان يكون عدد الطبقات في كفر ارز فيما لو استغني في المرحـــلة الاولى من التصنيف عن اختيـــار عينة ممثـلة لعـائلات كفر ارز وكلف الحكام عوضا عن ذلك تصنيف جميع العـائلات دفعة واحدة في فئات يظن انها متشابهة في المكانة او متقاربة ، ولا سيما ان ذلك ممكن عمليا نظرا لان عدد العائلات الخاضعة للدراسة صغير نسبيا . وفي ظني انه كان من الممكن لو اتبعت هذه الطريقة ان تبرز خمس طبقـــات ، كما ابانت الدراسات في البلدان الاخرى حول المجتمعـــات المتوسطة الحجم نوع كفر ارز . ومهما تكن النتيجة ، فان تفحص الوضع الاجتماعي في بيئة كفر ارز المتطورة يدل على انه من الممكن بروز طبقة جديدة قوامها الثقافة والثروة المكتسبة عن طريق المهن الحرة كالهندسة والطب والوظائف التجارية، تفوق في المكانـــة نسبة كبيرة من العائلات التي تقع الآن في الطبقـــة الثانية ، والتي تستند مكانتهـا الى الثروة المكتسبة في الاملاك العقارية والتجارات دون ان تقترن بعــامل الثقافة . كما ان نسبة كبيرة من عائلات الطبقة الثالثة الحالية تفوق في المكانة ابناء الطبقةالرابعة الحالية اكثر مما توحى به المســـافة التي تفصل بينها في التقسيم الحالي . وهكذا فبدلا من التقسيم التالي :

طبقة اولى (طبقة عليا)
طبقة ثانية (طبقة وسطى +)
طبقة ثالثة (طبقة وسطى —)
طبقه رابعة(طبقة دنيا)

نظن ان التقسيم التالي اقرب الى الواقع :

من طبقة الى طبقة ، ناشطه جدا بالنسبة الى الماضي القريب ، على انها ما تزال محدودة بسبب العوائق المادية في الاكثر وامتناع فرصة التعلم على الكثيرين. وهذه الحركة انشط بين الطبقة الثالثةوالثانية منها بينالرابعة وسائر الطبقات. واذا ما كان الحكام اقرب الى التوافق حول عائلات الطبقتين الاولى والرابعة منهم حول عائلات الطبقتين الثانية والثالثة ، فذلك يعود في الارجح الى ثبات العائلات في مكانتها الاولى والرابعة ، بينما الثانية والثالثة تعانيان ضغطا شديدا للتحسس والتفوق . فمكانة العائلات فيها ليست راسخة بل في حالة تحرك ، ولذا يصعب على الحكام ان يتوافقوا حولها بنسبة توافقهم حول الطبقات الاخرى .

تعليق

ان مجال التعليق على نتائج هذه الدراسة متعدد الجوانب . انما يهمنا هنا ما يتعلق بطريقة البحث نفسها وما يتعلق بالمغزى التربوي لنتائجه .

قد لا يهمنا كثيراً ان نصل في هذه المرحلة من البحوث في طبيعة التكوين الاجتماعى عندما الى عدد الطبقات الاجتماعية بشكل موثوق بقدر مايهمنا التحقق من التورع الطبقي بالذات ، ومن اثره في سلوك الافراد . ومع ذلك فانه ينبغي ان نعيد النظر في طريقة البحث والتعليق على عدد الطبقات التي نتج منها . كانت الخطوة الاولى في هذا البحث ان نختار عينة من عائلات كفرارر وان نطلب الى عدد من الحكام تصنيفها الى فئات متشابهة في المكانة الاجتماعية . وكان الغرض من ذلك تعيين عدد الطبقات، ومن ثم عمدنا الى توزيع جمهور الدراسة على هذه الفئات ، اي ان الحكام أُجبروا في الخطوة التالية على توزيع اهالي كفرارز على عدد الطبقات الذي اقر في الخطوة الاولى. وبدراسة البيان رقم (٤) نجد ان الطبقة الاولى والطبقة الرابعة قد تم فيها نوع من الاجماع ، فمعظم الحكام متفق على مكانة العائلات التي تكونانها . غير اننا نجد نسبة كبيرة من الطبقتين الثانية والثالثة لم يقم الاجماع عليها، فهي قد صنفت باغلبية ضئيلة .

وقد يعود ذلك كما اشرنا سابقا الى عدم استقرار عائلات هذه الطبقات في

والملاحظة الثالثة تتناول نوعية الدراسة التي ستكمل هذه الدراسة الحاضرة وتحدد اتجاهها . فمن المفيد لنا جدا ، لجهة التخطيط التربوي والاقتصادي في كفر ارز ، ان ندرس بوضوح، دون ان نكتفي بالملاحظة السريعة، هذه المجالات: (١) نوع العناية التي يحظى بها الاطفال في الطبقات المختلفة، (٢) نوع القيم الاجتماعية والدينية (٣) انواع التسلية وطرق الترفيه (٤) نوع التزاوج (٥) نوع التبادل في في الزيارات في غير مناسبات الفرح والكرب .

وكما ذكرنا ان الترابط العائلي وانتشار فرص الارتقاء الاقتصادي وبالتالي الاجتماعي يخففان من غلواء الطبقية في كفر ارز بالنسبة الى بعض المجالات ، كذلك تجدر الاشارة الى نوع التوزيع في المساكن في كفر ارز واثره في نوع القيم والعادات التي تسودها .

ففي «الم تاون» تتوزع البيوت والمساكن في احياء او شوارع تمثل الفروق الطبقية السائدة فيها وتعكسها . وذلك يساعد في نشوء نوع من حضارة الطبقة التي تمثل العادات والقيم والاخلاق السائدة في كل طبقة . اما في كفر ارز فان المساكن متخالطة ، فليس هناك احياء ارستقراطية واحياء شعبية . انما تنتشر المساكن والبيوت دون اي نظام ، مما يسمح بالاحتكاك المباشر بين اولاد الطبقات المختلفة ، احتكاكا دائما تقريبا ، ولذلك فيغلب الظن ، متى تمت هذه الدراسة، ان الفروق في حضارة الطبقة لن تكون بارزة في كفر ارز كما هي في «الم تاون». على اننا لن نجزم في ذلك قبل تمام الدراسة.

والملاحظة الرابعة تعود بنا الى واقع الفروق الطبقية واثره في بناء النفسيات والعلاقات ما بين الافراد . فعلى ما في كفر ارز من مواطن تقارب ومن تعال على الروح الطبقية ، فان الشعور بالطبقية والاحساس بثقلها واقع ملموس ، اثبتته الدراسة بكل وضوح . ويهمنا هنا ان نلفت النظر الى اثر ذلك في الصورة الذاتية التي يحملها الافراد عن انفسهم في سياق نموهم . فعلى الرغم من توافر الفرص للتصاعد الاجتماعي وتجاوز المستويات الطبقية المتراكمة بالوراثة فان مواطن

طبقة اولى (طبقة عليا)
طبقة ثانية (طبقة عليا دنيا)
طبقة ثالثة (طبقة وسطى عليا)
طبقة رابعة(طبقة وسطى دنيا)
طبقة خامسة (طبقة دنيا)

والملاحظة الثانية التي تستأثر بالانتباه هي ان اهالي كفرارر شديدو الحساسية بالفروق الاجتماعية وشديدو الاستعداد للتغاضى عنها في الوقت نفسه . فطبيعة الترابط العائلي في هذا المجتمع لا تسمح لمسألة الفروق الطبقية بالبرور الى مستوى المواجهة العلنية الصريحة ، فالبحث فيها نوع من المحرمات .

ويضاف الى ذلك ان كفر ارر تشهد تحولا جذريا في رموز المكانة ومقاييسها بفضل فرص الثراء المتزايدة وتوزع الثروات والملكيات بشكل اعدل . ومع ذلك، فان التقليد الطبقي هو في ضمير كل فرد من افراد هذه البيئة، ويؤثر الى حد كبير في سلوكهم اليومي ومعاملاتهم المتبادلة . ومن مظاهر هذا التناقص تجاه هذه المسألة ان اهالي كفر ارر يتمارجون في الافراح والمآتم وكانهم عائلة واحدة او طبقة واحدة ، فالافراح والمآتم هي مناسبات يتناسى فيها الناس الفروق الاجتماعية والضغائن وما يمكن ان يكون هناك من اسباب للخلاف ، وهم يتخذونها فرصة لاعادة الود وازالة ما يكون قد تراكم من نفور وتباعد فيما مضى لسبب من الاسباب . ومن جهة اخرى ترينا الملاحظة السريعة ان التفكير الطبقي يعود الى الظهور في مسائل التزاوج وتبادل الزيارات الرسمية وتعاشر الاولاد ومسائل السياسة المحلية .

وهكذا يمكننا ان نقرر انه على الرغم من الصفة الشخصية في العلاقات وانعدام المراسيم ولا سيما في المناسبات غير الرسمية ، فان الاحساس بالفروق الطبقية آخذ بالنماء والتبلور ، وهو من العوامل المكونة للسلوك ونفسيات الافراد في كفر ارر .

ومنها ايضا دون اي ريب ضغط المصالح الطبقية ، التي ما تزال مغفلة في محاولات تفسير التطور التاريخي في مجتمعنا .

خلاصة

انطلقت هذه الدراسة من مبدأ التسليم بخطورة شأن الانتساب الطبقي في تفهم السلوك الفردي وسير المجتمع ككل ، موقنة بان نظام الادراك والتفكير والقيم الخاصة والعامة مرتبط ارتباطا وثيقا بالوضع الطبقي ونظام العلاقات الاجتماعية فيه .

وقصدت الى ابراز واقع الفروق الاجتماعية في بيئة لبنانية شبه ريفية آخذة بالتطور ، والاحساس بها كأحدالعوامل المقررة للتصرف الشخصي واقامة العلاقات مع الآخرين .

وكانت الحاجة : (١) الى جمع معلومات شتى عن البنية الطبقية فيهذه البيئة اللبنانية « كفر ارز » ، (٢) وتعيين عدد الطبقات فيها عن طريق تحكيم عدد من المطلعين عن كثب على حياة كفرر ارز ، (٣) وتصنيف عائلات كفر ارز بحسب هذه الطبقات وتعيين مرتبة كل طبقة منهم ، (٤) وابراز اهم العوامل التي تحدد تكون هذه الطبقات وتمايزها .

وبعد درس ما توافر من المعلومات ، ظهرت النتائج التالية :

آ — ان في كفر ارز نظاما طبقيا واضحا ، وان الافراد فيها يقوّم واحدهم الاخر بحسب مكانته ، مع العلم بوجود شعور واضح بالانتماء الى البلدة ككل .

ب — يشمل نظام الطبقات هذا اربع طبقات ، مع العلم بان دراسة ادق قد تكشف عن خمس طبقات .

ح — ان العوامل الرئيسية المكونة للطبقية هي : الاصالة العائلية ، الثقافة ، المهنة ، الثروة ، مع العلم بان للاخلاق والسن دورا لا يستهان به في ذلك .

د — ان النفوذ في قرارات السياسة المحلية هو من اهم مظاهر الوضع الطبقي للفرد .

كفرارر من ابناء الطبقات غير العليا ينمو وفي نفسه شعور بشيء من الضعة . فهو يبلغ ما يبلغ من مركز بعد كثير من الجهد الشخصي والعناء ، ويقتصر همه بعد ذلك على اقتناء بيت جميل وتأثيثه بما يليق بالمقام ويتناسب مع الدخل الحاصل ، وغالبا ما يكون ذلك على حساب تضحيات كثيرة يفرضها على نفسه ، فتمتنع عليه فرص التنعم الهين باطايب الحياة وتنمية الشعور بانه «ابن نعمه» يشارك رفاقه من ابناء الطبقات العليا الطمأنينة لمركزه والثقة بالنفس ثقة صافية . فهو قد يعتد بنفسه ويحفظ مركزه تجاه الناس ، ولكن شيئاً خفيا يبقى يعتمل في نفسه ليعيد اليه صورة الايام الماضية ويقعده عن فرض نفسه واثبات رأيه عمليا في المناسبات الرسمية التي تحتاج الى الثقة بالنفس . فهو يظل يحسّ بينه وبين رفيقه من الطبقة التي تعلو طبقته بالفارق نفسه الذي كان يفصل والده عن والد رفيقه . فالثقافة قد فرضت نفسها في كفر ارز كعامل من عوامل الارتقاء الاجتماعي وسهلت على الكثيرين محال الاثراء والاعتلاء ، ولكنها لم ترح بعد عامل الاصالة العائلية الذي خلفه لنا نظام العلاقات الاقطاعية وسيادة العائلات.

وقد يفسر ذلك الى حد ما واقع القيادة السياسية في لبنان التي لا تزال مقتصرة على ابناء العائلات ذات الحسب ، فالقيادة السياسية في لبنان لا تعكس طبيعة لبنان المتعلم ، بل هي انعكاس لما يستمر في مجتمعنا من بقايا النظام الماضي . ولكن سرعان ما بدأت الطبقات ذات السيادة التقليدية تدرك طبيعة التحول الحادث في رموز السيادة من الاصالة التاريخية الى الرسوخ الثقافي ، حتى تهافت بعض منها على العلم ليدعم اسس سيادة متداعية ويحييها .

وهكذا بالاضافه الى منبنى الطائفية ، والاقليات ، والمنبى العائلي ، يجب ان ندخل في حسابنا منبنى التوزع الطبقي وما يمكن ان يكون له من قوة في تسيير الامور في مجتمعنا وتحويلها . وفي ظني اننا بحاجة الى اعادة كتابة تاريخنا من راوية الفروق الطبقية وقوى الطبقات ، دون ان نكتفي بتاريخ التقلبات السياسية في اشكالها النهائية . وراء التطور السياسي تكمن قوى اساسية ، منها الولاء الطائفي ، ومنها الولاء العائلي ، منها الاتجاهات القومية ،

مكتبة الأبحاث

المسرح العربي – دراسات ونصوص

١. مارون النقاش – بيروت ١٩٦١
٢. الشيخ احمد ابو خليل القباني – بيروت ١٩٦٣
٣. يعقوب صنوع (ابو نضارة) – بيروت ١٩٦٣
٤. محمد عثمان جلال – بيروت ١٩٦٤

اختيار وتقديم الدكتور محمد يوسف نجم
نشر دار الثقافة – بيروت

– ١ –

الادب العربي الحديث اسم اصبح من المتعارف اطلاقه على آدابنا خلال المرحلة الاخيرة من تاريخ العرب وهي المرحلة التي تقترن بدايتها في اذهان المؤرخين بحملة نابوليون على مصر في اواخر القرن الثامن عشر وانفتاح الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط للمد الغربي المتعاظم . ومع العلم ان هذا الطور الاخير من آدابنا هو حديث بالمعنى الزمني ، فان وصفه بالحديث انما يتخطى ذلك ويقوم بالدرجة الاولى على كونه قد تبلور ، نتيجة تفاعله مع الثقافة الغربية الطارئة على البلاد العربية ، في كثير من الاساليب والانواع والاتجاهات الادبية الجديدة ، بعضها لا عهد لقديمه به على الاطلاق . فالرواية والقصة والمسرحية والسيرة بصورها الفنية فضلا عن مختلف الاساليب والنزعات النثرية والشعرية التي عرفتها العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، امور طارئة ، اصولها في

هـ — ان الثقافة تلعب دورا رئيسيا في تحويل سلم القيم الذى يعتمد في تصنيف المكانات وتسهيل الارتقاء الاجتماعي .

و — ما تزال الاصالة العائلية العامل الاول في تقرير الوضع الطبقي، على انها آخذة بالاقتران بالثقافة .

يبقى ان تتابع هذه الدراسة لابراز الفروق، ان كان ثمة من فروق، في نظام العادات والقيم واساليب اللهو والترفيه وطرق العناية بالاطفال من طبقة الى طبقة ، ونسبة التزاوج بينها .

والغرض الاخير من ذلك تكوين صورة واضحة عن نمو الفرد في بيئة لبنانية مثل كفر ارر وتفهمه، في سيره نحو الرشاد في مجتمع تعتمل فيه قوى اجتماعية مختلفة . فالتربية الصحيحة تتطلب تفهما عميقا لنفسية الفرد والعوامل التي تؤثر فيها .

جذورها الغربية الاصلية جذورا لها محلية تربط حاضرها عندنا بماضيها وتنقلها من مجرد ادب هجين مستورد الى ادب محلي ذي تاريخ وتقليد يمكنها التأصل فيه والتطور انطلاقا من قاعدته .

ومن باب تبيان هذه القاعدة المحلية التي تكونت للمسرحية في الادب العربي وفي سبيل الدلالة على هذا التاريخ العربي الذي اصبح لها، وجلوه ، خرج الدكتور نجم سنة ١٩٥٦ بكتابه القيم والاول في بابه عندنا : (المسرحية في الادب العربي الحديث) . فالكتاب يتناول المسرح العربي تاريخا وعرضا وتحليلا منذ نشأته على يد رائده الاول مارون النقاش سنة ١٨٤٧ وحتى الحرب الكونية الاولى . الا ان المؤلف ، وقد تناول تاريخ المسرح في الشرق العربي فترجم لرجالاته وعدد آثارهم وعرضها في سياق عام ، ملخصاً بعضها للتمثيل ومحاولا قدر المستطاع ، وفي اطار نقدي مقارن ، رد الكثير منها الى اصوله الغربية او الشرقية ، لم يشتمل ، بحكم حجمه والحدود التي رسمها لنفسه ، على النصوص المسرحية التي بني عليها . وهكذا يأتي عمل الدكتور نجم في (سلسلة المسرح العربي) وبعد خمس من السنين مكملا لما انجزه في كتاب(المسرحية) .

- ٣ -

ان هذه السلسلة التي ظهر منها اربع حلقات حتى الآن والتي لا نعرف عدد الحلقات الاخرى المزمع اصدارها ومواقيت ظهورها، تضم مختارات من النصوص المسرحية لأئمة هذا الفن في القرن الماضي واوائل هذا القرن وقد خص كل منهم بمجلد واحد ، يحتوي على دراسة تمهيدية بقلم المحرر علاوة على النصوص . امـــا الحلقات الاربع التي ظهرت حتى الآن مرقمة من ١ — ٤ فتبدأ بمارون النقاش وتنتهي بمحمد عثمان جلال مروراً بالشيخ احمد ابو خليل القباني ويعقوب صنوع (ابو نضارة) . والاربعة هؤلاء ورائدهم النقاش (١٨١٧ — ١٨٥٥) كانوا اول من ادخل هذا الفن الغربي الى العربية ابان القرن التاسع عشر ، وبلغوا به ، وبخاصة صنوع في مسرحيته « موليير مصر » وعلى الرغم من كونهم روادا ،

غير تاريخ العرب وتراثهم . ولعل في هذا اكثر من غيره سرّ تنكر الكثيرين للحديث من الادب العربي ووصمهم اياه بالهجين ، وسر تجاوزهم له الى الاخذ بما يعدّونه الادب العربي الاصيل في عصوره الذهبية التي بلغت ذروتها ايام بني العباس . والصراع بين هؤلاء المهجنين للادب الحديث وبين المنتصرين له والعاملين على اكسابه « شرعية » عربية يكاد يشكل السمط الذي انتظم قصة الادب العربي الحديث ومعظم رجالاته .

بيد انا وان اجزنا لانفسنا بصورة او باخرى ان نتلمس حلقة وصل بين الرواية والقصة والسيرة كما نعرفها اليوم وبين سليفات لها في الادب القديم كما في المقامات مثلا ورسالة الغفران والبخلاء والف ليلة وليلة والقصص الشعبي والسير وغيرها ، فنكسبها اصالة عربية ، فذاك ما لا نستطيعه بوجه من الوجوه في المسرحية . هنا ، على ما يبدو ، سر هذا التفاوت الذي نلمسه اليوم في ادبنا من حيث التمركز والتأصل والرسوخ بين حظ المسرحية من جهة وحظ رفيقاتها . فبينما تبدو الرواية والقصة والسيرة في ادبنا اليوم وكأنها كانت دائما هناك ، حتى ليصعب علينا ان نتخيل يوما كان ادبنا خلواً منها ، تبدو المسرحية من جهة اخرى وحتى الآونة الحاضرة متعثرة مستوحشة بدون جذور واسيرة المصاعب المستعصية ، رغم بذل محاولات عدة لتركيزها وتوطينها . من هذه الزاوية بالذات تبدو قيمة المجهود الضخم الذي يقوم به الدكتور محمد يوسف نجم في خدمة المسرحية في الادب الحديث عن طريق اخراجه وتقديمه للمكتبة العربية (سلسلة المسرح العربي – دراسات ونصوص) .

– ٢ –

ان الذي يتضح من عمل الدكتور نجم الادبي هذا انه يصدر عن حقيقتين كبيرتين يبدو ان المؤلف قد ادركهما بصفاء كليّ . اولاهما ان المسرحية – فوق كونها ضرورة اجتماعية – هي ايضا ضرورة ادبية ، لا يعتبر ادب ليست معتبرة فيه ، فلا يجوز ان نبقيها في بحوثنا الادبية على الهامش . ثانيتهما ان المسرحية ستبقى مستوحشة متعثرة قلقة في ادبنا العربي الحديث ما لم تستشعر ، الى جانب

مؤلفيها ومترجميها ؛ وفي الثاني؛ ذكر حفلات القباني المسرحية في مصر ما بين سنة ١٨٨٤ و سنة ١٩٠٠ ، بعد ان هاجر اليها .

اما حلقة يعقوب صنوع ، الثالثة في السلسلة ، فتضم سبعا من مسرحياته هي (وزصة مصر)، (العليل)، (ابو ريدة وكعب الخير)، (الصداقة)، (الاميرة الاسكندرانية)، (الدرتين [الضرتين]) و (موليير مصر ومـــا يقاسيه) ، بالاضافة الى مشهد هزلي قصير هو (السواح والحمَّار) . وهذه المسرحيـات ، ما عدا (موليير مصر) تنشر هنـا لاول مرة . وقد بين الدكتور نجم في كلمة تصدير كيف توصل الى تصويرها عن مخطوطة في حوزة السيـــدة لولي صنوا (صنوع) ابنة المؤلف في باريس، التي ما زالت تحتفظ بالكثير من آثار والدها . وفي كلمة تقديم للمجموعة اشار الدكتور نجم فيما اشار اليه ، الى انه لم يستطع ان يحافظ فيها على الصورة الاصلية للنص كما كان دأبه في الحلقات الاخرى . ذلك ان صنوع كان قد كتبها باملاء غريب يصعب على القارىء الحديث تتبعه ، وانه حاول ، بحسب طاقته ، نشرها بالاملاء الحديث . وقد الحق بالمجموعة من جهة ثانية جدولا بحواشٍ وتعليقات يعين القارىء على استجلاء نقاط كثيرة في النص، وخاصة ما يتعلق منها بالمفردات والاصطلاحات الايطاليـــة التي يكثر صنوع استعمالها بلا حرج في عاميته المصرية،وهي اللغة التي اعتمدها في جميع المسرحيات المنشورة .

وتضم حلقة محمد عثمان جلال – وهو الرائد المسرحي الثـــاني الى جانب صنوع في مصر الذين اعتمد العامّيَّة في مسرحياته – ستا من مسرحياته ، جميعها من النوع الكوميدي . خمس من هذه الكوميديات (الشيخ متلوف)، (النســاء العالمات)، (مدرسة الارواج)، (مدرســة النساء) و (الثقلاء) هي في الاصل لموليير وقد مصَّرها جلال معتمدا الصيغة الزجلية . اما السادسة (الثقلاء) فمن تأليفـه . وجميع هذه الكوميديات منشورة اصلا . وفضل الدكتور نجم الى جانب المقدمة القصيرة القيمة التي اشار فيها الى تواريخ صدور هذه الكوميديات والاوقات التي مثلت فيها والفرق التمثيلية التي اخرجتهـا والباحثين الذين عنوا

ذروة فنية لا يبدو حتى الآن انه تجاوزها .

تضم حلقة النقاش ، بالاضافة الى دراسة الدكتور نجم التمهيدية التي تتناول حياة الرجل وآثاره ونشاطه المسرحي والى كلمة موجزة يشرح فيها قصة السلسلة واهدافه منها ، المسرحيات الثلاث التي ظهرت للنقاش خلال حياته القصيرة وهي « البخيل » « ابو الحسن المغفل »و « السليط الحسود » . كما تشتمل على فهارس للالحان التي اعتمدت في هذه المسرحيات وعلى دعاء هو كناية عن نشيد صغير نظمه النقاش لكي ينشده الممثلون في بدء تمثيليته الثالثة والاخيرة (السليط الحسود) التي افتتح بها مسرحه الجديد . والحلقة هذه بما احتوته من نصوص للنقاش ، يمكن ان تعتبر نشراً مجدداً، نحن في حاجة اليه لـ (ارزة لبنان) ، وهو الكتاب الذي جمع فيه نقولا النقاش ابن اخ مارون آثار عمه بعد مماته وقدم لها وطبعها سنة ١٨٦٩ مطاقا عليها اسم «الارزة» التي كان مارون قد اتخذها شعارا لمسرحه الجديد . وحبذا الحال لو ضم الدكتور نجم الى هذا المجلد مقدمة نقولا النقاش لكتابه « ارزة لبنان » فهي بما تضمنته من تفصيلات عن حياة مارون وعن الظروف التي احاطت بنشأة مسرحه والصعوبات التي لاقاها والقوى التي اعتمدها، لا تقل شأنا في تفهم النقاش العم والاحاطة باعماله من اثاره نفسها . كما ان عدم تيسرها للمهتم بالمسرح العربي – وهي تكاد تكون غير متيسرة – خسارة لا يسدها حضور تلك الآثار .

اما الحلقة الثانية المخصصة للشيخ احمد ابو خليل القباني ، رائد المسرحية في سوريا ، فتضم ثماني مسرحيات بين مؤلفة ومترجمة ومقتبسة ، من اصل خمس عشرة يقول الدكتور نجم انها عدد مسرحياته . وهذه الثماني هي (هارون الرشيد مع الامير غانم بن ايوب)، (هارون الرشيد مع انس الجليس)، (الامير محمد نجل شاه العجم)، (عفيفة) (عنتر بن شداد)، (لباب الغرام)، (حيل النساء)، و (ناكر الجميل) . وقد قدم الدكتور نجم لهذه المسرحيات بكلمة موجزة عن حياة القباني وطبيعة مسرحه . كما الحق بالمنتخبات كشفين مفصلين ، في الاول منها عنوانات المسرحيات التي مثلها القباني على مسرحه من غير تأليفه مع اسماء

وتوزيع ادوارها فهماً صحيحاً الا اذا الم بصورة المسرح (الاليز ابيثي) وان عشرات الفصول والكتب الفت وما زالت تؤلف فيهذا الموضوع،ادركنا الى اي حد هو ضروري من اجل الالمـــام بالهيكل الذي اتخذته مسرحيات النقاش او القباني او صنوع ، ان تكتمل في اذهاننـا صور المسارح التي كانت لديهم . ففي مسرحيات النقاش مثلا ، بالاضــافة الى ادوار الاشخاص المعنيين الذين تقوم عليهم التمثيلية ، دور او ادوار تؤديها (الجوقة) . فنحن وان كنا ندرك بفضل معرفتنا لطبيعة المسرح الاغريقي وتقاليده ، على وجه المثال، طبيعة هذه الجوقة فيه ووظيفتها ومكانها على المسرح وعلاقتها بسير الاحداث، فانا لا نستطيع ذلك في مسرحيات النقاش . ثم انه ليصعب على المتتبع للمسرحية بدون صورة واضحـة للمسرح الذي كتبت له ، ان يفهم الحركة فيها وما يتفرع على ذلك من ترابط الاحداث وتوزيع المشاهد .

شيء آخر لا تساعد دراســات الدكتور نجم – حتى الان – على فهمه بوضوح وهو علاقة التمثيل بالغناء وخاصة في مسرحيــات النقاش . هل كان الانشاد فيهـــا مقتصرا على الجوقة فقط ام كان الممثلون جميعا يؤدون ادوارهم غناءً ؟ واذا كان الاحتمال الثــاني هو الصحيح تحتم على الدكتور نجم وعلينا ان نغير مفهومنا لمارون النقاش فنقلع عن اعتباره رائد المسرحية في الادب العربي ، كما نفهم المسرحية ، وندرسه باعتباره موحد الاوبرا العربية الاول . والذي يشجع على المضي في هـذا الاتجـــاه ، مــا اعلنه النقــاش نفسه في خطبة قدم بها مسرحيته او « اوبراه » الاولى «البخيل» كما هو وارد في «ارزة لبنان» حيث يعرض انواع الفنون المسرحية التي عرفها في اوروبا من كوميديا ودراما (كذا) وتراجيديا واوبره ، ثم يعلن انه فضل لنفسه في « البخيل » الاخـيرة « وهي التي في فلك الموسيقى مقمرة » .

ثم ان النقاش وصنوع وجلال قد اعتمدوا في معظم آثارهم اللغــة العامية مصرية اكانت عند الاخيرين ام لبنانية عند الاول . وذلك ما يشكل عقبـــة تكاد تكون كأداء في وجه القارىء الذي وضع الدكتور نجم آثارهم بين يديه

بدراستها ودراسة مؤلفها – هو انه قد اعاد طبعها مجتمعة منسقة بعد ان نفدت طبعاتها الاولى واصبحت في طور الاندثار .

– ٤ –

من حسن طالع المسرحية العربية ، ولا شك ، ان يتولى دراستها والتأريخ لها ونشر تراثها بحاثة كالدكتور محمد يوسف نجم . فهو الوحيد بين اساتذة الادب العربي الحديث ، بحسب معرفتي ، الذي تصدى لدراسة الادب المسرحي في دنيا العرب بمثل هذه المنهجية الصحيحة وهذا الشمول الذي درسها به . فسلسلة (المسرح العربي) اذا اكتملت حسبما هو مقرر – وليس ما يدعو الى الاعتقاد بانها ستتعثر – واشتملت على آثار الباقين من ائمة هذا الفن في القرن التاسع عشر ومطلع العشرين كسليم النقاش ونجيب الحداد وفرح انطون وغيرهم ستشكل ، انطلاقا من كتاب (المسرحيـة) في الادب العربي الحديث ، صورة متكاملة وممتازة لهذا النوع الادبي ليست لغيره من ضروب آدابنا الحديثة . وقد نذهب ابعد من هذا فنقول : ان منهجية الدكتور نجم في دراسة المسرحية تصلح كنموذج حي يجدر اتباعه في دراسة الانواع الجديدة الاخرى في آدابنا الحديثة كالقصة والسيرة والرواية . وقد قام الدكتور نجم ايضا في هذا المجال بخطوات اولية مباركة ومشجعة .

غير انا وان وصفنا عمل الدكتور نجم هذا بانه متكامل فذاك لا يعني اننا نعده كاملا . فهناك امور ضرورية في نظر المهتم بالادب المسرحي وتاريخه – اي ادب مسرحي – لا يبدو ان عمل الدكتور نجم قد وفرها له . فلا كتاب (المسرحية في الادب العربي الحديث) مثلا ، ولا المقدمات التي كتبها الدكتور نجم للحلقات التي ظهرت حتى الآن من (سلسلة المسرح العربي) تحاول ان تلمّ بجغرافية المسرح او المسارح التي اعتمدها مسرحيُّونا في تشخيص تمثيلياتهم. فنحن ان عرفنا مثلا ان احدا لا يستطيع ان يفهم البناء الفني لمسرحيات شيكسبير

كعادة على قسمين : قسم باللغة العربية وآخر باللغات الغربية ، ويقع في ٣٣٩ صفحة منها ٢٢٦ بالعربية و ١٠٣ باللغات الغربية .

يستهل القسم العربي سكرتير تحرير المجلة فينعى المأسوف عليه الدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار العام سابقا ، ويشيد بمآثره العلمية وبالخدمات الجليلة التي اسداها الى العراق والبلاد العربية قاطبة . ويلي ذلك تقرير من مدير الآثار السابق الاستاذ طه باقر يسرد فيه الاعمال التي قامت بها مديرية الآثار العامة من كشوف وبحوث واعمال صيانة في المستنصرية وعقرقوف وتل حرمل وبابل والحضر وزقوره اور وسامراء والاخيضر . ثم يصف الاستاذ باقر التنقيبات التي جرت في نفر وتل الضباعي ، والعثور على لوح رياضي في الموقع الاخير له شأن كبير .

وفي المقال التالي يتمم الاستاذ فؤاد سفر مفتش التنقيبات العام بحثه في الكتابات الارامية التي وجدت في الحضر ويبحث في معاني الكلمات غير المألوفة وفي اسماء الأعلام التي وردت في النصوص المذكورة . وهو بحث جليل النفع يدل على مقدرة الاستاذ سفر وتضلعه من اللغات السامية .

ويليه القسم الاول من مقال للاستاذ سعيد الديوهجي مدير متحف الموصل يصف فيه المدارس التي انشئت في الموصل في العهد العثماني ، ثم مقال عن الآثار التي احرزها مؤخرا المتحف العراقي في بغداد بقلم الدكتور فرج بصمه جي مدير المتحف العراقي .

وفي المقال التالي دراسة طريفة في تاريخ الالبان للاستاذ حسين طه النجم يتناول فيها صناعة الالبان في العصور القديمة ويتطرق الى صناعة الالبان عند العرب . اما الشيخ محمد حسن آل ياسين فيصف وصفا دقيقا المشهد الفاطمي في العصر العباسي ويسرد تاريخه منذ العهد الكاشي الى العصر العباسي ويستشهد بالحوادث التاريخية استكمالا لبحثه .

كان المرحوم الاستاذ ناصر النقشبندي قد قام بوصف الدنانير الاسلامية

وتتفاقم الصعوبة بصورة خاصة اراء النقاش وجلال لان معظم ما كتبه الاول وجل ما كتبه الثاني في مجموعتيها موضوع شعرا ، ولا سبيل الى تذوق الجمال الادبي في آثارهما - كي لا نقول المعنى ايضاً - ان لم تستقم القراءة . فالذي يؤسف له ان الناشر ، ومع ما تتطلبه هذه المهمة من وقت وجلد وعناء ، لم يبذل اي جهد يذكر في التسهيل على القارىء الحديث مهمته اما بوضع مصطلح للقراءة واما بضبط النصوص شكلا . ويبدو انه كان اول ضحية لاغفال هذا العمل عندما حكم على مارون النقاش بأن « اوزان الشعر (لديه) قد تناثرت قطعاً » . والذي يصبر على قراءة ابيات النقاش عاميها وفصيحها فتتيسر له قراءتها بالشكل الذي اراده لها النقاش وبغض النظر عن متطلبات القواعد ، يجد ان اوزان الشعر فيها ليست متناثرة وان التناثر في اغلب الاحيان لا يأتيها الا نتيجة تعثر في القراءة .

ومهما يكن من امر فان هذه التعليقات ، ان اصابت ، انما نسوقها لا للتقليل من قيمة العمل الممتاز الذي قام به الدكتور نجم بل للتدليل على قيمة ما يمكن ان يضيفه اليه الذين يقتفون خطاه . وحسب الدكتور نجم فضلا ، انه ركز دراسة المسرحية العربية على اصول قوية فصار بامكان الباحثين فيها ان يصرفوا اهتمامهم الى الفروع .

نديم نعيمه

مجلة سومر

- الجزء الاول والثاني من المجلد الثامن عشر من مجلة سومر
مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه - تصدرها مديرية
الاثار العامة في الجمهورية العراقية باللغة العربية واللغات العربية.

طلع علينا الجزء الاول والثاني من المجلد الثامن من مجلة سومر العراقية وهما حافلان بالبحوث والمقالات النفسية في آثار العراق وتاريخه . يحتوي المجلد

الاسلامية سابقا ، يصف فيه مرقد الشيخ محمد بن سكران ، ويليه نعي المرحوم السيد ناصر نفسه ، بقلم الاستاذ سالم الالوسي سكرتير مجلة سومر .

وفي كلمة وجيزة يصف الاستاذ كاظم الجنابي الملحق في مديرية الآثار العامة محوتة دربندى رامكان وتقرير عن التنقيب حول المئذنـــة المظفرية في اربيل والمراحل التي مرت على هذا المكان منذ العصر الاموي حتى القرن الثاني عشر الميلادي ثم كلمة اخرى للمرحوم كامل حسين موضوعهـا « التنقيب حول المئذنة المظفرية في اربيل . »

ويختتم القسم العربي في المجلد الاستاذ سالم الالوسي بنبذة احصائية عن اعمال مديرية الآثار العامة بجميع شعبها واقسامها .

اما القسم الغربي فيحتوي على ترجمة باللغة الانكليزية لنعي المرحوم الدكتور ناحي الأصيل والمقدمة الواردة في القسم العربي بقلم الاستاذ طه باقر وكلمـــة الدكتور بصمه‌جي عن الآثار التي احرزها المتحف العراقي . وعدا ذلك هنالك تقرير موجز بالالمانية عن حفريات الوركاء بقلم الدكتور هـ . ج . لنزن وبحث في بعض النصوص المسمارية في متحف بغداد بقلم السيد ح . فان دايك Van Dijk وبحث آخر بالانكليزية عن الهندسة المعمارية في العراق قديما وحديثا يشرح فيها المهندس يوفان كرونيك نشوء المنـازل في بغداد وتطورها مع الزمن ويشير الى العوامل التي افرغت المنازل البغدادية في شكلها الحالي .

يلي ذلك بحثان للاستاذ حـافييه تكسيدور يعالج فيها الكتابات السريانية السحرية في المتحف العراقي وكتابات اخرى بالخط التدمري .

ثم يصف الدكتور هوارد نلسون ، في مقاله – طرق الري القديمة في جنوب العراق والمهملة حديثا . وفي المقال الاخير بحث للاستـاذ بيدر مورتنسن يعالج فيها تواريخ الزراعــة في القرى الصغيرة التي ترتقي الى العصر الحجري الحديث أمثال جارمو وحسونة مستعينا بتطور صنـاعة الخزف . ثم يلي ذلك ملاحظة للسيد جون هسون سميث عن مسكوكات الايلنخانيين والجلائرة ونبذة تاريخية

والدراهم الاموية في مقالات وافية في المجلدات السابقة لمجلة سومر ، ونتمة لبحثه اخذت السيدة وداد القزار تصف الدراهم العباسية ، وقد خصت هذا الجزء من مجلة سومر بدراسة الدراهم المضروبة في زمن الخليفتين السفاح والمنصور . وفي المقال اللاحق تقرير للاستاذ محمد باقي الحسيني عن حفريات تل بكر آوه حيث قام الاستاذ بسبر ثماني طبقات بنائية انشئت في عصور متفاوتة . فبعد ان سرد الاسباب التي حدت الى اختيار هذا الموقع وصف الابنية بالطبقات الثمان والآثار التي وحدت فيها وحدد تاريخ الطبقة الثامنة — وهي أقدم الطبقات المكتشفة في الموقع — بالقرن الثامن عشر قبل الميلاد ودوام« حضارة مستمرة متطورة »فيه، حتى القرن الخامس عشر . ثم هجر الموقع مدة سبعة قرون وفي القرن الثامن قبل الميلاد اعيد بناء المدينة لمدة وجيزة وهجرت ثانية حتى القرن العاشر الميلادي ، حيث سكنت لمدة قرنين ثم هجرت مرة اخرى حتى زاول الاستاذ الحسيني حفرها واظهر معالمها . والتقرير رائع ومسهب ومزود بالخرائط والرسوم والصور الضوئية مما يسهل على القارىء تتبع الوصف بدقة وسهولة .

ان بادية الشام حافلة بالنصوص الصفوية والكوفيـة . فلقد عثر على كثير من هذه النصوص في جاوى وجبل اسيس ، وقد نشر بعضها ، واما البعض الآخر فقيد البحث والنشر (راجع المقالين الاولين في هذا الجزء من الابحاث) . ومن ضمن هذه النصوص الكتابة التي وجدهـا احد ضباط الجيش العراقي بصحراء الرطبة فقرأها وترجمها وعلق عليها الاستاذ عادل ناجي الملحق في مديرية الآثار العـامة .

وفي المقالين التاليين، الاول للاستاذ حازم محمد النجفي والثـاني للاستاذ شاه الصيوالي ، وصف في لاعمال الصيانة التي اجرتها مديرية الآثار العـامة في معبد اي — ماخ في بابل وفي مدينة اور ، ويلي هذا بحث وحيز في فن صناعة العاج في الشرق الاوسط منذ اقدم العصور للانسة لمياء الكيلاني .

يلي هذا آخر مقال كتبه المرحوم ناصر النقشبندي مدير المسكوكات والابحاث

الا ان العقد الثاني من القرن الحـــالي شهد فجر النهضة يلقي ضياءه على المغرب . وقد عمل على ذلـك اسباب اجملها المؤلف الفاضل في الاهتمام بالتعليم الحديث والدعوة السلفية الاصـــلاحية على يد ابي شعيب الدكالي وهبوب رياح الدعوة الاسلامية الاصلاحية من الشرق والحماية الفرنسية .

هذا الفجر يستمر حتى يتخطى نفسه ويصبح انطلاقة تامة في العقدين الرابـع والخامس، ثم تشتد الانطلاقة عنفا بعد ذلك منذ الحرب العالمية الثانية . فتتنوع وسائل التعبير ، كما تتعدد صيغه ، وتكثر الموضوعات وتتفرع وتتشعب . فالمقالة والقصة والاقصوصة تستعمل اوعية للافكار . والموضوعـات تصبح سياسية وعلمية وادبية واجتماعية . وتكتب الرواية التمثيلية لتوضح الاتجاهات . ومـع ما اصاب هذه الامور كلها من النهوض ، فقد كانت نهضة الشعر اقواها . فالشعر يظل ديوان العرب الافضل . وتظل عنايتهم بـه تحتل المكان الاول في اساليب تعبيرهم . والاستاذ كنون يؤكد على هـذا ، ولذلك فهو حريص على ان يوضـح تطور الشعر غرضا ولغة وأسلوباً . فهو يقول في ذلك :

« وقامت النهضة الحديثة فهزت الشعر هزا عنيفا تناول بنيانه من القاعدة ، فكان الشعر الحـر والشعر المنثور فضلا عن اندفـاع الشعراء في العمل بمنتهى الحرية طبق المخطط الذي وضعه الاندلسيون من نظم قصائدهم على اكثر من بحر وبمختلف القوافي . هـذا في القالب ، وفي المحتوى ظهرت فنون من القول وصور من البيان ، لم يكن للشعر العربي بهـا عهد كالشعر القصصي والتمثيلي ، وامتـد النفس في وصف الطبيعة والتعبير عن ادق المشاعر الانسانية والعواطف القلبية ، واختفت الموضوعات الشعرية القديمة او كادت ، وما بقي منها لاقتضاء المناسبات الاجتماعية بقاءه ، صار وسيلة لبث الافكار الاصلاحية وبعث الروح الوطنية . ومن ثم وجـــد هذا الباب الجديد من الشعر القومي او الوطني الذي خلف باب الحماسة في الشعر العربي القديم والذي قلنا عنه سابقا انه طغى على جميع الاغراض الشعرية في هذا الجيل حتى كاد يكون هو الشعر كله » .

عن تاريخ الايلنخانيين . ويثير في ملاحظة اخرى السيد د . ونتون ، من متحف العلم في لندن ، مسألة وجود بطاريات كهربائية منذ الفي سنة ، والملاحظة ، فيما يبدو ، اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة . وفي آخر القسم ترجمة كلمة الاستاد سالم الالوسي عن اعمال مديرية الآثار العامة باللغة الانكليزية .

ديمتري برمكي

احاديث عن الادب المغربي الحديث

عبدالله كنون - معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة

من الكتب ما تقرأه للمتعة ، ومنها ما تقرأه للمنفعة ومنها ما تقرأه مصدرا تستعين بمادته على التعرف الى الحجارة التي تقيم منها بناء. والكتاب الدي بين ايدينا الساعة يجمع بين هذه كلها . ففيه متعة سرها هدا اليسر الدي ينقل الينا المؤلف فيه اراءه ، وهذه السهولة التي يعبر بها المؤلف عما يجول في نفسه . وفيه نفع لاننا نتعرف من خلاله الى تطور الأدب المغربي منذ فجر نهضته التي لا تتجاوز نصف القرن الى الآن . وفيه المادة الخام نفسها لأن المؤلف يستشهد بالمقطعات الشعرية والمختارات النثرية الكثيرة .

والكتاب من وضع الاستاد عبدالله كنون، وهو بحاثة منقب يغوص على المعرفة في مظانها الاصيلة القديمة ، ولا يعود الا وقد حمل منها الكثير . فهو كالشجرة اليانعة الثمر، لا تكاد تقترب منها حتى تملأ يديك من خيراتها .

يقرر المؤلف في اول كتابه ان المغرب لم يشهد تحولا فكريا في منتصف القرن التاسع عشر على نحو ما تم للشرق العربي . دلك بأن المغرب ضربت عليه عزلة اقصته عن التيارات المثيرة للفكر ، سواء في ذلك تيارات الغرب الاوروبي وتيارات الشرق العربي. ومن ثم فقد جاء فجر النهضة في المغرب متأخراً عنه في الشرق نصف قرن او يزيد .

بهامش « كتاب الديباج المذهب » وابن حجر العسقلاني « في الدرر الـكامنة » وجلال الدين السيوطي في « بغية الدعاة». وقد وصف في « الاحاطة » بأنه من صدور العلماء واعلام الفضلاء... عارفاً بالاحكام والقراءة ، مبرزاً في الحديث تاريخاً واسناداً وتعليلا وتجريحاً ، حافظاً للانساب والكنى ... تقلد الشياخـة ببلده مالقة ناظراً في امور الحل والعقد ... ثم ولي القضاء والخطبة بغرناطة ... ودرس العربية والفقه والاصول ، واقرأ القرآن ، وعلم الفرائض والحساب ... » وقد فرغ المؤلف من تأليف « التمهيد والبيان » في ٢٥ ذي القعدة سنة ٦٩٩ .

اعتمد الدكتور رايد في نشر هدا الكتاب النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٢٣ تاريخ م في ١٢٤ ، كل لوحة في شطرين ، واقتصر عليها لانه لم يتصل بعلمه أن هناك نسخاً اخرى . وكان المؤلف قـد اضاف الى ابواب الكتاب الاثني عشر ، باباً في ذكر ذم الرافضة ، ولكن الدكتور زايد تجاور عنه مقتصراً على اخبار عثمان .

ويبدو من مقدمة المؤلف انه اعتمد في كتابه هذا اكثر ما اعتمد على كتاب الطبقات لابن سعد ، وكتاب الفتوح لسيف ابن عمر التميمي ، وكتـاب الشريعة لابي بكر محمد بن الحسين الآجري ، وكتاب المقتل لعمر بن شبه النميري وكتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير . وثمـة مراجع اخرى اشار اليهـا المؤلف وهي كتاب الامة لأبي نعيم ، وكتاب الاطراف لأبي مسعود الدمشقي ، وكتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي ، وكتاب الارشاد في اصول الدين لابن عقيل ، وتاريخ الجورقاني ، وجامع المسانيد للحافظ ابن الجوزي صاحب المنتظم .

فالمؤلف العالم جمع في كتابه طائفة كبيرة من اخبـار عثمان كانت موزَّعـة في كتب المؤرخين واصحاب السير ، واستند ايضاً الى مرجع مفقود وهو كتاب الفتوح لسيف بن عمر فجاء مصححاً في عدد غير قليل من الاماكن لروايات سيف عند الطبري في تاريخ الرسل والملوك طبع لندن والقاهرة.

ولكن المحقق وجد عوناً كبيراً في الطبري على تحقيق روايات سيف لأن في

والمؤلف حريص على نقل النماذج التي تبين رأيه وتقوي حكمه . وهذه النماذج جزء هام من الكتاب . ولسنا نطمع في ان ننقل للقارىء الكريم اكثر من نقطة من بحر . فمن ذلك مقطوعة من قصيدة عاطفية لعبد السلام العلوي :

وجهك الوضاح للقلب	نعيم وهناء
تركن الروح اليه	فتناجيها السماء
ويغيم الفكر حيناً	فاذا هو ذكاء
فهو في الافراح فيض	وهو في الحزن عزاء
كلما اظلم افقي	شع لي منه ضياء

* * *

لحظك الساجي لاعصام	بي هدوء وسكون
انهل الراحة منه	ان امضتني الشجون
واری فیه رشادي	ان رمت بي الظنون
فاذا غاض شعوري	كان لي منه معين
واذا ما حار لي	جاءني منه اليقين

نقولا زياده

التمهيد والبيان

في مقتل الشهيد عثمان

تأليف : محمد بن يحيى بن ابي بكر – حققه الدكتور محمود يوسف زايد – ٢٧٧ صفحة مع الفهارس – نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت، ١٩٦٤

هذه حلقة اخرى في سلسلة نشر المخطوطات العربية القديمة يرحب بها كل عالم معني بدراسة التاريخ العربي واحداثه ، استناداً الى أصوله . ومؤلف هذه المخطوطة (٦٧٤ – ٧٤١ هـ) عالم مالقي (مالقة ، الاندلس) ترجم له محمد لسان الدين ابن الخطيب في « الاحاطة في اخبار غرناطة » والشيخ ابو الحسن النباهي المالقي الاندلسي في « تاريخ قضاة الاندلس » وابو العباس التنبكتي



مخطوطة «التمهيد والبيان» تصحيفاً كثيراً .

وقد الحق المحقق الناشر بالكتاب ثلاثة فهارس تسدي الى القارىء والباحث عوناً كبيراً في المراجعة وهي فهرس الاعـلام وفهرس الاماكن وفهرس القبائل والوقائع والأيام والمؤسسات .

كتاب هذا الجزء من الابحاث

– محمد ابو الفرج العش من مواليد دمشق سنة ١٩١٦ تخرج من دار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٣٤ وعمل في التعليم الابتدائي حتى سنة ١٩٤٦ . – انتسب الى الجامعة السورية ، كلية الآداب ، فرع التاريخ والى كلية التربية واخير في كلتيهما سنة ١٩٥٠.

شغل منصب مدير التربية والتعليم في محافظـة دير الزور سنة ١٩٥١ . درّس التاريخ في ملاك التعليم الثانوي في سنتي ١٩٥١ – ١٩٥٣ .

انتقل الى ملاك المديرية العامة للآثار والمتاحف سنة ١٩٥٣ وشغل وظيفة محافظ فرع الآثار العربية الاسلامية في المتحف الوطني بدمشق. تم منصب محافظ المتحف الوطني بدمشق سنة ١٩٥٥ حتى اليوم .

ألقى محاضرات في التاريخ الاسلامي في كلية الشريعة من جامعة دمشق في سنتي ١٩٥٨ و ١٩٦٠ – الف كتاب التاريخ الاقتصادي لمدارس التجـارة في سورية . وألف كتاب «آثارنا» وهو كتاب مختصر عن آثار سورية. كتب مقالات تاريخية وأثرية عديدة في مجلة الحوليات السورية منذ سنة ١٩٥٣ حتى سنة ١٩٦٣ . وكتب في مجلات عربية مقـــالات أثرية وثقافية وفي مجلة Muslem مقالاً متحفياً ، وفي مجلة An Orientalis مقالاً علمياً أثرياً .

الدكتور ديمتري برامكي – استـاذ التاريخ القديم وعلم الآثار وامين متحف الآثار في الجامعة الاميركية في بيروت .

الدكتور نعيم عطية – احد اساتذة دائرة التربية في الجامعة الاميركية في بيروت .

الدكتور نديم نعيمه – احد اساتذة الادب العربي الحديث في دائرة اللغة العربية في الجامعة الاميركية في بيروت .

الدكتور نقولا زياده – استاذ التاريخ العربي الحديث في دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت .

السنة ١٧ — الجزء ٤ كانون الاول ١٩٦٤

الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

رئيس التحرير : فؤاد صروف

فهرس

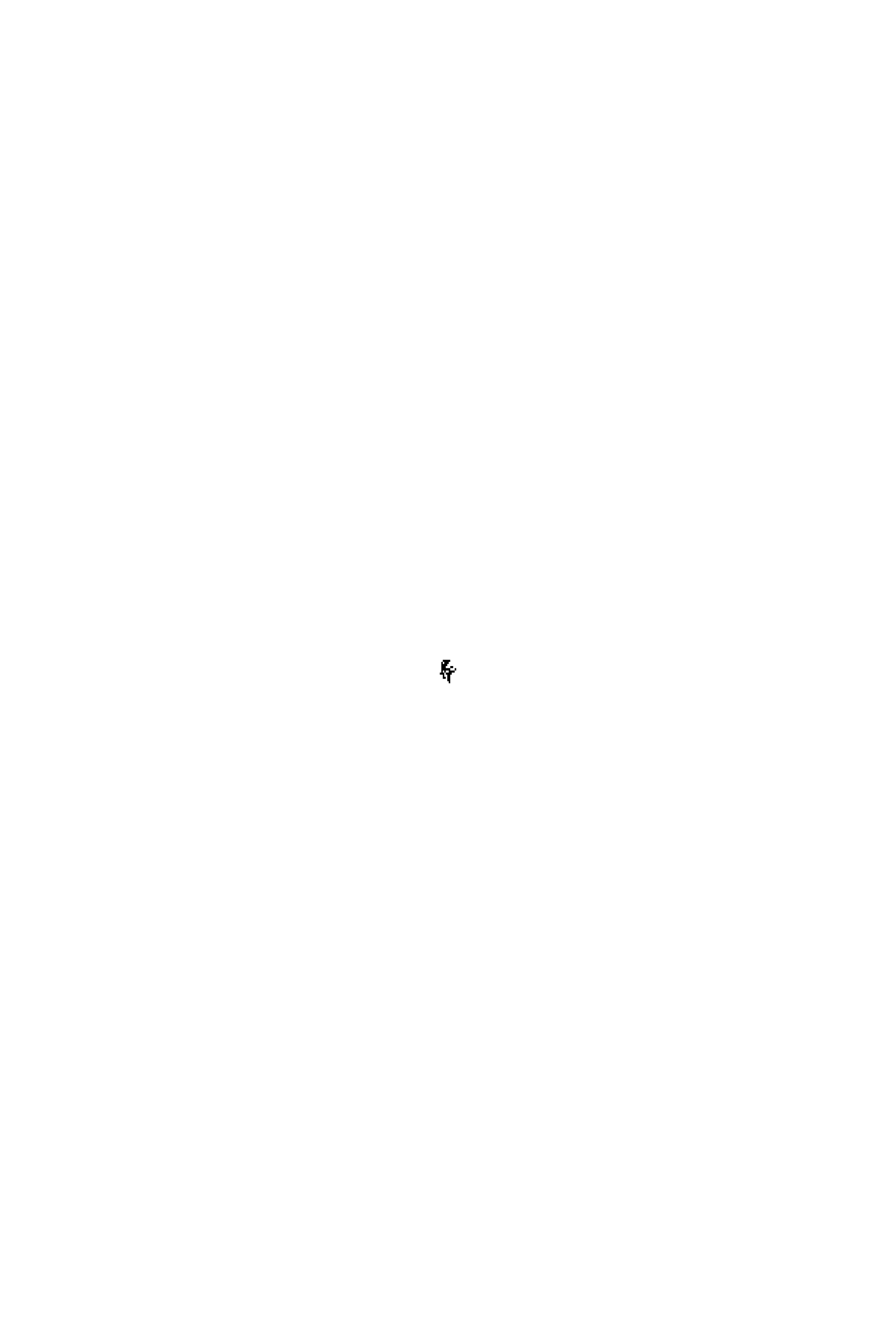
مكتبة الابحاث

مراجعات للاستاذين : جميل صليبا ، نبيه امين فارس

كتب عربية أضيفت الى مكتبة نعمة يافث التذكارية في الجامعة الاميركية
ايار — تشرين الاول ١٩٦٤

الناشرون





الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

«الابحاث» مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت اربع مرّات في السنة ، وهي منبر حرّ لاهل الفكر ولكنها لا تتحمل تبعة الآراء التي تنطوي عليها بحوثهم ، وهي تدعو الباحثين والكتّاب الى التعاون معها في خدمة البحث العلمي والمعرفة الصحيحة وبخاصة في شؤون الشرق العربي .

بدل الاشتراك في السنة : تسع ليرات لبنانية او ما يعادلها تدفع عند طلب الاشتراك او تجديده لأمر رئيس التحرير . جميع المراسلات الخاصة بالتحرير والادارة ترسل الى مكتب رئيس تحرير «الابحاث» ، الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ، لبنان .



السنة ١٧ – الجزء ٤ رئيس التحرير : فؤاد صروف كانون الاول سنة ١٩٦٤

حضارة العرب في القرن الثاني عشر

نبيه امين فارس

تقتصر هذه الدراسة ، حسب طبيعة الحال ، على تلك المناطق من العالم العربي التي تحتلها الحروب الصليبية ، حيث التقى الشرق والغرب والمسيحية والاسلام ، والعرب والفرنجة ، وجها لوجه ، احيانا في صراع دموي ، وفي فترات سلمية احيانا اخرى . وتقع هذه المناطق فيما يدعى الآن بالهلال الخصيب ومصر، على الرغم من ان الجزء الشرقي من الهلال بقي على هامش الاحداث معظم الوقت . ووقعت حوادث هذه المأساة على سواحل المتوسط الشرقية ، من انطاكية شمالا الى عسقلان جنوبا .

واما من حيث الزمن فان هذه الدراسة تعنى بالقرن الثاني عشر ، ومع ان احتلال القدس تم قبل بداية هذا القرن بسنة الا ان التطورات الاجتماعية

فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم ، فمنهم من حرم ومنهم من انجح ، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال ، فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم » . [٢]

ولقد كان المسلمون المشارقة منقسمين من حيث الولاء في بداية الحروب الصليبية بين الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في القاهرة ولم تستطع اية منهما ان تسيطر على البلاد كليا . وصار الخلفاء العباسيون بمثابة سجناء في ايدي السلاجقة الذين استجابوا ، قبل نصف قرن تقريبا ، لاستغاثة القائم لانقاذ الخلافة من البويهيين الموالين للشيعة . والحقيقة ان السلاجقة حلوا محل البويهيين سنة ١٠٥٥ م وانقذوا عرش الخلافة المحتضر ونفخوا فيها آنذاك روحا جديدة ، خصوصا خلال حكم طغرل بك (١٠٣٧ — ١٠٦٣ م) والب ارسلان (١٠٦٣ — ١٠٧٢ م) وملكشاه (١٠٧٢ — ١٠٩٢ م). وقد اتى هؤلاء السلاجقة بطبيعة الحال كمنقذين ، ولكنهم ، كما يحدث غالبا بقوا كمحتلين ، ودامت سيطرتهم على الخلافة حتى نهاية العقد الاخير من القرن الثاني عشر ، واضعف تنازعهم الدائم الخلافة ، واطمع الغزاة الافرنج في البلاد . فحين سقطت القدس في ايدي الفرنجة سنة ١٠٩٩ م جاء منها وفد اسلامي الى بغداد طالبا عون الحكومة المركزية ولكنه لم يتلق سوى العواطف من الخليفة والدموع من الشعب المتألم . ولم يكن لدى السلطان بركياروق الذي احال اليه الخليفة هذه القضية ، اي شيء يقدمه . وبعد ذلك بتسع سنوات (١١٠٨ م) قدم بغداد وفد آخر من طرابلس ، وكانت محاصرة من قبل الفرنجة ، غير ان حظه لم يكن بافضل من حظ الوفد السابق . ولما انبرى السلطان محمد شاه وسار (١١١١ م) على رأس حملة لنجدة حلب ضد الفرنجة عاثت جيوشه « في بلادها وفعلوا اقبح من فعل الفرنج » . [٣]

ولو اقتصر الأمر على طغيان السلاطين السلاجقة على الخلافة لهان الأمر ، ولكن اندلاع نيران الصراع بين امراء البيت السلجوقي ولا سيما بعد وفاة ملكشاه

والاقتصادية والثقافية لا تبدأ او تنتهي فجـــأة ، فاصولها عريقة تعود دائما الى الماضي القديم ، وتستمر بعد نهاية قرن وبداية آخر . ولهذا السبب فان هذه الفترة تتجاوز في بعض الاحيان حدود القرون الزمنية الرتيبة . فهي تقع ، على وجه التقريب ، بين وفاة الغزالي (١١١١ م) ووفاة ابن ميمون (١٢٠٤ م)

وكلا هذين العلمين ، غير عربي جنسا ، ولكنهما من حيث الثقافة خير ممثلين للفكر الفلسفي العربي خـــلال هذه الفترة . فليس لكلمة عرب دلالة عرقية ، وهي مستعملة هنا كما يجب ان تستعمل دائما في الفترة السابقة لنشوء القومية العربية ، لتدل على ذلك الجزء من تراث الجنس البشري الثقافي والعلمي المدون باللغة العربية ، بغض النظر عن السلالة العرقية او الدين . والحقيقة ان التفاعل بين الحضارات اليهودية والمسيحية والاسلامية لم يكن على اشـــده مثلما كان في القرن الثاني عشر . ولقد كان الطابـــع العالمي لمنتجي هذا التراث ، خلال هـذا النشاط الرائع واضحا حدا . فمع ان معظم العلماء الذين تزعموا هذه الحركة كانوا مسلمين فقد كانوا من حيث الجنس ينتمون الى بلدان مختلفة تنتشر من اواسط اسيا شرقاً الى مراكش واسبانيا غربا (١) .

وفـــترات التاريخ العربي التي تضاهي القرن الثاني عشر بحوادثه السياسية والاقتصادية والثقافية قليلة . ففي هذا القرن اخذ سلطان الخلافة بالاضمحلال ، وقامت على انقاضها دويلات هزيـــلة متناحرة ، واسست العناصر التركية شبه سيطرة على اراضي الخلافة الشاسعة ، وسادت المجتمع ثورات مستمرة واضطربت الاحوال الاقتصادية وازدادت المؤامرات والفتن ، واشتد النزاع بين اهـــل السنة والشيعة . اما الابداع الثقافي فقد خبا تقريبا ولجـــأ العلماء الى الدولة والسلطان يخدمونها سعيا وراء المركز وتأمينا للعيش ، فاصبحوا اشبه بطبقة مرتزقـــة . وعلى حد رأى احد المعاصرين :

«فرأي اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجـــاه من قبل الولاة ،

فريقين هما الغزاة والمدافعين ، المسيحيين والمسلمين ، ويتجاهلون ، الى حد بعيد، تكوين كل من الفريقين البشري ومـا كان لذلك من اثر في مجرى الحوادث وفيما انتهت اليه هذه المأساة من نتائج . والحقيقـة ان الصليبيين ، على الرغم من تعدد اصولهم الجنسية واختلاف لغاتهم وتنوع ثقافاتهم ، كانوا ، على وجـه الاجمال ، اكثر ترابطا من المدافعين الذين كانت تفرق صفوفهم انقسامات عميقة ترتكز على الجنس واللغة والثقافة ، ويعززها التنافس على السيطرة والسلطان بعد ان فقدت العناصر العربية هيمنتهـا على شؤون الدولة واضحت مغلوبـــة على امرها امام العناصر الحديثـة العهد بالاسلام كالاتراك والفرس والاكراد . ولم يتصف شعور العرب نحو الفرس والاتراك يوما ما بالودّ واسباب هذا الجفاء تعود على الارجح الى ايام الشعوبية ومـا اثارته من شؤون وشجون . وازداد الجفاء بين العرب « والاعاجم » من فرس واتراك ، بازدياد نقمة العرب واستيـــائهم من فقدانهم السيطرة على شؤون الجماعة وانتقـــالها الى غيرهم من هؤلاءْ الموالي الحديثي العهد بالاسلام . وقلما تشير المصادر الى الفرس دون ان تنعتهم بالملاحدة والى الأتراك دون ان تشير اليهم بالعلوج . ومن الطريف ان شاعرا دمشقيـا عاشر السلاطين الايوبيين الاربعة الأوائل ابدى ترددا شديدا في مديح الاسرة الايوبية خوفا من ان لا يلاقي شعره التقدير لدى اولئك الاعاجم ، فقال :

فكيف تبيت تطمـع في مديحي رجاء نوالها العجم الخســاس[٦]

وقال شاعر آخر :

أأمدح الترك ابغي الفضل عندهم والشعر مازال عند الترك متروكا[٧]

ولم يعدم الاتراك من يدافع عنهم . فهذا ابن سناء الملك يقول :

« بدولة الترك عزت دولة العرب » . وقال آخر فيهم ايضا:

في فتية من جيوش الترك ما تركت للرعد كراتهم صوتا ولا صيتـــا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكـــة حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا[٨]

(١٠٩٢ م) ، واستحكام العداوة بين عباسي بغداد السنيين وفاطمي القاهرة الشيعة ، زادا في الطين بلة فانهكا المجتمع العربي واستنفذا كثيرا من قدرته على الدفاع عن النفس في وجه الغزاة ، وحرمـاه من الاستقرار الضروري للنمو والتقدم . وبدا للعباسيين السنيين ان مجابهة الخطر الفاطمي هي الح وابدى من مجابهة خطر المسيحية وما تنطوي عليه من تهديد للمنطقة بكاملها . والحقيقة ان المدافعين المسلمين لم يستطيعوا تركيز جهودهم ضد الصليبيين الا بعد ان قضوا نهائيا على الخلافة الفاطمية (١١٧١ م) .

وقد شهد القرن الثاني عشر من حيث السياسة ، صراعا بين المسلمين والفرنج وبين اهل السنة والشيعة وبين الخليفة والسلطان السنيين وبين الامراء السنيين في مدن الدولة وفي البلدان المجاورة وبين ابناء الاسر الحاكمة الطموحين والوزراء الطامعين . وفوق هذا كله ، فقد شهد هذا العصر صراعا بين جماهير الشعب واغلبيتهم عرب ، وبين العناصر الاسلامية الاجنبية واغلبيتهم اتراك .

وكان كل واحد من هذه النزاعات كاف لشل الحياة الاقتصادية وافسادها وللقضاء على اسباب الطمأنينة والامن في المجتمع . ولقد امعنت ، مجتمعة ، تخريبا في جميع انحاء الامبراطورية وجعلت المواصلات غير مأمونة ، وزادت في الفوضى ، وادت الى مظاهر من اللصوصية ، مختلفة . ومذكرات اسامة ، وهي تعد من احسن المصادر التي لدينا ، مليئة بحوادث قطاع الطرق الذين اغاروا على المناطق المجاورة لمراكز السكان والمدن مثل الموصل [٤] وبعلبك وشيزر ، ونابلس [٥] . ولعل ظهور فرقة الحشاشين كان اخطر مظهر من مظاهر الفوضى المستحكمة بالبلاد . فالقت الرعب في قلوب الفرنج والمسلمين على السواء ، وامعن عملاء هذه الدعوة باعمال العنف واغتالوا عددا من الشخصيات ووصل بهم الحقد حتى الى القيام بمحاولتين لاغتيال صلاح الدين نفسه .

وكان من الطبيعي ان يلجأ عدد من المؤرخين في معالجة موضوع الحروب الصليبية الى التعميمات المطلقة ، فيحسبون ان هذه الحروب انما دارت رحاها بين

قحط بنواح كثيرة من البلاد فاضطر الاهالي الى ان يضربوا في الارض سعيا وراء القوت ، وامست قرى عديدة خربة خاوية . ومن شدة الجوع أكل الناس لحم الكلاب والقطط [١١] . وفي سنة ١٢٠٠ اصابت مصر مجاعة شديدة حتى أكل الناس الحيوانات الميتة بل ولحم البشر ، ولم يجدهم ذلك نفعا اذ هلكوا بالوباء الذي نجم عن ذلك [١٢] . ولم يسقط المطر في العراق ولا في بلاد الشام مدة ثلاث سنوات ابتدأت سنة ١١٧٨ واستمرت حتى نهاية ١١٨١ م ، وارتفعت الاسعار الى درجة غير عادية ، وانتشرت المجاعة في هذين البلدين وامتدت الى مصر وهلك الكثير من السكان في جميع انحاء المنطقة [١٣] .

وفي وسط هذه المصائب الطبيعية والبشرية ، تعرضت المنطقة سنة ١١٥٧ م لزلزلة عظيمة دمرت « حلب وحماة وشيرر وغالب بلاد الشام والشرق »[١٤] . وعلى الرغم من هذه الكوارث ، وربما بسببها ، بقيت الحياة تسير سيرها الطبيعي ، وقد لخص احد الشعراء الحالة بعد ان راجع مقاييس الخلق في وقته كما هي ممثلة في سلوك قضاة دمشق ، بالابيات التالية :

طاب شرب المدام في رمضان	واصطفاق العيدان عند الاذان
والزنا واللواط في حرم الله	وترك الصلاة بالقرآن
يا عدول الشآم قد سمح القاضي	لاصحابه بنيل الامان
قامروا واشربوا وقودوا ولوطوا	وافسقوا والحدوا اذن بامان
وارفعوا عنكم التستر بالفسق	فلا حاجة الى الكتمان[١٥]

وكان من الطبيعي ، في مجتمع لا يميز بين الخيانة والكفر بل يعتبرهما شيئا واحدا ، ان يحسب من يشك في شعيرة واحدة من شعائر الاسلام زنديقا وخائنا، وان يحكم علي من يخرج على الحكومة بالخيانة والزندقة في الوقت نفسه . وكانت الجماعة الاسلامية ، بطبيعة الحال تعاني غزوا اجنبيا من اتباع ديانة منافسة اعتبرها الاسلام ، منذ البداية ، من اصل سماوي منزلة . غير أن العلاقات السياسية بين الدولة العربية الناشئة والدولة البيزنطية وسعت الهوة بين الديانتين

وقد بقيت هذه الكراهية مستحكمة بين العنصرين طوال التـــاريخ العربي ويبدو انها اشتدت في خلال القرن الثاني عشر لازدياد جشع الجيوش التركية وفجورها ولعدم اكتراث السلطات لاصلاح الحال ولردع اتبـــاعها عن اعمال العنف ولعجزها عن فرض اي انضبـاط عليهم. وادى النزاع بين اعضاء الاسرة الحاكمة من جهة وبينها وبين الغزاة الفرنج من جهة اخرى ، الى انتشار الفوضى في طول البلاد وعرضها طوال القرن تقريبا،ولم تتمتع السلطات بالهيبة والاحترام الا في اثنــاء ملك نور الدين زنكي (١١٤٦ – ١١٧٤ م) وفي ايام صلاح الدين (١١٦٩ – ١١٩٣ م) . والواقع ان كليهما اضطرا الى تخصيص القسم الاكبر من ايامهما لمقارعة الاعداء ومحـاربتهم ، المسلمين والفرنج على حد سواء . ولن نعدو الصواب اذا قلنا ان القرن الثاني عشر كان ، بالنسبـة الى الشرق الادنى ، قرن قتال وحرب .

وكان اثر هذه الحروب في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية سيئا جدا اذ مزق البلاد الى تكتلات متناحرة واستنفد الايدي العاملة ودفع بالفلاحين الى الجلاء عن اراضيهم مفضلين ان تبقى بورا غير مفلوحة على فلاحتهـــا وزرعها لتنهب على ايدي الاعداء والاصدقاء على السواء . واختل حبل الامن فأخـــذ الشعب القانون بيده وشكل نفسه في وحدات للدفاع عن النفس ضد موجة عارمة من اللصوصية . وقد لجأ الخليفة نفسه الى استخدام هؤلاء « الاحداث » وتسليحهم كلما شعر بخطر مداهم [٩] . وادى انهيار وسائل الامن وعقم الاجهزة الحكومية في معالجة الحال الى تهديد الحج السنوي الذي هو ركن من اركان الاسلام وواجب على كل مسلم [١٠] . وانحط عدد السكان في مساحات مأهولة كبيرة بسبب من انتشار الاوبئة ، كالطاعون والجدري ، وتكرر انتشار الامراض الاعتيادية ولا سيما حمى الوبال المعروفة اليوم بالملاريا . ونادرا ما مرت عشر سنوات دون تفشي مرض أو آخر ، يأخذ نصيبه من السكان التعســاء . وانتشرت المجاعات الناجمة عن اهمال الاراضي وعن اسباب طبيعية اخرى فهلك العديد من السكان وانشلت حياة المدن والاماكن المأهولة . وفي سنة ١١١٧ – ١١١٨ م مثلا ، حل

في الاشهر الحرام . وفي سنة ١٢٢٧م لم يستطع موسم الحج وحرمتـه ان يحولا دون اشتباك الحجاج العراقيين بالحجاج المصريين علانية (١٩) .

وما فتىء المسلمون يعتبرون هذا القرن بداية انحلال الحضارة العربية ، وذلك بسبب المنازعات المتعددة التي فرقت صفوف الجماعة ومزقت وحدتها ، وبسبب المصائب الخطيرة التي حلت بمقدرات الاسلام السياسية واقامت ، لاول مرة منذ خمسة قرون ، دولا اجنبيـــة وغير اسلامية في ديار المسلمين ، واخضعت عددا كبيرا من المؤمنين لحكم « الكفــار » . ومن المؤسف ان ينجرف بعض المؤرخين المحدثين ، المسلمين وغير المسلمين على السواء ، مع تيــار التبسيط الساذج هذا . وان عنى هؤلاء المؤرخون بالانحطاط ، جفاف ينابيع الابداع في المجتمع العربي ، فيجب حينئذ ان نرجع بداية هذه الفترة قرنين ونصف الى الوراء على الاقــل ، حين قمع المتوكل (٨٤٧ – ٨٦١) حركة المعتزلة . ووطد الاشعري (٩٣٥)، في القرن العاشر ، هيمنة الكلام والمتكلمين على انقاض الاعتزال . ولقد انتاب حرية التفكير نكسة اخرى في النصف الاول من القرن الحــادي عشر ، عندما حمي وطيس الجدال بين اهل السنة والشيعة وادى الى اعمــال العنف ، فاصدر الخليفة القادر (٩٩١ – ١٠٣١) في سنة ١٠١٧ قرارا ضد الشيعة والمعتزلة على السواء واجبر زعماءهم على ان يتراجعوا ويتوبوا الى طريق الاستنان (٢٠) . « وفي سنة نيف وثلاثين واربعمائة (١٠٣٨ – ١٠٣٩ م) ، اخرج القائم بالله(١٠٣١– ١٠٧٥ م) ، ابن القادر المذكور الاعتقاد القادري فقرىء في الديوان »(٢١) ، في بغداد ، فكان اول تصريح رسمي للعقيدة يصدرها خليفــة ، واجبر الجميع على قبوله واتباعه. وببداية القرن الثاني عشر كان مذهب اهل السنة والجماعة قد استقر واضحى الاتباع نافذا دون سؤال .

ومهما يكن من أمر فان القرن الثاني عشر كان ، فيما عدا الحياة الفكرية التي توقفت عن النمو والتطور ، عصر نهضة انبثقت من التقاء حضارتين متنافستين . وحالت الحروب الصليبية ، على ما يبدو ، دون ركود الحياة العربية وجمودها

وزادت في العداء بين اتباع كل منهما . ولقد كان الاسلام منذ القرن السابع حتى نهاية القرن الحادي عشر في حالة حرب تقريبا ، واستمر ممعنا بالتوسع ، لا في بلاد الشام وآسية الصغرى فحسب ، بل وفي صقلية والاندلس ايضا . ولذا كانت الحروب الصليبية هذه ، الى حد ما ، اول ردّ فعل عسكري من قبل المسيحيين ضد الاسلام . ولم يكن في وسع الاسلام آنئذ ، نظريا على الاقل ، ان يحارب المسيحية نفسها لاعترافه المقدم باصلها السماوي ، ولكنه شنها عوانا على المسيحيين الذين كانوا « يبدلون الكلم عن مواضعه » ويهملون تعاليم ديانتهم المقدسة . هذا الموقف يفسر لنا ، الى حد ما ، الحقد الشديد الذي ما فتىء الاسلام يكنه للجماعات المنشقة عنه ، ولا سيما الغلاة من الشيعة : فرماهم بالزندقة والخيانة فنقوا خارجين عن الدين وعن الجماعة . والواقع ان هؤلاء الغلاة وغيرهم من الشيعة اقضوا مضاجع الخلافة في جميع عصورها . لذلك اصبح اخضاع الغلاة المارقين فرضا يؤيده السواد الاعظم من الشعب . وادى انتشار السيطرة الفاطمية في مصر وسورية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، واستفحال امر الاسماعيلية في القرن الثاني عشر ، الى احلال الجهاد ضد كل انواع التشيع المقام الاول لدى الجماعة . وكان رد الاسماعيليين على هذا التحدي ان اخذوا بالكر والفر على المراكز الاسلامية والمدن وقاموا بسلسلة من الاغتيالات وتمادوا في تدبير المؤمرات على السلطات وتعاونوا مع العدو فدعوا الفرنج الى احتلال دمشق [١٦] . ولم يقتصر تناحر الفرق الاسلامية على النزاع بين اهل السنة والجماعة من ناحية واهل الشيعة من ناحية اخرى ، بل كثيرا ما كان يستعر لهيبه بين المذاهب السنية المختلفة [١٧] . فقد اشتبك الحنابلة والحنفيون في بغداد اشتباكا خطيرا في سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ — ١١٧٨م . واستمر النزاع بين هذه المذاهب يزعج السلطات فاضطر الخليفة في آخر الأمر الى ان يتدخل ليحد من تناحرها وفي النهاية لم يجد مفرا أن يلجأ الى اجارة ممثليها الرسميين لضبط الحال واعادة الاستقرار وكان ذلك سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م [١٨] .

وكثيرا ما اندلعت نيران المنازعات الاقليمية وادت الى العنف احيانا ، حتى

من انتاج مكة نفسها بل من الطائف المجاورة ، فان هـذه الرواية تعكس لنا حضارة زراعية مزدهرة . وقـد اعجب احد الرحالة بازدهار مدينة طرابلس «ومن حولها المزارع والبساتين وكثير من قصب السكر واشجار النارنج والترنج والمور والليمون والنخيل » (٢٧) .

ويذكر لنا وليم الصوري مؤلف افضل تاريخ للحروب الصليبية وصلنا من العصور الوسطى معلومات قيمة عن مزارع قصب السكر ومصانـع السكر في مسقط رأسه وضواحيها . ولقد اعتنت بلاد الشام عناية خاصة بشجرة الزيتون وثمرها والزيت المستخرج منه ، وهما لا يزالان قواما رئيسيا في غذاء السكان . وكانت بلاد الشام ايضا مقرا لصناعة الصابون ، وقد ازدهرت هذه الصناعة في طرابلس وغيرها من المدن الرئيسية .

وادى انتعاش التجارة الى انتعاش الصناعة ، وبقيت مدن العراق الرئيسية كالبصرة وبغداد والموصل تمتاز باعمال النسيج. وكانت سورية تنتج بالاضافـة الى المنسوجات الزجاج الملون والسكر والورق بينما كانت صناعات مصر الرئيسية هي المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية ، والفرش ، والسجـاد ، والخيم والقلاع والسروج والمصوغات المعدنية والمجوهرات الفضية والذهبية والخزف والمصنوعات الزجاجية ، والحفر على الخشب وبناء السفن. واقتضت ضرورات الحرب تعزيز الصناعات الحربية فنشطت صناعة الاسلحة بانواعها لسد حاجات القوات المسلحة في البر والبحر .

ومما لاشك فيه ان المنطقة احتفظت بمقدار من الازدهار والثروة ، على الرغم مما لحقها من عواقب الحرب السيئة وفقدان الاستقرار السياسي . ويصعب تعيين مدى انتشار هذه الاحوال على وجه التدقيق ، وذلك ان المصادر تهمل في معظم الاحيان المناطق الريفية وتركز اهتمامها على المدن والدساكر . ومتى ذكر ان اغلبية السكان وهي من البدو الرحل او شبه الرحل لم تقطن المدن ، بل كانت تحل في القرى المبعثرة والمزارع والمضارب المتنقلة ، بات من السهل ان نتحاشى

الى حين. وكان من نتيجة التقاء المسيحية والاسلام وجها الى وجه ان انتعشت الحياة التجارية في المدن الايطالية ولا سيما في البندقية وجنوى وبيزا ، حيث كانت بوادرها قد نشطت قبيل بدء الحملات الصليبية . فعادت اسواق الشرق الادنى وشرق البحر الابيض المتوسط مفتوحة ، وشهدت التجارة بين الموانيء الشامية والمدن الايطالية تقدما عظيما . وفي الحقيقة ان هذه المنافع التجارية الناجمة عن الحروب الصليبية جاءت في وقتها . فلقد كانت التجارة العربية مع الشرق الاقصى قد توقفت بسبب من الاحوال الداخلية السائدة هنالك . وكانت نتيجتها ان انحطت حالة التجارة بين الشرق والغرب وتعطلت طرقها . وشاهد القرن الحادي عشر ايضا تأخرا تدريجيا في التجارة مع الروسيا والبلدان المجاورة الى الشمال قارب ان يصل حد الجمود . ولذلك جاء انتعاش الحركة التجارية على اثر الحروب الصليبية كمنحة في طي محنة . وحاولت الصناعة والزراعة مواكبة هذا الانتعاش التجاري غير المتوقع ، والمشاركة في منافعه . ونالت الزراعة في عهد الزنكيين ، عماد الدين ونور الدين (١١٢٧ — ١١٦٢) ، وصلاح الدين الايوبي (١١٦٩ — ١١٩٣) عناية خاصة .

وزار ابن جبير مصر وسورية والعراق بين ١١٨٣ — ١١٨٥ وكان ذلك بمناسبة تأدية فريضة الحج وخلف لنا وصفا دقيقا للحياة والاحوال في تلك المنطقة ضمنه كتابه الشهير « رحلة ابن جبير » [٢٢] فذكر في وصف دمشق انها « ... قد تحلت بازاهير الرياحين وتحلت في حلل سندسية من البساتين» [٢٣] . ولما اجتاز الى العراق متوجها الى بغداد لاحظ قرى البلاد العامرة وكثرة بساتينها ونخيلها [٢٤] . وقد توقع ان يرى مكة وقد وصفها القرآن « بواد غير ذي زرع » [٢٥] بلدا « خلوا من اي شيء ولكنه وجد اسواقها مكدسة بالبضائع المختلفة ومملوءة بانواع الفواكه كالتين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ والاترج والجوز والمقل والبطيخ والقثاء والخيار الى جميع البقول كلها كالباذنجان واليقطين والسلجم والجزر والكرنب الى سائرها الى غير ذلك من الرياحين العبقة والمشمومات العطرة» . [٢٦] ومع ان هذه البضائع لم تكن، على الارجح ،

مزدانة بآثار هذين العلمين العمرانية والثقافية . فقد رمم نور الدين اسوار المدينة وانشأ البيمارستان الشهير المعروف باسمه ، [٣١] كما اسس اولى المدارس التي انشئت في طول البلاد وعرضها على طراز النظامية المشهورة في بغداد . واستمر هذا التشجيع الواعي للتعليم بحماسة اشد وعزيمة اقوى في عهد صلاح الدين، وأضحت دمشق وكأنها مدينة مدرسية. ويعدد ابن جبير ، بعد ان زار المدينة في ١١٨٤م عشرين مدرسة وبيمارستانين [٣٢] وعددا من الرباطات والخوانق الصوفية . وأدخل صلاح الدين نظام المدارس هذا في القدس والاسكندرية والقاهرة حيث عرفت بالمدارس الصلاحية او الناصرية . وشهدت مصر في عهده تقدما عاما ونعمت كل من القاهرة والاسكندرية بمنافع حكمه الحازم النير . ولقد اعجب ابن جبير خاصة بازدهار الاسكندرية الواضح، ولا سيما ببناياتها العامة وشوارعها الفسيحة ومدارسها المتعددة والمؤسسات الخيرية الخاصة لمنفعة الغرباء [٣٣]

ولقد حظيت القاهرة بكثير من العناية في عهد صلاح الدين فتعهد فيها ، عدا البيمارستانين ، دور العلم فأسس المدرسة الصلاحية وعشر مدارس اخرى شبيهة بها . واعاد تأسيس القلعة وعزز تحصيناتها على النمط النورماني ، واستعان في بنائها بأسرى الحرب من الروم خاصة لمهارتهم في البناء [٣٤]، وحسن وسائل الري، وشجع الآداب ورعاها وأحاط نفسه بمجموعة من ذوي المواهب ، منهم وزيراه اللامعان ، القاضي الفاضل والعماد الاصفهاني والفيلسوف الطبيب اليهودي العظيم ابن ميمون ، والمؤرخ الطبيب عبد اللطيف البغدادي . ولم تكن اصلاحات صلاح الدين الثقافية في دمشق والمدن الشامية الاخرى كحلب وحمص وحماة وبعلبك ، امتدادا لاصلاحات نور الدين فحسب ، بل كانت كذلك بعثا لسياسة نظام الملك ، الوزير السلجوقي العظيم واهدافه العملية في سبيل تزويد الامبراطورية السلجوقية بالموظفين ولمناهضة تعاليم الشيعة ودعاياتهم ، لا سيما تلك التي كان الازهر مركزا لها ومنطلقا . وكما اصبحت المدارس النظامية التي أسسها نظام الملك في ١٠٦٥ — ١٠٦٧ نموذجا لما قام بعدها من دور التعليم العالي كذلك اصبحت المدارس الصلاحية . فكانا كلاهما اداة في يد الدولة ووسيلة فعالة في

التعميم . وقد كانت الحضارة العربية في اكثر الاحيان ، « حضارة بلاط » لم يغمر نعيمها مساحة واسعة ، ونادرا ما امتدت الى خارج المدن الى الارياف . هذه الحقيقة تنطبق على اية حضارة ، ولكنها تنطبق الى حد ابعد على الحضارة العربية .

ومهما يكن من امر فان الوثائق التي بين ايدينا ، تقتصر ابحاثها ، في الغالب ، على المدن . وما وصلنا في كتب الرحالة المعاصرين عما شاهدوه شهادة عيان يعكس لنا صور مشرقة عن الاحوال السائدة آنذاك في مدن كبغداد ، ودمشق والقدس والاسكندرية والقاهرة .

وكانت بغداد في القرن الثاني عشر تشتمل على جانبين ، شرقي وغربي ، ودجلة بينهما . «اما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه، وكان المعمور اولا . وعمارة الجانب الشرقي محدثه ، لكنه مع استيلاء الخراب عليه ، يحتوي على سبع عشرة محلة ، كل محلة منها مدينة مستقلة . وفي كل واحدة منها الحمامان والثلاثة » وعدد من المساجد [٢٨] . والمدارس فيها نحو الثلاثين وكلها في الجانب الشرقي وكل واحدة منها تحتل بناء فخما يقصر القصر البديع عنه . « ولهذه المدارس اوقاف عظيمة وعقارات محبسة ، تتصير الى الفقهاء المدرسين بها ويجرون بها على الطلبة ما يقوّم بهم » . [٢٩] وكان في بغداد بيمارستان كبير على شاطىء دجلة ، زارة ابن جبير وقال ان الاطباء كانوا يتفقدونه كل يوم اثنين وخميس ويطالعون احوال المرضى ويرتبون لهم اخذ ما يحتاجون اليه وبين ايديهم قومة يتناولون طبخ الادوية والاغذية . [٣٠]

وعلى الرغم من انشغال سورية بالحروب الاهلية وبالجهاد ضد الفرنجة ، فقد تمتعت خلال الجزء الاكبر من القرن الثاني عشر بأزهى فترة من تاريخها الاسلامي منذ العهد الاموي ، وشهدت مدنها الرئيسية ، لا سيما دمشق وحلب ، والى حدّ ما القدس بعد انقاذها من الصليبيين ، انتعاشا عظيما في عهد الزنكيين والايوبيين وبخاصّة في زمن نور الدين وصلاح الدين . ولا تزال دمشق حتى يومنا هذا

ويلي هؤلاء العلماء والفقهاء الذين تمتعوا بشهرة عظيمة وامتيازات خاصة ، لخدماتهم المتعددة للدولة ولدفاعهم عن الاسلام الصحيح . وكان قد انتدبهم نظام الملك في اواخر القرن الحادي عشر لمقارعة الشيعة ولتزويد الدولة بما تحتاجه من الموظفين ، كما انتدبوا ايضا للتدريس في المدارس النظامية المتعددة . واستمرت هذه الاعمال تجذب المواهب المثقفة في القرن الثاني عشر ، للرد على التعاليم الباطنية عامة والدعوة الاسماعيلية خاصة وذلك لسعة انتشارهما آنذاك . والقى ظهور المسيحية المجاهدة عبئا حديدا على عاتق هؤلاء العلماء فبات من واجبهم أن يقارعوا ، علاوة على البدع الاسلامية ، هجمات المسيحية الكلامية ، وان يثيروا حماسة المسلمين للدفاع عن الدين الحنيف ايضا . ولقد اعتمد كل من الزنكيين والايوبيين كثيرا على هؤلاء العلماء ، واستغلوا مواهبهم في اعمال متعددة. فخرج من صفوفهم عدد من الوزراء والقضاة والمحاضرون في المدارس الجديدة . ورعت الدولة العلماء لتأثيرهم الكبير على جماهير الشعب . حتى أن البعض من ذوى التمييز ، ممن انتقد سكان بغداد لنفاقهم وخداعهم ، كابن جبير نفسه ، استثنى في حكمه طبقة الفقهاء والوعاظ الذين « لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبيه والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثيرا من اوزارهم . »(٤٠) ومع ذلك يبدو انه كان يتسلل الى صفوف هؤلاء العلماء في بعض الاحيان ، بعض المستهترين الذين كانوا يستغلون مناصبهم للربح المادي فحسب، فاستخفوا بمهنتهم ، وحولوا حلقاتهم الدينية الى اجتماعات لهو وطرب تجمع بين الرجال والنساء في امور محظورة ومحرمة . ولهذا اضطر المحتسب الى التدخل فوضع قوانين لتنظيم مهنة الوعظ وضبط مسلك الوعاط . (٤١)

وكونت عامة الشعب الطبقة التالية وكانت تشمل صغار التجار واصحاب المهن والمزارعين والفلاحين واهل البداوة والعبيد. وجمعت بين هؤلاء، على الرغم من تنوع مسالكهم، المصائب والمصاعب . وكانوا دوما عرضة لظلم الحكام واستغلال ذوي المال والنفوذ ، انهكتهم ضرائب الحروب وافقرتهم اعمال الجند من سلب

سبيل التقدم في جميع انحاء البلاد .

وعلى الرغم من جهود عماد الدين زنكي وابنه نور الدين وجهود صلاح الدين في سبيل توحيد السكان وصهرهم في وحدة متجانسة متضامنة هدفها استعادة البلاد من المعتدين واعادة الوحدة الاسلامية ، بقي المجتمع الاسلامي في القرن الثاني عشر مفتقرا الى مقومات الاتحاد ، وزاد في تفسخه انقسام شعوبه المتنافرة الى طبقات منغلقة على نفسها تعيش ضمن حدودها المختلفة . واضحى الطابع الاجتماعي ملتقى للاضداد ، من غنى فاحش يقابله فقر مدقع ، ورفاه الى جانب ضيق ، ونخبة مثقفة في وسط سواد يخيم عليه الجهل ، وصحة تكتنفها الامراض ونظافة تشوهها القاذورات — — كل هذه كانت تقوم جنبا الى جنب .

واستوى على قمة الهرم الاجتماعي هذا الخليفة واسرته واقرباؤه . واذ حرم هؤلاء من السلطات الفعلية التي استبد بها السلاطين ، انصرفوا في اكثر الاحيان الى الانغماس في الملذات . فقد كان المقتفي (١١٣٦ — ١١٦٠) يحتاج في اليوم الواحد الى ثمانين بغلا لنقل مياه الشفة من دجلة لشرب عياله وكان السلطان يؤمنها له عن طيبة خاطر ويريحه من متاعب الحكم بحيث لا تبقى له محظياته وغلمانه وخصيانه مجالا للملل [٣٥] . ولما هزم السلطان مسعود الخليفة المسترشد (١١٧٠ — ١١٨٠) ونهب العسكر امواله احتاجوا الى مائة وسبعين بغلا لنقلها [٣٦] ، وذلك فيما عدا الثياب . واعتقل اقرباء الخليفة في بيوتهم « اعتقالا جميلا لا يخرجون ولا يظهرون ولهم المرتبات القائمة بهم » [٣٧] .

ويجيء بعد الخليفة مرتبة السلطان والوزراء مع انهم كثيرا ما كانوا يفوقونه افراطا في الترف والابهة . ويذكر ابن جبير انه شاهد يوما خروج رئيس حرس الخليفة الناصر من القصر ويقول : «ابصرناه احد الايام وبين يديه وخلفه امراء الاجناد من الاتراك والديلم وسواهم وحوله نحو خمسين سيفا مسلولة » [٣٨] . وكثيرا ما جمع الوزراء ثروات طائلة بطرق غير مشروعة ، ولم يحد من جشعهم الا المصادرة على يد الخليفة او السلطان ، حتى اصبحت المصادرة عرفا شائعا وسنة متبعة في ذلك الوقت [٣٩] .

في المستقبل [٤٦] . وفي سنة ١١٩٦ ، اصدر العزيز ، حين كان في دمشق ، قرارا يمنع أيا من اهل الذمة من الالتحاق بالخدمــة الملكية ، وفرض عليهم ان يعودوا الى ارتداء الغيار [٤٧] . ومع ان هذه القوانين شملت جميع اهل الذمة ، من يهود ومسيحيين على السواء ، فقد وقع عبئها الاكبر على كاهل المسيحيين . فقد كان المسيحيون آنذاك يشكلون على المسلمين خطرا اعظم من خطر اليهود ، بسبب من عددهم أولا ، ولعطفهم الظـاهر على ابناء دينهم من الفرنجة ، فكانوا يمدون لهم يد المساعدة كلما استطاعوا ووحدوا الى ذلك سبيلا . وقد يفسر لنا هذا ايثار صلاح الدين الاعتماد على الاطباء اليهود دون المسيحيين فاستخدم في بلاطه ثلاثة من الاطباء اليهود هم ابن جميع الاسرائيلي [٤٨] ، وابن المدور [٤٩] ، وابن ميمون [٥٠] العظيم . وبقي كل من اليهود والمسيحيين ، على كل حال ، يقومون بدور خطير في التجارة والصيرفة والصياغة . وكانوا يدفعون الجزية فيحضر كل فرد بشخصه امام الجابي ويؤدي الجزية على ما جاء في القرآن [٥١] .

وقد سبقت الاشارة الى ان الحضارة العربية كانت ، على الاجمال ، حضارة بلاط ، ازدهرت في ظل الخليفة او السلطان او الامير ولا تتعدى منافعها حدود البلاط الا نادرا . وجدير بالذكر انها كانت ايضا حضارة رجال ، والدور الذي كانت تقوم النساء به فيها بقي ثانويا . وبنهاية القرن العـــاشر كانت عامة النساء العربيات قد فقدن الجزء الاكبر من حريتهن وكرامتهن ، واصبح عزل عـــالم النساء عن عالم الرجال سنة متبعة لا سيما منذ زمن البويهيين . واذ كثر التسري وازداد التحلل الاخلاقي والاندفاع وراء الملذات والشهوات ادى هذا وتلك الى الحط من شأن النساء بحيث اصبحن يعتبرن اصلا لكل فساد ومصدرا لكل المشاعر الشهوانية الدنيئة . ولم يطرأ على هذه الحال ، في القرن الثاني عشر ، اي تغيير جذري ، على الرغم من بروز عدد من الحالات الاستثنائية التي تستدعي الانتباه ، من عجوز تتلثم وتستل سيفا وتخرج الى القتال [٥٢] ، وأخرى تقدم على الانتحار تخلصا من السبي والعار [٥٣] ، وأخرى تنكر على زوجها تعاونه مع العدو وتنهاه ولما أبى ان يكف عن فعله تستعين باخيها وتفتك به [٥٤] ، وامرأة

ونهب وانتهاك حرمات . فتولد لديهم شيء من اللامبالاة وعدم الاكتراث بصروف الدهر وتقلبات الزمن ، لا غاية لهم سوى درء الجوع عن انفسهم والبقاء على قيد الحيـاة . فنظروا نظرة شك وريبة بالغرباء ولم يترددوا في الاحتيـال عليهم، وخداعهم كلمـا وجدوا الى ذلك سبيلا ، وكانوا يتصنعون بالتواضع رياء ، والغريب فيهم ، على حد قول ابن جبير ،(٤٢) ، « معدوم الارفاق ، متضاعف الانفاق ، لا يجد... الا من يعامله بنفاق، او يهش اليه هشاشة انتفاع واسترقاق.»

ولم يكن البدو باحسن حال من اخوانهم الحضر، أما ما اعتادوا ان يتبجحوا به من نبل فلم يكن سوى اسطورة من الاساطير . «وهم لا يأكلون الا الميتـة ويقولون نحن خير العرب » .(٤٣) وكان الرق منتشرا وسوق العبيد تجارة رائجة شائعة . وللحد من مساوئها ، ولج امر مراقبة سوقها وضبط تجارتها الى المحتسب ففرض على سماسرة الرقيق قوانين صارمة والزمهم اتباعها .(٤٤)

واستمر غير المسلمين يعيشون على هامش المجتمع العربي ، في معظم الاحيان ، وكونوا فئة اجتماعية خاصة تقطن حاراتها المعزولة . وكان يحكمهم رؤساؤهم الدينيون وقد اعتبروا مسؤولين تجاه السلطات عن تدبير امور اتباعهم والاشراف على مؤسساتهم الخيرية ، والحكم في خلافاتهم في جميع الاحوال الشخصيـة . وأدى قدوم الفرنج الى تشديد الرقابة الحكومية على اهل الذمة لمنع تعاونهم مع الغزاة ، ومنح المحتسب السلطات الضرورية لتنفيذ هذه الرقـابة . ولم يشاهد القرن الثاني عشر الا ازديادا قليلا في عداء المسلمين لغير المسلمين من اهل البلاد ، وقد يعود هذا ، الى حد ما ، الى انهماك المسلمين بالصراع ضد الحركات الباطنية وانشغالهم في مقارعة النشاط الاسمـاعيلي الهدام . وعلى الرغم من حالة الحرب المستعرة بين المسلمين والفرنج ، فقد استمرت بعض العلاقات الوثيقة بين الطرفين خصوصا بين المسلمين وأولئك الفرنج الذين كادوا قد تبلدوا (٤٥) وعاشروا اهل البلاد مدة من الزمن . غير ان روح التعصب مـا لبثت ان استعرت وعبرت عن نفسها بثورات شعبية ضد الاستمرار في استخدام أهل الذمة في مناصب الدولة . وقد أمر الناصر سنة ١١٨٤ بعزل غير المسلمين عن مرافق الدولة ومنع استخدامهم

وكذلك فقد احرز فن تجليد الكتب وتزويقها تقدما كبيرا وتحول الخط العربي تحولا سريعا من الخط الكوفي الحاد الزوايا الى خط الرقعـــة الذي وصل قمة تطوره الفني في الفترة الايوبية .

غير ان طبيعة الحضارة العربية فيالقرن الثانيعشر تتجلى بافضل مظاهرها في الحياة الفكرية حيث تتضح صورتها وتبرز خصائصهـا وتنعكس روحها . وقد سبق وذكر أن هذه الحياة الفكرية كانت اقل روعة مما سبقها من مآتي العرب في هذا الميدان . ويبدو أن انهماكها بالمحافظة على تراثها المجيد كان اعظم من انشغالها بتعزيره والزيادة عليه ، فلم يصدر منهـا شيء يدل على الابداع والابتكار . واما اسباب هذه الحالة فليست بعيدة الادراك ، اذ يكمن وراء هذا الجمود الفكري وقوف الجماعة موقف الدفاع ضد هجمات الشيعة المستمرة، وكانت قد بلغت في القرن الحادي عشر درجة من الخطورة فرضت على الغزالي (ت ١١١١) ان ينبري للدفـــاع عن موقف اهل السنة والجماعة فألف كتاب « المستظهري في فضائح الباطنيـة » [٥٧] . ولم يكن لهذا الكتاب اثر يذكر في الحد من انتشار الباطنية ، واشتد ساعد « الدعوة الحديدة » فاندفعت بقوة وعنف متزايدين بزعامة الحسن الصباح (ت ١١٢٤) وأتباعه المغاوير (ويعرفون بالحشاشين) فالقوا الرعب في قلوب المسلمين طيلة الجزء الاكبر من القرن الثاني عشر .

هـــذا من ناحية ، ومن ناحية آخرى فقد اضطرت الجماعة في القرن الثاني عشر ، أن تقف موقف الدفاع ايضا ضد الفرنجة وضـد الكنيسة المجاهدة ، لا خوفا من أن الاسلام قـد يفقد عددا من اتباعه ان اعتنق البعض منهم المسيحية دينا ، ولكن بسبب التفكير الاسلامي المنبثق من طبيعة العقيدة الاسلامية التي تنظر الى الحياة كوحدة لا تتجزأ الى مـا هو روحي وزمني او ديني ودنيوي ، ولذا ترى دوما في اية نكسة قـــد تحل بمقدرات الجماعة الزمنية نكسة روحية ايضا . ويعود هذا التفكير الى اول نصر حربي فاز به المسلمون ، الى معركة بدر (٦٢٤) ، عندمـــا هزم النبي باربعمائة من الرجال اربعة الاف رجل من قريش ، فـكان هذا النصر العسكري تصديقا للوحي الالهي ، وبقي التاريخ ،

شيزرية اخرى تستدرج ثلاثة من الفرنج الى بيتها وتسلمهم اسرى الى القتل [٥٥]. وقد حفظ لنا أسامة بن منقذ في مذكراته عددا من اخبار النساء في القرن الثاني عشر وختمها بقوله « وما ينكر للنساء الكرام الانفة والنخوة والاصابة في الرأي »[٥٦] . ويبدو ان النساء ، فيما عدا ذلك ، برعن في مؤمرات القصور ومكائد الحريم . وقد بلغت دسائس النساء ذروتها في منتصف القرن التالي عندما استولت شجر الدر ، ارملة الصالح ايوب (ت ١٢٤٩ م) ، آخر الايوبيين ، على مقاليد الحكم واستأثرت بها وحكمت البلاد وحيدة طيلة ثمانين يوما . ونبغ عدد من النساء في ميادين الشعر والفقة والحديث ، غير ان ذلك كان من قبيل الشواذ لا القاعدة . وقد بقي الادب العربي ايضا ادب رجال ، تحمر منه وجوه النساء في في أغلب الاحيان .

وكان القرن الثاني عشر ، من حيث الفن والعمران ، استمرارا لمجرات الفترة الفاطمية في مصر وفترة السلاحقة في البلدان العربية في القسم الغربي من آسيا . ويعود استعمال الحجر بدلا من اللبن او الآجر في الابنية الفخمة الى اواخر العصر الفاطمي ، ولم يفعل الزنكيون والايوبيون اكثر من السير على هدا التقليد الدي اعاده الفاطميون ، سوى أن أضافوا اليه ما تعلموه من الفرنج من فن البناء الحربي . ويمكن مشاهدة تأثير الفرنج هذا في قلعة حلب التي جددها نور الدين (ت ١١٧٤) وقلعة القاهرة التي بناها صلاح الدين (ت ١١٩٣) .

وأما قلاع الصليبيين وكنائسهم التي لا تزال ظاهرة على طول الساحل السوري من الجبل الاقرع شمالا الى غزة جنوبا ، كحصن الاكراد وكنيسة السيدة في طرطوس وكنيسة القديس يوحنا (وهي حاليا المسجد العمري في بيروت) فهذه جميعا من صنع الصليبيين ولذلك لا يصح ان توصف كجزء من التراث المحلي .

وسار الزنكيون والايوبيون في الفنون الزخرفية وفي الصناعة على نهج الفاطميين والسلاجقة وأدخلوا بعض التحسينات فيها ، ولاسيما في صناعة النقش في الخشب والعاج والمعدن والخزف والاواني الزجاجية والزجاج الملون والميناء

السفسطائية ، واحتقر منحى تفكير العامة الجماعي ولم يركن اليه أو يأمنه ، فوقف حياته ومواهبه على مكافحة البدع ودحض مزاعم الفلاسفة ومماحكات المتكلمين ، وحماية العامة من البدع والضلال ، ولذا حثهم على التمسك بالسنة والاتباع . ووصم الفلاسفة بالكفر والالحاد، واتهم المتكلمين بالسفسطة والنفاق، وحكم على علمهم بالعقم وبأ لا فائدة ترجى منه في مقاومة الضلال وتثبيت الايمان ، وكبل عامة الشعب بقيود الاتباع والتقليد [٥٨] . ولعل اعمق الامور اثرا في مجرى الحضارة الاسلامية في القرن الثادي عشر وما بعده هو ما فعله الغرالي من قصر العقل على مجال محدود والحد من مقدرته وطاقته ، والتأكيد على أن وظيفته لا تتعدى نطاق الشهادة « للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز » [٥٩] . كذلك « فان العقل لا يرشد الى النافع والضار من الاعمال والاقوال والاخلاق والعقائد ، ولا يفرق بين المشقي والمسعد . . . ولكنه اذا عرف فهم وصدق وانتقع بالسماع » [٦٠] .

وعلى الرغم من عظمة الغرالي كمفكر يجب الا يعد فيلسوفا بل عالما عاملا في ميدان الفلسفة ، استخدم مواهبه في تقويض دعائمها وهدمها . اما خدماته فقد كانت في عالم الدين حيث طعم الاسلام بالتصوف بعد ان اثبت أنه ينبع من صميم العقيدة السنية . وقد انعش تصوفه هذا الشريعة بجعله الديانة الشخصية والاختبار الفردي جزءا من الاسلام . وقد حفظ تمسكه بالسنة الايمان من الانفعالات الوجدانية الجامحة . وقد نفعت كتاباته المسلمين نفعا عظيما ، اذ عادت بهم الى الاتصال المباشر بالحقيقة بعد أن كانوا يضيعون اوقاتهم في تتبع العقائد وما فيها من تفريعات وتدقيقات مملة لا طائل تحتها . واخيرا حرر الاسلام من شكليات الصناعة الكلامية والتمسك بحرفية الكلام القاتلة ، وانعشه بما افاض عليه من حرارة الروح الحية . وكانت هذه الحرارة المنعشة بالضبط ما يحتاجه الاسلام ويطلبه . ولقد اصبح هذا الرجل ، بعد أن حسبه البعض مبتدعا ومارقا عن الدين ، وبعد ان لعن في بغداد ودمشق والقدس والقاهرة وشمال افريقية والاندلس، حجة الاسلام، اذا عاد به الى الحياة ، وانعش الشريعة ، ونفخ فيها

في نظر المسلمين ، مصدقا للعقيدة . فالدين في خير ما دامت الدولة في خير ، يعز اذا عزّت ويضعف اذا ضعفت .

وقام السلاجقة في القرن الحادي عشر بانقاذ دولة محتضرة ، ونفخوا فيها روحا جديدة وبعثوا فيها حياة جديدة . غير ان الوحدة التي رفعوا بنيانها سرعان ما انهارت وما اطل القرن الثاني عشر الا وعقدها قد انفرط . وعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها كل من عماد الدين ونور الدين وبخاصة صلاح الدين بقيت الجماعة منقسمة عقيدة ومتصدعة الاركان سياسيا . والانكى من ذلك ان جزءا من دار الاسلام ، يشمل اولى القبلتين وثالث الحرمين ، وقع تحت وطأة الاحتلال الاجنبي ورزح تحت سياط الغزاة من غير المسلمين .

ولم تجابه الجماعة تبعة الدفاع عن الدين الحنيف ضد اصحاب البدع من غلاة ورافضة فحسب ، بل جابهت ايضا مسئولية انقاذ الاراضي المقدسة من يد « الكفار » ، واعادة الحكم الاسلامي على ربوعه المغتصبة . وكان شغل الجماعة الشاغل الدفاع عن النفس في سبيل البقاء سياسيا وفلسفيا ودينيا ، وفي سبيل ترميم الصرح الاسلامي وتدعيمه . فبات واجبا على جميع المسلمين أن يقتفوا اثر السلف الصالح ويتمثلوا بهم ويحذوا حذوهم عملا وفكرا وعقيدة ، وبكلمة اخرى اصبح الاتباع فريضة أو كاد والابتداع ضلالة . فتحول النشاط الفكري عن الابداع والابتكار الى الجمع والترتيب والتنظيم والتوظيب . ولم ينجب القرن الثاني عشر مفكرا او متكلما او فيلسوفا واحدا من الطراز الاول سوى الغزالي وابن ميمون .

وهيمن الغزالي على مطلع القرن الثاني عشر وأرسى قواعد نشاطه الفلسفي والديني ، ورسم حدودها وحدّد آفاقها .

لاحظ الغزالي كثرة الفرق الدينية المختلفة في العالم الاسلامي وتعدد المذاهب الفلسفية المتضاربة فيه فاربكت فكره وروّعت فؤاده . ونظر نظرة ريب وفزع الى آراء المعتزلة وعقائد الباطنية ونفر من مجادلات المتكلمين ومماحكاتهم

فلم يتجه كالغزالي نحو الحفاظ على الفكر الوسيط او نقض الفلاسفة الأوائل وتسفيههم ، بل اتجه الى التوفيق بين الديانة اليهودية والفلسفة الارسططالية الاسلامية . اي ، بعبارة اخرى ، بين الايمان والعقل . وهذا ما قام به ابن رشد في سبيل الاسلام ووفق فيه . واتبع كل من هذين الفيلسوفين ، ابن رشد وابن ميمون ، في هذا المجال ، اثر الفلاسفة العرب الاوائل ، امثال الفارابي (ت ٩٥٠) وابن سينا (ت ١٠٣٧) . ولا بد من الاشارة هنا ان الغزالي كفّر هذين العلمين وكفر شيعتهم من المتفلسفة المسلمين .

وعلى الرغم من أن عناية ابن ميمون اتجهت الى اليهودية لا الى الاسلام ، فقد احتفظ لنفسه بمكانة مرموقة في تاريخ الفكر العربي ، لا لانه اصطنع العربية في تدوين آثاره الخالدة فحسب ، بل لانه كان ايضا وريث الفكر الفلسفي العربي ، نشأ في بيئة عربية وتمتع برعايتها طوال اقامته في القاهرة في كنف الدولة الايوبية .

ولم يبرز طوال هذه الفترة الممتدة بين وفاة الغزالي ووفاة ابن ميمون فيلسوف عربي واحد يستحق الذكر . ولعل السبب في ذلك أن انشغال القرن الثاني عشر لم يكن في الابداع والابتكار بل في التنظيم والترتيب كما يستدل من كتابات فخر الدين الرازي (١١٤٩ — ١٢٠٩) وفي التلخيص والتركيز كما يبدو في آثار نجم الدين النسفي (١٠٦٨ — ١١٤٢) ، مؤلف « العقائد النفسية » ، اوسع كتب العقائد رواجاً بين عامة المسلمين .

ويرى هذا الاتجاه نحو التنظيم كذلك في آثار الشهرستاني (١٠٧١—١١٥٣) مؤلف كتاب الملل والنحل »[٦١] . ويضع هذا المؤلف امام القارىء كشفا كاملا مفصلا بالمذاهب الفلسفية والفرق الدينية الاسلاميـــة وغير الاسلامية ، ويفرد للفرق غير الاسلامية ما يقرب من ثلثي الكتاب . وقد تعود هذه الظاهرة الجديدة ، دون شك ، الى احتكاك المسلمين المباشر باصحاب العقائد غير الاسلامية ، ومـا فرضه ذلك عليهم من واجب الاطلاع على اسرار هذه العقائد وخفاياها . ومع أن هذا الكتاب ليس الاول من نوعه باللغة العربيـة ، الا انه اكثر موضوعية من كتاب « الفرق بين الفرق » [٦٢] لابن طاهر البغدادي (ت ١٠٣٧) ، واقـــل

روح الرقة والحرارة واللطف .

على ان مؤلف الغزالي الرئيسي ، الدي وطد مركره في الاسلام وقامت عليه شهرته كأعظم شخصية دينية بعد الرسول ، هو « احياء علوم الدين » . وفي هذا الكتاب حفظ الغرالي حلاصة الفكر الاسلامي في العصر الوسيط . ولهذا السبب يحتل هذا المؤلف مكانة فريدة في العالم الاسلامي بأ سره . وقد وصفه النووي ، أحـد مشاهير المسلمين في القرن الثالث عشر ، احسن وصف حيت قال : « لو دهبت كتب الاسلام وبقي « الاحياء » لاغنى عما ذهب » .

ولسنا هنا في محال عرض لحياة الغرالي ، ومكانته في هذه الدراسة لحضارة القرن الثاني عشر ترتكر على قيامه على رأس هذا القرن وعلى ارسائه قواعـد النشاط الفكري فيه وتعيين اهداف ذلك النشاط وقصرها على السعي في سبيل الاحتفاظ بـتراث السلف ، مكتفيا بالجمع والتدوين ، متعدا عن الابتداع والابتكار . وقـد بقي هذا الاتجاه في نمو مطرد حتى تمت له السيطرة على حياة العرب الفكرية بكاملها وبلغ اوحه في اواسط القرن الرابع عشر متمثلا في تآليف النويري (ت ١٣٣٢) وابن فصل الله العمري (ت ١٣٤٨) الموسوعية .

ابتدأت هذه الفترة التي نحن في صددها بوفاة الغرالي وانتهت بوفـاة ابن ميمون (١٢٠٤) الذي يحسب ، بعـد ابن رشد ، اعظم فيلسوف في وقته ، وكلاهما مغربي لكن ابن رشد ينتسب كليا الى المغرب الاسلامي حيث اردهر وتوفى (١١٩٨) . اما ابن ميمون فقد ولد في قرطبة (١١٣٥) ، لكن اسرته اضطرت الى هجرة المدينة بعد ان احتلها الموحدون في سنة ١١٤٨ وتنقلت مدة اثنتي عشرة سنة في انحاء مختلفة من الاندلس، ثم حلت مدينة فاس سنة ١١٦٠ ، ولكن سرعان ما اضطرت الى الرحيل شرقا حتى وصلت القاهرة سنة ١١٦٥ حيث استقرت وحيث قضى ابن ميمون التسع والثلاثين سنة الباقية من حياته . وفي القاهرة أكب على الكتابة بالعربية وألف جميع آثاره الأدبية ولم يصطنع العبرية الا في واحد منها. اما الغاية من نشاطه الفكري فلم تكن كالغاية من نشاط الغرالي

ووضعت ترجماتهم الجزء الاكبر من تراث العرب في الرياضيات والفلك في متناول العلماء في الغرب . والحقيقة ان المشرق العربي لم ينجب خلال القرن الثاني عشر رياضيا او فلكيا من الطبقة الاولى سوى عمر الخيام(ت ١١٢٣ / ١١٢٤)وكانت اكثر خدماته العلمية في القرن السابق . وبوفاة عمر الخيـام ينقضي عصر الابداع الذهبي في العلوم لدى العرب [٦٦] . واما من يذكر عادة من رياضيين وفلكيين ، فهم من الجماعة او المحررين ، اعتمدوا على مؤلفـات من سبقهم . ومن هؤلاء المحررين الخارقي(ت١١٣٢)[٦٧] وكان جل اعتماده على ابن الهيثم(ت١٠٣٩) [٦٨]، او تقنيون يحسنون صـناعة الآلات الفلكية ، نظير البديع الاسطرلابي (ت ١١٣٩ / ١١٤٠)[٦٩] او مجرد ملخصين اختصروا بعد الآثار العلمية السابقة، مثل عبد الملك الشيرازي (ت حوالي ١٢٠٣) [٧٠] ، الذي اعد مختصراً لرسالة من رسائل ابولونيوس في علم المخروطات ، واعتمد في ذلك على ترجمة عربية من القرن التاسع كان قد اعدها ثابت بن قرة المشهور (ت ٩٠١) . فالاتجاه الذي ظهر في النشاط الفلسفي العربي ، اي تغلب الجمع على الاصـالة ، والتنظيم على الابتكار ، أخذ ينتشر في ميدان الرياضيات والفلك . وبعبارة اخرى بات العرب يعيشون على رأس مالهم العقلي ، ويسيرون حثيثا في طريق الافلاس .

واحتفظ القرن الثـاني عشر بشيء من المهارة وحسن الصناعة في حقلي الطبيعيات والفنون الصناعية ولم يظهر العرب فيها سوى ذلك شيئا يذكر . ولا بد لنا في هذا المجال من ذكر ابي الفتح عبد الرحمن الخازني الذي ازدهر في الربع الاول من هذا القرن والف « الزيج المعتبر السنجري » الذي يعين مواقع النجوم لسنة ١١١٥ — ١١١٦ وخط عرض مدينة مرو . والف ايضا « ميزان الحكمة » وتناول فيه الحيل وتوازن السوائل وثقلها النوعي وبعض الاجسام الصلبة وثقلها النوعي ايضا ، معتمدا في اغلب الاحيان على تآليف البيروني (ت١٠٤٨) واتى على تاريخ نظرية الجاذبية ، ودون بعض الملاحظات عن الجاذبية الشعرية واستعمال ميزان الهواء في قياس كثافة السوائل وتقدير حرارتهـا ، وبحث نظرية المخل واستعمال ميزان الماء [٧١] . وقد اعتمد الخازني في هذه جميعها الترجمات العربية

تجردا من كتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل »[٦٣] لابن حزم القرطبي (ت ١٠٦٤) . اما مكانة كتاب الشهرستاني فتقوم على انه كان ، بعد كتاب ابن حزم ، اسبق المحاولات لدراسة تاريخ الاديان ، في أية لغة[٦٤] .

ودفعت هجمات الباطنية من الداخل وهجمات الفرنجة من الخارج الجماعة الى اتخاد موقف دفاعي ، فاضطرت الى اتخاذ التدابير اللازمة لمجابهة الموقف وتنظيم صفوف المسلمين في الميدان الديني وفي الميدان العملي على السواء . ووجدت الجماعة في الطرق الصوفية وسيلة مثلى لمقارعة الاعداء في ميادين التأليف وميادين القتال . ونشأت هذه الطرق بصورة منظمة (بعد ان بقيت الصوفية طوال القرون الخمسة الاولى اختبارا دينيا شخصيا) في هذا القرن . وليس ببعيد ان تنظيمها هذا قد تأثر بتنظيم الفرسان الصليبيين المعروفين بالداوية (الهيكليين) وفرسان القديس يوحنا (الاسبتارية) . وكانت اول الطرق المنظمة في الاسلام الطريقة القادرية ، نسبة الى مؤسسها عبد القادر الجيلاني (١٠٧٧ — ١١٦٦) وتلتها الطريقة الرفاعية نسبة الى مؤسسها احمد الرفاعي البغدادي (١١٨٣) . ولا تزال هاتان الطريقتان موجودتين ولهما اتباع في جميع انحاء العالم الاسلامي .

« وفي بداية القرن الثاني عشر ، كان من المستحيل على اي فرد ان يصبح عالما رياضيا او فلكيا دون معرفة جيدة باللغة العربية »[٦٥] تمكنه من الاطلاع على التراث العربي في هذين العلمين ، اي الرياضيات والفلك . وتعود مآتي العرب في هذين العلمين الى الفترة السابقة التي ابتدأت حوالي منتصف القرن العاشر للميلاد وانقضت حوالي منتصف القرن الحادي عشر . وعلى الرغم من ان ذلك النشاط العقلي الذي ابدع هذا التراث بقي ملموسا طوال القرن الحادي عشر بكامله ، كان العرب ، على ما يبدو ، قد بلغوا قصارى مجهودهم قبيل بداية القرن الثاني عشر ، وتوقفوا عند ذلك الحد ، قانعين بما وصلوا اليه . في الوقت نفسه ، اقبلت اوربا على ذلك التراث وأخذ علماؤها في نقله الى اللاتينية فقام منهم امثال ادلارد اف باث وروبرت اف تشستر وميخائيل سكوت ويوحنا الاشبيلي وهيو الشنتلي ، وأعظمهم جميعا جيرارد القرموني ، بعمل الترجمة ،

الجغرافية الوصفيــة او الجغرافية الفلكية . وقد بقيت مصنفـات الجغرافيين الادبية ، وكلها من تراث القرن العاشر ، المرجع الوحيد للمشارقة من العرب للمعلومات الجغرافية والفلكية ، حتى نهاية التلت الاول من القرن الثـالث عشر ، حين اكمل ياقوت (ت١٢٢٩) في سنة ١٢٢٨ المسودة الاخيرة من معجمه الجغرافي الضخم الموسوم « بمعجم البلدان » .

ولقد راد قدوم الصليبيين فرص السفر خصوصا لمسيحيي اوربا ، فقد كان لهم مثلما كان لاعدائهم المسلمين ، ارضهم ومدنهم المقدسة ، ومن اهمها القدس وبيت لحم والناصرة ، ويعتبر الحج اليها نافلة مرغوبا فيها وان لم يكن فرضا واجبا . ومع ان طهور الصليبيين والحجـــاح الصليبيين في التسرق العربي ادى الى توسيع آفاق المواطنين الجغرافيـــة فان عناية العرب بغير دار الاسلام بقيت محدودة . وجميع الحدمات العلمية التي قام بها الجغرافيون والرحـالة العرب في هذا القرن كانت ، بدون استثناء تقريبا ، من عمل العرب المغاربة كالزهري (اردهر حوالي ١١٤٠) والادريسي (ت ١١٦٦) والمازني (ت ١١٧٠) وابن حبير (ت١٢١٧). ومع ان الاثنين الاخيرين توفيا في المشرق (اد توفي المازني في دمشق وابن جبير في الاسكندرية) ، فانه من الصعب ان تشملهما هذة الدراسة المخصصـة للعرب المشارقـــة .

ومن هؤلاء المشـــارقة الجديرين بالدكر علي بن ابي بكر بن علي الهروى (ت ١٢١٥) [٧٧] ، الدي الف دليلا ممتارا للحجـاج بعنوان « الاشارات الى معرفة الزيارات »[٧٨] . وهو يبتدىء بدكر الزيارات من مدينة حلب واعمالها والبلاد التي تليها ثم يذكر « الشام بأسرها والساحل باسره وبلاد الفرنج وفلسطين والارض المقدسة وجميع زيارات البيت المقدس ومدينة الخليل عم وديار مصر باسرها والصعيدين والبلاد البحرية والمغرب وجزائر البحر وبلاد الروم وجزيرة ابن عمر وديار بكر والعراق باسره واطراف الهند والحرمين الشريفين ، مكة والمدينة ، حرسهما الله تع ، واليمن وبلاد العجم» . ومعلوماته، على الرغم من انها مختصرة ، تقوم على شهادة العيان في اغلب الاحيان .

السابقة لبعض كتب باوس الرياضي اليوناني الذي ازدهر في اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع للميلاد [٧٢] .

وثمة تقني عربي آخر جدير بالذكر في تركيب الآلات والحيل هو محمد بن علي الخراساني الساعاتي (ت حوالي ١١٨٥) [٧٣] وقد بنى ساعة دقيقة الصنع نصبت في باب جيرون بدمشق . وشاهد ابن جبير هـــذه الساعة ، وكتب عنها في « الرحلة » [٧٤] . وقد اصلحهـــا رضوان ، ابن محمد المذكور ، وكتب كتابا في سنة ١٢٠٣ يشرح تركيبها وتدبيرها . ولا يفوق كتاب رضوان هذا ، من حيث قيمته كمصدر عن صناعة الساعات العربية القديمة ، الا كتاب « الحيل الهندسية » لبديع الزمـــان ابي العز اسماعيل ابن الرزاز الجزري [٧٥] الذي كان معاصرا لرضوان .

اما في الكيميـــاء فلم يضف العرب شيئا اساسيـــا الى تراثهم العلمي ، بل استمروا على نهج جابر بن حيان الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثامن ، وواصلوا البحث في سبيل « حجر الفلاسفة » الذي بواسطته تستحيل المعادن الخسيسة الى ذهب او فضـــة ، و« اكسير الحياة » الذي يمد في عمر الانسان حتى الخلود . واعظم المشتغلين في هذا الميدان في القرن الثاني عشر هو الطغرائي[٧٦] . واتهم الطغرائي بالالحاد وقتل سنة ١١٢١ . ولم يستطع طوال حياته ان يتحرر في اعماله الكيماوية من ربقة التقليد الجامد الذي قيد العقل العربي وسمره بالماضي .

ومال العرب كثيرا الى دراسة الجغرافيا لاسبـــاب متعددة ، منها حاجة الجماعات الاسلامية لتعيين القبلة في بناء المساجد ، ولكي يستقبلهـــا المؤمن وقت الصلاة ، ولضبط خطوط الطول والعرض ضبطا دقيقـــا للرجوع اليها في اعمال التنجيم وكشف الطوالع ، ولهداية المسلمين في جهات العالم الاربع الى الوصول الى مكة والمدينة لاداء فريضة الحج ، ولحاجات التجارة الاعتيادية في البر والبحر في انحـــاء الامبراطورية المنتشرة . وعلى الرغم من هذه الدوافع كلها لم يضف العرب ، خلال القرن الثـــاني عشر ، الى تراثهم الجغرافي شيئاً يذكر ، ان في

وكيفية الاحتفـــاظ بالبضائع وتعيين معدل اثمانها ، وكيفية حماية العقارات والممتلكات [٨٢] . ويعتبر، في هذا الباب، من اقدم الرسائل العربية في الاقتصاد، مع انه يعتمد على ترجمة عربية لكتاب يوناني في « علم تدبير المنزل » منسوب الى برايسون الفيثاغوري .

وعلى الرغم من ان اعلام التراث الطبي العربي اردهروا في فترة سابقة ، فقد يبدو ان عرب القرن الثاني عشر حافظوا على العناية بصناعة الطب وتفوقوا على غيرهم في ممارستها . وتتضح مظـــاهر هذا التفوق في مذكرات [٨٣] اسامة ابن منقذ (وهو من ابناء ذلك القرن) حيث افرد للطب وصنـــاعته عددا من الصفحات . على ان القرن الثاني عشر لم يمد الصنــاعة الطبية باي فتح يستحق الذكر . وبقيت الصناعة هذه ، الى حد بعيد ، وقفا على اهل الدمة ، غير ان الدين اشتهروا فيها كانوا على العموم يهودا، ودلك لان صراع المسلمين صد الفرنجة لم يلبث ان أثار شيئا من التعصب الديني بين الفريقين سرعان ما ادى الى فقدان الثقة بين الفريقين والتباعد بينهما ، فانصرف المسلمون عن اعتماد الاطباء المسيحيين وآثروا اليهود . فاصبح الطب العربي من اواخر القرن الثـــاني عشر الى اواخر القرن الثالث عشر وقفا على اليهود وحدهم تقريبا . ولدلك نرى ان الضالعين في الصناعة الطبية اںداك كانوا ، باستثنـــاء ابن التلميذ المسيحي [٨٤] ، من اليهود ومنهم ابن حميع الاسرائيلي (١١٩٣) طبيب صلاح الدين الخاص [٨٥] ، وابن المدور (١١٩٣) [٨٦] الدي خدم صلاح الدين كما خدم آخر الخلفـــاء الفاطميين من قبل ، وابن الناقد (١١٨٩) [٨٧] وابو المعالي هبة الله اليهودي (١٢٢٢) [٨٨] الدي خدم صلاح الدين ومن بعده السلطان الايوبي الرابع العادل .

ومع ان هؤلاء وغيرهم ممن كانوا اقل منهم مقدرة ومرتبـــة لم يضيفوا الى لتراث الطبي شيئاً يستحق الدكر الا انهم التزموا ، كاطباء مزاولين ، ادب صناعة بصورة رفيعة وابدوا درجة عالية من المهارة الطبية . وخضعت الصناعة قوانين صارمة ، ولم يكن يسمح لاحد بمزاولتها الا اذا حصل اولا على اجازة ن طبيب معروف . وعلى الطبيب ان يقسم يمين ابقراط وان يدفع دية اي

وفي مجال التاريخ الطبيعي فقد ولع العرب بالحجـارة الكريمة وتشوقوا الى معرفة ما يكمن فيها وفي المعادن الاخرى من صفات غيبية . وقد دفعهم ولعهم هذا الى صناعة الاحجار الكريمة والمتاجرة بها ، بيد انهم وقفوا جل عنايتهم على دراسة النباتات ومعرفة خصائصها الطبيـة . وبقي ولعهم في الادوية والعقاقير المضادة للسموم عظيما ، واستطـاعوا في هذا القرن ان يضيفوا الى المعارف ، في هذا الباب ، خدمات معينة قيمة .

ولا بد لنا في هذا المجال من ذكر ابن سرافيون (الاصغر)(٧٩) الذي ازدهر ، على الارجح ، في النصف الاول من القرن الثـاني عشر (٨٠) ، والف كتابا في الادوية المفردة اعتمد فيه على المصادر البيزنطية والعربية . واشتهر في علم الادوية المفردة والعقاقير المضـادة للسموم ابن التلميذ (ت ١١٦٥) (٨١) مؤلف افضل كتاب عربي في الاقرابادين حتى ذلك العهد . غير ان خدمات العرب المغاربة ، في هذا العلم كانت ، مثل خدماتهم في الفلك والرياضيات والجغرافيا ، اعظم من خدمات اخوانهم المشارقة فيها .

وادت التجارة بالحجارة الكريمة والادوية والعقاقير والاطيـاب الى وضع كتب خاصة هدفها حماية المستهلك من الغش والاحتيال وتنظيم المعاملات التجارية . وقد وضعت هذه الكتب احيانا ليستعين بها المحتسب المسؤول عن رقابة الاسواق ، فجاءت بمثابة دليل رسمي للمقاييس والموازين . والواقع ان عدد الكتب الخاصة بالقوانين التي تنظم المعاملات التجارية والاخلاق العامة ازداد ازديادا ملموسا في هذا القرن . ولعل السبب الرئيسي في ذلك ما تميز به هذا القرن من تدهور في الاخلاق العامة الناشيء عن عدم الاستقرار السيـاسي والاجتماعي . ويدخل في هذا النوع من التآليف كتاب جعفر بن علي الدمشقي (الذي ازدهر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر) في التجارة والبيع ، وعنوانه « الاشـارة الى محاسن التجارة ومعرفة الجيد الاعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها » . ولا يقتصر الكتاب على عرض القوانين لمراقبة الاسواق والمعـاملات التجارية بل يتعداها الى بحث مسائل اخرى كحقيقة المال وانواع الممتلكات واصـل النقد

اردهروا في هذه الفترة لا سيما لعنـايته بتاريخ الاديان [٩١] . وقد ارخّ ايضا للفلاسفة في كتابه « تاريخ الحكماء » .

ويتمثل هذا الاتجاه نفسه في كتـــابات مؤلف آخر هو عبد الكريم بن محمد السمعاني (١١١٣ — ١١٦٧) ، صاحب « كتاب الانساب » . ولهذا الكتاب قيمة خاصة تتعدى حفظ عدد كبير من الانساب وتقوم على ما يحتوي عليه من معلومات تاريخية عن بلاد فارس وما وراء النهر وآسيـا الوسطى . وقد اعتمد السمعاني في كتابه هذا على « تاريخ اصبهان » لحمزة الاصفهاني (ت ٩٧٠) وعلى « تاريخ بيسابور » للحكيم النيسابورى (ت ١٠١٤) وبصفة خاصة ، على« تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (ت ١٠٧١) . وبكتابات السمعاني يبتدىء عصر التصنيف والجمع الدي بلغ اوجه في القرن الرابـع عشر في كتابات نظير كتابات النويري (ت ١٣٣٢) وابن فضل الله العمري (ت ١٣٤٨) . ولهذه الكتابات قيمة عظيمة لانها حفظت لنا كنوز التراث العربي الثقافي واثاره . اما قيمتها من حيث الاصالة والابداع فمحدودة حدا . وهي تعكس خصائص العصر الرئيسية التي تركزت على التنظيم دون الابتكار وعلى الترتيب والتنسيق دون الاصالة والابداع [٩٢] .

ويتجلى هذا الاتجاه نفسه في آثار علي بن زيد البيهقي (١١٠٥—١١٦٩)[٩٣] مؤلف « تاريخ حكماء الاسلام » . والكتاب هـذا تتمة لمعجم من معاجم السير السابقة هو « صيوان الحكمة » لمحمد السجستاني الدي اردهر في النصف الثاني من القرن العاشر . وللبيهقي ايضا مؤلف آخر بالفارسية أرخ فيه لمسقط رأسه ، بيهق ، واتمّـه قبل وفاته بسنة .

ويظهر الانتقال من العناية بالتواريخ العامــــة الى العناية بالتواريخ المحلية في كتـاب « تاريخ اليمن » [٩٤] لعمارة بن علي اليمني [٩٥] (١١٢١ — ١١٧٤) ، الدي قتل بأمر صلاح الدين لدوره في مؤامرة هدفها ارجاع الخلافـــة الفاطمية بالتعاون مع ملك القدس الفرنجي .

مريض يموت نتيجة معالجته ، وعليه ان يعرف تشريح الجسد واخلاطه معرفة جيدة ، وان يلم الماما تاما بالامراض المختلفة التي يتعرض لها الانسان والادوية التي توصف لكل مرض . وثمة شروط مشابهة لمهنة الكحالين . فيجب على كل كحال ان يعرف « العشر مقالات في العين » التي تنسب الى حنين بن اسحق (ت ٨٧٣). وعلى المجبرين ان يعرفوا على وجه التدقيق عدد عظـام الآدمي وصورة كل عظم منها . واما الجراحون فعليهم اتقان مؤلفات جالينوس في الجراحات والمراهم وان يعرفوا التشريح واعضاء الانسان والعروق والشرايين والاعصاب [٨٩] .

وجرت العادة على العناية بالمرضى في البيمارستانات وهي المستشفيات وترجع هذه العادة لدى العرب الى القرن التاسع وبقيت متبعـــة في القرن الثاني عشر وحظيت باتنباه خاص من كل من عماد الدين زنكي وابنه نور الدين ، وصلاح الدين . وكان لكل حاضرة من حواضر المدن مثل بغداد وحلب ودمشق والقدس والاسكندرية بيمارستان خاص بها ، يشتمل عادة على رواقين ، احدهما للرجال والثاني للنساء . وقد زار ابن جبير احد مستشفيات القاهرة وشاهد فيه رواقا ثالثا للمجانين [٩٠] ، واستعملت بعض هذه المستشفيات مدارس للصناعة الطبية ايضـــا .

وكان من الطبيعي ان تعكس الكتابة التاريخيــة لدى العرب تفسح الجماعة الديني والسياسي لا سيما لتفاقم هذه الحالة حتى قبل القرن الثاني عشر بأمد بعيد. فأمعنت الكتابة التاريخية في الاقليمية وانصرفت الى التواريخ المحلية والاسروية والى التراجم ، الطويلة منها والموجزة . واتخذت السير الموجزة شكل المعاجم والطبقات . ونشط هذا الاتجاه في القرن الثالث عشر وبلغ اوجـــه في القرنين التاليين ، اي القرن الرابع عشر والخـامس عشر . وهو يدل على زوال وحدة العالم العربي والاسلامي السياسية ويكشف عن ميل متزايد للتهرب من حقائق واقع مؤلم الى ذكريات الماضي والى التغني بالامجاد القديمة .

ويسترعي الشهرستاني (١٠٧١ – ١١٥٣) انتباها خاصا بين المؤرخين الذين

١١٨٠ . غير انه على سعته وشموله، لم يأت بجديد في التاريخ والكتابة التاريخية . بيد انه يدل على ان الجماعة كانت لا تزال قادرة على انجـــاب شخصية تقوى على الارتفاع فوق جميع الحواجز المحلية وأن تسمو على جميع المصائب والمحن والمشاحنات الهدامة، لتربط موضوع بحثها بمجرى التاريخ العربي الاسلامي العام.

وقد يذكر في هذا الباب اسامة بن مرشد المعروف باسامة بن منقذ (ت١١٨٨)، على الرغم من انه لم يكن مؤرخـا بالمعنى الدقيق . الا انه كان ، على ما يظهر ، اول من استحدث كتابة « المذكرات » ، او فن السيرة المكتوبة بقلم صاحبها . وخلف لنا هذا الفارس «الفتى» في مذكراته الموسومة « بكتاب الاعتبار »[١٠١] اول مقالة عربية عن الطرديات والبيزرة، وقد برع هو نفسه فيهما . وفي الكتاب ملاحظات ومعلومات عن مصر في ايام الفاطميين وعن بلاد الشام في عهد الزنكيين والايوبيين ، واخبار مفصلة عن علاقـــات المسلمين والفرنج في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، وجميعها مما شاهده اسامة شهادة عيان .

ولا بد من ذكر بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد (ت١١٤٥—١٢٣٤)[١٠٢] الذي استهل حياته العامة بالتدريس معيدا في المدرسة النظامية في بغداد ، ودرّس في حلب ثم ولاّه صلاح الدين قضاء العسكر والحكم في القدس الشريف . امـا عنايته بالتاريخ فقد اتجهت الى السيرة والتاريخ المحلي ، فالّف سيرة صلاح الدين مطلقا عليها اسم « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » [١٠٣] وكتب تاريخ حلب حيث كان قد استقر مدة وفي اثنائها اعتنى بترتيب امور مدارسها وجمع الفقهاء في خدمتها ، وعمّر هو مدرستين ، واحدة منهما خاصة بتدريس الحديث النبوي .

ويصل ابن شداد ، من حيث كتابة التاريخ ، تقليد القرنين الثـــاني عشر والثالث عشر ، ويمثل الى حد بعيد اتجاه المؤرخين العرب فيهما ، ذلك الاتجاه الذي يؤكد على التاريخ المحلي وعلى تاريخ الاسر ، لا على التاريخ العالمي او التاريخ العـــام .

واعظم مؤرخ عربي في هذا القرن هو ابو القاسم علي بن عساكر (١١٦٧)[٩٦] مؤلف « تاريخ دمشق » . واتبع ابن عساكر في تاريخه هذا نمط الخطيب البغدادي في « تاريح بغداد » . ويقع « تاريخ دمشق » في ثمانين مجلدا، ويتناول تاريخ المدينة بشكل عارض ولكنه يترجم للعلماء المشهورين الذين ولدوا او صرفوا جزءا من حياتهم فيها . ولا تزال نسخة محطوطة منه في المكتبة الظاهرية بدمشق . وقد اقبل عدد من المؤرخين ، فيما بعد ، على اختصاره ، ولكن الاصل المطول لما ينشر بكامله بعد . وهو ، على الرغم من حجمه الكبير ، يمثل الاتجاه المتزايد نحو التواريخ المحلية ومعاجم السير . وكان لابن عساكر منزلة عظيمة لدى معاصريه ، وعند وفاته حضر الصلاة عليه صلاح الدين نفسه .

واما الاتجاه نحو تاريخ الاسر ، فيمثله محمد عماد الدين الكاتب الاصفهاني (ت ١٢٠١)[٩٧] وهو فارسي المولد ، درس في بغداد وكتب بالعربية .واشهر مؤلفاته «كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي »[٩٨] . وفيه يؤرخ لفتح سورية وفلسطين على يد صلاح الدين.ومن مؤلفاته ايضا «نصرة الفطرة وعصرة القطرة»، وهو تاريح للسلاجقة ووزرائهم ، يعتمد اصلا فارسيا لشرف الدين انوشروان (ت ١١٣٧) . وللعماد مؤلف آخر عنوانه « البرق الشامي » ، يشتمل على سبعة اجزاء ، يؤرخ فيه لعصره ويحتوي ترجمة حياته ايضا . ولم يبق من هذه الاجزاء السبعة سوى جزء واحد يتناول الحوادث الواقعة بين سنة ١١٨٢ — ١١٨٤ . والعماد اديب مشهور بحسن اسلوبه الكتابي ، وآثاره لا تزال تحتل مكانة مرموقة في الدوائر الادبية .

ويشذ عن هذا الاتجاه العام نحو التواريخ المحلية والاسروية كتاب لابي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت ١٢٠١)[٩٩] الذائع الصيت . وكان ابن الجوزي من اغزر كتاب الاسلام انتاجا ، طرق مواضيع متعددة ، منها السير والحديث والفقه والاخلاق والطب والجغرافيا والعلوم القرآنية . وافضل مؤلفاته كتاب « المنتظم وملتقط الملتزم »[١٠٠] . وهو تاريخ للعالم منذ بدء الخليقة حتى سنة

العلمية بل فيما تلقيه من نور على الحياة اليومية والمعاملات في ذلك الوقت .

وكان للّغة والادب دوما مركز رئيسي في الفكر العربي ، وبقيا ، مع الخط العربي ، الاداة الاساسية للتعبير الفني. وبلغ الادب العربي ، الذي ابتدأ بالجاحظ في القرن التاسع ، اوجه في الصاعة اللفظية في القرن الثاني عشر . واخذ الادباء يبتعدون شيئاً وشيئاً عن البساطة في التعبير التي اتصفت بها الكتابة الادبية في الفترة السابقة ، منتحلين الصناعة والتصنع . وقوى هذا الاتجاه وبدا واضحا حتى في اواخر القرن العاشر واوائل القرن الحادي عشر ، في كتابات ادباء مثل ابي بكر الخوارزمي (ت حوالي ٩٩٣) وبديع الزمان الهمذاني (ت ١٠٠٨) . واصبحت هذه الصاعة ، بعد ان بلغت منتهى تطورها ، مقياس الفصاحة والبلاغة لدى جميع الاجيال العربية ، ولا يزال اسلوبها الرشيق ، وتعابيرها المنمقة، واستعاراتها الجميلة ، وجملها الرتيبة ، وسجعها النظيم ، وبياتها الحسن، يستهوي القراء والسامعين العرب حتى يومنا هذا . وقد طغى هذا الاسلوب على كتابة النثر ، سواء أكانت رسائل ادبية ، او مراسلات رسمية ، أو حتى كتابة تاريخية ، كما هو واضح في « الفتح القسيّ » المذكور سابقا [١٠٩] .

وأعظم كتاب الرسائل الادبية على الاطلاق هو ابو محمد القاسم الحريري (١٠٥٤ — ١١٢٢) [١١٠] . وقد بلغت به المقامات ، التي كان قد ابتدعها الهمذاني في نهاية القرن العاشر ، قمة تطورها . وهي مجموعة من خمسين قصة تدور حوادثها على الكدية ، وبطلها محتال ظريف ، اتخذ منها المؤلف وسيلة لعرض تمكنه من اللغة العربية ، واماقته القصوى في التعبير . وهيمنت هذه المقامات باسلوبها المتكلف على الكتابة الادبية وعلى الفكر العربي وبقي اثرها سائدا دون منافس . والواقع ان النهضة الادبية العربية في القرن التاسع عشر ابتدأت بمحاولة موفقة في تقليد هذه المقامات ، قام بها الشيخ ناصيف اليازجي المشهور (ت ١٨٧١) عندما الّف « مجمع البحرين » على غرار المقامات الحريرية.

وكتب الحريري ايضا في النحو ، وتناول بصفة خاصة في « درة الغواص في

ويختلف القرن الثاني عشر عن القرن الحادي عشر بفقره الشديد في الدراسات القانونية من حيث كميتها ونوعها . وتعنى الكتابات القليلة التي وصلتنا في هذه الفترة بالنواحي العملية اكثر من عنايتها بالنواحي النظرية ولا يتجلى فيها شيء من الابداع . ويدل على عقمها في هذا الباب الحيوي ازدياد التأليف في الاحكام والسياسة لارشاد القائمين على شؤون الادارة وتدبير الدول . من هذه كتاب لابي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي [١٠٤] (١٠٩٥ - ١١٣١) ، الطرطوشي المولد ، الاندلسي النشأة والتربية . فقد تلقى ابو بكر هذا العلم في سرقسطة اولا وفي اشبيلية ثانيا ، ثم رحل الى المشرق وبعد ان ادّى فريضة الحج سنة ١٠٨٣ / ١٠٨٤ تنقل في الشرق الادنى واستقر اخيرا في الاسكندرية حتى توفي . والف في اثناء اقامته في مصر كتاب «سراج الملوك»[١٠٥] وهو دليل للحكام والسلاطين. واتمه في الفسطاط سنة ١١٢٢ ، وأهداه الى المأمون وزير الآمر ، الخليفة الفاطمي آنذاك .

وثمة كتاب آخر بقلم محمد بن علي بن الدهان (ت ١١٩٤)[١٠٦] المولود في بغداد ودفع به طلب الرزق الى بلاد الشام ومصر واستقر آخر الامر في دمشق . ولما كان عالما باصول الفلك ايضا ، الّف كتبه الفقهية على صورة التقاويم الفلكية الرائجة في ذلك الوقت . واطلق على كتابه الذي وضعه في علم الفرائض اسم « تقويم النظر في المسائل الخلافية » . ويقع هذا الكتاب في مقدمة تليها جداول في عشرة اعمدة تعطي لكل سؤال جوابا حسب المذاهب السنية الاربعة والمبادىء الفقهية المتعلقة بالسؤال وملاحظات اخرى .

وثمة كتاب ثالث وضع دليلا لخدمة المحتسب المسؤول عن مراقبة الاسواق والتحقيق من صحة الموازين والمقاييس وفحص المصنوعات والسلع . وهو من تأليف عبد الرحمن بن نصر الله الشيزري [١٠٧] وكان الشيزري من معاصري صلاح الدين . واطرف هذه المؤلفات جميعها هو كتاب « الاشارة الى محاسن التجارة » لجعفر ابن علي الدمشقي ، وقد سبقت الاشارة اليه عند ذكر التاريخ الطبيعي والحجارة الكريمة [١٠٨] . والمنفعة في هذه المؤلفات لا تكمن في قيمتها

كاتب اقل مهارة منه فهي دوما اقرب الى الالعاب البهلوانية منهـا الى البلاغة . ومهما يكن من امر فان هذه الرسائل لا تزال تتبوأ مكانة مرموقـــة في الادب العربي ويعرف اسلوبها الرائع بالاسلوب الفاضلي ، نسبة الى القاضي الفاضل نفسه.

ويعكس هذا النوع من التطور روح حضارة على وشك الغروب، بلغت حدها الاقصى من النضوج واستقرت في سكينة لتنعم في ما ابتدعته من اسباب الترف المادي والفكري على السواء ، تعيش على ماضيهـا وتستهلك رأسمالها الفكري ، غير منتبهة الى ضرورة تنميتـه وتعزيزه . فانصرفت عن الابداع والابتكار الى الجمع والتصنيف . ويتمثل هذا الاتجاه خير تمثيل في كتــابات ابي الفضل محمد الميداني (ت ١١٢٤) .[١١٨] ولا يزال كتابه « مجمع الامثال » من امتع المؤلفات التي تحفظ اساطير العرب وادبهم الشعبي واكثرها نفعا .

وكانت خدمات ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (١١٤٤) [١١٩] للادب العربي في القرن الثاني عشر اعمق اثرا واغرر فـائدة من خدمات اقرانه . فقد انبرى هذا العالم الفارسي المولد للدفاع عن العربية والاسلام وسخر جميع مواهبه المتعددة لمقارعة اعدائها من مواطنية الفرس . وهو يمثل من هذه الناحية رد فعل ضد الشعوبية وضد اعمالها الهدامة . وكان موقفه من العربية على خلاف موقف الفردوسي (ت ١٠٢١) منها . وقدم الزمخشري للعربيـة خدمات خطيرة في اللغة والصرف والنحو . غير ان خدمته الكبرى جـــاءت عن طريق الكلام والتفسير . وعلى الرغم من اعتزاله واتباعه آراء المعتزلة وعقـــائدهم ، لا يزال تفسيره للقرآن الكريم الموسوم « بكتاب الكشـاف عن حقيقة التنزيل » يحتل مكانة محترمة ويجد قبولا لدى المسلمين كافة .

وقد حاول الزمخشري في تفسيره هذا وفي كتابه الآخر « اساس البلاغة » ان يثبت حقيقة الاعجاز دون قبول عقيدة اهل السنة والجماعة أن القرآن الكريم قديم ، لان المعتزلة قالت بخلقه لا بقدمه . وقد قبل المسلمون طريقته المنطقية في معالجة الموضوع، واستنتاجاته الايجابية فيما يتعلق باعجــاز القرآن ، ولكنهم

اوهام الخواص » الاخطاء التي يقترفها المثقفون في كتاباتهم . وتابع عمله في هذا الباب معاصر من معاصريه اصغر سناً منه ، هو ابو منصور موهوب بن احمد الجواليقي (١٠٧٣–١١٤٤)[١١١] فألّف « التكملة فيما يلحن فيه العامة »[١١٢]. ويبدو ان كلاً من الحريري والجواليقي ادرك بشكل متزايد الاخطار التي كانت تواجه اللغة العربية بسبب من تدفق العناصر الاجنبية ولا سيما الاتراك الذين جاؤا مع السلاجقة وطغى تأثيرهم على جميع مجاري الحياة . وجمع الجواليقي ايضا ، في « المعرب فيما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمي » [١١٣] ، وهو مرتب على حروف المعجم ، الالفاظ الاعجمية التي دخلت الى اللغة العربية .

وكان لتدفق العناصر الاجنبية على العالم العربي وانتقال السلطان من العرب الى اسر من غيرهم من الشعوب ، لغتها الام اما فارسية كما كانت الحال لدى البويهيين ، او تركية كما كانت لدى السلاجقة ، او كردية كما كانت لدى الايوبيين ، أثر سلبي على الشعر العربي . فلم يستطع هؤلاء الحكام ، في اكثر الاحيان ، ان يتذوقوا الشعر العربي ويقدروه حق قدره ، مما دعا احد الشعراء الى اظهار تألمه من هذه الحالة [١١٤] . والواقع ان القرن الثاني عشر لم ينجب من شعراء الطبقة الاولى الا القليل . غير ان هذا الاتجاه الذي ابتدأ ، على ما يظهر ، بالبويهيين ، ادى الى ظهور طبقة من الادباء تعرف بطبقة الكتاب ، حل افرادها محل الشعراء ، وادت خدماتهم للدولة الى نشوء نوع خاص من الادب عرف بالرسائل . ومن اقوال العرب ان الكتابة ، أي كتابة الرسائل « بدئت بعبد الحميد [١١٥] وختمت بابن العميد » [١١٦] . وبلغت هذه الرسائل مرتبة الادب الرفيع على يد القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني (١٢٠٠) [١١٧] وزير صلاح الدين المشهور . وتتميز هذه الرسائل بالحشو والاسترسال والاكثار من الاستشهاد بجوامع الكلم واقوال السلف ، والافراط في استعمال التشبيه والمجاز والكناية والتروية والجناس والبديع والسجع والمبالغة بالتأنق والاغراب في اللفظ والانصراف الى العناية بالمبنى دون المعنى . ولا تخلو هذه الرسائل من التصنع حتى اذا جرت من براعة فنان عظيم نظير القاضي الفاضل ، اما اذا جاءت من قلم

يصيء له مشكله تهافت الحضارات وسرّ اندثارها وزوالها ، « لان كل من له يعطى فيزداد ، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه »(١٢٠) . ومهما يكن من امر ، فان السيادة الفكرية والحضارية التي اقام العرب صرحهـا في القرون السابقه اخذت تسير في طريق الزوال . ولم ينقض القرن الثـــاني عشر ويبتدىء القرن الثالث عشر حتى كانت الحضارة العربيــة قد توقفت عن التقدم على الرغم من احتفاظها بالكثير من تراثها العظيم . واد توقفت عن التقدم كان لا بد لها ان تفسح الطريق امام تقدم الحضارة الغربية التي ما برحت تعلي بناءها على اساس ما خلفه العرب ، وتنتقل من فتح الى فتح ، حتى تم لها النصر قبيل مطلع القرن التالي . واخذت شمس الحضارة العربية في الغروب وراء الافق لتتـــألق ثانية بنور على نور في الغرب .

المراجع والتعليقات

(يسرني ان اعرب عن شكري لتلامذتي علي حاج بكري ومحمد توفيق حسين وسعدي حياط وميخائيل حوري على معونتهم لي في جمع بعض المعلومات الاساسية التي وردت في هده الدراسة .)

١) George Sarton, *Introduction to the History of Science*, Vol. II, Pt. I (Baltimore, 1931), pp. 1—99.

وسيشار الى هدا المرجع فيما بعد باسم مؤلفه فقط ، أي « سارطون »

٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، القاهرة ١٣٥٢ ، جزء ١ ص ٣٦

٣) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الايام ، حيدر اباد ، ص ٣٦

٤) . اسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتي ، برنستون ١٩٣٠ ص ٧١ – ٧٢

٥) : المرجع نفسه ، ص ٧٩

٦) ابن عنين ، ديوان ، تحقيق خليل مردم ، دمشق ١٩٤٦ ، ص ٣٣

٧) ابو شامة ، كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ، القاهرة ١٢٨٧ ، ج ١ ص ٢٤٠

٨) ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ ، تحقيق عبد الحفيظ عطية ، القاهرة ١٣٨٨ ج ٢ ص ٢٠١

٩) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك ، حيدر ابـــاد سنة ١٣٥٨ ، ج ١٠ ص ١٣٣ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ١٠ (ليدن ١٨٦٤) ، ص ٤٤١ .

رفضوا قوله بأن القرآن مخلوق . ومهما يكن من أمر ، فقد كان الزمخشري آخر فقيه معتزلي ذي شأن ، تأثرت بعلمه الدراسات القرآنيـــة ، ولا تزال آراؤه في الاعجاز ومقاييس البلاغة التي وضعهـا مرجعا لجميـع المعنيين بالموضوع يرجعون اليه ، وحكماً فصلا يحتكمون لديه .

ان هذا العرض الموجز للحياة الفكرية العربية في القرن الثاني عشر لا يوحي بانحطاط في الانتاج ، بل يدلل على ان مقداره بقي ضخما . والواقع ان قسما كبيرا من تراث العرب الفكــري يعود الى هذه الفترة بالذات . غير ان هذا الانتاج ، على سعته وضخامته ، زهيد القيمة محدودها . ولا يأتي الا بالقليل مما هو جديد ومبتكر . ولا نلمس في القرن الثــاني عشر اثرا من آثار الانحطــاط سوى الجفاف في ينابيع الابداع والابتكار . وكثيرا مــا تكون الحروب دافعا من دوافع النشــاط والعمل اذ تفجّر طاقــات مدفونة وتكشف عن امكانات مغمورة ، وفي بعض الاحيان تؤخر الى حين وقوع الكارثة . وهذا هو بالذات ما جرى للحضارة العربية في القرن الثاني عشر نتيجة للحروب الصليبية . فلقد انقذ الصراع الاسلامي المسيحي هذه الحضارة المحتضرة من الهلاك وبعث فيها حياة جديدة واجّل الى حين تحجرهــا . وجعل هذا الصراع ايضا من القرن الثاني عشر فترة انتقال . فقد كان العرب ورثة تراث حضــاري عظيم . غير ان صراعهم ، صراع حياة او موت ، مع الكفر والخيانة (وهما وجها قطعة النقد الواحدة في التفكير الاسلامي) في الداخل ، والعدوان العسكري في الخارج ، اضطرهم الى تركيز جهودهم كلها على الاحتفاظ بما كان لديهم من تراث ، فانشغلوا بذلك عن غيره من التبعــــات ، ولم يعيروا تحدّي الآراء والافكار الجديدة اي انتباه ، وفاتهم ، على ما يظهر ، ان التقدم لن يكون عن طريق الوقوف عن الحركة والسعي ، وان الحضارة التي لا تعزز دومــــا بالجهود المثمرة والاعمال ستؤول حتما الى الجمود فالاضمحلال . ومهما بلغت ثروة الانسان الفكرية من تقدم ستصبح مع الايام مبتذلة عقيمة ان هي استقرت على حال وقنعت بمــا هي فيه . وقد يجـد المرء في مثل الوزنات الذي ضربه السيد المسيح لتلامذته وميض نور

٢٨) ابن جبير ص ٢٢٥ و ٢٢٩

٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩

٣٠) المصدر نفسه ، ص ٢٢٥

٣١) ابن جبير ص ٢٨٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٨ ، جـ ٤ ص ٢٢٧ ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، القاهرة ١٨٨٢ ، جـ ٢ ، ص ١٩٢

٣٢) ابن جبير ص ٢٨٣ ، انظر فيليب حتى تاريخ العرب (بالانكليزية) الطبعة الثامنة ، لندن ١٩٦٣ ص ٦٩٥ — ٦٦٢

٣٣) ابن جبير ، ص ٤٠ — ٤٥

٣٤) المرجع نفسه ، ص ٥١

٣٥) ابن الطقطقى ، الفخري في الآداب السلطانية ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٢٧٦

٣٦) المرجع نفسه ، ص ٢٦٩

٣٧) ابن جبير ، ص ٢٢٧

٣٨) المرجع نفسه ، ص ٢٢٧

٣٩) الفخري ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، ٢٨٧

٤٠) ابن جبير ، ص ٢١٨ - ٢١٩

٤١) ابن الاخوة ، معالم القربة في احكام الحسبة ، تحقيق ر . ليفي ، كامبردج ١٩٣٧ ، ص ١٧٩ — ١٨٠

٤٢) المرجع نفسه ، ص ٢١٨

٤٣) اسامة ، ص ١٢

٤٤) الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ١٠٧ ، ابن الاخوة ، ص ١٥٢ — ١٥٣

٤٥) اسامة ، ص ١٤٠

٤٦) مرآة الزمان ، ص ٣٧٨

٤٧) ابو الفداء ، جـ ٣ ص ١٢

١٠) هاجم البدو في سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م قوافل الحجاج بين مكة والمدينة وفتكوا بهم وافنوا اكثرهم (ابو الفداء ، المختصر في تاريخ البشر ، القاهرة ، لا . ت . ج ٣ ، ص ٢٣) . واضطر الحجاج في سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م الى تغيير طريقهم وسلوك طريق اخرى ليتلافوا هجمات البدو (ابن الاثير ، ج ١١، (ليدن ١٨٥١ ، ص ١٨٩–١٩٠، والمنتظم، ج ١٠ ، ص ٢١٨) . وفي سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م هاجم بنو خفاجة قوافل الحجاج ونهبوا اموالها فاضطر المصريون ان يمتنعوا عن الخروج الى الحج (المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢) .

١١) مرآة الزمان ، ص ٦٨

١٢) ابن الاثير ، جـ ١٢ ليدن ١٨٥٣ ، ص ١١٢ .

١٣) المنتظم، ج ١٠ ، ص ٢٨٥ ، ابن الاثير، ج ١١ ص ٢٩٩ ، ابو شامة، جـ ٥ ص ٥–٦

١٤) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٥ ، جـ ٥ ص ٣٢٥

١٥) الكتبي ، فوات الوفيات، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥١ ، جـ ١ ص ١٢٣

١٦) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق امدروز ، بيروت ١٩٠٨ ص ٢٢

١٧) الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية

١٨) ابو شامة ، ذيل الروضتين ، القاهرة ١٣٦٦ ، ص ٦٩

١٩) مرآة الزمان ، ص ٦٢٤

٢٠) المنتظم ، جـ ٧ ، ص٢٨٧

٢١) المصدر نفسه ، جـ ٨ ص ١٠٩–١١١

٢٢) تحقيق وليم رايت ، لندن ١٨٥٢ ، وقد اعاد نشره منقحا دي غويه ، لندن ١٩٠٧

٢٣) ابن جبير، ص ٢٦٠

٢٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٥–٢١٦

٢٥) سورة ابراهيم : ٣٧

٢٦) ابن جبير ١١٩–١٢٠

٢٧) ناصري خسرو ، سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٣

٧١) المصدر نفسه ، ص ٢١٦

٧٢) قابل المصدر نفسه ، ج ١ ص ٣٣٧–٣٣٨

٧٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٨ ، ج ٢ ، قسم ٢ ، ص ٦٣٢

٧٤) ابن جبير ، ص ٢٧٠–٢٧١

٧٥) سارطون ، ج ٢ ، قسم ٢ ، ص ٦٣٢

٧٦) ياقوت، ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، القـــاهرة ١٩٣٦ ، ج ١٠ ، ص ٥٨–٧٩
ابن خلكان، ج ١ ، ص ٤٣٨–٤٤٢ .

٧٧) ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٣١–٣٣

٧٨) تحقيق جابيل سورديل – طومين ، دمشق ١٩٥٣

٧٩) يجب الا يخلط بينه وبين يحيى ابن سرافيون الذي ازدهر في النصف الثاني من القرن التاسع

٨٠) يستشهد ابن سرافيون هذا بابن الوافـــد الذي ازدهر في اواسط القرن الحادي عشر ،
ويستشهد به المالقي الاندلسي المشهور ابن البيطار (ت ١٢٤٧) . قابل كارل بروكلمان ،
تاريخ الاداب العربية (بالالمانية) ، ذيل ١ (ليدن ١٩٣٧) ، ص ٨٨٧ ، وسارطون ،
ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٢٢٩ . ولا تذكر معاجم السير العربية لابن سرافيون هـذا ترجمة
البتة .

٨١) ابن ابي اصيبعة ، ج ١ ، ص ٢٥٩ . ياقوت ، ارشاد ، ج ١٩ ص ٢٧٦–٢٨٢ ،
القفطي ، « تاريخ الحكماء » ، تحقيق جوليوس ليبرت ، ليبزغ ١٩٠٣ ، ص ٣٤٠–
٣٤٢

٨٢) سارطون ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٢٦٢– ٢٦٣ . وقد وصف هـذا الكتاب وعدد ابوابه
هلموت ريتر في مجلة « دراسلام » الالمانية ، ج ٧ (١٩١٧) ، ص ١–٩١ .

٨٣) ص ١٣٢– ١٣٤ و ١٣٧– ١٣٨

٨٤) انظر اعلاه ، ص ٤٣٠

٨٥) ابن ابي اصيبعة، ج ٢ ، ص ١١٢

٨٦) سارطون ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٤٣٢

٨٧) ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ١١٥–١١٦

٨٨) المصدر نفسه ، ص ١١٧

٤٨) ابن ابي أصيبعة ، ج ٢ ، ص ١١٢–١١٥

٤٩) المصدر نفسه ، ١١٥

٥٠) المصدر نفسه ، ص ١١٧–١١٨

٥١) سورة ٩ : ٢٩

٥٢) اسامة ، ص ١٢٥

٥٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٠

٥٤) أسامة ، ص ١٢٧–١٢٨

٥٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٩

٥٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٥

٥٧) سمي هذا الكتاب تيمنا باسم الخليفة العباسي المستظهر (١٠٩٤–١١١٨) ، ونشر بتحقيق ا . جولد ستهير ، لندن ١٩١٦ .

٥٨) الغزالي ، المنقذ من الضلال ، القاهرة ١٩٣٨ ، تهافت الفلاسفة ، بيروت ١٩٢٨

٥٩) المنقذ من الضلال ، ص ١٧٤

٦٠) الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ، القاهرة ١٢٣٧ ، ص ٨٠–٨١

٦١) القاهرة ، ١٢٦٣ ، ١٣١٧–١٣٢٠

٦٢) القاهرة ١٣٢٨

٦٣) القاهرة ١٣١٧–١٣٢٠

٦٤) سارطون ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٢٤٩

٦٥) المصدر نفسه، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٧

٦٦) المصدر نفسه ، ج ١ (بلتيمور) ، ص ٧٣٨

٦٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٢٠٤–٢٠٥

٦٨) ابن ابي اصيبعة ، ج ٢ ، ص ٩٠–٩٨

٦٩) سارطون ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٢٠٤

٧٠) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ ، ٤٠١

١١٠) ياقوت ، ارشاد ، ح ١٦ ، ص ٢٦١ – ٢٩٣

١١١) ابن خلكان، ح ٤ ، ص ٤٢٤–٤٢٦، ياقوت ، ارشاد حرء ١٩ ، ص ٢٠٥–٢٠٧

١١٢) طبع في ليبسك ١٨٧٥

١١٣) طبع في ليبسك ، ١٨٦٧

١١٤) انظر اعلاه ، ص ٤٠٧

١١٥) توفي سنة ٧٥٠ ، وهو كاتب آخر الخلفاء الامويين . انظر ابن خلكان ، ح ٢ ، ص ٣٩٤ – ٣٩٧

١١٦) وزير ركن الدولة البويهي ، انظر ابن خلكان ح ٤ ، ص ١٨٩ – ص ١٩٧

١١٧) ابن خلكان ، ح ٢ ، ص ٣٣٣ – ٣٣٧

١١٨) ابن خلكان ، ح ١ ، ص ١٣٠ – ١٣١

١١٩) ابن خلكان ، ح ٤ ، ص ٢٥٤ – ٢٦٠

١٢٠) متى ٢٥ : ١٤ – ٣٠

٨٩) « معالم القربة » ، ص ١٦٥ – ١٦٩

٩٠) اس حبير ، ص ٥١

٩١) انطر اعلاه ، ص ٤٢٥ ، اس خلكان، حـ ٣، ص ٤٠٣–٤٠٤، السبكي ، حـ ٤، ص ٧٨ – ٧٩

٩٢) انطر علاه ، ص ٤٢٢

٩٣) ياقوت ، ارشاد ج ١٣ ، ص ٢١٩ – ٢٤٠

٩٤) حققه وترجمه الى الانحليرية كاسلركاي ، لندن ١٨٩٢

٩٥) اس خلكان ، ح ٣ ، ص ١٠٧ – ١١١

٩٦) ياقوت ، ارشاد ، جـ ١٣ ، ص ٧٣–٨٧ ، السبكي ، حـ ٤ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٧ ، اس خلكان ، جـ ٢ ، ص ٤٧١ – ٤٧٣

٩٧) ياقوت ، ارشاد ، حـ ١٤ ، ص ١١ – ٢٨ ، اس حلكان ، ح ٤ ، ص ٢٣٣ – ٢٣٨

٩٨) نشره فون لاندبرغ ، ليدن ١٨٨٨

٩٩) اس حلكان ، حـ ٢ ، ص ٣٢٣ – ٣٢٤

١٠٠) حيدر آباد ، ١٣٥٧ هـ

١٠١) تحقيق فيليب حتي ، برنستون ١٩٣٠ . ونقله الى الانكليرية حتي ايضـــا ونشره في حامعة كولومبيا ، نيويورك ١٩٢٩ .

١٠٢) اس حلكان ، حـ ٦ ، ص ٨١ – ٩٨

١٠٣) نشره البرت شولتن ، ليدن ١٧٣٢ ، ١٧٥٥ ونقله الى الانكليرية سي . آر . كوندر بعنوان « حياة صلاح الدين » لبهاء الدين ، لندن ١٨٩٧

١٠٤) ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ – ٣٩٥

١٠٥) طبع في القاهرة ، ١٢٨٩

١٠٦) اس خلكان ، حـ ٤ ، ص ١٠٥ – ١٠٦

١٠٧) بروكلمان ، ح ١ ، ص ٤٦١

١٠٨) انطر اعلاه ، ص ٤٣٠

١٠٩) انطر اعلاه ، ص ٤٣٤

التعويض المالي الدولي للدول النامية

محمد الاطرش

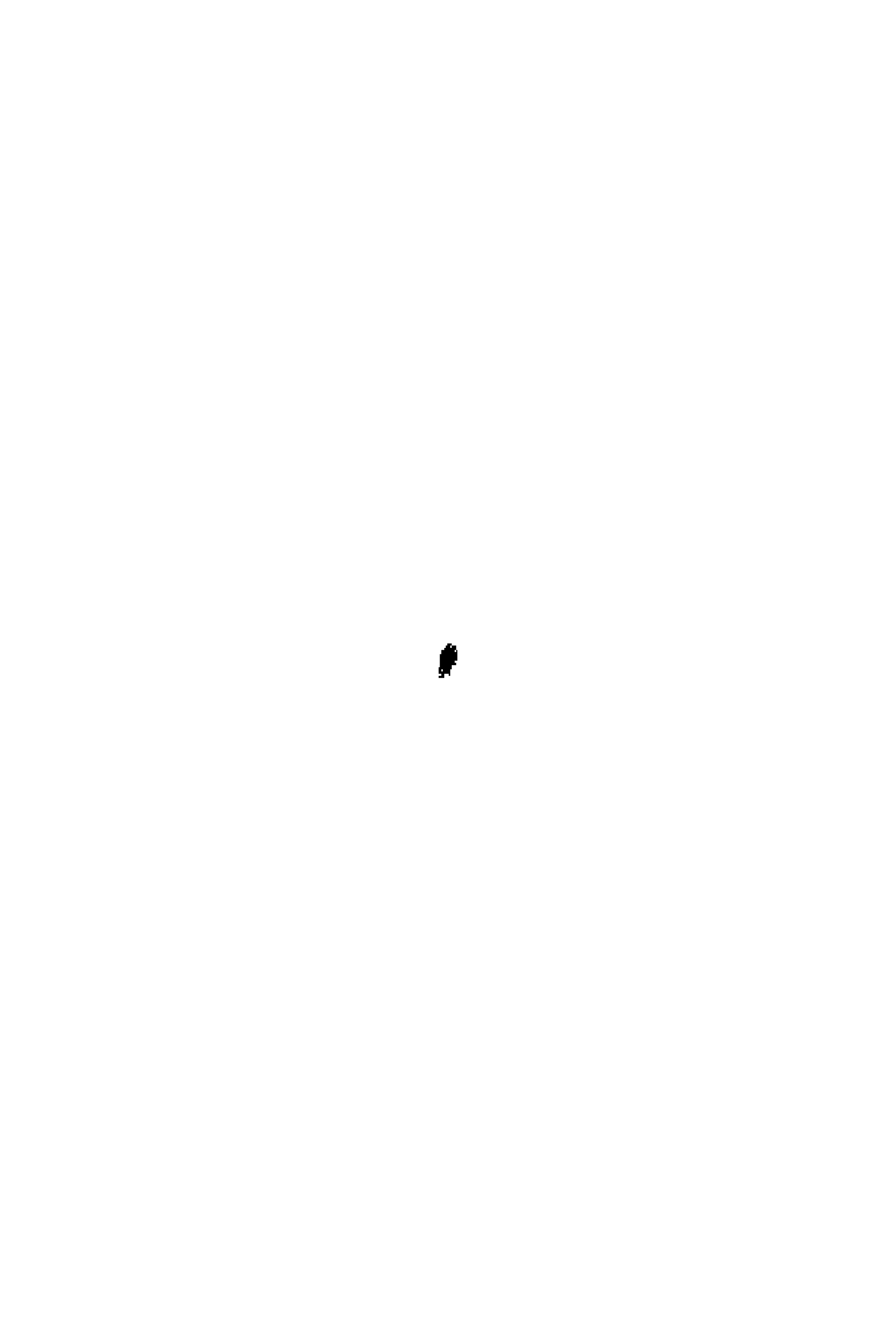
كان موضوع التعويض العالمي الدولي للدول النامية (او المتخلفة اقتصاديا) عن الانخفاض في قيم صادراتها او تدهور شروط تبادلها التجارية (Terms of Trade) من المواضيع الهامة التي بحثت في مؤتمر الامم المتحدة للتنمية والتجارة الدولية والذي انعقد في جنيف بين ٢٣ آذار و ١٦ حزيران ١٩٦٤ .

غرض هذه الدراسة هو بحث هذا الموضوع وذلك على الشكل التالي ، سأناقش :

١ – المشكلتين اللتين تعانيهما تجارة البلدان النامية ،
٢ – ضرورة التعويض المالي وكفاية الوسائل الموجودة حاليا للتعويض ،
٣ – المشاريع المقدمة لهذا الغرض ،
٤ – موقف مؤتمر التجارة والتنمية تجاه هذا الموضوع ونتائجه بهذا الخصوص.

١

من المعلوم ان تجارة البلدان النامية تجابه مشكلة قصيرة الأجل واخرى طويلة الأجل وتتلخص الأولى في ان قيم صادرات هذه البلدان معرضة لتقلبات قصيرة الأجل ؛ اما الثانية فهي ان شروط التبادل التجاري ($\frac{\text{النسبة المئوية لأسعار الصادرات}}{\text{النسبة المئوية لأسعار المستوردات}}$) تميل في الاجل الطويل لغير صالح هذه البلدان .



الاستهلاك الكلي من الحنطة في الولايات المتحدة ثابتـا تقريبا وذلك رغم زيادة عدد السكان والدخل الفردي » [٣]

ب – فرض قيود حـديدة في البلدان المتقدمـة اقتصاديا على استيراد السلع الأساسية من البلدان النامية .

ج – زيادة استبدال السلع المصطنعة او التركيبية (Synthetics) بالسلع او المواد الخام الطبيعية . فزيادة الطلب على السلع مثل المطاط الخام ،الحرير الطبيعي ، الجوت القنـّب... وما شابه توقف، وفي بعض الاحيان تقلص نتيجة نمو الصناعات الكيمائية في القرن العشرين [٤] .

د – التحول التدريجي في هيكل الصناعة في البلدان المتقدمة اقتصـاديا من الصناعات الخفيفة التي تستهلك نسبة عالية من المواد الخـام الى الصناعات الثقيلة والمعقدة كالصناعات الهندسية والكيمائية والتي تستعمل نسبة ضئيلة من هذه المواد .

هـ – ارتفـاع نسبة الخدمـات في الناتج القومي الاجمالي Cross National product للبلدان المتقدمة اقتصاديا الذي خفف من نسبة زيادة طلبها على صادرات البلدان النامية .

اما السبب الثاني فهو عدم مقدرة البلدان المتخلفة ان تغير بسرعة كافية تكوين صادراتهـا بحيث تخفف الزيادة في تصديرهـا لتلك السلع التي تقل نسبة زيادة الطلب العالمي عليها ، وتكثر معدل الزيادة في تصديرها لتلك السلع التي يتوسع الطلب العالمي عليها بسرعة .

٢

هاتان هما المشكلتان اللتان تعانيها تجارة البلدان الناميـة . فالمشكلة القصيرة الأجل (والتي تتخذ شكل انخفـاضات قصيرة الأجل في قيم صـادرات هذه

ولقد اشار تقرير الأمم المتحدة عن الوضع الاقتصادي الدولي لسنة ١٩٥٨ بأن تقلبات قيم صادرات السلع الرئيسية (كالقطن والحبوب ، والشاي وما شابه والتي تكون اغلب صادرات البلدان المتخلفة) من سنة لأخرى ومنذ نهاية الحرب قد بلغت حوالي ١٢ ٪ [١] . هناك سببان لذلك السبب الاول هو التقلبات في اسعارها . وهذه التقلبات الاخيرة هي نتيجة عاملين :

١ – التغيير في الطلب العالمي على هذه الصادرات او في العرض العالمي لها

٢ – عدم مرونة (في الاجل القصير طبعا) الطلب العالمي على هذه الصادرات او العرض العالمي لها بالنسبة لتغير اسعارها .

اما السبب الثاني لتقلب قيم الصادرات وغالبا انخفاضها فهو انخفاض حجمها نتيجة عوامل طبيعية كالجفاف ، الفيضان وما شابه .

اما بخصوص الانخفاض الطويل الأجل في شروط التبادل التجاري لهذه البلدان ، فلقد أشار تقرير الأمم المتحدة عن وضع البلدان النامية في التجارة الدولية لسنة ١٩٦٢ بأن شروط تبادلها التجارية قد انخفضت بمقدار ٩ ٪ ما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ وأنه « لو ثبتت شروط (تبادلها) على مستواها في سنة ١٩٥٠ لكانت قيم صادراتها في سنة ١٩٦٠ اكبر مما كانت عليه فعلا بمقدار ٢٣٠٠مليون دولار » [٢]

هناك سببان هامان لتدهور شروط التبادل التجاري هذه. الاول هو ان طلب البلدان المتقدمة اقتصاديا على صادرات البلدان المتخلفة ينمو ببطء للأسباب التالية :

آ – عدم زيادة طلب المستهلكين في البلدان المتقدمة على السلع الزراعية (التي تشكل أغلب صادرات البلدان النامية)بنفس النسبة التي تزيد بها دخولهم وفي بعض الاحيان لا يزيد طلبهم بتاتا وكما أشار الدكتور راؤول بريبش السكرتير العام للمؤتمر في تقريره « منذ اوائل هذا القرن ظل

الدوافع السياسية . بالاضافة الى ذلك ان الدولة المتخلفة التي تعاني هبوطاً في قيمة صادراتها او تدهوراً في شروط تبادلها التجارية ليست متأكدة من انها ستتمكن من الحصول على هذه المساعدات . والوسيلة الثالثة للتعويض هي الاستقراض من صندوق النقد الدولي .

لا ريب ان قروض الصندوق قد لعبت دورا في تمكين البلدان النامية من تمويل عجز طارىء في ميزان مدفوعاتها ولكن هذه القروض غير قادرة بشكل وافٍ على القيام بمهمة التعويض المالي للأسباب التالية :

١ — انها ليست كافية حتى ولو تمكنت الدولة المستدينة ان تستقرض كل ما بامكانها من الصندوق ، اي حين تصبح موجودات هذا الأخير من نقد هذه الدولة مساويا ٢٠٠ ٪ لحصتها . وللدلالة على عدم كفاية قروض الصندوق للتعويض المالي قام خبراء الأمم المتحدة بدراسة الاوضاع في ٣١ دولة نامية ، مستقصين عما اذا كان استقراض كل ما كان يمكنهم من الصندوق خلال ١٩٥٣ — ١٩٥٩ سيفي بجميع حاجتهم للتعويض المالي بسبب انخفاض قيم صادراتهم خلال هذه الفترة عن معدل الثلاث سنوات السابقة . فوجدوا ان استقراض كل ما كان يمكن من الصندوق لم يكن ليفي بحاجة ١٤ دولة من هذه الدول ، وانها ستكون مضطرة لأن تلجأ بالاضافة الى استقراضها كل ما يمكن من الصندوق الى وسائل اخرى للتعويض (٥) .

٢ — الفوائد على قروض الصندوق عالية نوعا ما وتصل الى ٥ ٪ .

٣ — ان قروض الصندوق واجبة الدفع ، اي ان على الدولة المعنية ان تعيد شراء نقدها خلال مدة لا تتجاوز خمس سنوات سواء تحسن وضع صادراتها ام لم يتحسن .

هذه هي الاسباب التي تجعل قروض صندوق النقد الدولي غير قادرة على القيام بمهمة التعويض المالي بشكل واف . وفي رأيي ان السبب الأول هو اهمها . ولعل ادراك الصندوق لعدم كفاية القروض التي يقدمها للدول النامية هي التي جعلته

البلدان) تجعل مواردها من القطع الأجنبي معرضة لانخفاضات مفاجئة من شأنها ان تمنعها من زيادة استيراداتها الضرورية للتنمية وبالتالي تعرقل خططها الانمائية في هذا السبيل . وتتخذ المشكلة الطويلة الأجل شكل خسارة في القيمة الشرائية لصادرات هذه البلدان في الأجل الطويل بالنسبة للاستيرادات . اما هدف التعويض المالي فهو ان يؤمن لها جرياناً دائماً من الاستيرادات الضرورية وبالتالي يمكنها من متابعة تنفيذ خططها الانمائية .

وتجدر الاشارة هنا الى الفرق بين التعويض المالي عن الانخفاض في قيم الصادرات والتعويض عن تدهور نسب التبادل التجاري . فالنوع الأول من التعويض يتضمن اعطاء القروض او المنح للدولة المعنية اذا انخفضت قيمة صادراتها سواء أكان سبب الانخفاض هبوط اسعارها او حجمها نتيجة **ظروف طبيعية .** ولا يتضمن هذا النوع من التعويض اعطاء القروض و/او المنح اذا زادت أسعار المستوردات او انخفضت **أسعار** الصادرات بينما لم تنخفض **قيمة** الصادرات . اما النوع الثاني من التعويض فيتضمن اعطاء القروض و او المنح اذا انخفضت اسعار الصادرات و/او ارتفعت اسعار الاستيرادات . ولا يتضمن هذا النوع التعويض اذا انخفضت قيمة الصادرات نتيجة هبوط حجم الصادرات بينما لم تتغير اسعار الصادرات و/او المستوردات .

ما دام هدف التعويض المالي هو تمكين البلد المتخلف من المحافظة على جريان مستمر في استيراداته الضرورية للتنمية ، فان اول وسيلة يلجأ اليها هذا البلد في حالة انخفاض قيمة صادراته هي نقص احتياطاته من الذهب والقطع الاجنبي . ولكن من المعلوم ان احتياطيات البلدان النامية غير كافية ، لذلك تضطر اغلبها في كثير من الاحيان وفي حالة عدم وجود وسائل تعويضية اخرى ، الى نقص استيراداتها مما من شأنه ان يعرقل تنفيذ خططها الانمائية.

اما الوسيلة الثانية الموجودة للتعويض فهي القروض والمنح الدولية ولكنها تعاني من نقص وهو ان مقياس اعطائها في كثير من الأحيان ليس الحاجة وانما

٢ – يؤخذ الاساس في التعويض الانخفاض فيقيم الصادرات المنظورة عن الوسط السنوي للثلاث السنوات السابقة . فاذا انخفضت الصادرات بمقدار٢و٥ ٪ دون هذا الوسط السنوي لا يحق للدولة المعنيــة طلب التعويض ، وذلك لان انخفاضا طفيفا كهذا من الممكن ان يحدث نتيجة خطأ احصائي . اما في حالة انخفاض الصــادرات بمقدار اكبر ، فالتعويض يعطى بمقـــدار يســاوي نصف الانخفاض الزائد عن ٢و٥ ٪ . ولعل هذه النقطة ستكون أكثر ايضاحا في المثل الدي سأعطيه فيما بعد بالنسبة لسورية .

٣ – يحق لجميع الدول المشتركة في الصندوق ان تنال التعويض سواء كانت متقدمة او متخلفة اقتصــاديا . ولكن من المتوقع ان تكون الأخيرة هي اكثرها استفادة لانها هي التي تعاني انخفاضات مفاجئة في قيم صادراتها . كما انه من المنتظر ان تستفيد الدول المتقدمة كأوستراليــا ونيوزيلندا مثلا والتي تتكون اغلب صادراتها من سلع زراعية متعرضـــة قيمها للانخفاض المفــاجىء .

٤ – يأخذ التعويض شكل منح و او قروض مشروط اعادة دفعها Contingent Loans ؛ فهذه القروض يعاد دفعها الى الصندوق من قبل الدولة المستقرضة في حــالة تحسن صادرات هذه الدولة بما يزيد عن ٢و٥ ٪ فوق وسطهــا السنوي للثلاث السنوات السابقة . فاذا كان هذا الوسطى يساوي (١٠٠) وأصبحت قيم صادرات هذه الدولة في السنة المعنية (١١٥ ٪) يستعمل نصف الزيادة في الصادرات فوق (١٠٢،٥ ٪) اي (٦و٢٥ ٪) لاعادة دفع القرض وفي حالة عدم كفاية هذه الزيادة لتسديد القرض ، تستعمل الزيادة المماثلة للسنة القادمة لهذا الغرض . واذا لم ترتفع الصــادرات لمدة ثلاث سنوات او خمس سنوات متوالية فوق معدلها السنوي للثلاث السنين السابقة ، يحول القرض الى منحة من تلقاء نفسه . وتجدر الاشارة هنا بأنه من الممكن ان يأخذ التعويض للبلدان المتقدمة والتي تعاني انخفاضا في قيم صادراتها شكل قروض مشروط اعادة دفعهــا . وللبلدان النامية شكل

بحدث في شباط ١٩٦٣ تسهيلا ائتمانيا خاصا بالتعويض المـــالي يساوي ٢٥ ٪ من حصةكل دولة ، وهو خارج الحد الأعلى لطاقتها الاعتيادية على الاستقراض [٦] . ولا ريب ان هذا التسهيل الخاص يزيد طاقة الصندوق على التعويض (اي يقلل من شأن السبب الأول المذكور اعلاه) ولكنها مع ذلك تبقى غير وافية للاسباب الثلاثة نفسها المذكورة آنفا .

ان عدم كفاية وسائل التعويض الموجودة حاليا هي التي دعت بعض الخبراء الاقتصاديين الى وضع مشروعات تكفي لغرض التعويض المالي عن الانخفاض في قيم صادرات البلدان النامية . واهم هذه المشروعات اولا مشروع خبراء الامم المتحدة لصندوق تأمين التنمية [٧] Development Insurance Fund (سأشير اليه فيما بعد بـ ص . ت . ت) وثانيا مشروع منظمة الدول الاميركية لتأسيس صندوق دولي لتثبيت موارد الصادرات [٨] . (وسأشير اليه بعد بمشروع م . د. ا) وقبل ان الخص أهم ما جاء في هذين المشروعين تجدر الاشارة :

١ — الى ان التعويض الممنوح بواسطتها ليس بديلا من التعويض المعطى من قبل صندوق النقد الدولي بل مكملا له .

٢ — ان التعويض المقترح هو عن الانخفاض في قيم الصادرات ولا يأخذ تدهور شروط التبادل التجاري بعين الاعتبار .

٣

مشروع ص . ت . ت . (صندوق تأمين التنمية)

١ — يتألف رأس مال هذا الصندوق من الاشتراكات السنوية للدول الأعضاء ويؤخذ الدخل القومي والدخل الفردي أساساً لحساب قيمة اشتراك الدول المتقدمة فكلما كانا اكبر ازداد اشتراك الدولة المعنية في راس مال الصندوق . اما مقدار اشتراك الدول النامية فيحسب بناء على قيمة صادراتها . والعلاقة مضطردة بين قيمة الصادرات ومقدار الاشتراك .

يستنتج من هذا الجدول ان :

١ – صادرات سورية قد انخفضت خلال ١٩٥٨ – ١٩٦١ .

٢ – وسطي الصادرات السوي لسني ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ يساوي٥١٢،٥ مليون ليرة سورية .

٣ – ٩٧،٥ من هذا الوسطي تساوي ٥٠٠ مليون ليرة سورية .

٤ – الانخفاض في الصادرات سنة ١٩٥٨ بالنسبة لـ٣ يساوي ٦٣،٤ مليون .

٥ – التعويض الذي تناله سورية خلال ١٩٥٨ يساوي ٣١،٧ مليون أي $\frac{٦٣،٤}{٢}$ مليون .

٦ – وسطي الصادرات السنوي لسني ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ يساوي٥٠٠،٢ مليون ليرة سورية .

٧ – ٩٧،٥ ٪ من هذا الرقم تساوي ٤٨٧،٧ مليون ليرة سورية .

٨ – انخفاض قيمة الصادرات في ١٩٥٩ عن ٧ يساوي ٦٣،١ مليون .

٩ – التعويض الذي تنالة سورية خلال ١٩٥٩ يساوي ٣١،٥٥ مليون .

وادا اتبعناالطريقة نفسها فيحساب التعويض لسنتي١٩٦٠،١٩٦١وجدنا ان

١٠– التعويض لهاتين السنتين الاخيرتين يبلغ٢٦،٤ مليون و ٨،٤ ملايين على التوالي .

١١– مجموع التعويض بشكل منح الذي كانت ستنـــاله سورية عن انخفاض صادراتها خلال ١٩٥٨ – ١٩٦١ يلغ ٩٨ مليون ليرة سورية .

سأفترض الآن ان التعويض سيكون بشكل قروض مشروط اعادة دفعها ، وانها تشمل نصف الانخفاض في قيمة الصادرات باستثناء انخفاض ٢،٥ ٪ ، وانه

منح ، كما انه من الممكن ان يشمل التعويض ٧٥ ٪ من الانخفـاض في قيمة الصـادرات وان يأخذ ٥٠ ٪ من التعويض شكل منح و ٢٥ ٪ شكل قروض مشروط اعادة دفعها او العكس .

٥ – يعطي الصندوق التعويض من تلقـاء نفسه اذا ظهر ان قيمة الصادرات في سنة معينة قد انخفضت عن وسطيها السنوي للثلاث السنين السابقة .

ولايضاح مشروع ص . ت . ت . سأحاول ان اظهر الى أي مدى كانت سورية خليقة ان تفيد منه لو كان مطبقا بعد سنة ١٩٥٧ .

وسأفترض اولا ان التعويض سيكون بشكل منح ، ويشمل نصف الانخفاض في قيمة الصادرات باستثناء انخفاض ٢٫٥ ٪ .

يظهر الجدول التالي تطور صادرات سورية
خلال ١٩٥٥ – ١٩٦٣
صادرات سورية

(بملايين الليرات السورية)

السنة	القيمة
١٩٥٥	٤٧٣٫٥
١٩٥٦	٥١٦
١٩٥٧	٥٤٨
١٩٥٨	٤٣٦٫٦
١٩٥٩	٤٢٤٫٦
١٩٦٠	٤٠٥٫٢
١٩٦١	٣٩٤٫٧
١٩٦٢	٦١٧٫٢
١٩٦٣	٧٢٠٫٩

احتياطيها من القطع الاجنبي . اما ما تقدمه الدول المتقدمة فيحسب على اساس قيمة صادراتها للدول النامية . وهذا اهم عامل في حســـاب قيمة الاشتراك . ويؤخذ ايضا بعين الاعتبار مستوى الدخل القومي ومستوى الاحتياطي من القطع الاجنبي .

٢ – بالنسبة لمشروع (ص . ت . ت) يحق لجميع الدول المشتركة حق طلب التعويض بينما ينص مشروع (م . د . أ) على انه يحق للدول الناميه فقط طلب التعويض .

٣ – بينما يأخـــذ التعويض من (ص . ت . ت .) شكل منح و او قروض مشروط اعادة دفعهـــا ، ينص مشروع (م . د . أ) على ان يأخذ التعويض شكل قروض فقط ، ويجب ان تسدد هذه القروض في مدة لا تتجاوز خمس سنوات ، بغض النظر عما اذا تحسنت صـــادرات الدولة المستدينة ام لم تتحسن .

٤ – لا ينص مشروع (ص . ت . ت .) على وجود حد اعلى لقدرة اي دولة على الاستدانة منه (هذا اذا اتخذ التعويض شكل قروض) ، بينما ينص مشروع (م . د . ا) على الا تتجــاوز قدرة اية دولة على الاستدانة عن ٢٠ ٪ من الوسطي السنوي لصادراتها خلال الثلاث سنوات السابقة .

بعد ان شرحت المشروعين المقدمين للتعويض المالي وذلك قبل انعقاد مؤتمر التجارة والتنمية سأبدي الملاحظات التالية عليهما :

آ – من الواضح ان كليهما ينصان على ان التعويض يجب ان يكون «اوتوماتيكاً» ، فاذا ظهر ان قيمة صـــادرات احدى البلدان قد انخفضت حق لها ان تنال التعويض المالي من اي من الصندوقين المقترحـــين . ولكن للتعويض بشكل «اوتوماتيكي» محاذيره . فمن المعلوم ان مبدأ التعويض مبني على ان قيم الصادرات قد انخفضت لأسباب خارجـــة عن ارادة الدولة المعنية ، كانخفاض في الاسعار العالمية لصادراتها او لانخفاض حجم هذه الصادرات

اذا لم يتحسن وضع الصادرات في مدة ثلاث سنوات ، يصبح القرض منحة، وان القرض يعاد دفعه اذا تحسن وضع الصادرات خلال هذه المدة وان نصف التحسن في الصادرات باستثناء ٢٫٥ سيستعمل لاطفاء الدين .

استنادا الى هذه الافتراضات والى الجدول اعلاه ، يمكن القول :

١ – بأن مجموع ما كانت ستأخذه سورية من الصندوق خلال ١٩٥٨ – ١٩٦١ اي مبلع ٩٨ مليون ليرة سورية هو قرض وليس منحة .

٢ – ان مبلغ ٣١٫٧ مليون من هذا القرض والذي كان سيعطى سنة ١٩٥٨ سيصبح منحة وذلك لأن وضع صادرات سورية لم يتحسن خلال مدةثلاث سنوات منذ اعطائه .

٣ – ستعيد سورية دفع القروض التي كانت ستأخذها في سي ١٩٥٩، و ١٩٦٠، و ١٩٦١ ، اي مبلع ٦٦٫٣ مليون ليرة سورية وذلك لأن صادراتها تحسنت خلال ثلاث سنوات من تاريخ ١٩٥٩ ، اي في سنة ١٩٦٢ . ولقد بلغ نصف التحسن في الصادرات في هذه السنة عن وسطي الثلاث سنوات السابقة مستثنين ٢٫٥ ٪ من التحسن مبلغ ٩٩٫٤ [٩] مليون . ويكفي هذا التحسن لسداد القروض المذكورة .

مشروع منظمة الدول الأميركيــــة :

ان مشروع الصندوق الذي وضعته هذه المنظمة مشابه لحد ما لمشروع(ص. ت . ت .) ولكنه يختلف عنه في النواحي التالية :

١ – بينما تتألف موارد (ص . ت ت .) من اشتراكات سنوية تحسب بالنسبة للدول النامية على اساس صادراتها وبالنسبة للدول المتقدمــــة على اساس دخلها القومي ودخلها الفردي ، تتألف موارد صندوق مشروع م . د . أ من رأس مال يحسب ما تقدمه الدول النامنة منه على اساس قيمة صادراتها ودرجــــة تعرض قيم هذه الصادرات للتقلبات ودخلها القومي ومستوى

بعضها سيستفيد اكثر من البعض الآخر في حالة جعل التعويض بشكل منح او قروض مشروط تسديدها .

ففي حالة كون التعويض بشكل منح ، ستستفيد الدول التي تتميز صادراتها بارتفاع متواصل تتخلله انخفاضات كبيرة مفاجئة ، كسورية مثلا ، اكثر من الدول التي تتميز صادراتها بنوع من الثبات مع انخفاض تدريجي في الأجل الطويل . وخلاف ذلك صحيح حين يأخذ التعويض شكل قروض مشروط تسديدها ؛ اي ان الدول التي تتميز صادراتها بثبات نسبي مع انخفاض في الاجل الطويل ستستفيد اكثر من الدول التي تتميز صادراتها بارتفاع مستمر تتخلله انخفاضات مفاجئة . والسبب هو ان القروض التي ستأخذها الدول الأولى ستصبح منحا بعد مرور فترة من الزمن ، بينما ستدفع الدول الثانية القروض نظرا لتحسن صادراتها .

٤

سأحاول ان الخص الآن باختصار وبصورة عامة موقف المؤتمر تجاه التعويض المالي وذلك قبل الوصول الى التسوية على مشروع بهذا الخصوص وسأوضح الموقف بالنسبة للنقاط الآتية .

١ — ضرورة تأسيس مشروع جديد للتعويض المالي ام الاكتفاء بتوسيع نطاق عمليات صندوق النقد الدولي .

٢ — هل يجب ان يكون التعويض على اساس الانخفاض في قيم الصادرات و او تدهور شروط التبادل التجاري .

٣ — هل يجب ان يكون التعويض اوتوماتيكيا ام اراديا .

٤ — هل يجب ان يأخذ التعويض شكل منح و أو قروض مشروط تسديدها أم قروض فقط .

نتيجة عوامل طبيعية كالفيضان والجفاف وما شابه ولكن هناك ايضا عوامل ليست خارجة عن نطاق ارادة الدولة المعنية والتي تؤدي الى انخفاض في صادراتها . فمن الممكن مثلا ان تنخفض الصادرات نتيجة سياسة تضخمية تتبعها الدولة المعنية تؤدي الى زيادة الطلب الداخلي زيادة من شأنها ان تزيد من الاستهلاك الداخلي للسلع الذي كان من الممكن تصديرها . وهذا سيؤدي الى انخفاض قيم الصادرات . فالتعويض « الاوتوماتيكي » لا يفرق بطبيعته بين الاسباب الخارجة عن ارادة الدولة المعنية والمسوّغة لتسلمها التعويض المالي ، والأسباب غير الخارجة عن ارادتها والتي لا تسوّغ حقها في هذا التعويض . لذلك من الضروري جعل التعويض اراديا (وفقاً لمقتضى الحال) Discretionary وليس «اوتوماتيكيا». اي ان الصندوق يقدم التعويض اذا اقتنع بأن الأسباب المؤدية الى الانخفاض في قيم الصادرات خارجة عن ارادة الدولة الطالبة التعويض .

بالاضافة الى ما سبق هناك سبب آخر يدعو الى جعل التعويض اراديا وهو انه في كثير من الحالات تكون اسباب انخفاض قيم صادارت اي دولة متشابكة اي مؤلفة من مؤلفة من عوامل ارادية وعوامل غير ارادية. لذلك من الضروري التحقيق الى اي مدى لعبت العوامل الخارجة عن ارادة الدول المعنية دورا في جعل قيم الصادرات تنخفض ، وتقديم التعويض عن ذلك الانخفاض في قيم الصادرات الذي تبت انه نتيجة عوامل غير ارادية.

ب — من وجهة نظر الدول النامية لا ريب ان مشروع (ص . ت . ت .) اكثر فائدة من مشروع (م . د . أ) وذلك لأن الأول ينص على ان يكون التعويض بشكل منح او قروض مشروط تسديدها . بينما ينص المشروع الثاني على ان يأخذ التعويض شكل قروض واجبة التسديد خلال خمس سنوات .

جـ — ستستفيد جميع الدول النامية من مشروع (ص . ت . ت .) ولكن

شروط التبادل التجاري .

ب – وحتى في حالة الاتفـــاق على سنة الأساس ، فمن الممكن حدوث خلاف حول السلع التي تتخذ عيّنة في حساب تطور شروط التبادل التجاري وحول تطور نوعية هذه السلع خلال الفترة المعنية[١٤]

ج – الاعتقاد بأن هدف اتفاقيات تثبيت اسعــار السلع الاساسية (التي طالب بها جميع الدول النامية) هو منع تدهور شروط التبـــادل التجاري لهذه البلدان . فما دامت هناك وسيلة لمنع تدهور هذه الشروط فليس هناك داع لوضع مشروع للتعويض المالي بهذا الخصوص ورغم شكوك هؤلاء المندوبـــين الا انهم ايدوا مدفوعين بروح التضـــامن .

وكان موقف الدول الكبرى ، باستثناء المملكة المتحـــدة ، سلبيا تجاه هذا الموضوع . فلقد عارضت هذه الدول تأسيس مشروع جديد من الاساس ، لذلك من الطبيعي ان تعارض تفصيلات هذا المشروع . وكان موقف بريطانيا معارضا لجعل تدهور نسب التبادل التجاري اساسا للتعويض المـالي ، ولقد أيدت جعل الانخفاض في قيم الصادرات فقط هو الأساس . ويتضح موقفها هذا من المشروع الذي قدمته مع السويد والذي سنذكره فيما بعد .

٣ – كانت اغلب الدول المتقدمة اقتصاديا والعديد من الدول النامية ضد مبدأ التعويض بشكل اوتوماتيكي ، ولقد أيد عدد آخر من الدول النامية اهمها دول امريكا الجنوبية مبدأ التعويض الاوتوماتيكي [١٥] .

٤ – كانت الدول النامية متفقة على انه يجب ان يأخذ التعويض شكل منح أو قروض مشروط تسديدها بينما عارضت ذلك المبدأ أغلب الدول المتقدمة.

ولقد اتخذت المملكة المتحدة والسويد الخطوة الايجابية في سبيل الاتفاق على مشروع يرضى عنه اغلب المندوبين (متضمنين مندوبي بعض الدول الكبرى)

١ – لم تكن اغلبية الدول الكبرى والمتقدمة اقتصاديا ، باستثنا المملكة المتحدة ، متحمسة لاقامة مشروع جديد للتعويض المالي [١٠] ، فالولايات المتحدة ترى ان القروض والمساعدات تقوم بدور مهم في هدا السبيل ، كما انها تعتقد ان اي تعويض عن الانخفاض القصير الأجل في صادرات البلدان النامية يجب ان يتم عن طريق صندوق النقد الدولي ، وانه ادا لم تكن قروض هذا الأخير تكفي لهذه الغاية فمن الممكن زيادتها عن طريق زيادة حصص الاعضاء في الصندوق [١١] . أما الاتحاد السوفياتي فلم يكن مهتما بالموضوع اصلا لاعتقاده بأن المشكلات التي تعانيها تجارة البلدان النامية ، أي الانخفاض في قيم الصادرات وتدهور شروط التبادل التجاري ، هي من فعل النظام الرأسمالي وان لا يد للاتحاد السوفياتي في خلقها [١٢] .

اما الدول النامية فلقد كانت جميعها تؤيد اقامة صندوق جديد للتعويض المالي لاعتقادها أن الوسائل الموجودة حاليا غير كافية للأسباب المذكورة سابقا (انظر ص ٣ – ٥) .

بالاضافة الى دلك لم تكن ترى أن اقامة هذا الصندوق الجديد تتعارض مع توسيع نطاق عمليات صندوق النقد الدولي . ولقد أيدت في الواقع توسيع نطاق هذه العمليات .

٢ – أيد عدد كبير من مندوبي الدول النامية جعل الانخفاض في قيم الصادرات وتدهور شروط التبادل التجاري اساسا للتعويض المالي . ولقد وجد مشروع ص. ت . ت تأييدا من عدد المندوبين كالباكستان وسورية [١٣] . وتجدر الاشارة هنا الى ان عددا من المندوبين الذين ايدوا جعل تدهور شروط التبادل التجاري أساسا للتعويض لم يكونوا مقتنعين بأن قيام مشروع يأخذ هذا الاساس بعين الاعتبار ممكن وضروري وذلك للأسباب التالية :

آ – الصعوبة في الاتفاق على سنة الاساس التي سيحسب بالنسبة لها تدهور

٧) عندما يثبت حق الدولة بصورة مبدئية في المساعدة تدرس منظمة التنمية الدولية جميع الظروف الاقتصادية المتعلقة بالموضوع (آخذة بعين الاعتبار الارتفاع المعتبر في اسعار المستوردات) وذلك لتقدير قيمة المساعدة الممكن الممكن تبريرها والواجبة كي تتفادى الدولة المعنية عرقلة برامجها الانمائية .

٨) تدير منظمة التنمية الدولية المشروع ، ويجب ان تأخذ المساهمة في موارده شكل مساهمة جديدة في موارد هذه المنظمة . »

ولقد اتضح من المناقشة التي تلت تقديم هذا المشروع ١) أنه يقصد بقيمة الصادرات المتوقعة بصورة معقولة في السنة المعنية ، تلك القيمة التي تخطط الحكومة على اساسها ويجب ان تكون هذه ممكنة التحقيق .

من الممكن للدولة المعنية ان تخطط على ان قيمة صادراتها في السنة التي يحصل فيها الانخفاض ستكون (س) اي بزيادة قدرها ٢٠ ٪ عن السنة السابقة ، ولكن (س) هذه قيمة غير معقولة اذا وجد بأن معدل زيادة الصادرات السنوي في السنوي في السنين السابقة هو ٥ ٪ مثلا وانه اذا اخذت عوامل التوسع في الصادرات بعين الاعتبار فليس من الممكن زيادة النسبة عن ٧ ٪ .

(٢) ان شروط القروض الطويلة الأجل من المشروع هي نفس شروط قروض منظمة التنمية الدولية .

يتضح من المشروع السابق الذكر :

١) ان التعويض المقترح هو بشكل اساسي ، تعويض عن الانخفاض الطويل الاجل في صادرات البلدان النامية ، اي الانخفاض الناتج ليس عن اسباب طارئة وانما عن اسباب طويلة الأجل كتحول الطلب العالمي عن صادرات البلد المعني . ومع ذلك يمكن القول ، كما يتضح من المثل رقم (١) في الملاحظة السابقة ، بأن المشروع مستعد للتعويض اذا تكررت الأسباب الطارئة في السنة الثانية او الثالثة ، فالمشروع اذن يعوض عن الانخفاض القصير الاجل اذا اعتبرنا بأن الأجل القصير لا يقل عن سنة واحدة .

ولقد قدم هذا المشروع في اللجنة الثالثة في الخـامس من ايار . وفيما يلي تلخيص لأهم نقاطه بعد التعديل الطفيف الذي احدث فيه [١٦] :

«يوصي المؤتمر البنك الدولي بدراسة امكانية اقـامة مشروع يهدف الى ما هو مذكور في القسم (الاول) ويقوم على الأسس المذكورة في القسم (الثاني) وأن يقوم ، اذا كان ذلك مناسبا ، بوضع تفاصيله .

الاول – **الهدف**: ١) يجب ان يهدف المشروع الجديد الى معالجة المشكلات الناجمة عن الانخفاض الطويل الاجل في صادرات البلدان النامية ، والتي من غير الممكن معالجتهـا بصورة وافية عن طريق قروض قصيرة الاجل . ويجب ان يكون غرضه تزويد البلدان النـامية بمساعدة طويلة الاجل تمكنها من تفادي عرقلة برامجها الانمائية .

الثاني – **المبادي**: ٢) تتألف موارد المشروع من مساهمات الدول المشتركة التي تحدد على اساس عادل .

٣) يحق للدول النامية فقط طلب المساعدة من المشروع ، ويجب ان تكون هذه المساعدة بشروط رهيدة ومرنة .

٤) يحق للدولة ان تطلب المسـاعدة من المشروع بعد أن تكون قد سحبت التسهيلات الائتمانية الخاصة من صندوق النقد الدولي وبعد مضي وقت كاف لدراسة طبيعية ومضامين الانخفاض في قيم صادراتها .

٥) يحسب الانخفاض في قيمة الصـادرات في اي سنة معينة على انه الفرق بين قيمة الصادرات المتوفعة بصورة معقولة في هذه السنة وقيمـة الصادرات المتحققة فعلا .

٦) يثبت حق الدولة بصورة مبدئية في المسـاعدة بالاشارة الى الانخفاض في قيم صادراتها وطبيعة هذا الانخفاض .[١٧]

وسيادتها . والدليل على ذلك ايضاً أننا نشاهد الانسان داخل بلده يعمل على تعبئة الموارد البشرية وتنظيم الحياة الاجتماعية على أساس جديد يمنع الاستغلال والاستبداد ، ويمنح الافراد مكاسب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تتناول اساليب الحكم ومستوى المعيشة ونوعها ، وتهدف الى حفظ كرامة الانسان وتوطيد اركان حريته .

٣ – واما التحرر في جهة الذات فهو تحرر الانسان من اهوائه وشهواته وانانيته ، وهذا التحرر في جهة الذات اضعف وابطأ من التحرر في جبهة الطبيعة ، وجبهة البيئة البشرية ، لا بل هو مشوب بالاضطراب ، والتقطع والارتداد ، الا انه حاصل على كل حال . والدليل على ذلك تيقظ الضمير الانساني ، وانتشار الوعي الأدبي ، وذيوع الاعتراف بكرامة الانسان . نعم ان الحوادث التي حركت الضمير الانساني لم تخل من النكسات ولم تفض الى توطيد أركان السلام ولا الى المحافظة على مكاسب الحضارة ومعجزاتها ، ولا الى اقامة نظام ادبي تتغلب فيه النزعات الغيرية على النزعات الأنانية . ولكن الدكتور رزيق على شعوره بما في هذا التقدم من بطء بالقياس الى التقدم الصناعي والاجتماعي لا يقف ازاءه موقف المتشائم ، بل يعلن في صراحة تامة ان الانسانية بمجموعها لا تسير في طريق الانحدار ، بل تسير في طريق التقدم .

وهذا التحرر في جبهة الذات ارقى انواع التحرر فلا يكفي ان يتحرر الانسان من قيود الطبيعة وقيود المجتمع حتى يكون متحضراً ، بل التحرر الحقيقي يوجب عليه ان يتحرر من اهوائه وان يبني علاقاته الانسانية على النقد الذاتي ومحاسبة النفس . ان الانسان عقل وقلب ، فكر ووجدان ، وليس انسان ذو عقل يعلم ان الهواء النقي ضروري للحياة يقيم دهره في غرفة صغيرة يسد نوافذها على نفسه حتى يختنق فيها ، انه اذا فعل ذلك كان حقيقاً بأن يعد جاهلاً مبغضاً لنفسه . فمن ذا الذي يعلم هذا ولا يخرج من قفص انانيته الضيق ، ولا يعمل على مجاوزة ذاته وتوسيع حياته بمشاركة الناس في همومهم . اننا لا

٢) لا يهدف المشروع الى التعويض عن تدهور نسب التبـادل التجاري ، فاذا تدهورت هذه النسب بينما لم تنخفض قيم الصادرات ، فلا يحق للدول المعنية طلب التعويض . ولكن منظمة التنمية الدولية ستأخذ بعين الاعتبار حين تقدير المساعدة المتوجبة اذا انخفضت قيم الصادرات اسعار المستوردات وهل ارتفعت بشكل معتبر في السنة التي حصل فيها الانخفـاض ، ولقد اضيفت فقرة « اخذ اسعار المستوردات بعين الاعتبـار » في المشروع المعدل ، ولم تكن واردة في المشروع حين قدم لأول مرة [١٨] . ولا ريب ان اضافتهـا كانت نتيجة طلب الدول النامية .

٣) ان تقديم التعويض ارادي وليس اوتوماتيكي ، اي ان منظمة التنمية الدوليه ستدرس اسباب الانخفـاض والظروف الاخرى الواردة ، وتقدر المساعدة على هذا الاساس .

٤) لن يأخذ التعويض شكل منح و او قروض مشروط تسديدها ، بل سيأخذ شكل قروض تستوفى عنها فائدة زهيدة .

ولقد ايدت معظم الدول المشتركة ومنها الولايات المتحدة المشروع البريطاني السويدي ، وامتنع الاتحاد السوفياتي عن التصويت عليه للسبب الذي ذكرته سابقا بالاضافة الى ان هذه الدولة ليست عضواً فيمنظمة التنمية الدوليةالمفروض انها ستدير المشروع . ولقد وافقت اغلب الدول الغربية عليه لأن بعض مآخذها على المشروعات المقدمة ســـابقا كمشروع ص . ت .ت قد ازيلت في المشروع الجديد . فالتعويض ليس اوتوماتيكيا كما انه لن يكون بشكل منح او قروض مشروط تسديدها .

ولقد اعتبرت الدول النامية المشروع خطوة ايجابية بناءة ولكنها غير كافية . فبعضها كان يريد ان يكون التعويض اوتوماتيكيا وجميعهـــا ارادت ان يتخذ شكل منح و او قروض مشروط تسديدها ، بالاضافة الى ذلك اراد العديد منها ان يكون التعويض ايضا عن الانخفاض القصير الاجل وتدهور شروط التبادل

واحد . فالعلم يوحد ولا يفرق ، ويقرب ولا يبعد ، انه يربط اجزاء كوكبنا الارضي بعضها ببعض ، ويندفع في الوقت نفسه الى مجاوزة هذا الكوكب الى كواكب وعوالم اوسع واعظم ، فلا حدّ ولا نهاية لتقدم العلم والصناعة ، ولكن هذا التقدم لا يبلغ غايته الا اذا كان متصلا بالحياة الانسانية ذاتها لا بالمنتجات المادية المحيطة بها ، فالانسان هو الغاية ، وكل ما عداه فهو سبيل اليه ووسيلة . والعامل الثاني هو تيقظ الجماهير في جميع انحاء العالم بفضل الوسائل التي استنبطها العلم في تقريب الابعاد ، ونقل الافكار ، ونشر المعرفة حتى اصبحت نظريات العلماء وآراؤهم واختبارات الشعوب المتتابعة تنفذ الى عقول الجماهير ، وتغير سلوكهم ، وتثير في نفوسهم رغبات جديدة متماثلة ، ووعياً انسانياً مشتركا واحساساً بترابطهم الوثيق ووحدة مصيرهم ومع ذلك فان انتقال الحقائق العلمية والاختراعات الصناعية وانماط الحياة المادية اسهل من انتقال المبادىء والاتجاهات الفلسفية والقيم الفنية والخلقية والروحية ، فكأن الحضارة الانسانية لم توجد بالفعل الا من جهة واحدة اي من الجهة العلمية والصناعية ، اما النواحي الروحية الاخرى من حياة المجتمع فانها لا تزال حتى الآن تابعة للحضارات الانسانية المختلفة ، وكل حوار بين هذه الثقافات فهو مبني على امكان الجمع بين الكثرة الواقعية ، والوحدة المثالية ، الا ان هذا الامكان لم يبلغ بعد غايته ، وأخوف ما يخافه الدكتور رريق ان يؤدي انتشار الحضارة الغربية بجانبها المادي والروحي الى القضاء على الالوان الحضارية الموجودة لدى سائر الامم فتخسر الانسانية بذلك كثيرا من ثروتها واختباراتها المتنوعة . وقديما قال افلاطون ان الجمال ليس في الوحدة ، ولا هو في الكثرة ، وانما هو في الوحدة الكثيرة العناصر ، او في الكثرة الموحدة اي في الانسجام والتناغم بين الاختبارات المختلفة . وإنا ، وان كنا نشاطر الدكتور رريق خوفه من سيطرة القيم الحضارية الغربية على غيرها من القيم ، لنعتقد ان حوار الثقافات لن يقضي الا على القيم البالية ، اما القيم الصحيحة القوية فان حوار الثقافات سيؤدي الى تثبيتها مهما يكن اصلها ومنشؤها . وتاريخ الحضارة يدل على ان القيم تنتقل من حال الخصوص الى حال العموم ومن أن الاساليب الذاتية

ستطيع ان نسعد الناس افراداً وجماعات الا اذا نمينا شخصياتهم وجعلناهم قادرين على النجاح في معركة جبهة الذات .

* * *

واذا سألنا الدكتور رريق هل هناك حضارة انسانية واحدة ام حضارات كثيرة مختلفة أجابنا عن هذا السؤال بقوله ان موقفه موقف متوسط بين هذين الطريقين . فهو يرى من ناحية ان الحضارة الانسانية الواحدة ليست موجودة بالفعل لأن المجتمعات الانسانية «لم تبلغ بعد ذلك الحد الذي تشعر فيه انها تؤلف كياناً واحداً يضطرب بآمال وآلام مشتركة ، وينتظم بربط وأجهزة متصلة متآلفة ، ويسير الى غاية واحدة» (ص ٦٨) . ولكنه يرى من ناحية اخرى ان هذه الانسانية متصورة في الاذهان ، وان الفلاسفة الذين حلموا بانسانية واحدة لم يفعلوا ذلك عبثاً ، بل جعلوا رؤاهم وتصوراتهم وسيلة لتقريب الامم بعضها من بعض . الانسانية واحدة لأن طبيعة الانسان واحدة ، والدليل على ذلك ان الحضارات التاريخية على اختلاف ميزاتها ومظاهرها تتشابه في بعض وجوهها تشابهاً أصيلاً ، وهذا التشابه هو الذي يسّر لهذه الحضارات سبيل التفاهم ، والاخذ والاعطاء والتفاعل . ولولا هذا التشابه لما استطاع ابناء الحضارات المختلفة ان يفهموا محاورات (افلاطون) او مآسي (شكسبير) او روحانيات (غندي) . ولكن هذه الحضارات المتشابهة لم تصبح بعد حضارة واحدة على الرغم من القوى التي تشدها بعضها الى بعض وتؤلف بينها .

* * *

على ان هناك عاملين يؤثران في تحقيق الحضارة الانسانية الواحدة .

الاول هو تقدم العلم المتسارع واتساع مدى تطبيقاته ، فان العلم يقصر المسافات ويقرب الأبعاد وييسر انتقال الافكار من اقصى المعمورة الى اقصاها ، كما ان المنتجات الصناعية تنتشر في كل بقعة من بقاع الارض ، وتجور الحواجز الطبيعية والسياسية والاجتماعية ، ويكفي ان يخترع الناس آلة في احدى حواضر العالم المتمدن حتى تنتقل الى كل بلد من بلدان العالم في شهر واحد او اسبوع

مكتبة الأبحاث

في معركة الحضارة

تأليف الدكتور قسطنطين زريق ، عدد صفحاته ٤٢٣ من القطع الوسط
طبع في دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٤

كتاب قيم وضعه الدكتور قسطنطين زريق « لاستجلاء مفهوم الحضارة ، ومحاولة ادراك جوهرها ومقوماتها ، والتغيرات التي تطرأ عليها . وتبيّن الاثر الذي يحدثه هـذا الادراك والاستجلاء في سعينا الحاضر ، وفي وعينا لماضينا ، واعدادنا لمستقبلنا » (ص : ١١)

ويكفي أن يطلع المرء على فهرس هـذا الكتاب ليدرك قيمة المسائل التي عالجها واضعه ، فهو يتكلم على ماهية الحضارة وشروطها ، وصورها ، ومظاهرها ، ومقوماتها ، وتغيراتها ، وعلى عوامل التغير الحضاري ، وتفاعـل الحضارات ، ومقاييس التحضر ، وصور التقدم ، وعلى الوضع الحضاري المعاصر من جهة سماته البارزة ومنجزاته وامكاناته ومفارقاته ونقائصه . ويختم كتابـه بفصل هام عنوانه « معركة الحضارة » يتكلم فيه على معركة الانسانية وأجهزتها ، ومعركة الشعوب العربية وأجهزتها. ومـا جعل المؤلف عنوان هذا الفصل عنوانا لكتابه كله الا ّ لأن المعركة الحضارية التي تخوضها الانسانية في الوقت الحاضر هي القضية الكبرى التي لازمت تفكيره واستأثرت بتأملاته خلال هذه السنوات الاخيرة ، فأتحفنا اولاً بكتابين حدد في احدهما موقفه ازاء التاريخ ، وتكلم في الآخر على

الى الاساليب الموضوعية ومن الصفة المادية الى الصفة الروحية ، حتى تصبح كلية شـــاملة .

* * *

وكل حضارة فهي كالحياة لا تظل على ما هي عليه ، بل تتبدل وتتغير ، ولا يمكننا ان ندرك ماهية الحضارة الا اذا عرفنا انواع التغيرات التي تطرأ عليها ، فان معرفة (دينامية) الحضارة وحركتها ادل على حقيقتها من معرفة توازن العناصر الساكنة الداخلة في تركيبها. فما هو القانون المسيطر على هذه التغيرات ؟ هل تتخذ التغيرات الحضارية الجزئية شكل دورات متطابقة تعود فيها الاحداث والوقائع الحضارية الى مـا كانت عليه بالضبط ، ام تتجه هذه التغيرات الى غاية معينة تقدمية كانت ام رجعية ؟ ان هناك احداثاً تدل على التقدم كازدياد عدد سكان الارض ، وتطور العلم والصناعة . ولكن هذا الاتجاه التقدمي لا ينطبق على الفنون والآداب والاخلاق والفضائل والمعتقدات الدينيـــة . فكما اننا لا نستطيع ان نقول ان الحضارات المختلفـة تنشأ وتنمو ثم تزول دائما ، كذلك لا يمكننا ان نقول ان الحياة البشرية بوجه عام تسير الى غاية معينة . كل ما نستطيع ان نقوله كما ذكر الدكتور زريق (ص : ١٦٨ — ١٦٩)ان من التغيرات الحضارية ما يتبع خطاً مستقيما او شبه مستقيم في طريق التقدم لمدة معينـــة طويلة او قصيرة ، وان منها ما يتقدم حيناً ويتأخر حيناً آخر ، وأن منها ما يعود الى مثل ما كان عليه لا الى ما كان عليه بالذات ، لان الحادث التاريخي حادث جزئي لا يعود الى ما كان عليه بالفعل . فلا شك اذن في ان للتغيرات الحضـــارية احوالاً مختلفة ، منها ما هو تكرار للأحوال المتشابهة ، ومنها ما هو تقدم او تراجع ، ومنها ما هو طويل الامد او قصيره ، ومنها مـــا هو امضى وأسرع او ألطف وأبطأ ، وهذه الاحوال المختلفة تدل على ان الصورة الجامعة للتغير الحضاري ليست صورة بسيطة ، وانما هي صورة معقدة ، فليس يصح اذن ان نقول ان لها قانوناً واحداً جامعـــاً . ونحن لا نعلم حتى الآن بطريق الاستقرار والتحقيق والاختبار الا بعض هذه الاحوال ، فكيف نقول ان لها قانونا كلياً واحداً ؟ ان

من الالفاظ لساقهم هذا التحديد الى الحكم على انظمتهم الواقعية بحاكم العقل لا بحاكم العاطفة والهوى والمنفعة . ولكن الناس في مختلف اقطار العالم لا يزالون حتى الآن مسوقين بغرائزهم واهوائهم تسيرهم شهواتهم ومنافعهم اكثر مما توجههم عقولهم ، وينقادون لتوجيهات وسائل الاعلام اكثر مما يصغون لنداء الفلاسفة . وانه لمن شقاء الانسانية ان تكون معاني القيم الحضارية مختلفة باختلاف انظمة الحكم وان تكون التربية والعلم والثقافة وسيلة لتحقيق المطامع السياسية .

* * *

واذا كان الدكتور رريق قد بدأ بتعريف الحضارة والتحضر والثقافة والتحرر وغيرهما من الألفاظ فمرد دلك الى رغبته في اجتناب الالتباس على النحو الدي حرى عليه (بلومدل) ، فعرف الحضارة في اللغة العربية وبخاصة عند ابن خلدون، وفي اللغات الغربية، وفي الاصطلاح العلمي الحديث للنفاد من ذلك كله الى ماهيتها .

قال ان الحضارة تعنى نمطاً من الحياة يتميز بخطوط والوان من التقدم والرقي، على حين ان الثقافة تدل على حماع حياة المجتمع بدائياً كان أو متقدماً راقياً (ص٣٩). والواقع ان للحضارة والتقافة معاني اخرى غير هذه، والمؤلف نفسه يذكر دلك ، الا انه اختار هذا التعريف لاعتقادة انه أصلح التعريفات نفاذاً الى ماهية الحضارة . ويتبين لنا من تحليل هذا التعريف ان واضعه أرجع معنى الحضارة الى معنى التقدم ، كما ارجع معنى التقدم الى معنى التحرر . ومعنى ذلك انه لا فرق في نظره بين التحضر والتقدم لانك تستطيع ان تقول ان التقدم نمط من الحياة يتميز بخطوط والوان من التحضر ، وان تعكس ذلك وتقول ان الحضارة والتحضر نمط من الحياة يتميز بخطوط والوان والتقدم ، فكل تقدم تحضر ، وكل تحضر تقدم ، وكلا المعنيين ينحلان الى معنى التحرر . وعندي ان اولى قواعد الطريقة العلمية ان يحدد العالم معاني الفاظه ، كما فعل الدكتور زريق في كتابه ، ولكن الطريقة العلمية توجب ان لا يدخل العالم في تحديد معاني الفاظه الا المعاني الواضحة ، لانه اذا ادخل في تحديدها معنى يحتاج هو نفسه الى تحديد

العصر المتفجر الدي نعيش فيه ، ثم اتحفنا بهذا الكتاب الحديد لاتمام ما تصمنته كتبه السابقة ومحاضراته من نظرات انسانية شاملة .

* * *

ولست أريد الآن ان ألخّص للقارىء كل من حاء في فصول هذا الكتاب من افكار حميلة ، ولا ان أتتبع خطوات المؤلف في وصفه الدقيق ، وتحليله العميق، فـانّ ذلك ، أذا صح ، لا يكفي لاجتداب القارىء الى حو المؤلف ، ولكني اود ان اقصر كلامي على ابرار بعض المسائل الكبرى التي يمكن الاطـلال منها على اجواء الكتاب وبواطنه .

لقـد دكرني كتاب الدكتور رريق بكتاب للفيلسوف الفرنسي (موريس بلوندل) عنوانه : « النضال في سبيل الحضارة وفلسفة السلام » تكلم فيه على أسباب التوتر في عالمنا الحديث ، فزعم ان اسباب هذا التوتر ترجع الى ان الدول الجماعية والدول الديمقراطية قد قلبت للقيم الروحية ظهر المجن ، وتوهمت انها تستطيع ان تسعد الانسان ببناء حياته على اساس العلم والصناعة . فالجماعيون يؤلهون الدولة ويجعلونها كياناً مثالياً شاملاً يعبر عما في اعمـــاق الحياة من قوة فاعلة. والديمقراطيون يؤلهون الشخصية الانسانية ويعتبرونها غاية بذاتها . ومما يزيد الالتباس ان الجماعية والديمقراطية تستعملان الفاظاً واحدة للدلالة على معان مختلفة ، كلتاهما تتكلمان على الحرية والشخصية ، ولكن هاتين الكلمتين لا تدلان عندهما على معنى واحـــد ، فالحرية عند الجماعيين تدل على توحيد القوى المشتركة لانتاج عمل كلي لا يستطيع الفرد ان يحققه ، على حـــين انها عند الديمقراطيين تدل على حق الفرد في ان يفكر ويقول ويعمل ما يشاء في حـدود الولاء للمبادىء الانسانية . والشخصية الانسانية عند الجماعيين ليست سوى قناع خارجي مجرد لحقيقة انسانية كلية على حـــين انها عند الديمقراطيين اشبه شيء بطاقة روحية مغلقة ذات حقوق مطلقة . ولو ان الجماعيين والديمقراطيين اتفقوا على معنى الحرية والكرامة الانسانية والعدل والتقدم والحضارة والثقافة وغيرها

التجاري ، وتحت الحاح الدول النامية في طلب هدا لنوع من التعويض اضافة الى ما يقدمه صندوق النقد الدولي ، ومعارضة الدول المتقدمــة اقتصاديا توصل الى حل وهو اضـــافة قسم جديد تحت عنوان قسم (ب) الى المشروع البريطاني السويدي وينص هدا القسم باختصار على ما يلي :

«يوصي المؤتمر المؤسســه الدائمة التي ستنتج عنه بدراســـة ومناقشة المفاهيم والاقتراحات التالية التي وضعها مندبو البلدان النامية :

١) تأسيس صندوق يمول من قبل الدول المتقدمة وتشرف عليه هيئــــة الامم المتحـــدة .

٢) يحق للدول النامية فقط ان تستقرض من الصندوق .

٣) يجب ان يأخذ التعويض شكل منح و او قروض رهيده مشروط تسديدها.

٤) يقوم التعويض على اساس الانخفاض القصير الأجل في قيم صادرات البلدان النامية وتدهو شروط تبادلها التجارية وتأثير ذلك على برامجها الانمائية ».

ويتضح من القسم (ب) هذا ان ما طلبتــه الدول النامية قد أجل للدراسة . ولقد فاز المشروع البريطـــاني السويدي مضافا اليه هذا القسم في الجمعية العامة للمؤتمر بـ ١٠٦ اصوات ولم يعارضه احد،بينما امتنعت عشر دول عن التصويت(١٩) وهي الاتحاد السوفياتي وبعض دول اوروبا الشرقية و كوبا .

ولقد وافقت الجمعية العامة للمؤتمر ايضا بالاجماع على مشروع آخر تقدمت به بعض الدول النامية في اللجنة الثالثــة ، واهم بنوده تنص على ان يزيد صندوق النقد الدولي مقدار التسهيلات الائتمانية الخاصة بالتعويض المالي من ٢٥ ٪ من حصة الدولة الى ٥٠ ٪ (٢٠) .

وأخيرا يمكن القول أنه رغما عن ان كل ما طلبتــه الدول النامية بخصوص التعويض المالي لم يتحقق ، فان المؤتمر حقق بعض النتائج الايجـــابية . فزيادة التسهيلات الخاصة بالتعويض المالي من قبل صندوق النقد الدولي سيزيد طاقـــة

لم يبلغ في البحث العلمي غايته . ومع ذلك فان ميزة المؤلف في هذا التحديد انقاصه عدد المجهولات بارجاعها كما يفعل الرياضيون الى معنى واحد وهو معنى التحرر ذلك لانه جعل التحضر والتقدم ظاهرتين لحقيقة واحدة وهي اكتساب التحرر وتحقيق الكرامة الانسانية، ومتى عرفنا حقيقة التحرر عرفنا حقيقة الحضارة أو التحضر .

* * *

فما هو التحرر ? – للتحرر في نظر الدكتور رريق ثلاث جبهات رئيسية : جبهة الطبيعة ، وجبهة البيئة البشرية ، وجبهة الذات . وهذه الجبهات في نظرنا لا تختلف عن جبهات التربية ، لأن غاية التربية ان تحقق ملاءمة الفرد للطبيعة وملاءمته للبيئة البشرية ، واتفاق سلوكه مع المثل العليا الانسانية .

١ – اما التحرر في جبهة الطبيعة فيرجع الى قدرة الانسان على اتقاء شرور الطبيعة ، واختراق حواجزها ، وتقليص ابعادها ، والى نجاحه في استغلال مواردها ، واستثمار ثرواتها . لقد استطاع الانسان خلال العصور الماضية ان يتحرر من بعض قيود الطبيعة اولكن مكاسبه العلمية قد تضخمت في هذا العصر تضخماً كبيراً جعل عجلة التقدم تسير في سرعة هائلة ، هازئة بالحدود ، مقتحمة الحواجز والسدود ، وهذا التقدم في القدرة العلمية والصناعية ليس ناشئاً عن مجهود شعب واحد ، وانما هو ناشىء عن مجهودات جميع الشعوب على اختلاف اسهامها فيه . وهو يوفر للانسان اسباب التحرر من قيود الطبيعة ويؤدي بالتالي الى تحسين حياته . فهناك اذن تسارع في التقدم العلمي والتقدم الصناعي، وتسارع في اقبال الشعوب كافة على الاخذ بالتصنيع والتمتع بثماره ، وهذا من شأنه ان يثير مشكلات اجتماعية وتربوية وحضارية ليس من السهل استقصاؤها هنا .

٢ – واما التحرر في جبهة البيئة البشرية فله مظهران : احدهما هو التحرر من السيطرة الخارجية ، والآخر هو التحرر من الاستثمار الداخلي . والدليل على ذلك اننا نشهد اليوم ثورات داخلية تكتسح السيطرة الخارجية وتقارع الاستعمار ونرى قافلة التحرر السياسى تضم كل يوم شعوباً جديدة تنال حريتها

٨) هدا المشروع ملخص في : U.N. Economic&Social Council. *Report of the Technical Working Group on Compensatory Financing For Export short falls* Janv. 1963 P. 16-18

٩) كيفية حساب هدا الرقم هو ما يلي . ١) - بلغ وسطي الصادرات لسني ٥٩، ٦٠، ٦١/٢،٠٨٠٤٢/مليون ٢) - ٥٠٢٠٥٪ من هدا الوسطي تساوي ١٨٠٤ ٤ مليون ٣) - الريادة في الصادرات سنة ١٩٦٢ عن٢ تساوي ١٩٨٠٨ مليون ٤) - ويبلغ نصف هده الريادة مبلغ ٩٩٠٤ مليون .

١٠) من الادلة على دلك انه لم يدكر احد من رؤساء الوفود التالية : الولايات المتحدة الاتحاد السوفياتي ، فرنسا ، بلجيكا (متكلما باسم السوق الاوربية المشتركة) موصوع التعويض المالي في بياناتهم التي القيت في الجمعية العامة للمؤتمر في ايامه الاولى ، ولقد ابدى مندوبو هده الدول موقفهم في هده البيانات تجاه القضايا المطروحة على المؤتمر - انظر بيانات هده الدول على التوالي في الوثائق التالية .

STA/6 STA/8 STA/25 E/CONF46/STA 14

وكان رئيس الوفد البريطاني الوحيد بين الدول الكبرى والمتقدمة اقتصاديا الدي اتى على دكر موصوع التعويض المالي (انظر STA/92)

١١) انظر بيان السيد BLAU مندوب الولايات المتحدةفي اللجنة الاولى Summary Record of the 31st meeting P.6.

١٢) انظر بيان السيد سولود وفيبيكوف في اللجنة الثالثة Provisional Summary Record of the Fifty Six Meeting P.5.

١٣) كانت اللجنة الثالثة ، اي اللجنة المالية ، هي التي بحثت بشكل مفصل موصوع التعويض الماليولقد مثلسورية فيها حتى الثانيمن ايار الدكتور حيدر غيبة، ولقد قدم مشروعا مشابها لمشروع ص ت ت ولكنه لم يقترح فيه ان يكون التعويض بشكل اوتوماتيكي . انظر : Third Committee, Summary Record of the 9th Meeting P.p. 7-9

١٤) كان السببان (آ) و (ب) من الاسباب التي منعت خبراء الامم المتحدة من الاتفاق على وضع مشروع للتعويض المالي عن الانخفاض في شروط التبادل التجاري . انظر :

U.N. Economic and Social Councel, *compensatory Financial Measuras to offset Fluctuations in the export income of Primary producing countries* 16 Jan. 1963 P. 48

١٥) انظر مشروع اقتراح الارجنتين ، كولومبيا ، الدومينيكان، اكوادور، جواتيمالا وفنزويلا في الوثيقة E/CONF. 46/c.3/L.49 الفقرة (٢) .

الدول النامية على الاستقراض ، وبالاضافة الى ذلك فان المشروع المقترح من قبل السويد وبريطانيا سيساعد البلدان النامية التي تعاني انخفاضات طويلة الاجل في قيم صادراتها وتلك البلدان التي تنخفض صادراتها خلال سنتين متتالين او اكثر .

المراجع التعليقات

١) هدا الرقم مقتبس في .
U.N. *Imternational Compensation for Fluctuations in Commodity Trade, New* York, 1961. P. 3

٢) U.N. *The Developing countries in World Trade* 1962. P. 2

٣) U.N. *Towards A New Trade Policy For Development* P. 11

٤) a) *Nurkse, R. Equilibrium and Growth in the world Economy*, (Editor Haberler, (Harward Uni. Press) 1961 P. 295 b)
E. C. E. Economic Survey of *E*urope in 1957 Chp. 4. P.6

٥) انطر : U.N. *International compensation for Fluctuations in commodity Trade N*.Y. 1961 . P. 24 - 25
انطر الجدول ايصا على الصفحة ٢٤ .

٦) يعي هدا التسهيل الائتماني الخاص يأن الصدوق قد رفع الحد الأعلى لاقراصه للدول النامية من مايساوي ١٢٥ ٪ من حصتها الى مايساوي ١٥٠ / ويختلف هدا التسهيل الخاص عن التسهيلات الاعتيادية في ان الدولة المعنية لا يمكنها السحب عليه الا ادا كان عحر ميران مدفوعاتها ناتجا عن انخفاص قيم الصادرات وتحقق الصدوق ان الانخفاص هو نتيجة عوامل قصيرة الاجل خارجة لحد بعيد عن ارادة الدولة المعنية. اما التسهيلات الاعتيادية فيمكن السحب عليها سواء كان عجر ميران المدفوعات ناتجا عن انخفاص قيم الصادرات او سياسة تصخمية داخلية . ومن شروط السحب في كلتا الحالتين تعاون الدولة الساحبة مع الصدوق ادا اقتضت الضرورة لايجاد حل لصعوبات ميران مدفوعاتها . ولقد كانت البرازيل اول دولة لجأت الى التسهيل الخاص حين سحبت في حزيران ١٩٦٣ / ٦٠ / مليون دولار . انطر التقرير السنوي لصندوق النقد الدولي ١٩٦٣ ص. ١٧ - ١٨ - ٧٧ - ١٩٦،٧٩ - ١٩٩ .

٧) انظر. U.N. *International compensation For Fluctuations in Gommodity Trade.* NY. 1961 P. 39-51.

فلاسفة التاريخ الذين يحاولون ان يرجعوا تغيرات الحضارة الى قانون واحد يشبهون علماء الطبيعة الذين يرجعون قوانين الطبيعة الى قانون كلي واحد . فقد يكون الوصول الى هذا القانون ممكنا في نهاية التطور العلمي عند احاطة العقل البشري بجميع المجهولات ، اما في المرحلة الحاضرة من التطور فان ربط التغيرات كلها بقانون واحد او بفرضية واحدة ليس مقبولا في العقل . وعندي ان موقف علماء الاجتماع الذين يدرسون الظواهر الجزئية وتغيراتها للكشف عن قوانينها الخاصة افضل من موقف فلاسفة التاريخ الذين يتصورون قانوناً كلياً لا يؤيده الاستقراء التام ، ولا يوجبه القياس الصحيح . ان العلم لم يصل الى مرحلة التركيب والاستنتاج الا بعد ان اجتاز مرحلة طويلة من التحليل الدقيق والاستقرار الشامل ، وعلى علماء الاجتماع ان لا يضعوا قانوناً شاملا لتعليل التغيرات الحضارية الا بعد ان يدرسوا كل ظاهرة منها دراسة عميقة . هذا ما فعله الدكتور زريق في اعراضه عن تعليل التغيرات الحضارية بعامل واحد . وسبب اعراضه كما يقول ان علمنا لا يؤهلنا اليوم لاتخاذ موقف نهائي ازاء هذه القضية ، ذلك لانها من السعة والعسر والتعقد بحيث يصعب تعليلها بكاملها تعليلا واحداً . وجميع الذين يقدمون على تعليل من هذا النوع يستهلون الصعاب ، ويبسطون الوقائع ، ويهملون الكثير من حواشيها المعقدة . يضاف الى ذلك ان علم الاجتماع لا يزال في المرحلة الاولى من تطوره ، وليس هناك علم وضعي ثابت نستطيع ان نسميه بعلم الحضارة . دع ان هذا التعليل الموحد لا يمكن ان يكون مستقلا عن معرفتنا بقوانين الطبيعة ، فلا بد اذن من بنائه على نتائج العلوم الفيزيائية والكيمائية والبيولوجية وغيرها حتى يكون تعليلا صادقا . وهذا كله يبين لنا وعورة الطريق ويوجب علينا اتخاذ موقف الحذر في كل تعليل حضاري سابق لاوانه . ولذلك كان كل تعليل حضاري شامل تعليلا تقريبا او موقتاً ، اعني فرضية لا تنقلب الى قانون ثابت الا بعد امتحان صدقها على جميع الظواهر المشاهدة . ان معرفتنا العلمية الحاضرة لا تؤهلنا لاكثر من الافتراض ، ولا تتيح لنا ان نرسم قوانين كلية تشمل جميع التغيرات الحضارية ، ونحن نرى ان التعليل كلما كان اكثر امدية

١٦) انظر مشروع اقتراح السويد والمملكة المتحدة في الوثيقة E/CONF 46/c.3/L.37/Rev. 1

١٧) ولقد ذكر المشروع في ملاحظاته ، كأمثلة ، الظروف التالية التي يمكن فيها للدولة النامية بصورة مبدئية طلب المساعدة من المشروع :

١) اذا سحبت الدولة على التسهيلات الاتئمانية الخاصة من صندوق النقد الدولي في سنة معينة ولكن صادراتها انخفضت بشكل معتبر دون ما تتوقعه في السنة الثانية او الثالثة . او

٢) عندما يستحق تسديد القرض الخاص من صندوق النقد الدولي ، ووجدت الدولة المعنية بأن صادراتها لم تتحسن بشكل كاف يمكنها من دفعه دون ان تعرقل برامجها الانمائية . او

٣) اذا انخفضت قيمة الصادرات بصورة معتبرة وقرر صندوق النقد الدولي منذ البداية بأن أسباب الانخفاض ليست قصيرة الاجل ، لذلك ليس بامكانه تقديم المساعدة اللازمة .

١٨) انظر المشروع كما قدم لاول مرة في الوثيقة E/CONF. 46/c.3/L.37

١٩) انظر *Final Act of the United Nations conference on Trade and Development* Annex A. IV. 18 P. 111

٢٠) المصدر السالف الذكر (صفحة ١١٠)

والحضارات تتواصل وتتفاعل ، ولهذا التفاعل سبل ووســـائل كثيرة . فالحضارات المتقدمة تؤثر في الحضارات المتأخرة وتتأثر بها ، واذا كانت الحضارات المتلاقية على درجة واحدة من القوة كان تفاعلها بعضها مع بعض اقوى . وهذا التفاعل لا يحدث دفعــة واحدة بل يحدث بالتدريج ، وتنتشر جوانبه المادية كما قلنا قبل جوانبه الروحية ومهما يكن من أمر فان العناصر الحضارية تؤلف كلاً متماسكا ، فلا يعقل ان تنتقل جوانبها المادية من شعب الى آخر من دون ان يصحب هذا الانتقال تغير روحي ، وعلى قدر ما تكون الحضــارة المتأثرة متهيئة لقبول العناصر المنتقلة اليها من الحضارة المؤثرة يكون اخذهــا بها اسرع ، وكلما كان المجتمع المتأثر اكثر اطمئناناً الى سلامته واعظم ثقة بنفسه وايماناً بمصيره كان الى الاخذ بالمبتكرات الحضارية الخارجية أميل ، وكلما كان راكداً كان للاقتبـــاس مجانباً . ولا يبلغ التواصل الحضاري ذروته الا في جو من السلم والرضا والحرية والتفــاهم .

* * *

هذه بعض المسائل الكبرى التي رأيت ان احتوىء بها كلامي على كتاب الدكتور رزيق وهي كما ترون مسائل خطيرة الا انها لا تحيط بكل مــا جاء في كتــابه القيم من افكار متسلسلة ونظرات عميقة . ولم يكن مقصودي من كتابة هذا المقال الا اجتذاب القارىء الى جو «المعركة» لعله اذا أحس بخطورتها يستطيع ان يعد نفسه لمواجهتها ، واي مسألة من مسائل حياتنا اعظم خطورة من البحث في معركة الحضارة واستجلاء مظاهرها ومقاييسها وتاريخها وتطورها ، فان عالم الحضارة عالم القيم ، والبحث في القيم ادق واصعب من البحث في الاشياء والوقائع ، لان القيم الحضارية قيم انسانية ، وعلى قدر ما تكون هذه القيم اكثر أصالة تكون اجدر بالبقــاء ، وتكون ابلغ تأثيراً واعظم انتشاراً . ان الادب الذي لا يهز شعوراً خارج البيئة التي ظهر فيها لا يرتفع الى المستوى العالي ومدى استجابة البيئات الاجتماعية الاخرى لهذا الادب هو المقياس الذي يجب ان يحكم به عليه ، ولكل تراث ثقافي لب أصيل ، وهو محتواه الانســـاني ، والتراث

وشمولاً كان ادعى الى الشك . وموقف الدكتور رريق اراء دلك لا يختلف عن موقفنا ، لا بل هو اقرب الى موقف القائلين بتعدد العوامل وتنوعها . واذا كان أحدنا كما يقول يعجز عن رد تصرفاته واعماله جميعاً الى علة واحدة فكيف يمكننا ان نفسر الحضارات على اتساعها ، وضخامتها ، وتعقد تركيبها ، وامتداد وجودها ، بعلة واحدة (ص ٢٠٠) واذا كانت العوامل المؤثرة في التبدلات الحضارية تابعة للارادة الانسانية كان تعليلها بعامل مادي يفي حرية الانسان تعليلا ناقصاً . اننا لا نستطيع ان نهمل تأثير الانسان في المجتمع ولا ان نجعل سلوكه حتمياً ولا ان نهمل تأثير القادة من فلاسفة وعلماء وكتاب وشعراء في الانشاء الحضاري ، فهم الدين يجددون خلايا الوعي الاجتماعي ويوحهون الجماهير ويبدعون الصور الاجتماعية الجديدة . لاشك ان لظهور هؤلاء القادة اسباباً تاريخية واجتماعية ليس من السهل استقصاؤها ، ولا شك في انهم يتأثرون بالجماهير كما يؤثرون فيهم ، ولكن الوعي والابتكار لا يصدران عن الجماهير ، بل يصدران عن القادة . يضاف الى ذلك ان التغيرات الاجتماعية تابعة لحالة التطور العقلي ، وهي تتشابه او تختلف بحسب درحة التفتح العقلي الدي تمثله ، وبحسب نوع المعرفة التي تكونت لدى المجتمع ، فاذا تطورت المعرفة بتطور العقل اثرت في جميع ظواهر المجتمع سياسية كانت او اقتصادية او اجتماعية او ثقافية او خلقية . وبين الحضارة والفضائل المكتسبة علاقة وثيقة فاذا ازدادت الفضائل المكتسبة ازدهرت الحضارة ، واذا شاعت الرذائل أدى شيوعها الى الانحطاط والانقراض . وقصارى القول ان الحضارات في نظر الدكتور رريق فتوحات انسانية (ص ٢٠٦) اعني فتوحات في ميدان الطبيعة وميدان المجتمع، وميدان التحرر الذاتي ، وهي لا تحدث بالاتفاق ولا بالعرض، بل تحدث بما ينسبه الانسان من فضائل اهمها جهده العقلي ، وسعيه للكشف عن الحقيقة . وظواهر الحضارة مرتبطة ومتشابكة ومتماسكة تماسك ظواهر الحياة وتكاملها ، فليس يصح مثلا ان تتصف الحضارة بالتقدم الصناعي ، وان تظل ظواهرها الاخرى مضادة لهذا التقدم .

العشرين في مواضيع الشرق الاوسط والعرب والاسلام ، دون زيادة ملموسة في تفهم الموضوع او اضافة اية حقيقة جديدة عليه . ولا تفسر هذه الزيادة في عدد هذه التآليف الا كتضخم أدبي له في هذا القطاع ما للتضخم المالي في الاقتصاد . ويبدو لي ان هذا الكتاب يدخل في عداد هذا النوع .

يجمع هذا الكتاب بين دفتيه تسع دراســـات كتبت بين سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٢ ونشرت لاول مرة في مجلات اوربية واميركية . وتعالج هذه الدراسات المواضيع التالية : الاسلام وقدرته الاساسية على التوسع والتكيف ، قضيـــة التأثير الحضاري ، بحث تحليلي في المدنية الاسلامية وفي الانثروبولوجيا الحضارية، مفهوم الكلاسيكية الحضارية ، الصورة الذاتيـــة (لدى العرب) ونظرتهم الى التاريخ ، القضية الفكرية المترتبة على اقتباس الحضارة الغربيـــة كما تنعكس في نظرة العرب الى انفسهم ، دور الجامعـــة السيـاسي في الشرق الادنى كما تمثله الجامعات في مصر ، القضايا المتعلقة بالقومية الاسلامية ، القوميـــة والاتجاهات الحضارية في الشرق الادنى العربي ، الاغراء الحضـــاري موضوع من مواضيع الادب العربي المعاصر .

وعلى الرغم من ان هذه الدراسات كتبت اولا في خلال سنوات ست ودون بعضها بادىء ذي بدء بغير الانكليزية فهي تتسم بقاسم مشترك هو اصطنـاعها مصطلحات مستحدثة يتداولها علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرين . ولما كان اسلوب هذه المدرسة العلمي لا يزال بعيدا عن الاستقرار ومصطلحاتها العلمية لا تتمتع بعد بالقبول والاجماع(اذ قل ان تجد اثنين من الانثروبولوجيين الاجتماعيين يصطنعان مصطلحا واحدا ويتفقان عليه) ، يتخلل الكتـــاب بكامله شيء من الغموض والابهام . ويزداد النص اشكالا بايثار المؤلف الكلمـــات الكبيرة على الصغيرة والمفردات المستعارة من اليونانية واللاتينية على الانجلوسكسونية وبترصيع صفحاته باصطلاحات المانية لا حاجة لها .

مع هذا كله كان يمكن لهذا الكتاب ان يقدم للدراســـات الاسلامية خدمة

الانساني العام هو مجموع ما انتجته الامم المختلفة من قيم انسانية أصيلة .

على ان الدكتور زريق لم يقصد من دراسته هذه معالجة قضايا الحضارة معالجة مجردة كما يفعل علماء الاجتماع او علمـــاء الانثروبولوجيا الذين يكتفون بالوصف والتحليل والتعليل ويجتنبون التطبيق والتقديم ، واذا بحثوا في القيم بحثوا فيها من جهة ما هي حقائق واقعية تختلج في صدور الناس ، ولكنه قصد بهذه الدراسة ان ينطلق من الواقع الانساني واغواره للكشف عن فضائله ونقائصه ، فطريقته في البحث لم تكن مقصورة على وصف الواقع كما هو بل كانت شاملة لما يجب ان يكون ، حرصاً منه على تعزيز الفعل الحضاري ، وتوجيـــه تياراته حتى تحقق الحضارة غايتها ، ألا وهي اسعاد الانسان .

وبعد فان كتاب معركة الحضارة اشبه شيء بحديقة غنـــاء فيها الكثير من الاوراق النضيرة والازهار الجميلة والثمار النضيجـــة ، فعلى كل من يجول في هذه الحديقة ان يلحظ ما فيهـــا من نظام وترتيب وصفاء وألوان ، وعلى كل من يريد ان يتزود شيئاً من جناها ان لا يتردد في الاختيار ، فان صورها كلها على درجة واحدة من الجمال ، وفي وزن واحد من الاتساق .

جميل صليبا

G.E. von Grunebaum, *Modern Islam*
The Search for Cultural Identity
University of California, Los Angeles, 1962 Pp. 303. $7.50

غوستاف فون غرونباوم ، **الاسلام المعاصر :**
او السعي في سبيل شخصية حضارية
جامعة كاليفورنيا ، لوس انجليس. ص ٣٠٣ . ٧،٥٠ دولارات

من الظواهر التي ستسترعي انتباه مؤرخي الادب في المستقبل وتستثير تعجبهم واستغرابهم كثرة التآليف التي ظهرت في العقدين الســادس والسابع من القرن

حضارية » بل الرفض بالسماح لشخصية الاسلام الحضارية ان تذوب وتتلاشى في شخصية حضارية أخرى . وهذا الرفض بالذات هو الذي مكن الجزائريين من الصمود في وجه الاستعمار الفرنسي مائة واربع وثلاثين سنة وهيأ لهم ان يخرجوا من المعركة بفخر واباء وهم لايزالون على شخصيتهم الحضارية جزائريين ومسلمين. وهذا الرفض نفسه هو الذي وسع للمسلمين في شبه القارة الهندية ان يصمدوا في وجه اكثرية عددها اربعة اضعــاف عددهم واعطاهم ان يقيموا دولة جديدة منبثقة من وحي الاسلام وروحه .

وكان في وسع المؤلف ، على الرغم من كل ما ذكرناه ، ان يفتدي الكتاب لو امتنع عن اطلاق تعميمات لا تستند الا الى ظواهر محلية لا محـال ولا مبرر لاتخاذها سنة عامّة . فالاسلام المعاصر واسع الرقعة متنوع العادات والمعاملات ولا يخضع الى تصنيفات بطيمة ولا تحصره نموذجات رتيبة . زد على ذلـك ان الاسلام المعاصر اوسع من الاسلام العربي ، وحقيقة الحال ان المسلمين العرب اليوم اقلية صغيرة ضمن العالم الاســلامي لا تتعدى خمس المسلمين عددا . غـير ان الكتاب يركز انتباهه على هــذا الخمس الواحد ولا يلتفت الى الاخماس الاربعة الاخرى الا قليلا . واخطر من هــذا كله اصرار المؤلف على اصطناع المسلم والعربي مرادفين حتى في يومنا هذا . وقد يصح هذا بصورة مجملة في فترة معينة من التاريخ الاســلامي ، غير انه لا يصح اليوم . فالرئيس سوكارنو لا شـك مسلم ولكنه ليس عربيا . والامـير فؤاد شهاب ، رئيس الجمهورية اللبنانية السابق، عربي من قريش ولكنه ليس مسلما .

يتفق الاســلام والعروبة على امور كثيرة ويختلفان على اخرى . فالعروبـة تقوم على الاعتقاد ان العرب امة واحدة تتميز عن سواها بصفات اساسية خاصة . وهي تدعو الى الوحدة العربية وترغب في اقامة الدولة على اسس عصرية علمانية، مستقلة عن الدين . ولذلـك ترى الدول العربية ، في النزاع التركي القبرصي ، تقف الى جانب رئيس الاساقفة مكاريوس لا الى جـانب الاتراك المسلمين . وفي الواقع لم تكن الفكرة العربية الحديثة فقط ردّ فعل لمحاولات الاتحاديين الاتراك

جليلة لو تنزه عن الهوى واعتمد على المحاولة الفكرية . والواقع ان هذه المحاولة تجانبه القارىء في عنوان الكتاب الثانوي نفسه — اي « السعي في سبيل شخصية حضارية » . وقد يكون من التزمت والحذلقة اي ينقد الكتاب ، اي كتاب ، على اساس من العنوان . غير ان هذا الكتاب يدور بكامله على رحى « السعي في سبيل شخصية حضارية » ، اذ يؤكد المؤلف على ان هذا « السعي » هو شغل الاسلام المعاصر الشاغل والباعث في نفوس المسلمين الفتور والدهشة في آن واحد» .

على ان المرء ليضطر ان يشك في صحة هذا الافتراض وفي سلامة اسسه عندما يستعرض مجرى التاريخ الاسلامي الحديث . فاذا اتخذنا الجزائر ، على سبيل المثال ، نجد ان الجزائريين اصروا ، طوال مائة واربع وثلاثين سنة ، اصرارا عنيدا على انهم ليسوا فرنسيين بل جزائريين ومسلمين . ولم يخامرهم طوال صراعهم الدموي ضد الحكم الافرنسي الاستعماري اي شك في شخصيتهم الحضارية وغيرها . كذلك استمر سكان شبه القارة الهندية المسلمون ، قرون متوالية ، في اصرارهم على انهم يختلفون عن جيرانهم الهندوكيين حضارة ولم يستريحوا او يريحوا حتى قامت دولة الباكستان على اطلال الامبراطورية البريطانية في الهند . ونجد الشيء نفسه في الصراع الذي استعرت نيرانه في القسم العربي من العالم الاسلامي : في مراكش وتونس وليبيا ومصر والعراق وسورية وحتى في فلسطين ولبنان حيث تزدهر عناصر عربية غير اسلامية . فقد اصبح الاسلام في جميع هذه الاقطار الوسيلة المثلى للاحتجاج والمقاومة والاداة الوحيدة الفعالة في ايدي ابنائها لمجابهة الاخطار التي تهدد مجتمعهم وحضارتهم وديانتهم .

ولا يتمالك القارىء ، بعد ان يلج خضم هذه الدراسات الدائرة على رحى « السعي في سبيل شخصية حضارية » من باب « الاسلام وقدرته الاساسية على التوسع والتكيف » عن التساؤل عما يمنع هذه القدرة من ان توفر على المسلمين عناء تلك المهمة التي يود المؤلف ان ينيطها بهم .

لذلك نرى ان « شغل الاسلام الشاغل » لم يكن « السعي في سبيل شخصية

وطأة الخطيئة الاصلية التي تحـــكم عليه وعلى نفسه بالسوء والفساد ؟ ألا يفسح الاسلام ، عمليا ، في نظامه الشرعي ، مجالا للعمل الانساني اوسع مما يعترف به المؤلف ؟ وماذا يقال عن المـكانة التي يوليها ابو حنيفة للرأي والاستحسان ؟

ان اخطر نقد يوجه الى هذا الكتاب ينصب على روحه المفعمة بالعداء لكل ما هو مسلم . وبعض التهم التي يوجهها المؤلف الى الاسلام تفتقر الى دليل يثبتها . اصحيح ان الله لا يفوض الانسان بشيء من سلطانه ؟ كيف نفسر ، اذا ، ما جاء في القرآن الكريم من أن « من يطع الرسول فقد اطـاع الله » (النساء : ٨٠) وتطبيقها العملي كما يتمثل في البراءة التي اصدرها الخليفة الناصر العباسي (١١٨٠ — ١٢٢٥ م) لدى تعيين القمي وزيرا : — « محمد بن برر القمي نائبنـــا في البلاد والعباد ، فمن أطاعه فقد اطاعنا ، ومن اطاعنا فقد اطاع الله ، ومن اطاع الله ادخله الجنة . ومن عصاه فقد عصانا ، ومن عصانا فقد عصى الله ، ومن عصى الله فقد ادخله النار . » فمجرى التـاريخ الاسلامي جلي واضح في هذه المسألة ، ولو جاء ذلك مخالفاً لحجج الفقهاء والمتكلمين

ويزعم المؤلف ايضـا ان الاسلام يفتقر الى « وسيلة دستورية للحد من اعمال الحاكم الاعتباطية او لعزله اذا اقتضى الامر » . ولكن مجرى التاريخ الاسلامي يثبت ان هذا الزعم مردود جملة وتفصيلا . الا يذكر المؤلف مصير السلطانين العثمانيين عبد العزيز ومراد الخامس، في اواسط القرن التاسع عشر ؟ الم يعزلا عن عرش الخلافة بوسيلة دستورية بسيطة متعارفة هي الفتوى ؟ والفتوى ، على الرغم من سوء استعمالها احيانا ، اصيلة في الاسلام ، معمول بهـا في جميع اقطاره . ان مداد الفتوى الصادرة عن الرياض ، عاصمة المملكة السعودية العربية في ما يقابل ٢٩ اذار ١٩٦٤ ، لنقل السلطـــات من صاحب الجلالة الملك سعود الى صاحب السمو الملكي الامير فيصل ، لما ينشف بعد .

وتشوه صفحات الكتاب اخطاء بسيطة يدعو بعضها الى الدهشة ، وكان في وسع المؤلف ان يتحاشى ذكرها فيتلافى الخطأ ولا سيما لانها ليست ذات شأن

لصهر العرب وغيرهم من شعوب الامبراطورية العثمانية في البوتقة الطورانية بل كانت ايضا والى حد ابعد حجبا للثقة عن الجامعة الاسلامية .

وكان من اصرار المؤلف على جعل العروبة مرادفا للاسلام ان اقحم في دراسته للاسلام المعاصر آثار عدد من العرب المسلمين نظير المرحوم بشر فارس وقسطنطين زريق وكمال يوسف الحاج وحتى كاتب هذه السطور . وأود هنا ان اتكلم عن نفسي فحسب ولن احاول ان اتكلم بالنيابة عن احد من هؤلاء العرب غير المسلمين ، فاقول : انني اشعر بأن لا محل لي في كتاب موضوعه الاسلام المعاصر « وشغله الشاغل في السعي في سبيل شخصية حضارية » . فقد هاجر اجدادي من اطراف الجزيرة العربية الى لبنان قبل ثلاث وخمسمائة سنة لانهم كانوا على ثقة تامة من شخصيتهم الحضارية ولم يخامرهم اي شك في شأنها ، بل كانوا على يقين بانهم عرب مسيحيون وأصروا على التمسك بعروبتهم ومسيحيتهم . هذا ما فعلوه وبسبب من اصرارهم العنيد على التمسك بشخصيتهم الحضارية العربية المسيحية اعفوني من ذلك الشغل الشاغل الذي يود المؤلف أن يثقل كاهلي به . وكل ما كتبته في موضوع القومية صدر عن صفتي العربية لا عن المسيحية او الاسلام . ومهما يكن من امر فان قضية الديانة التي انتسب اليها خارجة عن الموضوع ويجب ألا تثار ، كما يجب ألاّ تثار قضية الديانة التي ينتسب اليها اي مؤلف انىّ كان وايّاً كان.

وتسري في جميع اجزاء الكتاب ثنائية مفتعلة تفرق بين الاسلام والغرب وتباعد بينهما وتجعل منهما ضدان مختلفان لا يلتقيان ، لا قاسم مشترك يجمع بينهما في شيء لا سيما لان الاسلام لا يشارك الغرب في امانيه الاساسية ومثله العليا واهدافه الانسانية « وذلك لان الاسلام يتصف بعداء اساسي للفكرة الانسانية ويرفض ان يقبل بالانسان حكما في جميع الامور ومقياسا لها » . ان تهمة خطيرة كهذه تحتاج الى براهين وادلة اكثر وافضل مما يأتي به المؤلف . ألا يقدم الاسلام، نظريا على الاقل ، اساسا لاقامة تقليد انساني سليم افضل مما تقدمه المسيحية ، وخاصة لان الانسان الاسلامي ، على خلاف الانسان المسيحي ، لا ينوء تحت

كتب عربية

اضيفت حديثاً الى مكتبة نعمة يافث التذكارية في الجامعة الاميركية
بيروت وهي مدرجة بحسب تقسيمات ديوي الرئيسية .
ايار – تشرين الاول ١٩٦٤

جمعتها

ليندا صدقة

ببليوغرافيا ومباحث عامة

ابو الخير ، عبد الرحمن .
الجهاز الصحفي ودور الصحافة في بناء المجتمع العربي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٨٨ ص .

الاميني ، محمد هادي .
مخطوطات مكتبة آية الله السيد محمد البغدادي الحسني في النجف الاشرف . النجف مطبعة القضاء ، ١٩٦٤ . ١٩١ ص .

نقله ، انيس .
الاستاذ ، وهو كتاب جمع الفرائد ... دمشق ، مطابع ابن زيدون ، ١٩٦٣ . ٣٥٠ ص.

انيس المجالس ، وهو كتاب يحتوي على معارف وطرف وفكاهات . دمشق ، مطابع ابن زيدون ، لا . ت . ٢٧٩ ص.

فلسفة الاشياء ، وهو كتاب جمع ما هو مفيد وعجيب مما ليس له مثيل في الادب العربي . الطبعة الثانية . دمشق ، مطابع ابن زيدون ، لا . ت . ٣٠٧ ص.

اصلا . ولكنه ، على ما يبدو ، حمّلها اكثر مما تستحق من الاهمية على الرغم من انها لا تمت الى جوهر الامر برابط او صلة . ففي ذكر عـــابر للمرحوم بشر فارس (ص ٢٨٠) ينعتــه المؤلف بمصري (قبطي) مع انه كان رحمه الله لبناني الاصل من بكفيا وماروني مذهبا . واشد غرابة ما وصف به المؤلف كمال يوسف الحاج فقال انه مسلم لبناني مع انه على ما اعلم لم يعتنق الاسلام بعد ولا يزال على ما اعهده من ابناء الكنيسة المارونية الابرار . ومهما يكن من امر فان كلا من هذين المفكرين اقدما على الكتابة في شؤون القومية بصفتهم العربية . وان وصف الواحد منهم بمصري قبطي والآخر بمسلم لبنـــاني لا يفيد الموضوع من قريب او بعيد بل يزيد الامر بلبلة . ولست ادري ايعدل المؤلف رأيه في تقويم مكانتهما في الفكر القومي اذا علم ان الاثنين من لبنان ومن ابناء الطائفة المارونية ؟

نبيه امين فارس

كتاب هذا الجزء من الابحاث

الدكتور نبيه امين فارس — احد اساتذة التاريخ العربي في كلية الآداب والعلوم ، الجامعة الاميركية في بيروت. مؤلف «هذا العالم العربي» (بالعربية وبالانكليزية، Crescent in Crisis) و «العرب الاحياء» و «دراسات عربية» ، وكذلك «الرماية العربية» بالانكليزية ومحرّر «التراث العربي بالانكليزية) وغيرها .

الدكتور محمد الاطرش ، خريج الجامعة الاميركية في بيروت (اقتصـــاد) وحامل درجة دكتوراه في الاقتصاد من جامعة لندن ، مؤلف دراسة « المصارف المركزية والتنمية الاقتصـادية مع الاشارة الى تجربتي مصر وسورية ١٩٥١ — ١٩٥٨ (الابحاث، كانون الاول ١٩٦٤) وهو يعمل الآن في دائرة الدراسات في مصرف سورية المركزي .

الدكتور جميل صليبا ، عميد كلية التربية في جامعة دمشق واستاذ زائر في معهد تدريب كبار موظفي التربية في العالم العربي ، في بيروت . مؤلف . « دروس الفلسفة » ، « كتاب المنطق»، « من افلاطون الى ابن سينا » ، « الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام واثرها في الادب الحديث » ودراسات فلسفية متعددة نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي مثل « الغزالي وزعمـــاء الفلسفة » و «حدود العقل عند الغزالي » و « نظرية الخير عند ابن سينا » و «موقفنا من الفلسفة» وغيرها.

تورونتو . جامعة . معهد دراسة الطفل .
فصول ملخصة في اسس التهذيب ... نقلها الى العربية بتصرف ضياء الدين ابو الحب ، بغداد ، مجلة المعلم الجديد ، ١٩٦١ . ٨٧ ص .

توماس ، هنري .
اعلام الفلاسفة « كيف نفهمهم » . تر . متري امين . القاهرة، دار النهضة المصرية، ١٩٦٤ . ٤٥٤ ص .

الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر .
فلسفة الجد والهزل . قــدم له وشرح لغوياته محمد علي الزعبي . بيروت ، حمد ، لا . ت . ١٨٩ ص .

رسل ، برتراند رسل ، الارل الثالث .
الفلسفة بنظرة علمية . تلخيص وتقديم زكي نجيب محمود . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ . ٢٦٩ ص .

الرفاعي ، نعيم .
علم النفس في الصناعة والتجارة . دمشق ، المطبعة التعاونية ، ١٩٦٤ . ٦٣٩ ص .

سبوك ، بنجامين
دكتور سبوك يتحدث الى الامهات « مشكلات الاطفال في اطوار نموهم » . تر . سعد الحلاوي وعائدة ابادير . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ . ٤٢٠ ص.

العريف ، رمزية .
سيكولوجية التعلّم. الطبعة الثانية. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٩ . ٣١٧ص .

علاب ، محمد .
الخصوبــة والخلود في انتاج افلاطون . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٩٥ ص .

نوتــكات ، برنارد .
سيكولوجية الشخصية . تر . صلاح مخيمر و عبده ميخائيل رزق . القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ . ٣٠٦ ص .

الـــدين

ابراهيم ، محمد اسماعيل .
قاموس الالفاظ والاعلام القرآنية ، يشمل جميع الفاظ القرآن مرتبة ومشروحة مع تعريف بالاعلام التاريخية والجغرافية . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦١ . ٤٣٩ ص .

مختصر مفيد . دمشق ، مطابع ابن زيدون ، لا . ت . ٢٥٤ ص .

الجمهورية العربية المتحدة . مركز الوثائق والبحوث التربوية .
الفهرس العام للمادة التربوية والنفسية في العالم العربي . القاهرة ، مركز الوثائق والبحوث ، ١٩٦٣ . ح ١ .

الجهيني ، عبدالله سلامة .
افكار بيضاء . بيروت ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٤ . ٢٧٩ ص .

رحور ، يوسف .
تنظيم الدواوين والمخطوطات . دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٦٠ . ٧٢ ص .

فراج ، عز الدين .
فن القراءة . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا . ت . ٩٦ ص .

المقدسي ، رفيق .
فن الصحافة . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٠ . ٩٩ ص .

الفلسفة وعلم النفس

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد .
طوق الحمامة في الالفة والالاف . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، لا . ت . ٢٤٦ ص .

احمد ، محمد عبد السلام .
القياس النفسي والتربوي . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠ . ح ١ .

اخوان الصفا .
من رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء . جمعها ورتبها وقدم لها البير نصري نادر . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٤ . ١٩٥ ص .

اوفرستريت ، هاري الن .
العقل الناضج . تر . عبد العزيز القوصي (و) محمد علي عثمان . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ . ٣٩٥ ص .

بوثلث ، لورين .
قدراتك العقلية . تأ . لورين بوثلت و كاثرين فان نيرف . تر . محمد خليفة بركات . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ . ١٠١ ص .

الخطيب ، عبد الكريم .
الخلافة والامامة ، ديانة .. وسياسة . القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٦٣ . ٤٧٩ ص .

الرازي ، زين الدين محمد بن ابي بكر .
مسائل الرازي واجوبتها من غرائب آي التنزيل ... تح . وتصحيح ابراهيم عطوه عوض .
القاهرة ، البابي الحلبي ، ١٩٦١ . ٣٩٠ ص .

راضي ، علي محمد .
عصر الاسلام الذهبي ، المأمون العباسي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت .
١٥٣ ص .

رستم ، عبد السلام .
نظرات في التاريخ الاموي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت .٨٩ ص ،

الرمادى ، جمال الدين .
الاسرائيليون والمؤامرةالكبرى.القاهرة، الدار القوميةللطباعة والنشر، ١٩٦٢. ٧٦ ص.

صفحات من تاريخ العرب . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت . ١١٧ ص .

زيد ، مصطفى .
المسح في القرآن الكريم . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٣ . ٢ ج .

السنهوري ، محمد احمد فرج .
حاجة المجتمع الى الدين . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٨٤ ص .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر .
المختار من كتاب الاتقان في علوم القرآن . اختيار عامر محمد بحيري . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٠ . ٢٣٤ ص .

شحاته ، عبد الله محمود .
منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم . . القاهرة ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ١٩٦٣ . ٢٦٤ص .

الشرباصي ، احمد .
بطولات اسلامية وعربية. المجموعة الثانية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا. ت . ا ج .

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن .
امالي شيخ الطايفة ورئيس الفرقة الناجية محمد بن الحسن الطوسى . لا . م .، لا . ن .، ١٣١٣ هـ . ٢ج .

تلخيص الشافي . قدم له وعلق عليه السيد حسين بحر العلوم . الطبعة الثانية ، النجف ، مكتبة العلمين ، ١٩٦٣ . ج ١ .

اس ابي فراس ، ابو الحسين ورام .
تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام . تهران ، دار الكتب الاسلامية ، ١٣٧٦ هـ . ٢ ح .

اس بابوية القمي ، ابو جعفر محمد س علي .
الامالي او المجالس . وقد قام على تصحيحه وطبعه .. فضل‌الله الطباطبائي . قمم ، المكتبة الطبائية ، ١٣٧٣ هـ . ٤٠٢ ص .

خصال الشيخ الصدوق . طهران ، المكتبة العلمية ، ١٣٧٤ هـ . ٢ ح في ١ .

عيون اخبار الرضا. عني بتصحيحه وتذييله مهدي الحسيني الاجوردي. تهران، رضا المشهدي، ١٣٧٧ هـ . ٢ ح في ١ .

اس حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد س علي .
فتح الباري بشرح البخاري . القاهرة ، البابي ، ١٩٥٩ . ١٧ ح .

ابن قدامة المقدسي ، احمد بن عبد الرحمن .
مختصر منهاج القاصدين . الطبعة الثانية . دمشق ، مكتبة الشباب المسلم ، ١٩٦١ . ٤٧٩ ص .

الاشعري ، ابو الحسن علي س اسماعيل .
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين. عني بتصحيحه هلموت ريتر. الطبعة الثانية. فيسبادن ، فوارر شتاينر ، ١٩٦٣ . ٦٨٨ ص .

التمابي ، محمد العربي .
تحذير العبقري من محاضرات الحضري او افادة الاخيار ببراءة الابرار . القاهرة ، دار الانوار للطباعة والنشر ، ١٩٥٥ . ٢ ح .

الترمذي ، ابو عيسى محمد .
الجامع الصحيح وهوسنن الترمذي، بتحقيق وشرح احمد محمد شاكر. القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي . ١٩٣٧ . ٣ ح ،

الجزائري ، نعمة‌الله س عبدالله .
الانوار النعمانية . تهران ، مطبعة شركة چاپ ن ، ١٣٧٨ - ٨٠ هـ . ٢ ح .

الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد .
عدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين . القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٦١ . ٢٠٠ ص .

الاردن. دائرة الاحصاءات العامة .

التعداد العام الاول للسكان والمساكن ١٨ تشرين الثاني ١٩٦١ . عمان ، دائرة الاحصاءات العامة ، ١٩٦٤ . ح ١ و ٢ .

الاردن . قوانين ، انظمة ، الخ .

... مجموعة القوانين والانظمة المتعلقة بالحكم المحلي والانتخابات النيابية في المملكة الاردنية الهاشمية ونص المحاضرة التي القاها وكيل وزارة الداخلية عن نظام الحكم المحلي في بريطانيا . عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٦٣ . ٢٤٣ ص .

الاردن . وزارة التربية والتعليم . قسم الاحصاء .

النشرة الاحصائية عن التعليم خلال العامين الدراسيين ١٩٥٩/١٩٦٠–١٩٦٠/١٩٦١–١٩٦١ / ١٩٦٢ . عمان ، وزارة التربية ، ١٩٦٠ – ١٩٦٢ . ٢ ح .

امرسن ، روبرت .

من الاستعمار الى الاستقلال . تر . نقولا الدر . بيروت ، الدار الشرقية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ . ٥٩٠ ص

اوتاواى ، اندرو كيث .

التربية والمجتمع ، مقدمة في اجتماعيات التربية . تر . وهيب ابراهيم سمعان . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ . ٢٢٦ ص

اولسن ، ادوارد .

المدرسة والمجتمع. تعريب احمد ذكي محمد . القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، لا. ت. ح١ .

ايرفد .

لسان عبد المعطف . بيروت ، معهد التدريب على الانماء ، ١٩٦٣ . ٥٧ ص .

باسيلا ، جورج .

المواطن والدولة في نص الدستور وروحه . بيروت ،دار المكشوف ، ١٩٦٤ . ١٣٥ص.

بركس ، روس .

اضواء على سياسة الهند . تر . صلاح عبد المجيد . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٩. ١٣٨ ص .

برودى ، برنارد .

الاستراتيجية البحرية. تر. . وتقديم سعد الدين صبور . الطبعة الرابعة . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ . ٤٩١ ص .

العسكري ، مرتضى .
احاديث ام المؤمنين عائشة . طهران ، مكتبة الصدوق ، ١٣٨٠ ﻫ . ١ ح .

عبد الله بن سنا ، المدخل ، بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن « ابن سينا » .
طبعة ثانية . القاهرة ، مطبوعات النجاح ، ١٣٨١ ﻫ . ٢٠٦ ص .

القيصري ، يوسابيوس .
تاريخ الكنيسة . تر . مرقس داود . القاهرة ، دار الكرنك ، ١٩٦٠ . ٢٦٨ ص .

كرو ، ابو القاسم محمد .
حديث رمضان . تونس ، لا . ن . ، ١٩٥٨ . ١١١ ص .

محمود ، عبد الحليم .
التفكير الفلسفي في الاسلام . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا.ت ، ح ٢ .

مرسي ، محمد يوسف .
الاسلام والحياة ، دراسات وتوجيهات . القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٦١ . ٣١٠ ص .

الهاشمي ، طه .
تاريخ الاديان وفلسفتها . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٣ .

العلوم الاجتماعية

آدمر ، جون كلارك .
نظام الحكم في جمهورية ايطاليا . تر . وتقديم احمد نجيب هاشم . القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ . ٣٧٢ ص .

ابراهيم ، محمد عبد الفتاح .
الحرب بين الماضي والحاضر . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا . ت . ١٩٥ ص .

ابو الخير، طه .
انحراف الاحداث في التشريع العربي والمقارن وفي الاجتماع الجنائي والتربية وعلم النفس .
الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦١ . ٥٥٤ ص .

ابو زيد ، حكمت .
التكيف الاجتماعي في الريف المصري الحديد . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ،
لا . ت . ٢٨٣ ص .

الحافط ، نوري .
اهداف التعليم الثانوي ومفاهيمة وفلسفته في العراق . بغداد ، مجلة المعلم الجديد ، ١٩٦١ .
٧٨ ص .

حق ، محمد .
الحركة التعاونية في اندونيسيا . تر . زينب عبد العزيز . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت. ١٠٩ ص .

حجازي ، انور .
من الشرق الى الغرب ، رسالة في السلام . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت.
١٦٢ ص .

الحزب الوطني . مصر .
مبادىء وقانون الحزب الوطني . الطبعة الثانية والخامسة . القاهرة ، الحزب ، ١٩٢٢ و ١٩٤٥. ١٦ ورقة

حسيب ، خير الدين .
تقدير الدخل القومي في العراق ١٩٥٣ – ١٩٦١ . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ .
٤٤٨ ص .

الحوفي ، احمد محمد .
المرأة في الشعر الجاهلي. الطبعة الثانية معدلة ومزيدة. القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٦٣ .
٧٤٠ ص .

خليل ، محمد بكير
دراسات في السياسة والحكم . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٧ . ٣٦٤ ص .

خيري ، السيد محمد .
الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية . الطبعة الثالثة . القاهرة ، دار التأليف ، ١٩٦٣ . ٣٠٦ ص .

دارو ، هيلين فيشر .
النشاط التلقائي والتعلم الخلاق . تر . مصطفى فهمي ونجيب اسكندر . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ٢٥٢ ص .

دوميناك ، جان – ماري .
الدعاية السياسية . تر . صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ . ٢٠٦ ص .

دويدار ، احمد .
التخطيط الاقتصادي . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨ . ١٩١ ص .

روور ، جيروم س .
نحو تربية سليمة . تر . محمد سامي عاشور ... القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠ . ١٥١ ص .

بريسي ، س . ل .
علم النفس والتربية الحديثة . تر . احمد زكي محمد . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٤ . ٢ ح .

بلاك ، يوحين .
سياسة الانماء الاقتصادي . تر . عبد الرزاق الربيعي . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٢ . ٩٣ ص .

بواريير ، فيليب .
نشأة حزب العمال البريطاني . تر . محمد نبيل موسى علام ، مراجعة ابراهيم جمعة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١١٤ ص .

بيرسون ، اريك .
دليل معلم الصف في التربية الرياضية . تر . عبد الفتاح لطفي . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ . ٢٨٦ ص .

بيوكر ، تشارلز اوغسطس .
اسس التربية البدنية . تر . حسن معوض وكمال صالح عبده . الطبعة الثالثة . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ . ٧٣٩ ص .

الجمعية الاميركية للصحة والتربية الرياضية والترويح . واشطن .
تنمية العلاقات الانسانية الديمقراطية . تر . ابراهيم حافظ . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ . ٦٢٥ ص .

جمعية تعليم الكبار الامريكية .
تنظيم الحلقات الدراسية والتدريبية . تر . رشدي فام منصور . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٣ . ٩٩ ص .

جيمعان ، ميخائيل .
اسس الاشراف الاداري . عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٦٤ . ح ١ .

حافظ ، حمدي.
انابيب وناقلات البترول والشرق الاوسط. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، لا. ت. ٢٢٢ص.
نزع السلاح والسلام العالمي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٠٥ص.

شفيق ، محسن .
نظرات في احكام الشيك في تشريعات البلاد العربية . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ٩١ ص .

الصياد ، مصطفى .
الموسوعة الصرائبية الدائمة للقوانين والقرارات والكتب الدورية والمنشورات الخاصة بالصرائب . القاهرة ، دار الفكر العربي ، لا . ت . ح ٤ .

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن .
كتاب الخلاف . تهران ، دار المعارف الاسلامية ، ١٣٧٠ هـ . ٣ ح .

عبد القادر ، عبد المنعم .
قناة السويس . مأســـاة ... وانتصار . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٤٣ ص .

عبدالله ، عز الدين .
القانون الدولي الخاص . الطبعة السادسة . القاهرة ، جامعة عين شمس ، ١٩٦٢ . ح ١ .

عطية ، محمود .
الرائد في الشؤون المالية للمدارس والمعاهد . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، . لا . ت . ٢٩٧ ص .

عفيفي ، محمد الهادي .
التربية والتغير الثقافي . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ . ٣٧٠ ص .

العمري ، احمد سويلم .
بحوث في السياسة . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٣ . ٣٨١ ص .

عيّاش ، عبد القادر .
كتابات من الفرات . دير الزور ، لا . ن . ، لا . ت . ٦٠ ص .

غالي ، بطرس بطرس .
مبادىء العلوم السياسية . القاهرة ، مكتبة الانجـــلو المصرية ، ١٩٦٢ — ١٩٦٣ . ٦٢٢ ص .

فروم ، اريك .
المجتمع السليم . تر . محمود محمود . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ . ٢٥٢ ص.

الديلمي ، نزيهة جودت .
نموذج من مشاكل المرأة العربية . تونس، لا . ن . ، ١٩٥٨ . ٩٣ ص .

ديوي ، جون .
قاموس جون ديوي للتربية « مختـــارات من مؤلفاته » . تر . وتقديم محمد علي العريان . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ . ٢٢٩ ص .

روبرتس ، دوروثي .
فن قيادة الشباب ، المراهقون بشر لا مشاكل . تر . اسماعيل صموت . القـــاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٤ . ٢٥٥ ص .

الريس ، محمد ضياء الدين .
الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١ . ٥٤٤ ص .

السادات ، رمضان .
القيادة الجماعية في ضوء الميثاق الوطني . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر. لا. ت . ١٣٤ ص .

سترابج ، روث .
الواجبات المدرسية والاستذكار الموجه . تر . جابر عبد الحميد جابر . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٤ . ٧٨ ص .

سعاده ، جورج عارج .
تاريخ الامتحانات في لبنان من صدر التاريخ حتى اليوم . جونيـــة ، وكالة النشر العربية ، ١٩٦٤. غير مرقم

سمعان ، وهيب. ابراهيم
المناهج ، دراسة مقارنة . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا . ت . ١٧٥ ص ،

شارب ، لوير ، مح .
لماذا نعلم ؟ تر . وتقديم محمد علي العريان . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٦٤ . ٤٠٢ ص .

شافعي ، محمود .
التربية وتطبيقاتها في المدارس الابتدائية . القاهرة ، مكتبة الانجـــلو المصرية ، ١٩٦٣ . ٢ ج .

شرف الدين ، ممدوح .
انتاج الاعـــلام . تأ . ممدوح شرف وكمال السيد غنيم . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ٢٠٣ ص .

منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة . المركز الاقليمي لتدريب كبـــار موظفي التعليم في الدول العربية . بيروت .

عرض عام لوضع التعليم في الجمهورية الجزائرية الديمقراطيـــة الشعبية . اعداد محمد امين خير الدين وغيره . بيروت ، المركز ، ١٩٦٢ — ١٩٦٣ . ح ٢ .

عرض عام لوضع التعليم في الجمهورية العربيـــة السورية . ١٩٦١ / ٦٢ — ١٩٦٢ / ٦٣ . اعداد كامل الدقاق وغيره . بيروت ، المركز ، لا . ت . ٢ ح .

عرض عام لوضع التعليم في الجمهورية العربية المتحـدة . ١٩٦١/٦٢ — ١٩٦٢/١٩٦٣ . اعداد محمد عبد الحميد ابو العزم وغيره . بيروت ، المركز ، لا . ت . ٢ح .

عرض عام لوضع التعليم في المملكة الاردنية الهاشمية ، ١٩٦١ / ٦٢ — ١٩٦٢ / ٦٣ . اعداد حسني الاشهب وغيره . بيروت ، المركز ، لا . ت . ٢ ح .

عرض عام لوضع التعليم في المملكة العربية السعودية ، ١٩٦١/٦٢ — ١٩٦٢/٦٣ .اعداد محمد صالح العميل وغيره . بيروت ، المركز ، لا . ت . ٢ح

عرض عام لوضع التعليم في المملكة الليبية ، ١٩٦١/٦٢ - ١٩٦٢/٦٣ . اعداد اسماعيل السويح وغيره . بيروت ، المركز ، لا . ت . ٢ح.

عرض عام لوضع التعليم في المملكة المغربية ، ١٩٦١/٦٢ . اعداد الملك الشيبـاني وغيره . بيروت . المركز ، لا . ت . ح١ .

عرض عام لوضع التعليم في جمهورية السودان ، ١٩٦١/٦٢ — ١٩٦٢/٦٣ . اعداد احمد محمد نور وغيره . بيروت ، المركز ، لا . ت . ٢ح .

عرض عـــام لوضع التعليم في فلسطين ، ١٩٦١ / ٦٢ — ١٩٦٢ / ٦٣ . اعداد نبيه قاسم عفيفي وغيره. بيروت ، المركز، لا.ت. ٢ح .

عرض عام لوضع التعليم في لبنان . ١٩٦١ / ٦٢ — ١٩٦٢ / ٦٣ . اعداد مواهب اسطه وغيره . بيروت ، المركز ،لا .ت. ٢ح .

المؤتمر السنوي لجمعية العناية بالطفل والام . بيروت ، ١٩٦١ .
الطفل في البيئة والمجتمع ... صحة الطفل والام . بيروت ، الجمعية ، ١٩٦١ . غير مرقم .

النجيحي ، محمد لبيب .
مقدمة في فلسفة التربية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ٤٤٨ ص.

نعش محمد .
السوق الافريقية المشتركة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ٥٦ص .

فيررستون ، وليم بلند .
التأخر الدراسي وعلاجه . تر . عرير حما وعيره . القاهرة ، مكتبة الاحـــلو المصرية ، ١٩٦١ . ٢٣٢ ص .

قطيبي ، حنين .
المناؤون . تواريح – دساتير – رسوم – آثار . بيروت، المؤلف، ١٩٦٣ . ٣١٠ ص.

كاطم ، محمد ابراهيم .
اتحاهات في التعليم الشعبي . القاهرة ، مكتبة الاحلو المصرية ، ١٩٦٢ . ١٦٠ ص .

كاونتس ، جورح سيلفستر .
التعليم في الاتحاد السوفياتي . تر . محمد بدران . القاهرة ، مكتبة الاحلو المصرية، ١٩٥٧ . ٤٤٤ ص .

الكليبي ، ابو حعفر محمد س يعقوب .
الاصول من الـكافي مع تعليقات بافعة مأحودة من عـــدة شروح . صححه وعلق عليه اكبر العفاري . طهران ، مكتبة الصدوق، ١٣٧٧ – ١٣٨١ ﻫ . ٨ ح.

كيرتي ، ميريل .
التربية والصراع الاحتماعي او آراء المربين الامريكان . تر . محمـــد حواد رصا . بعداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٢ . ٣٤٦ ص .

كيلباترك ، وليم هيرد .
اصول المنهج الحديد . تر . وقدم له ابو الفتوح رصوان . القاهرة ، مكتبة الاحلو المصرية ، ١٩٥٩ . ١٥٨ ص .

مصطفى ، حسن .
مسائل واتحاهات في شؤون المعلمين ... تأ. حسن مصطفى ورياض معوص. القاهرة، مكتبة الانحلو المصرية ، ١٩٥٩ . ١١٠ ص .

المعتصم بالله ، احمد .
البترول العربي واثرة في حاصر ومستقبل الامة العربية . القاهرة ، الدار القومية للطباعـــة والنشر لا . ت . ١٥١ ص .

مكتب العمل الدولي .
تشغيل الاحداث والتعليم الالزامي. تر . عبد الرحمن رشوان . القاهرة ، مكتبة الاحـــلو المصرية ، لا . ت . ١٠٧ ص .

ايرلي ، لورين .
الرحلة الكونيـــة . تر . محمد ابراهيم عبد الهادي . القـــاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ٢٨٥ ص .

مارمارد ، حون دارل .
تدريس العلوم في المدرسة الثانوية . تر . محمد صابر سليم . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٤ . ٦٣ ص .

تكلا ، ميشيل .
عالم الحيوان والطير . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١ . ١٧٢ ص .

داعر ، مرسيل .
السبية من نيوتن ... الى انشتين . دمشق ، وزارة الثقـــافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ . ٣١٨ ص .

سوريا . المجلس الاعلى للعلوم .
دليل الهيئات العلمية في الجمهورية العربية السورية . دمشق ، المجلس ، ١٩٦٣ . ٢٠٥ص.

كارديبر ، ابرام .
هؤلاء درسوا الانسان ، تر . امين الشريف . بيروت ، دار اليقظـــة العربية ، ١٩٦٤ ، ٤١٢ ص .

كريح ، حيرالد س .
العلوم في المدرسة الابتدائيـــة . تر . محمد صابر سليم . القـــاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٤ . ٦٨ ص .

ليرمان ، روبرت ل .
الطريق الى الطويل الانسان . قصة التطور في عالم الحيوان . تر . ثابت حرحس قصحي . بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ٢٨٧ ص .

ميد ، مارحريت .
النمو والتربية في المجتمعات البدائية . تر . نعيمة محمد عيد . القاهرة ، دار النهضة العربية ، لا . ت. ٣٤٥ ص .

العلوم التطبيقيـــة

احمد ، عز الدين همام .
دراسات في الاقتصاد الزراعي لطلبة المعاهد الزراعية . القاهرة ، مطابع مدكور، ١٩٦١ . ١٧٦ ص .

نقابة محرري الصحافة اللبنانية .
مشروع نقابة المحررين لتنظيم كلية الصحافة . بيروت ، لا.ن.، ١٩٦٣ . ٢٥ ص .

الهواري ، سيد محمود .
الادارة العامة ، المبادىء والنظريات ، دراسة هيكلية قانونيـــة في لبنان والجمهورية العربية المتحدة . بيروت، مطبعة الانصاف ، ١٩٦٤ . ٣٣٤ص .

ويشيك ، صموئيل .
كيف ترعى طفلك المعوق ؟ تر . محمد نسيم رأفت . القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٤ . ٦٢ ص .

يكن ، زهدي .
التنظيم الاداري ، نظرية المرافق والمؤسسات العامـــة . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ٣٠٣ ص .

فقه اللغة

ابن فارس ، ابو الحسين احمد بن زكريا .
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . حققـه وقدم له مصطفى الشويمي . بيروت ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ٣٨٥ ص .

ابن هشام ، ابو محمد بن عبد الله بن يوسف .
شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ومعه كتاب منتهى الارب بتحقيق شذور الذهب . تأ . محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة التاسعة . القاهرة، المكتبة التجـــارية الكبرى ، ١٩٦٣ . ٤٨٠ص .

السعران ، محمود .
علم اللغة ، مقدمة للقارىء العربي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ٩٣ص.

سليمان ، موسى .
لغتي العربية . سلسلة حديثة في علوم اللغـة . تأ . موسى سليمان والفرد حزري . بيروت ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٤ . ٤ج

العلوم الطبيعيـــة

اسيموف ، اسحق .
بين الارض والقمر . تر . ثابت جرجس قصبجي . بيروت ، المؤسســة الوطنية للطباعــة والنشر ، ١٩٦٤ . ٢٣٦ ص.

فراج ، عز الدين .
نباتات الزينة وطرق تنسيقها في الحدائق . القـــاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ٢٩٦ ص .

كيتس ، ادجار .
محركات الديزل ومحركات الغاز عالية الانضغـــاط . تر . حسن محمد السلبيحي . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ . ٥٢٦ ص .

محمود ، محمد عبد الغني .
تربية وانتاج الدواجن . القاهرة ، مطبعة العلوم ، ١٩٦٣ . ٥٢٦ ص .

الهواري ، سيد محمود .
مبادىء الادارة . بيروت ، مطبعة الانصاف ، ١٩٦٣ . ٣٢٧ ص .

الفنون الجميلة

بطرس ، فكري .
الاغنية الوطنية في مختلف العصور . القاهرة ، الدار القومية للطبـــاعة والنشر ، لا . ت . ١٠٢ ص

الروبي ، علي .
تنسيق الحدائق في الجمهورية العربيـــة المتحدة . الطبعة الثانيـــة . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ٣١٩ ص.

ماهر ، سعاد .
الخزف التركي . القاهرة ، مطابع مدكور ، ١٩٦٠ . ١٦١ ص .

ولف ، يوحنا .
التشريح للفنانين . تر . محمد عبد الفتـاح هدارة. القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦١ . ٢١٠ ص .

ابن ابي طالب ، علي (الخليفة) .
ديوان . بيروت ، الشركة الحديثة للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٣٢ص .

ابن حمديس ، ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر .
ديوان . وقف على طبعه وتصحيحـــه جلستينو سكيا باريللي . روميـــة ، ١١٩٧ م . ٤٩١ ص .

مبادىء الاقتصاد والاقتصاد الزراعي لطلبة المعاهد الزراعية . القاهرة ، مطابع مدكور ، ١٩٦٠ . ١١٩ ص .

امين ، محمد حسي .
السد العالي انتصار الشعب . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت. ١١٥ص.

البارودي ، عمر .
اللبن ومستخرجاته علما وتصنيعا . القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨ . ٥٥٥ص.

المطريق ، يونس احمد .
المراسلات التجارية العلمية . عربي - فرنسي - انكليزي . الاسكندرية ، المجلة الصربيبة ، لا . ت. ٣١٥ص

حرير ، لسلي .
السد العالي فوق النوبة . تر . حسين الحوت . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا. ت . ١٠٠ ص

جمعة ، زكي .
علم الزينة . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ . ٩٥٣ ص .

الجمهورية العربية المتحدة . مصلحة الاستعلامات .
السد العالي . القاهرة ، مصلحة الاستعلامات ، ١٩٦٤ . ١٥ ص .

جوسلين ، ايرين م .
المشكلات الانفعالية للمرض . تر . السيد محمد خيري . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ . ١٠٢ ص.

جولدوين ، روبرت ، مح .
دور الثقافة في اعداد المديرين . تر . ابراهيم علي البراسي . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ٢٥٢ ص .

زهيري، بشير.
المحاسبة المصرفيةمن الناحيتين العلمية والعملية. دمشق، المطبعة التعاونية، ١٩٦٤. ٦٢٨ص.

سيلسم ، ميليسنت .
داقات شافية . تر . جعفر خياط . بغداد ، مكتبة الحوادي . ١٩٦٢ . ٩٥ ص .

صفا ، محمد متبولي .
الطيور والحيوانات الداجنة ، تربيتها وغذاؤها وامراضها وعلاجها . الطبعة الثالثة .القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ، لا . ت. ٢٠٥ ص

حاماتي ، حبيب .

اندلس العرب . القاهرة ،الدار القومية للطباعة والنشر ، لا. ت. ٢٣٩ ص .

الجنة في ظلال السيوف . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا. ت. ١٥٩ ص.

الحر ، عقل .

ديوان . بيروت ، دار الثقافة ، لا . ت . ١٥٨ ص .

الحاجري ، طه .

الحياة الادبية في ليبيا (الشعر) . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ١٨٠ ص .

حنكش ، نجيب .

المقامات الحنكشية . بيروت ، المكتب التجارى ، ١٩٦٤ . ١٥٠ ص.

حفاجه ، محمد صقر .

المأساة اليونانية في القرن الخامس ق . م تأ. محمد صقر حفاجه وعبد المعطي شعراوي . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ . ١٧٠ ص .

ديب ، محمد .

من الذي يذكر البحر ؟ تر . فريد انطونيوس . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، لا . ت . ٢١١ ص .

الراوندي ، ضياء الدين ابو الرضا فضل الله الحسني .

ديوان . عني بتصحيحه جلال الدين الارموي . تهران ، مطبعة المجلس ١٣٣٤ ه . ٣١١ ص .

ركيبي ، عبد الله .

دراسات في الشعر الجزائري الحديث . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦١ ٨٠ ص .

الرمادي ، جمال الدين .

صحافة الفكاهة وصانعوها . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٩ص.

المعذبات في الارض ، وقصص اخرى عربية وغربية . القاهرة ، دار النهضة العربية،لا ت. ٤١٤ ص .

الرومي ، جلال الدين محمد .

روائع من الشعر الفارسي . تر . محمد الفراتي . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، لا . ت . ص ٣٢٢.

ن شهيد ، ابو عامر احمد ن عبد الملك .
ديوان ابن شهيد الاندلسي . عني بجمعه شارل بيلا . بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٦٣ .
١٩٢ ص .

ابن هاني ، ابو القاسم محمد .
ديوان . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤ . ٣٩١ ص .

ابو تمام ، حبيب ن اوس .
كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى . علق عليه وحققه عبد العزيز الميمي الراحكوتي
وزاده في حواشيه محمود محمد شاكر . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ٣٧٧ ص .

ارشيبالد ، وليم .
الابرياء . عن قصة « دورة اللولب » لهري حيمس . تر . تماضر توفيق . القاهرة ، مكتبة
الانحلو المصرية ، ١٩٦٤ . ١٠٨ ص .

اسماعيل ، ابراهيم عز الدين .
تمثيليات كليلة ودمنة . بيروت ، دار الكتاب العربي ، .لا . ت. ١٨٣ ص .

الاشقر ، اميل حبشي .
لقاء المحبين: رواية تاريخية ادبية عرامية . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣. ١٩٨ ص .

ارونيان ، هاكوب .
المتسولون الشرفاء . تر . برار الحليلي . حلب ، مكتبة الشرق لا.ت.، ١٣٩ ص .

بدوي ، عبد اللطيف .
يوميات مفتش تعليم ... القاهرة ، مكتبة الانحلو المصرية ، لا . ت . ١٦٢ ص .

بروكس ، كليبث ، حا .
روائع التراحيديا في ادب الغرب . تر . محمود السمرة . بيروت ، دار الكتاب العربي ،
١٩٦٤ . ٢٩٤ ص .

البستاني ، ادوار امين .
كهوف وثنية . بيروت ، دار الحضارة ، ١٩٦٤ . ١٦٤ ص .

ں جلوں ، عبد المجيد .
وادي الدماء . الطبعة الثالثة . تونس ، لا . ن. ، ١٩٥٧ . ١٠٤ ص.

بورجارد ، بيتر .
جيد ، قصة جندي امريكي من الشمال (يانكي) وصبي من الحنوب . تر . فؤاد عبد الحميد .
بغداد ، المكتبة العربية ، ١٩٦٢ . ٩٤ ص.

عبد القادر ، محمد زكي .
ابو مندور . قصة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ،لا . ت . ١٧٦ ص .

عطيه ، سـامي .
وانسانت الافعى . قصة . بيروت ، دار الكتاب الحديد ، ١٩٦٣ . ١٦٠ ص .

عراب ، امين يوسف .
الابواب المعلقة . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ٢٧٥ ص .

فهمي ، ماهر حسن .
الكلاسيكية في الآداب والفنون العربية والفرنسية . تأ . مـاهر حسن فهمي وكال فريد .
القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ . ٢٣٥ ص .

قمصل ، اليـاس .
ادب المغتربين . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ . ١٠٣ ص .

الكرمي ، عبد الكريم .
المشرد . شعر . دمشق ، لا .ن ،، ١٩٦٣ . ١٣٦ ص.

كنعان ، افلين حتي .
بيضاء ، رواية . بيروت ، دار مجلة شعر ، ١٩٦٣. ١٧٥ ص.

مارلو ، كرستوفر .
اليهودي المالطي . مسرحية ذات خمسـة فصول . تر . نصر عبد الرحمن . دمشق ، وزارة
الثقافة والارشاد القومي ، لا .ت . ١٧٨ ص .

مازيـغ ، صادق .
بين عصرين . تونس ، الشركة القومية للنشر والتوزيـع ، ١٩٦١ . ١٥٠ ص .

محجوب ، محمد احمد .
قلب ... وتجارب . شعر . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٤ . ١٩١ ص .

المصري ، ابراهيم .
حريف امرأة . قصة . القاهرة ، مكتبة مصر ومطبعتها ، ١٩٢٤ . ١٢٦ ص .

مندور ، محمود .
في الميزان الجديد . الطبعة الثالثة . القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، لا .ت . ٢٤٤ ص .

المهلبي ، بهاء الدين زهير بن محمد .
ديوان بهاء الدين زهير . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤ . ٤١٥ ص .

سارتر ، جان بول .
ما الادب ؟ تر . وتقديم وتعليق محمد غنيمي هلال . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١ . ٣٥٠ ص.

السباعي ، محمد .
الفيلسوف . الطبعة الثانية . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ٤٢٤ ص .

السباعي ، يوسف .
ايام من عمري . القاهرة ، الخانجي ، ١٩٦٢ . ٤٣٧ ص .
ايام وذكريات . القاهرة ، الخانجي ، ١٩٦١ . ٤٣٣ ص .
ليال ودموع . القاهرة ، الخانجي ، ١٩٥٥ . ١٩٩ ص .

السحرتي ، مصطفى عبد اللطيف .
الفن الادبي ... القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا . ت . ١٦٠ ص .

السراج ، ابو محمد جعفر بن احمد .
مصارع العشاق . ضبطه ووشى حواشيه احمد يوسف نجاتي واحمد مرسي مشالي. القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٦ . ج ١ .

سعيد ، علي احمد .
ديوان الشعر العربي . صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٤ . ج ١ .

السكري ، ابو سعيد عبد الله بن الحسن .
شرح اشعار الهذليين ... تح . عبد الستار احمد فراج . القاهرة ، دار العروبة ، ١٩٦٣ . ٢ ج .

الشرباصي ، احمد .
مسرحيات اسلامية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ١٤٠ ص .

الشكعه ، مصطفى محمد .
من فنون الادب العربي . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٧ . ١٨٧ ص .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك .
توشيع التوشيح . مدريد ، مكتبة الاسكوريال ، لا . ت . (مخطوط) ٧٧ ورقة .

طبانة ، بدوي احمد .
البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى . الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ . ٣٢٥ص .

احمد ، احمد يوسف .
الشعب الضليل اسرائيل . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٧٩ ص

احمد ، حامد اسماعيل سيد .
الاستعمار الصهيوني في آسيا وافريقيا . القاهره ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت .
١٠٠ ص .

احمد ، محمد عبد العزيز .
تجربة الوحدة بين مصر وسوريا . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت .
١٢٥ ص .

الاردن . المديرية العامة للمطبوعات والنشر .
الاردن ١٩٦٢ ، معلومات رسمية عن المملكة الاردنية الهاشمية . عمان ، المديرية، ١٩٦٣.
٣٨٢ ص .

اشفورد ، دوجلاس اي .
التطورات السياسية في المملكةالمغربية . تر . عائدة سليمان عارف واحمد مصطفى ابو حاكمة.
بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ٢٦٦ص .

اقلاديوس ، شوقي .
ثورات في افريقيا . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ . ١٨٢ ص .

امين ، السيد .
اعداء القومية العربية . القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٦١ ص .

انيس ، محمد .
مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ،
١٩٦٢ . ٥٨ ص.

بدوي ، عبد الرحمن ، مح .
الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين . دراسات من اصدقائه وتلاميذه . القاهرة ، دار
المعارف ، ١٩٦٢ . ٤٥٦ ص .

بروجان ، دنس وليم .
الشخصية الامريكية تكوينها ومقوماتها . تر . زهدي جار الله . بيروت ، دار اليقظة
العربية ، ١٩٦٤ . ٢٧٤ ص

الترمذي ، ابو عبد الله محمد بن علي .
الاتحافات الربانية بشرح الشمايل المحمدية . تأ . احمد عبد الجواد الدومي . القاهرة، المكتبة
التجارية الكبرى ، ١٣٨١ . ٤١٦ ص .

نيكول ، ا .
علم المسرحية . تر . دريني خشبه . القاهرة ، مكتبة الاداب ، ١٩٥٨ . ٣٨٢ ص .

التاريخ والجغرافيا والتراجم

ابراهيم ، محمد عبد الفتاح .
افريقية من السنغال الى نهر حوبا . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، لا . ت . ٣٠٣ص.

ابن ابي بكر ، محمد بن يحي .
التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان . حققه محمود يوسف زايد . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٤ . ٢٧٧ ص .

ابن الفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق .
تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقـاب . حققه مصطفى جواد . دمشق ، مديرية احياء التراث القديم ، لا . ت . ج ٤ .

ابن عميرة الضبي ، ابو جعفر احمد بن يحي .
بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس . مجريط ، روجس ، ١٨٨٤ . ٦٤٢ ص .

ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر .
عمر بن عبد العزيز . الطبعة الثانية منقحة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٢١ ص .

ابن نباته ، ابو بكر محمد بن محمد .
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون . تح. محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ . ٥٧٢ ص.

ابو الخير ، عبد الرحمن .
المستقبل الحضاري للمجتمع العربي . القاهرة ، الدار القوميـة للطباعة والنشر ، لا . ت . ٥٨ ص.

المفهوم الاستراتيجى للثورة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٦٤ص.

ابو المجد ، صبري .
الرجعية العربية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٢٩١ ص .

ابو شهبه ، محمد بن محمد .
اعلام المحدثين . القاهرة ، مركز كتب الشرق الاوسط ، ١٩٦٣ . ٣٥٢ ص .

الحمدي انور .
رواد القومية العربية . القاهرة ، لا . ن . ، لا . ت . ١٩٩ ص .

زكي مبارك ، دراسة تحليلية لحياته وأدبه ١٨٩٢ – ١٩٥٣ . القاهرة ، الدار القومية للطباعه ، لا . ت . ١٩٤ ص

القومية العربية والوحدة الكبرى . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ٣١٧ ص .
من اعلام الاسلام . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٠٦ ص .

الجندى ، محمد سليم .
تاريخ معرة النعمان ، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه عمر رضا كحاله . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ . ج ١ .

الحاجري ، طه .
الجاحظ ، حياته وآثاره . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ٤٩٢ ص .

حافظ ، حسن .
الثورة العرابية في الميزان . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٤٢ ص .

معارك الشرف . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٩٩ص .

حافظ ، حمدي .
الجزائر كفاح شعب ومستقبل امة . تأ . حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٢١٩ ص .

الجنوب العربي والمؤامرات الاستعمارية الجديدة . القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٨٨ ص

قصية عمان . تأ . حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٠١ ص

حبشي ، حسن .
الحرب الصليبية الاولى . الطبعة الثانية . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ . ٢٣٠ ص

حبيب ، سعد عبد السلام .
مجتمعنا الجديد . القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٢٠٠ ص .

تشيلدرز ، ارسكين ب .
الطريق الى السويس .تر. خيري حماد . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ٤٩٤ ص .

توفيق ، نجيب .
التائر العظيم ، عبد الله النديم . القاهرة ، دار الفكر العربي ، لا . ت . ١٨٢ ص .

توينبي ، ارنولد جوزف .
بين آمو — داريا وجمنا . تر . حسين الحوت . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا. ت . ١٤٦ ص .

محاضرات ارنولد توينبي . القيت اثناء زيارته للقاهرة في ديسمبر عام ١٩٦١ . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ١٦٢ ص .

ثريا . امبراطورة ايران .
مذكرات ثريا . بغداد ، مكتبة المثنى ، لا . ت . ٢٤٤ ص .

جالت ، توم .
بيتر زينجر ، مؤسس حرية الطباعة في العالم الحديد . تر . بجاتي صدقي . بيروت ، دار الكتاب ، ١٩٥٥ : ١٦٧ ص :

حاماتي ، حبيب .
شهر يوليو الاغر في تاريخ العرب . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٥٤ ص ،

جامعة محمد الخامس . كلية الاداب والعلوم الانسانية . الرباط .
مهرجان ابن خلدون مايو ١٩٦٢ نظمته كلية الاداب . الدار البيضاء ، دار الكتاب ، لا . ت . ١١٧ ص

جبريل ، محمد .
صور من الحب العربي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر لا . ت . ١٢٢ ص .

جلال ، عبد العاطي .
هذا الشعب . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٥٤ ص

جمعه ، ابراهيم .
الميثاق والاتحاد الاشتراكي العربي . القاهرة دار الفكر العربي ، ١٩٦٢ . ٣٥٩ ص .

جمعه ، رابح لطفي .
سحق العدوان الثلاثي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٢١٤ص .

الخولي ، لطفي .
دراسات في الواقع المصري المعاصر . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ . ٢٧١ ص .

الدرة ، محمود .
تجربة الشيوعية في الصين ، مشاهدة ودراسة . بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٤ .
٤٢٠ ص .

الديب ، الحسيني محمد .
في ذكرى العدوان . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٧٠ ص .

الرشيدي ، سالم .
محمد الفاتح . القاهرة ، البابي ، ١٩٥٦ . ٣٠٧ ص .

رفاعي ، عبد العزيز .
تطور العلاقات العربية الافريقية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت .
٤٦ ص .

الركابي ، فؤاد .
على طريق الثورة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٦٠ ص .

الرمادي ، جمال الدين .
من ثمرات الثورة في عشر سنوات . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر . لا . ت .
١٠٧ ص .

اليمن في ركب التحرر الثوري . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت .
١٠١ ص .

روسو ، جان جاك .
اعترافات جان جاك روسو . تر . محمد بدر الدين خليل . القاهرة ، الشركة العربية
للطباعة والنشر ، ١٩٦١ . ٣٦٢ ص .

الريماوي ، عبد الله .
الحركة العربية الواحدة . بيروت ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٦٤ . ٤٢٦ ص .

الريس ، محمد ضياء الدين .
في التاريخ الاسلامي الحديث . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ . ٢٨٤ص .

زبيس ، سليمان مصطفى .
آثار المغرب العربي . تونس ، لا . ن . ، ١٩٥٨ ، ٩٤ ص .

حتي ، فيليب .
تاريخ الشام . تر . غلام رسول مهر . لاهور ، شيخ غلام علي ، ١٩٦٢ . ٥٩١ ص .

حرب اميل خوري .
التراث اللبناني العظيم . بيروت ، مؤسسة التراث اللبناني ، ١٩٦٤ . ١٢٢ ص.

الحزب الوطني . مصر .
الحزب الوطني ، صفحة موحرة من تاريخه . القاهرة ، لا . ن . ، ١٩٢٤ . ٤٧ ورقة .

الحزب الوطني . مصر .
حطبة ... محمد بك حافظ رمضان رئيس الحرب الوطني التي القاها في دار اللواء المصري في مساء يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٤٢ الموافق ١٧ مارس سنة ١٩٢٤ في الحال الحاصرة ويليها خطبة عبد العزيز حاويش وحطبة فكري اباطة . القـــاهرة ، الاخبار ، ١٩٢٤ . ٢٤ ورقة .

حسين ، علي صافي .
الحجاج حياته وخطاباته . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٧٧ ص .

الحلو ، محمد هارون .
حافظ ابراهيم ، شاعر القومية العربية ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٢٠٠ ص .

حمدي ، امين رشيد .
النظرية الثورية من تاريخ الشعب وكفاحه . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٧٦ ص .

حموده ، محمد .
من اعلام المسرح العالمي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٤٤ص .

حنا ، جورج .
الانسان العربي ، قديمــه وجديده . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ . ١٥٢ ص .

الخربوطلي ، علي حسني .
العرب واليهود في العصر الاسلامي . القاهرة ، الدار القومية للطباعـــة والنشر ، لا . ت . ٧٤ ص .

خليل ، اسماعيل محمد .
الحبشة الحديثة . القاهرة ، الدر القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٩٠ ص .

حفيدة الرسول ، نفحات من سيرة السيدة زينب . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٩٢ ص .

شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر . ١٩٦٣ . ٣٨٠ ص

الشرقاوي ، محمد .
تأملات في الميثاق الوطني . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٦٨ ص.

الشرقاوي ، محمد عبد المنعم .
ملامح المغرب العربي . الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٥٩ . ٢٦٦ ص .

الولايات المتحدة ارضا وشعبا ودولة . الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦ . ٣٠٣ ص .

الشرقاوي ، محمود .
الامة العربية ورسالتها . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٨٦ ص .

ثورة ١٩٥٢ واثرها في الحركات التحررية العالمية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٧٩ ص .

علي مبارك حياته ودعوته وآثاره . القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٢ . ٢٢٦ ص .

شكري . صلاح الدين .
فلسطين ومؤتمر القمة العربي سجل حافل .. لاخطر صراع تاريخي بين العرب واليهود . دمشق ، مكتب الصحافة للشرق العربي ، ١٩٦٤ . ٢٥٨ ص .

شميس ، عبد المنعم .
اياما الخالدة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١١٦ ص .

الشناوي ، عبد العزيز محمد .
حادث جريدة البوسفور اجيبسيان ، ازمة سياسية بين مصر وفرنسا في اوائل عهد الاحتلال البريطاني . القاهرة ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٦٢ . ٩٥ ص .

شيخاني ، سمير .
كتاب الانس . بيروت ، دار السمير للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ . ٦٢٢ ص .

صدقي ، عبد الرحمن .
طاغور والمسرح الهندي الغنائي . القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت. ١٤٠ ص .

زريق ، قسطنطين .
في معوكة الحضارة . دراسة في ماهية الحضارة واحوالها وفي الواقع الحضاري . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ . ٤٢٣ ص .
هذا العصر المتفجر : نظرات في واقعنا وواقع الانسانية . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٣ . ١٩٠ ص

سالم ، مصطفى .
تكوين اليمن الحديث ، اليمن والامام يحي ١٩٠٤–١٩٤٨ . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٥٨٢ ص .

سعداوي ، نظير حسان .
الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ . ٢٣٢ ص .

سليمان ، حفني.
سيلان الجزيرة المقدسة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٩٠ ص .

سيد ، محمد المعتصم .
صلاح سالم . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٧٣ ص .

سيدهم ، ادوارد .
مشكلة .. اللاجئين العرب .. القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٢٤٦ ص .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر .
المستطرف من اخبار الجواري . حققه صلاح الدين المنجد . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٣ . ٨٠ ص .

شتا ، هلال
السادة والعبيد . الطبعة الثانية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٥٧ ص .

شراره ، عبد اللطيف
ابراهيم طوقان ، دراسة تحليلية . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤ . ٢٢٩ ص .
خليل مطران ، دراسة تحليلية . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤ . ٢٣٨ ص .

الشرباصي ، احمد .
امين الامة ابو عبيدة بن الجراح القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للانباء والنشر ، لا . ت. ١٢٠ ص .

العقاد ، صلاح .
الطاقة العربية ، دراسات في المجتمع العربي . حلب ، مكتبة الشرق ،لا . ت . ٣٣٦ ص.
العقاد ، صلاح .
ثورة التحرير الجزائرية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٤٤ ص .
عقل ، فاضل سعيد .
فلسفة الشهابية . بيروت ، منشورات العقل ، ١٩٦٤ . ٤٤٣ ص .
علي ، علي محمد .
اسرائيل والشرق الاوسط . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، لا . ت . ٥٢٨ ص.
دولة الارهاب . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٣٧ ص .
فلسطين في ماضيها العربي وحاضرها الصهيوني . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ١٢٨ ص .

العودات ، يعقوب .
ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته . بيروت، المكتبة الاهلية، ١٩٦٤ . ١٨٤ ص.
غلاب ، محمد السيد .
الجغرافية العامة الطبيعية والبشرية . القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣ . ٣٨٧ص .
الغمراوي ، امين سامي .
من فلسفة الثورة ... الى الميثاق . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ٣٦٢ ص .
فخري ، احمد .
مصر الفرعونية ، موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ . ٤٩٤ ص .
فرج ، محمد .
النضال الشعبي في سوريا وقصة الانقلابات . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٠٧ ص .
فرّاج ، عز الدين .
العالم العربي الجديد ومشكلاته الاجتماعية والاقتصادية والتربوية . القاهرة ، دار الجهاد ، لا . ت . ٩٥ ص .
فهمي ، ماهر حسن .
قاسم امين . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، لا . ت. ٢٣٧ ص .

صدقي ، نجاتي .
مكسيم غوركي . القاهرة . دار المعارف ، لا . ت . ١١٢ ص .

طة ، حاد .
الصراع الاستعماري في حوض النيل . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت. ١٠٨ ص .

عبد الحميد ، فوري .
ديجول في الميزان . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر لا ، . ت . ١٦٦ ص .

عبد الرحمن ، عبد المعز .
الثورة الثقافية في ١١ عام . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، لا . ت . ١٣٣ ص.

عبد الرحيم ، محمود .
اسرار العدوان المغربي على الجزائر . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٣٣ ص .

عبد العزيز ، فؤاد كامل .
فلاسفة وجوديون . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٨٢ ص .

عبد الملك ، انور .
مصر ، مجتمع جديد يبنيه العسكريون . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ . ٤١٩ ص .

عبد الهادي ، محمد هاني .
نهاية الاستعمار البرتغالي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٢٠٢ ص.

عبده ، ابراهيم .
روز اليوسف ، سيرة وصحيفة . القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦١ . ٣١٩ ص .

العراق . وزارة الدفاع . هيئة التنسيق في المحكمة العسكرية العليا .
محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة . بغداد ، وزارة الدفاع ، ١٩٦٢ . ج ٢٢ .

عرجون ، محمد صادق .
ابو حامد الغزالي ، الفكر الثائر . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١١٠ ص .

عفلق ، ميشيل .
في سبيل البعث . طبعة جديدة موسعة . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ٣٥١ ص .

معهد الصحافة الدولي ، زيوريخ .
اخبار الشرق الاوسط في الصحافة العالمية . تر . عبد اللطيف حمزة . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦١ . ١٧٥ ص .

ناصر الدين ، علي .
قضية العرب . الطبعة الثالثة منقحة ومزيدة . بيروت ، عويدات ، ١٩٦٣ . ٢٠٨ ص.

نجم ، حلمي محمد .
الصهيونية ماضيها وحاضرها . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر . لا. ت. ١١٧ ص.

محمد ، محمود احمد .
٢٣ يوليو معالم الحياة العربية الجديدة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٢٠ ص .

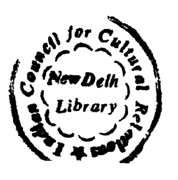
المصري ، يحيى .
اسرائيل والسوق الاوربية المشتركة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٣٠ ص .

مظهر ، سليمان .
اضواء على واقعنا . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٢٢٢ ص .

الهلالي ، عبد الرزاق .
الزهاوي بين الثورة والسكوت . بيروت ، دار الثقافة ، لا . ت . ١٣٣ ص .

هيلير ، ف . م .
جغرافية العالم للاحداث . تر . عطا بكري . الموصل ، مكتبة الوفاء ، ١٩٦٢ . ٤٣٩ ص.

ياسف ، سعدي .
ذكريات معركة الجزائر . تر . متى ابراهيم حنفي . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، لا . ت . ٩٤ ص .



فهمي ، وفيق عبد العزيز .

في ذكرى عيد النصر ، قصة كفاح شعب . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٧٠ ص .

في معارك تثبيت الاستقلال . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، لا . ت . ١٢١ ص.

قضية الجلاء وثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٦٠ ص .

فوري ، محمد .

الصهيونية وربيبتها اسرائيل . القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٦٢ . ٣٩٦ ص .

كرو ، ابو القاسم محمد .

خير الدين التونسي . تونس ، لا . ن . ، ١٩٥٨ . ٨١ ص .

صوت الحرائر . تونس ، لا . ن . ، ١٩٥٦ . ١١٠ ص .

الطاهر الحداد ، رائد الحرية ونصير المرأة ، تونس ، لا . ن . ، ١٩٥٧ . ١٠٣ ص .

الكيالي ، سامى .

في الربوع الاندلسية . حلب ، مكتبه الشرق ، ١٩٦٣ . ١٢٠ ص .

لطفي ، توفيق .

نحن واسرئيل .. ؟ دراسات تحليلية. القاهرة ، دار الادباء ، لا . ت . ١٤٦ ص .

لنشوفسكي ، جورج .

الشرق الاوسط في الشؤون العالمية.تر .جعفر خياط . بغداد ، دار الكشاف، لا. ت. ج ١ .

ماجد ، عبد المنعم .

الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي . القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨ . ٢١٧ ص.

مسعود ، محمد سعيد .

حياة حسن حمود مسعود . ديترويت ، جريدة نهضة العرب ، لا . ت . ١٧٥ ص .

المشاهدي ، كامل .

حقائق عن الجنوب العربي ونضال عدن . الطبعة الثانية ، لا . ن . ، ١٦٦.١٩٦٣ ص .

مصروعة ، جورج .

هنيبعل . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ٢ ج .